kitabweb-2013.forumaroc.net

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب

للسان الدين بن الخطيب

(713 - 776 هـ / 1313 - 1374م)

الجزء الثالث

تقديم وتحقيق

الدكتورة السعدية فاغية

نفاضة الجراب
في
علالة الاغتراب

للسان الدين بن الخطيب
(713 - 776 هـ / 1313 - 1374 م)

الجـزء الثالث

تقديم وتحقيـق
الدكتورة السعدية فاغية

شكـــر وتـقـديـــــر

اتقدم بخالص شكري وامتناني الى استاذي الجليل الدكتور فرناندو دي لاكرانخا الذي قبل الإشراف على هذا العمل وأولاه كل رعاية واهتمام، والى اساتذتي الكرام الذين ما بخلوا علي بوقتهم الثمين وتوجيهاتهم السديدة، وهم العلامة محمد المنوني، د. محمد بن شريفة ـ د. كورينطي ـ د. محـمـد الدبياجي ـ والأستاذ سعيد اديوان تغمده الله برحمته.

وكما لا يفوتني ان انوه بالمساعدة التي حظيت بها في مدريد من طرف كل من أعضاء القسم العربي بجامعة كومبلتنس، والمعهد العربي الإسباني. والمعهد الأعلى للبحث العلمي بمدريد، وكذلك أعضاء الخزانة الحسنية بالرباط، واتوجه بالشكر الى كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيع.

تقديـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

من مطالع العصر الحديث، بدأ المغرب يتفتح - أكثر - على تراث لسان الدين ابن الخطيب، فصارت أوضاعه الأدبية حسب المقري، هي قبلة أصحـاب الإنشـاء بالمغـرب، وهـو طابع استمـر - واضحا - في أساليب الكتاب المغاربة، وكذلك في صياغات الشعراء حتى وقت متأخر.

وإلى هذه الطريقة الأدبية، يترسم مؤرخون من المنطقة ذاتها، منهجية لسان الدين في بعض أعماله، والقصد - أولا - إلى أرجوزته «رقم الحلل في نظم الدول»، فيحتذيها ابن القاضي في رجزه «درة السلوك. فيمن حوى الملك من الملوك»، ثم الزياني في «ألفية السلوك في وفيات الملوك»، وثالثا : محمد غريط، في ترجيزه لتاريخ الدولة العلوية باسم «نزهة المجتلي في أبناء أبي الحسن علي».

ومن جهة أخرى : يقلد عبد الحفيظ الفاسي، تركيب التراجم في كتاب «الاحاطة»، ويسير عليه في تراجم فهرسه : «معجم الشيوخ».

وسنستنتج من هذا المسرد، معرفة طائفة من كتب ابن الخطيب، التي كانت مقروءة بالمغرب، وهي مؤلفاته الأدبية، مع أرجوزة «رقم الحلل»، وكتاب الإحاطة.

ونضيف لهذه القائمة : رسالة «مثلى الطريقة في ذم الوثيقة»، وقد درسها علي بن هارون الفاسي على شيخه محمد ابن غازي، ثم نضيف «جيش التوشيح»، حيث أعجب به عبد العزيز الفشتالي، وذيل عليه «بمدد الجيش».

وفي اتجاه آخر، نشير إلى «اتحاف أشرف الملا، ببعض أخبار الرباط وسلا» لمحمد بن علي الدكالي : أرجوزة مطولة قصد بها ناظمها إلى مناقشة لسان الدين، في نقط من رسالته «مفاخرة مالقة وسلا.

كما أن الكتاني احتفظ بالسند إلى مؤلفات ابن الخطيب، وأثبته في فهرس الفهارس.

وفي عصر الطباعة، ساهم المغرب بنشر طائفة من التراث الخطيبي انطلاقا من عام 1907/1325، وهو تاريخ نشر «معيار الاختيار» في مطبعة أحمد يمني بفاس، وبالمطبعة ذاتها نشرت قطعة من أول «الكتيبة الكامنة».

ومع التاريخ المعاصر، نشير إلى اعمال الإعلام : القسم الثاني نشر بالرباط، والثالث بالدار البيضاء، ومن تطوان صدرت رسالة «مقنعة السائل، من المرض الهائل»، ونشر منها بالأعداد الأولى من مجلة لسان الدين، وثالثا : «مثلى الطريقة، ثم التعريف بالحب الشريف.

وقد كان هذا أول الرسائل التي ناقشتها جامعة محمد الخامس عن تراث ابن الخطيب، والثانية هي التي تحمل عنوان : «الشاعر لسان الدين ابن الخطيب».

ومن كلية الآداب بالرباط : نشير إلى «معهد مولاي الحسن» بتطوان، فيقترح بين أبحاثه لجائزة سنة 1948 : موضوع «وزير غرناطة ومؤلفاته».

وفي نفس المدينة تنظم كلية الآداب ندوة ابن الخطيب، حيث كان بين تدخلاتها عرض للأستاذ الباحث عبد السلام شقور، وفيه أعلن عن عثوره على قطعة جديدة من كتاب الاحاطة، وهي التي نشرها - وشيكا - بطنجة.

وإلى هنا نتبين من هذا المسرد ألوانا من تقدير المغرب لتراث لسان الدين، ونضيف لذلك تميز الجهة ذاتها، بأنها كانت ولا تزال المعقل الذي حافظ على غالبية كتب ابن الخطيب، وهو ما يشهد به باحث مختص قائلا عن المنوه به : «معظم كتبه وصل إلينا من المغرب»، وفي تعبير آخر : «معظم تراثه المخطوط مودع بين أيديهم (المغاربة) في الخزائن المغربية الجليلة».

ومن الجدير بالذكر، أن بين هذه الكتب ما تنفرد به الخزانة المغربية عن أي جهة أخرى، ومن ذلك السفر الثالث من «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، وهو الذي درسته وحققته دة. السعدية فاغية، في أطروحتها الجامعية التي تقدمت بها للدكتوراه إلى كلية الآداب بجامعة مدريد 1985.

وقد توفقت الباحثة في اختيارها لنص بالغ الأهمية بين آثار ابن الخطيب، بما يكشف عنه من معلومات جديدة عن حياة المؤلف، وعن واقع الأندلس والمغرب خلال ق 14/8.

وإلى هذا توفقت الدارسة - مرة أخرى - في تعاملها مع النص المحقق : تصحيحا وشكلا، فضلا عن مجهود المقارنة والتعاليق الوافية.

وتزداد أهمية هذا العمل إذا تذكرنا أن النص المنوه به، كان إلى حدود الستينيات، يعتبر من الكتب الضائعة.

ومن حسن الاتفاق، أن يناقش ثم ينشر هذا الكتاب، في توقيت غير بعيد عن موعد الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب 1374/776.

وبهذا الاعتبار وما تقدمه، جاء عمل الباحثة يعبر عن توفيق في اختيارها، وعمق في تحقيقها، ومجد كللها به إعدادها للكتاب المنوه به، فضلا عن مساهمة أطروحتها في تخليد ذكرى المؤلف.

فلتهنأ السعدية فاغية بنجاحها في مجهودها، وليهنأ البحث التاريخي بظهور السفر الثالث من «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب».

الرباط : الثلاثاء 24 جمادى الأولى 1409

3 يناير 1989

محمد المنوني

مقدمة

1. الكتاب الذي نقدم هو السفر (الجزء) الثالث من نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، احد مؤلفات لسان الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني(713 ـ 776 هـ / 1313 ـ 1374م) (1).

الجزء الأول، وكذلك الرابع ـ الذي نرجح وجوده ـ لازال مفقودين.

اما السفر الثاني : فقد حققه د. مختار العبادي عن نسخة فريدة بالأسكوريال تحت رقم 1755، ونشره بالقاهرة (د. تا) . كما كان موضوع اطروحة دكتوراة بانكلترا(2) .

اشار د. العبادي في مقدمة الكتاب الى الخطا الذي وقع فيه البعض في ظنهم ان السفر الثالث موجود بالاسكوريال(3). كما اشار الى رحلة قام بها الى المغرب سنة 1963 قبل نشر الكتاب حيث التقى بالسيدين المنوني والكتاني اللذين تحدث معهما عن موضوع نفاضة الجراب فاخبراه بوجود مخطوط نادر بالخزانة العامة بالرباط، كان يعتقد انه نسخة من اللمحة البدرية لابن الخطيب، لأن مقدمته كانت هي مقدمة اللمحة، ثم اتضح بعد ذلك ان موضوعه يختلف تماما عن موضوع اللمحة(4)، واصبح الشك يقينا اذ اثبت العلامة محمد المنوني بخط يده على الصفحة الأولى من مخطوطتنا ما يلي : «هذا المجلد هو السفر الثالث من نفاضة الجراب لابن الخطيب وهو السفر الأخير حسبما يؤخذ من كلمتها الختامية.....».

وبوضع فهرس للخزانة الحسنية (الملكية سابقا) تصدت مخطوطتنا لتصنف ضمن مخطوطاته، فحظيت بوصف د. عنان لنسختيها : احداهما تتوفر عنها الخزانة الحسنية تحت رقم 6593، وهي غير صالحة، والثانية توجد بالخزانة العامة تحت رقم 256 ك (5) وهي التي اعتمدناها في التحقيق.

2. عدد اجزائه :

ذكر ابن الخطيب في إحاطته بان كتاب نفاضة الجراب يتالف من اربعة أسفار «ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب موضوع جليل في اربعة اسفار.»(6).

هذا العدد الذي اثبته جل المؤرخين، فابن الأحمر ابو الوليد اسماعيل يقول «ونفاضة الجراب في اربعة اسفار، وهي من احسن تآليفه ولم ازل اكثر البحث في هذا التاريخ عنها فلم اقف منها على عين ولا اثر إلا عدة اوراق متفرقة، وقد كنت رايت بعضها(7)، هذا العدد الذي اثبته كل من المقري وبونس بويجس والدكتوران هلال ناجي ومحمد ماخور وغيرهم(8).

لكن بظهور مخطوطتنا الى حيز الوجود بدانا نلاحظ تحفظ بعض الباحثين في ذكر عدد آجزاد النفاضة واثبات البعض الآخر ان اصل الكتاب من ثلاثة اجزاء.

نذكر من الفئة الأولى د. محمد الكتاني حيث قال : «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب... لم يعثر منه إلا على سفريه الثاني والثالث من اصل ثلاثة او اربعة اسفار»(9).

اما الدكتور احمد مختار العبادي، فقد اتهم ابن الخطيب بالتناقض اذ قال : «اما عن عدد اجزائه فابن الخطيب يشير في آخر النسخة التي بين ادينا ان الكتاب يقع في ثلاثة اسفار، ولكنه يعود فيناقض نفسه في الإحاطة فيقول : «ونفاضة الجراب في اربعة اسفار»(10).

اما الفئة الثانية فنذكر منها العلامة المنوني والدكتور عنان حيث اثبتا ان نفاضة الجراب من ثلاثة اسفار، معتمدين على قول ابن الخطيب، في اخر مخطوطتنا« تم السفر الثالث وبتمامه تم جمع الديوان...».

لقد اشار د. عنان في مقدمة الإحاطة الطبعة الأولى الى ان عدد اجزاء النفاضة اربعة مجموعة في سفر بالاسكوريال تحت رقم 1755، وباطلاعه على مخطوطتنا اصلح الخطا في الطبعة الثانية بان الرقم المذكور مجرد السفر الثاني من النفاضة، لكنه اثبت بان عدد اجزاء الكتاب ثلاثة(11)، وهذا ما أثبته ايضا في كتابه عن ابن الخطيب. حيث يقول : «.. لم تصلنا من الكتاب نسخة كاملة بل وصلنا منه فقط سفراه الثاني والثالث، وهو يتكون من ثلاثة اسفار حسبما يخبرنا ابن الخطيب نفسه في نهاية السفر الثاني (نسخة الاسكوريال) وحسبما ورد في نهاية السفر الثالث (نسخة الرباط)(12).

اما العلامة المنوني فقد نشر كتابا قيما عن المصادر العربية لتاريخ المغرب وادرج كتاب النفاضة ضمنها، يقول : «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب... يقع اصلها في ثلاثة اسفار يعرف منها الان الثاني والثالث... (13)» .

ما يجعلنا نرجح ان كتاب النفاضة يتألف من اربعة اسفار ما يلي :

- ابن الأحمر الذي سبق ان أوردنا قوله، لا يمكن اغفال شهادته، خصوصا وهو احد معاصري ابن الخطيب وقد صرح بأنه رأى بعضها.

- قول ابن الخطيب في النفاضة بانها من ثلاثة اسفار وفي الإحاطة بانها من اربعة، ليس فيه اي تناقض، وليس مبررا للشك في عدد اجزاء الكتاب، فابن الخطيب عندما ذكر مؤلفاته في النفاضة (ج 3) ، قال : «وصدر عني لهذا العهد(14»، فلو تتبعنا التسلسل التاريخي لذكر مؤلفاته لا تضح لنا ضبطه التام، ففي السفر الثاني من النفاضة التي يشير الى ان عددها ثلاثة يقول بأن الإحاطة سبعة اسفار(15)، نتابع استمراره في التأليف فيزيد سفرين في الإحاطة وسفرا في النفاضة ويعلن ذلك في الإحاطة، فيقول بأن نفاضة الجراب في اربعة اسفار والإحاطة في تسعة(16)، وهكذا يذكر ابن الخطيب عدد اجزاء مؤلفاته وفقا لتواريخ كتابتها، حيث يتعرض مرة آخرى لانتاجاته فيثبت بأن الإحاطة تتألف من خمسة عشر سفرا ونفاضة الجراب من أربعة(17)، ومن المعروف أن الإحاطة استغرق في تأليفها زمنا طويلا.

- بالنسبة للعبارة الواردة في آخر مخطوطاتنا (انتهى السفر الثالث...). فقد ورد قبلها مباشرة قول ابن الخطيب : «وقد آن لنا أن نختم هذا السفر ونقتصر عليه الى أن يسنى الله الوجهة الحجازية، فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الأقطار ونتلقاه من الأخبار». (ل 290).

اذن فابن الخطيب كان ينوي مواصلة تأليفه في موضوع الرحلة، ولم تتح له الظروف الرحلة الى الحجاز ولكنه رحل الى المغرب، اليست هذه رحلة حرية بالتسجيل، بل في نفس موضوع الغربة عن الوطن الذي كان حافزا لتأليف الأجزاء الأولى، الا يمكن أن يضع سفرا رابعا يضمنه ما صاحب رحلته من احداث تاريخية؟...

- أورد الناسخ في آخر الإحاطة قصيدتين لابن الخطيب وعلق عليهما بقوله: «... من كتاب نفاضة الجراب لابن الخطيب المذكور الذي الفه في العدوة بعد صرفه عن الأندلس واستقراره بالعدوة بآخرة من عمره، وقرب وفاته ولذلك سماه نفاضة الجراب(18).

لم يثبت د. العبادي القصيدتين في فصل الضمائم، ولكنه ناقش قول الناسخ بأن كتاب النفاضة وضع سنة 772 هـ، دليله على ذلك: تواريخ الأحداث التي تناولها

السفر الثاني لا تتعدى الفترة (760. 763 هـ / 1559 ـ 1361م)، ثم احالة ابن الخطيب القارىء في كتابه اللمحة على النفاضة للتوسع... علما بان اللمحة انتهى من تاليفها في أواخر محرم 765 هـ.

من المعروف ان الأحداث التي عرضها السفران الثاني والثالث لا تتجاوز الفترة الممتدة ما بين (760 ـ 764). وان هجرته الأخيرة الى المغرب كانت ما بين (772 ـ 776 هـ / 1370 ـ 1378م)، لكن قول الناسخ يدفعنا الى التساؤل، الا يكون الناسخ نقل فعلا القصيدتين من سفر رابع الف في الفترة الأخيرة، وما دام الموضوع لم يتغير : الاغتراب... فقد اختلط الأمر على الناسخ وظن ان كتاب النفاضة وضعت كل اجزائه في نفس الفترة الزمنية، وقد رجح الدكتور عنان بدوره انتماء القصيدتين الى الفترة المتاخرة لما يحملان من الم وحسرة واستنكار لموقف اهل بلده منه...(19).

على كل ما وصلنا الآن هما الجزءان الثاني والثالث.

3 . عنوان الكتاب وظروف تاليفه :

ابن الخطيب اطلق على كتابه اسم الرحلة اكثر من مرة، وقد اتفق الباحثون على ان كتاب الرحلة هو نفسه كتاب نفاضة الجراب(20)، لكننا نلاحظ ان بعض المتاخرين وقع لهم خلط في العنوان، حيث سماه ابن غازي «نفاضة الجراب فيمن بقي من الأصحاب»(21)، وسماه عبد الحي الكتاني : «نفاضة الجراب فيمن جمعني وإياه الاغتراب»(22).

اما العنوان الذي اثبتناه : «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» فقد نص عليه ابن الخطيب نفسه في الإحاطة واللمحة البدرية(23).

ما يسترعي الانتباه في عنوان الكتاب هو اختيار ابن الخطيب لألفاظ لها دلالات عميقة : نفاضة، علالة، اغتراب. كل لفظة تعبر عن مضمون من مضامين الكتاب.

ولنبدا باهمها :

ـ اغتراب : لقد الف ابن الخطيب كتابه في احلك فترات حياته التي عانى فيها غربة عن الوطن وبعدا عن الأصدقاء، حيث هبت ثورة في غرناطة بتاريخ 28 رمضان 760 هـ / 23 غشت 1359م اطاحت بملك الغني بالله محمد الخامس، وفر السلطان الى وادي آش بينما استمر ابن الخطيب وزيرا لاسماعيل، وشك هذا الأخير في

اخلاص ابن الخطيب فسجنه وصادر ممتلكاته، ويتدخل من أبي سالم المريني سمح لابن الخطيب بمغادرة الأندلس رفقة سلطانه، ونزلا ضيفين على سلطان المغرب يوم 6 محرم 761 هـ / 28 نونبر 1359م .

جاء ابن الخطيب الى المغرب لاجئا سياسيا... مهيض الجناح ... بلا ممتلكات ولا أموال... بلا منصب ولا وطن، كل ما يملكه ثقافته الواسعة، ومقدرته الأدبية التي وظفها في مدح ملوك المغرب ورؤسائه... مدح تنبثق المرارة والحزن من الفاظه لتصور واقعا اليما واقعا عاشه ابن الخطيب، يقول ضمن رسالة كتبها الى السلطان أبي زيان بمناسبة توليه الملك : «... فلم يتح الله نعرة ترعى الضيف، وتحمي الذليل إلا على يديكم... (24).

ويقول في قصيدة مرفوعة الى نفس السلطان (25) :

امولاي راع الدهر سربي وغالني فطرفي مذعور وقلبي خفـــاق
وليس لكسري غيرك اليوم جابـر ولا ليدي إلا لـمجـدك اعـلاق

هذا الواقع الذي فرض على ابن الخطيب ان يمدح وزراء يشعر في قرارته بتعاليه عنهم، فتعبر أشعاره عن ذلك ، يقول في مدح الوزير المغربي السبيع : (26)

لعمرك ما تدري الوزارة كفؤها سواك يمينـا لا يـخـاف مـن الوزر
ومثلك من يعنى بمثلي فانـني تهيم المعالي في ثنائي وفي شكـري

ورغم ما لقي ابن الخطيب من حفاوة وكرم في المغرب فالحسرة على فراق وطنه لم تفارق قلبه، ولم يخفف ذلك من حدة شعوره بالغربة، فصور مخطوطنا معاناته أصدق تصوير.

نفاضة : لقد نفض ابن الخطيب في كتابه رصيده الثقافي، فجاء كخلاصة مركزة لفروع ثقافته المتشعبة : ادبية، تاريخية، جغرافية، فلسفية ودينية.

علالة : كان الكتاب بمثابة مذكرات شخصية بثها ابن الخطيب احساساته، وانطباعاته عن المغرب ورجالاته، رافقته في رحلاته، وفي حفلات اعياد المولد النبوي، وفي الحروب والفتن، فكان يتعلل بها في ظروف اغترابه، وبذلك حق لكتابنا أن يسمى نفاضة الجراب في علالة الاغتراب .

4 ـ تاريخ تاليف الكتاب :

لم يحدد ابن الخطيب تاريخ تاليف الكتاب، لكن الأحداث التاريخية التي سجلها في الجزئين الثاني والثالث تنحصر بين (760 ـ 764 هـ / 1359 ـ 1362م).

اما الجزء الثالث، موضوع بحثنا، فيبتدىء باول حدث مؤرخ بربيع الأول 763هـ / يناير 1362م، وهو سفر ابن الخطيب من سلا متوجها الى فاس لتقديم ولائه للسلطان الجديد ابي زيان اثر عودته من قشتالة، وينتهي بوصف حفل عيد المولد النبوي الذي اقامه محمد الخامس في غرناطة بعد استرجاعه لملكه وذلك بتاريخ 12 ربيع الأول 764 هـ / 30 دجنبر 1362م.

وهكذا تجدر الإشارة الى ان ابن الخطيب بدا تاليف الكتاب في المغرب وانهى الجزء الثالث في غرناطة بعدما رجع اليها باستدعاء من محمد الخامس.

رغم ان ابن الخطيب لم يحدد تاريخ انتهائه من تاليف الجزء الثالث من النفاضة فهناك بعض المعطيات تجعلنا نرجح انه تم قبل محرم 765 هـ / 1363م.

وبعد ربيع الأول 764 هـ / دجنبر 1362م :

1. ابن الخطيب اثبت في آخر كتابه اللمحة البدرية تاريخ انتهائه من تاليفه وهو آخر محرم 765 / 1363م، كما علق عن الكتاب بقوله : «وهذا الكتاب عيون ونكت ومن اراد الاستقصاء فعليه بكتاب نفاضة الجراب من تاليفنا»(27).

بمقارنة الأحداث الواردة في جزئي النفاضة بما ورد في اللمحة ، كان آخر حدث في كتاب اللمحة عبارة عن إشارة خاطفة الى ثورة قامت ضد محمد الخامس بعد استرجاعه لملكه يقول فيها ابن الخطيب : «وثار عليه في الحضرة بممالاة الأشرار من جنده علي بن علي بن احمد بن نصر، الشيخ المزمن، فاظفره الله به»(28).

هذه الثورة وجدنا الحديث مفصلا عنها في مخطوطتنا(29)، ومسجلة بتاريخ ذي الحجة 763 هـ / اكتوبر 1362م.

معناه ان ابن الخطيب انهى مخطوطتنا قبل اللمحة اي قبل محرم 765.

ب . ما يجعلنا نشك ان آخر حدث انتهى به كتابنا لا يمكن اعتباره تاريخ الافراغ من تاليفه اننا وجدنا في المتن رسالة من ابن الخطيب الى ابن خلدون بمناسبة زفافه بجارية تدعى هنـد(30)، لم يذكر ابن الخطيب تاريخ إرسالها ولم يشر اليها ابن خلدون في تعريفه رغم انه تحدث عن رحلته الى غرناطة(31) ووصوله اليها يوم 8 ربيع الأول 764 هـ / 26 دجنبر 1362م، واكد ابن الخطيب في مخطوطتنا مشاركة ابن خلدون في حفل عيد المولد النبوي بقصيدة(32) يوم 12 ربيع الأول، فهل يعقل ان يتزوج ابن خلدون بين التاريخين المذكورين ولما لم ولم يرتح من عناء السفر؛ بالاضافة الى ما يستلزمه الموقف من شكليات الاتصال بالبلاط والتهييء للحفل الخ...

نرجح اذا ان الجزء الثالث من النفاضة تم وضعه بين سنتي (763 ـ 764هـ / يناير 1362 ـ 1363).

5 . خلاصة لمحتوى الكتاب :

قبل ان نعطي عرضا موجزا لمحتوى مخطوطاتنا يجدر بنا ان نلقي ولو لمحة خاطفة على محتوى الجزئين الأول والثاني.

الجزء الأول :

سبق ان اشرنا الى ان هذا الجزء لازال مفقودا، ولكننا حاولنا تصور بعض موضوعاته انطلاقا من منهجية ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث حيث ذكر الأحداث التاريخية متتابعة حسب التسلسل الزمني(33) فتناول في الجزء الثاني الفترة الممتدة ما بين (اواسط عام 761 هـ ـ 1360م) و(ربيع الأول 763 هـ / يناير 1362م)، هذا التاريخ الأخير يبتدىء به الجزء الثالث الذي يتطرق الى الأحداث بتسلسل اى غاية 12 ربيع الأول 764 هـ / 30 دجنبر 1362م.

إذن فمن المرجح أن الجزء الأول يتناول الأحداث التاريخية ابتداء من 26 رمضان 760 هـ / 26 غشت 1359، اي من الإنقلاب الأول الذي ادى الى خلع محمد الخامس ولجوئه رفقة وزيره ابن الخطيب الى المغرب، وابن الخطيب ـ كما لا يخفي ـ مؤرخ وأديب، يؤرخ ويصف بدقة متناهية كل ما تقع عليه عيناه، لذلك فقد يتضمن هذا الجزء وصفا مفصلا للانقلاب الأول.

ـ من خلال الجزء الثاني عرفنا ان ابن الخطيب لما نزل ضيفا على ابي سالم

طلب منه الترخيص له برحلة الى ربوع المغرب ، فسمح له السلطان بذلك لكننا وجدنا الجزء الثاني يبتدىء بصعود جبل (درن) ويستمر في وصف المناطق الجنوبية، فبدون شك أن ابن الخطيب فصل بداية رحلته في اخر الجزء الأول ويؤكد ذلك بعض النصوص المبثوثة في مصادر اخرى نقلا عن النفاضة والتي تحتوي وصف مكناسة الخ ...

- عقد د. العبادي فصلا سماه الضمائم (34) جمع فيه النصوص التي عثر عليها في مصادر اخرى اخذتها عن النفاضة ولم يجدها في الجزء الثاني وهي :

1. وصف مكناسة الزيتون.
2. وصف لقائه بعلماء مكناسة.
3. وصف لقائه بالشيخ الزاهد ابي العباس بن عاشر.
4. في وصف مراكش وتامسنا.
5. قصيدة في مدح الرسول (صلعم) ليلة ميلاده.

نضيف الى هذه النصوص قصيدتين أوردهما ناسخ الإحاطة معلقا عليها بأنهما من نفاضة الجراب(35).

بمقارنة هذه النصوص بمحتويات المتن وجدنا الأبيات التي قالها في وصف مراكش وتامسنا(36)، اما باقي النصوص التي جمعها د. العبادي فنرجح أنها من الجزء الأول ما عدا البيت الآتي :

بـولـي الـلـه فـابـدا وابـتـــدر واحد الآحاد في باب الورع

فقد اورد د. العبادي هذا البيت ضمن النص الذي وصف فيه ابن الخطيب لقاءه مع الشيخ أبي العباس السبتي، أخذا عن الاستقصا والنفح ، ولم يشرد. العبادي الى التعليق الموجود في كلا الكتابين، وهو : «وقال رحمه الله من قصيدته العينية السلاوية التي وجهها الى سلا أيام خلف بها اهله وولده»(37) هذا البيت مـن قصيدة وجدناها كاملة في المتن(38) .

- نحتمل أن الجزء الأول يتضمن فصلا عن وصف احتفال ابي سالم بعيد المولد يوم 12 ربيع الأول 761 هـ / يناير 1360م، والقصائد التي أنشدها الشعراء بالمناسبة، وذلك بناء على ما يأتي :

باستقرائنا للنصوص المشار اليها اثارت اهتمامنا قصيدة في مدح الرسول ذكرها ابن الخطيب في الإحاطة واوردها المقري في نفحه كما جعلها د. العبادي ضمن

فصل الضمائم(39)، هذه القصيدة قال عنها ابن الخطيب : «ثبت في كتاب «نفاضة الجراب» من تاليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر من أنشد ليتئذ من الشعراء ما نصه : وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي في جملة السذاجة وكرم الخلق وطيب النفس وخذن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشاة القرآن، المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن من عقل رصين، وطلب ممتع وأدب ونقاوة ويد صناع، ابو القاسم بن ابي زكريا البرجي، فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة :

اصغى الى الوجد لما جد عاتبه　　　　صب له شغل عمن يعاتبــــــه

والقصيدة طويلة، لكن ما يهمنا فيها هو تردد اسم الخليفة ابراهيم ابي سالم حيث يقول(40) :

لولا الخليفة ابراهيم لا نبهمت　　　　طُرق المعالي ونال الملك غاصبه

حقا ان القصيدة لا تحمل تاريخا، ولكن لا يمكن أن يكون غير ما ذكرناه ذلك لأن ابن الخطيب وفد على فاس في محرم 761 هـ / 1359. وشارك في الاحتفال بعيد المولد النبوي، حيث أن الظهير الذي رخص له بالرحلة صدر يوم 21 ربيع الثاني 761 هـ / 1360م (41)، وقد فضل ابن الخطيب الإقامة في سلا وطلب الإذن من السلطان ابي سالم فاذن له بذلك بتاريخ 11 رجب 761 هـ / 28 مايو، وظل مقيما بها الى أن غادرها نهائيا الى غرناطة يوم 14 رجب 763 هـ / 9 مايو 1362م، عندما نعرف بأن أبا سالم قتل يوم 21 ذي القعدة 762 هـ / سبتمبر 1361م نتاكد ان ابن الخطيب تمكن من حضور الحفل الأول، أما الحفل الثاني فقد ذكر في الجزء الثاني من النفاضة انه أناب ابنه عنه في قراءة القصيدة لأن الظروف لم تسمح له بالسفر الى فاس(42).

من خلال هذه التصورات يمكن القول بأن الجزء الأول يتضمن أحداثا مغربية واندلسية، وفصلا عن بداية رحلته في المغرب، وفصلا عن وصف عيد المولد النبوي والقصائد التي انشدت فيه، وكعادة ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث، فهو بين الحين والآخر يعقد فصلا يسجل فيه ما صدر عنه من نظم ونثر لذلك العهد، قد لا يخلو السفر الأول منه.

ملخص الجزء الثاني

خصص د. العبادي عرضا وافيا عن محتويات الكتاب في مقدمته لذلك سنكتفي بايراد اشارات تاريخية موجزة دون التطرق الى الجانب الأدبي.

- يبتدىء الكتاب بصعود ابن الخطيب الى جبل هنتاتة (درن) ثم يستمر في رحلته واصفا المدن التي مر بها والأشخاص الذين تعرف بهم مسجلا خروجه من مركش قاصدا اسفي بتاريخ 23 جمادى الثانية 761 هـ / 21 مايو 1360م.

- 11 رجب 761 هـ / 28 مايو 1360م وصل الى سلا، ومنها بعث رسالة الى ابي سالم يتوسل اليه أن يسمح له بالإقامة في سلا.

- 8 شعبان 761 هـ / 24 يونيو 1360م حدث انقلاب ثاني في غرناطة ادى الى مقتل اسماعيل أخي محمد الخامس واعتلاء ابن عمه أبي سعيد البرميخو عرش المملكة.

- ربيع الأول 762 هـ / يناير، فبراير 1361 وصل بعض القادة العسكريين فارين من غرناطة الى المغرب.

- شوال 762 هـ / 1361م : عبر محمد الخامس الى سبتة بمساعدة السلطان ابي سالم، ومن ثم ذهب الى جبل الفتح حيث تمت بينه وبين سلطان قشتالة اتصالات... منتظرا امدادات عسكرية من أبي سالم، في نفس هذه الظروف قتل الوزير عمر بن عبد الله السلطان ابا سالم وبايع اخاه ابن تاشفين الملقب بالموسوس.

- كرد فعل بعث ابو سعيد البرميخو عبد الحليم ابن عم السلطان ابي سالم لمطالبته بحقه في الملك، لكن صادف ذلك مقتل ابي سالم واستياء الناس من سلطنة ابن تاشفين مما جعل بعض القبائل تنحاز اليه، فاستولى على مكناسه وتازا، وخاف الوزير من استفحال نفوذ عبد الحليم فبعث الى سلطان قشتالة يطلب منه السماح لأبي زيان بالقدوم الى المغرب، وتم ذلك بشروط...

- صفر 763 هـ / 1361م بويع أبو زيان بالخلافة.
- ربيع الأول 763 هـ / 1362م فر عبد الحليم الى سجلماسة.
- جمادى الثانية 763 هـ / فر ابو سعيد البرميخو الى قشتالة.

ملخص لمحتويات الجزء الثالث

حاولنا تقسيم الكتاب الى عشرة فصول وسنشير الى اهم الأحداث الواردة فيها :

الفصل الأول :

يشترك هذا الفصل مع آخر الجزء الثاني الذي حققه د. العبادي، ويستهله بمقدمة اللمحة البدرية، ذلك ان ابن الخطيب ذكر ما صدر عنه من شعر ونثر حتى ذلك العهد، فاورد مؤلفاته واشار الى انه ابتدا تأليف اللمحة البدرية التي تحمل المقدمة المثبتة في كتابنا والتي كانت سببا في الاعتقاد بأنه اللمحة البدرية.

الفصل الثاني :

يبتدىء بالجملة «رجع التاريخ»، هذه الجملة التي تتكرر كلما اراد ابن الخطيب تسجيل الأحداث التاريخية اندلسية أو مغربية.

وفي هذا الفصل يسلط الأضواء على فترة غامضة من تاريخ المغرب في عهد المرينيين محددة بسنة 763 هـ / 1362م. حيث يصف اثار الجفاف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ويشير الى داء الطاعون الذي كان منتشرا في المغرب خلال هذه الفترة، كما يصور الفتن والاضطرابات الداخلية...

يصف ابن الخطيب رحلته الى فاس تحت سيول من الأمطار انهت سنوات الجفاف، واشاعت بعض الاطمئنان في النفوس، وكان قصده من الرحلة تقديم ولائه للسلطان الجديد ابي زيان، وسجل ابن الخطيب لقاءه بالسلطان بتاريخ 30 ربيع الأول 763 هـ/ 27 يناير 1362م، كما اثبت القصيدة التي مدحه بها والظهيرين اللذين اصدرهما السلطان في حقه : أحدهما يخول له عدة امتيازات، والثاني يرخص له الرحلة الى جنوب المغرب بناء على طلبه.

ولم يفت ابن الخطيب اثناء اقامته في فاس ان يسجل الأحداث التاريخية التي شاهدها كوصفه لشخصية منصور اخي عبد الحليم الذي اتى لمساعدة اخيه، وتم القبض عليه بمحضر من ابن الخطيب، كما وصف حفل عرس ابي ثابت عامر الهنتاتي كما شاهده، مشيرا الى تنصيبه رئيسا للجند بمراكش.

وفي هذا لفصل اشارة الى شروط المعاهدة التي تمت بين ابي زيان وملك قشتالة.

وقد انتهى الفصل بوصف لما آلت اليه أحوال الدولة المرينية من تدهور وانحطاط نتيجة استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة.

الفصل الثالث :

يوم 23 ربيع الثاني 763 هـ / 9 فبراير 1362 خرج ابن الخطيب من فاس متجها الى جنوب المغرب، لكنه مرض في الطريق مما جعله يؤجل الرحلة ويكتب رسالة الى السلطان مبلغه بمرضه.

بعد عشرة أيام يستأنف ابن الخطيب رحلته ويورد وصفا دقيقا للمدن والقرى التي مر بها ابتداء من فاس ثم دشار البوير، مكول، ماغوس، تامسنا، محلة سفيان، طريق مراكش، منار الكتبية...

كما وصف لقاءاته بشيوخ القبائل، والأبيات التي نظمها في مدحهم وفي هجاء بعض المدن والقرى المغربية...

الفصل الرابع :

وفيه تصويرللثورات الداخلية في المغرب نتيجة الصراعات القبيلة.

كما يعرض هذا الفصل انشقاق المغرب الى مملكتين، مملكة فاس تحت سلطنة أبي زيان الشكلية، بينما المسير الحقيقي هو عمر بن عبد الله الياباني، ومملكة مراكش تحت سلطنة الطفل أبي الفضل بن أبي سالم، بينما المستبد بشؤونها أبو ثابت عامر الهنتاتي، وقد تم هذا التقسيم باتفاق بين الوزيرين.

الفصل الخامس :

وفيه ذكر لأحداث أندلسية، حيث حقق محمد الخامس انتصارا على ابن عمه أبي سعيد البرميخو، واحتل عدة حصون من جملتها مالقة التي دخلها يوم 16 جمادى الثانية 763 هـ / 12 ابريل 1362م، ومنها بعث رسالة الى ابنه بفاس ليخبره بانتصاراته، فأبو سعيد البرميخو فر الى قشتالة محملا بذخيرة هائلة من المجوهرات، وصفها ابن الخطيب وصفا دقيقا لأن أبا الحجاج سبق أن اطلعه عليها.

كما تعرض ابن الخطيب الى فشل سفارة ابن كماشة في المغرب.

الفصل السادس :

ويستهله بإشارات موجزة جدا عن الوضعية العامة في غرناطة، ثم ينتقل الى

وصف رحلته مع اسرة محمد الخامس عائدين من المغرب الى غرناطة، وقد نجح ابن الخطيب في اقناع الوزير عمر بن عبد الله بالسماح لهم، بالعودة الى وطنهم هذه المهمة التي فشل فيها ابن كماشة، وقد صحبهم في رحلته ابو يحيى بن ابي مدين مبعوثا من طرف ملك المغرب، خرجوا من فاس بتاريخ 20 رجب 763هـ / 15 مايو 1362م، ووصلوا غرناطة بتاريخ 20 شعبان / 14 يونيو.

الفصل السابع :

وفي هذا الفصل يذكر نفي ابن كماشة الى تونس، كما يتعرض بتفصيل الى ثورة ضد الغني بالله محمد الخامس بذي الحجة 763 هـ / اكتوبر 1326م.

وفيه ايضا خطبة لابن الخطيب على لسان محمد الخامس لتهدئة الناس بعد الثورة، وكذلك رسالة من انشائه الى المغرب واصفا فيها احداث الثورة، ممهدا لها بوصف الإنقلاب السابق.

الفصل الثامن :

ويتضمن مجموعة من رسائل ابن الخطيب اخوانية ودبلوماسية وبعض اشعاره التي كتبها بعد عودته الى غرناطة، ما يسترعي الانتباه في هذا الفصل هو الجانب الجديد : قصائد زجلية لابن الخطيب، فقد عرف كزجال دون ان تصلنا ازجاله، وينفرد كتابنا بهذه الميزة الا وهي الاحتفاظ بقصائد زجلية لم يعثر على بعضها حتى الآن، ونسب بعضها خطا الى الششتري.

الفصل التاسع :

وفيه وصف دقيق ورائع للمشور الذي بناه محمد الخامس بقصر الحمراء، والذي اقام فيه الاحتفال بعيد المولد النبوي بتاريخ 12 ربيع الأول 764 هـ / 1362م. كما وصف الحفل وصفا متناهيا في الدقة، ووصف ايضا الساعة الميكانيكية التي ظهرت لأول مرة في غرناطة عند محمد الخامس، زين بها قاعة الحفل تقليدا لأبي عنان، كما اثبت ابن الخطيب مقطوعات شعرية كان ينشدها عند انتهاء كل ساعة من ليلة الحفل.

الفصل العاشر:

وقد خصصه ابن الخطيب للقصائد التي انشدت في الحفل بمناسبة عيد المولد النبوي من طرف شعراء مختلفين، انفرد كتابنا بجلها.

اهميــة الكتــاب

يعتبر كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب من اهم مؤلفات ابن الخطيب باتفاق القدماء والمحدثين، فابن الأحمر يجعله من أحسن مؤلفات ابن الخطيب اذ يقول «ونفاضة الجراب في اربعة اسفار وهي من أحسن تآليفه» 43)، ويصنفه الدكتور عنان في الدرجة الثانية بعد الإحاطة حيث يقول : «يعتبر من اهم كتب ابن الخطيب بل ربما كان اهمها بعد كتاب الإحاطة» (44)، وتكمن هذه الأهمية في كونه يؤرخ لمرحلة من أدق واحرج المراحل التاريخية بالنسبة لملكتي بني مرين وبني نصر، وهي السنوات الممتدة ما بين (760 ـ 764 هـ / 1359 ـ 1362 هـ)، حيث عرف المغرب خلالها حكم اربعة ملوك، وانقسم الى مملكتين : مملكة فاس ومملكة مراكش، كما عاشت مملكة غرناطة صراعات داخلية وخارجية، ففي هذه الفترة الوجيزة عاشت اربعة انقلابات، ذكرت المصادر ثلاثة، وانفرد هذا الكتاب بتفصيل وقائع الانقلاب الرابع.

فالكتاب اذا يكشف حقائق تاريخية ظلت مجهولة الى الآن، كما يرسم صورة واضحة للوضعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل من المملكتين : النصرية والمرينية، ويبين نوعية العلاقة الدبلوماسية التي كانت تربط بينهما.

بالإضافة الى اهمية هذا الكتاب (الجزء الثالث) التاريخية، فإن له اهمية ادبية كبرى، حيث نجد كل حدث تاريخي مذيلا بقصيدة شعرية او رسالة ادبية من إنتاج ابن الخطيب او غيره من مشاهير عصره كابي اسحاق بن الحاج وابن خلدون وابن خاتمة والنباهي وابن مرزوق وغيرهم ممن احتفظ المتن ببعض انتاجهم اما شعرا وإما نثرا.

ومما يثبت قيمة الكتاب الأدبية انه ضم 2131 بيتا من الشعر الموزون المقفى، منها 765 بيتا لابن الخطيب تكون قصائد مطولة ومقطوعات؛ و 1340 بيت منظومة في 25 قصيدة مطولة لشعراء معاصرين لابن الخطيب، انفرد الكتاب بجلها؛ تبقى 26 بيتا مفردا، لشعراء مختلفين. كما انفرد الكتاب بست قصائد زجلية لابن الخطيب.

اما الرسائل والقطع النثرية فيضم الكتاب 38 قطعة نثرية، منها 30 رسالة من إنتاج ابن الخطيب، 20 رسالة دبلوماسية، 10 رسائل، إخوانية، كما وردت 5 رسائل لكتاب اخرين : رسالتان لابن خلدون، رسالة لابن خاتمة، ثلاث رسائل لا يعرف كاتبها، وخطبة لابن الخطيب. وظهيران من ابي زيان الى ابن الخطيب لم يذكر كاتبهما.

فالكتاب لا تخفى اهميته وصعوبته لذلك فانا اقدمه الى القارئ الكريم والأمل يحذونني ان اكون قد وضعت بين يديه مصدرا من اهم المصادر التاريخية والأدبية تشفع اهميته هفواتي، وتبرر مناعة اسلوبه ما اكون قد وقعت فيه من اخطاء.

تعليقات

(1) لسان الدين بن الخطيب : شخصية غنية عن التعريف، فقد كتبت عنه دراسات كثيرة تناولت شخصيته ومؤلفاته، لذلك ارتأينا ان نكتفي بالإشارة الى بعضها دون تكرار الحديث عن حياته ومؤلفاته.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان (ت 808 هـ / 1406م) : ديوان المبتدا والخبر ، تح. خليل شحاده ومراجعة سهيل زكار، 8 ج، بيروت 1981، ج 7 / 440-445 : 452-455.
- ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل، (ت 807 هـ / 1405م) : نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح. رضوان الداية، القاهرة 1967، ص 242 - 292.
- المقري، أبو العباس أحمد (ت 1041هـ / 1633م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. احسان عباس، 8 ج، بيروت 1968، تناول الكتاب حياة ابن الخطيب وانتاجاته شعرية ونثرية، أما مؤلفاته فتحتل الصفحات 97 - 108 من الجزء السابع.
- الناصري السلاوي (ت 1319 هـ / 1901م) : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، نشر جعفر الناصري ومحمد الناصري، 9ج، الدار البيضاء 1954، ج 4 / 8 - 31، 44 - 49.
- ابن عبد الله عبد العزيز : الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان 1953.
محمد أبو بكر التطواني : ابن الخطيب من خلال كتبه، القاهرة 1954، 2ج.
- احمد مختار العبادي : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، الإسكندرية 1968.
- محمد عبد الله عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، القاهرة 1968.
- الحسن السايح : منوعات ابن الخطيب، الرباط 1978.
- كما ترجم له جل من حققوا مؤلفاته نذكر منها :
- الإحاطة، تح. عنان، ج 1/ 17 - 71.
- اللمحة البدرية، تح. محب الدين الخطيب، ص 5 - 12.
- أعمال الأعلام، تح. العبادي، الكتاني، ج 3 / المقدمة.
- روضة التعريف تح. د. الكتاني ج 1 / 11 - 60.
- ديوان الصيب والجهام، ت. شريف قاهر، ص 47 - 87.
- معيار الاختيار، تح د. شبانة ص 13 - 29.
نشير أيضا الى بعض الدراسات الأجنبية عن ابن الخطيب، ومؤلفاته :

EI,II 42 (C. F . Seybold);

E. I, III, 859 - 60 (J. BOSCH-Vilá) ;

F. PONS BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos , arábigo-españoles, Madrid 1898, PP. 343-447 ;

- R. Arié, "Lisān al-dín al-Khaṭíb, quelques aspects de son oeuvre", en Atti del terzo Congreso di studi Arabi e Islamici, Nápoles 1967 , PP. 69 - 81;
- W. Hoenerbach, "El historiador Ibn al-Jaṭíb : pueblo, gobierno, estado", en Andalucía islámica, I, (1980), pp. 43-63,

- M. Schatzmiller, l'historiographie merinide, Ibn Khaldūn et ses contemporains, Leiden 1982, PP. 76-88.
- E. Santiago Simón, El polígrafo granadino Ibn al-Jaṭīb y el sufismo Granada 1983.
F.A.M. Warburton ; "The Nufāḍat al ŷirāb" of Lisán al-Dín Ibn al-Khaṭíb, Ph.D. (2)
(Cambridge) 1965-66.

وقد نقلنا هذا عن :
(Theses on Islam, the Middle East and North-West Africa 1880-1978, accepted by universities in the United Kingdom and Irland comp. por P. slyglett, Londres 1983)

(3)النفاضة 2/ 5. 6.

(4) (النفاضة 2/ 9).

(5) محمد عبد الله عنان : فهارس الخزانة الملكية، الرباط ، ج 1، ص 343 . 344.

(6) الإحاطة 4/ 459، 462.

(7) المقري : ازهار الرياض 1/ 189.

(8) المقري : النفح 7/ 98، ازهار الرياض 189/1.

ـ الإحاطة تح عنان، ط 1 القاهرة 1956 (المقدمة).

جيش التوشيح، تح. هلال ناجي ومحمد ماخور (المقدمة).

- Pons Boigues : Ensayo, P 343.

(9) ابن الخطيب : روضة التعريف، تح د. الكتاني (المقدمة).

(10)النفاضة 2/ 5.

(11) الإحاطة، ط 2 القاهرة 1973، ج. 1 (المقدمة).

(12) عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري ص 242

(13) المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الحديث، ج 1، الرباط 1983، ص 110.

انظر ايضا مقالته : «المصادر التاريخية المكتوبة في العصر المريني الثاني »مجلة كلية الآداب بالرباط، 7 (1981)، ص 176.

(14) النفاضة 2/ 343.

(15) النفاضة 2/ 368.

(16) الإحاطة 4/461-462، النفح 8/ 98.

(17) الإحاطة 4/ 459.

(18) الإحاطة 4/ 637.

(19) الإحاطة 4/ 639 حاشية 1.

(20) جمع ابن غازي بين اسمي الرحلة والنفاضة في قوله : «وذكر ابو عبد الله ابن الخطيب في رحلته المسماة بنفاضة الجراب». انظر (الروض الهتون ص 44)، وأشار د. العبادي في مقدمة الجزء الثاني من النفاضة ان ابن الخطيب لما ترجم للشيخ ابي ثابت عامر الهنتاني وأورد ما قال فيه من نظم وشعر احال القارىء على كتاب الرحلة للاستزادة من أخبار الشيخ، وقد وجد فعلا في النفاضة 2 مما جعل د. العبادي يؤكد ابن الخطيب يسمي كتابه الرحلة، (ص 9).
نتفق مع د. العبادي ونؤيد رأيه فقد عثرنا بدورنا على مطلع لقصيدة النباهي. وهو:

خليلي مرّا على أرض مارب ولا تـعـذلا إنني غـيـر آئـب

علق عليه ابن الخطيب بقوله : «وهي طويلة ثبتت في الرحلة فلينظرها كل من أراد استيفا اغراضها، «انظر الإحاطة 4/ 95). وقد وجدنا هذه القصيدة كاملة في كتابنا، انظر : النفاضة 3 ص 299.

يقول العلامة المنوني : «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب اسم الرحلة المغربية التي كتبها ابن الخطيب ايام اقامته في المغرب» انظر : (المصادر العربية لتاريخ المغرب ص 110).

(21) الروض الهتون ص 44.
(22) فهرس الفهارس و الاثبات 17991.
(23) الاحاطة 4/ 462، اللمحة ص 125/ط 2.
(24) المتن ص 42
(25) المتن. ص 64
(26) المتن، ص 43
(27) اللمحة ص 131.
(28) اللمحة ص 129.
(29) المتن، ص 168.
(30) المتن ص 210.
(31) التعريف، تح ابن تاويت، ص 84.
(32) المتن ص 297.
(33) عن منهاج ابن الخطيب التاريخي راجع : محمد زنيبر : «ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي»، مجلة كلية الآداب بالرباط، 2 (1977)، ص 79 . 126.
(34) النفاضة 2/ 371 . 386.
(35) الإحاطة 4/ 637 . 639.
(36) المتن ص 94-95، النفاضة 2/ 380 . 381.
(37) الإستقصا 4/ 24.
(38) المتن ص 227، النفاضة 2/ 379.
(39) النفاضة 2/ 383.
(40) النفاضة 2/ 386.
(41) الإحاطة 4/ 453 . 455.
(42) النفاضة 2/ 172.
(43) المقري : ازهار الرياض 1/ 189.
(44) عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري ص 242

منهجية تحقيق الكتاب

صعوبات جمة تعترض كل محقق، فتفرض عليه صبرا طويلا واستقصاء دائبا للمصادر، فكيف بنا ونحن امام مؤلف لابن الخطيب حرص على ان يبرز فيه ثقافته الواسعة بأسلوب يمثل اقصى ما وصل اليه فن الصنعة آنذاك، ويستفحل الأمر أكثر فلا تصلنا الا نسخة واحدة صالحة للاستعمال، لم يتورع الناسخ من اثقالها بالتحريف والتصحيف. لقد كان لزاما علينا الإطلاع على مؤلفات ابن الخطيب الأخرى، وكذلك على مصادر معاصرة لها أو متاخرة عنها، علنا نعثر فيها على بعض مما يحتويه كتابنا، وفعلا لقد وجدنا بعض النصوص الشعرية والنثرية مبثوثة في كتاب ريحانة الكتاب والاحاطة وديوان الصيب والجهام والكتيبة الكامنة ونفح الطيب.. مما استدعى المقابلة بينها وبين المتن.

فيما يخص ريحانة الكتاب والإحاطة فقد أشرنا في الحاشية الى أرقام صفحاتهما المطبوعة لكن الاعتماد كان على نسخ مخطوطة اشرنا الى لوحاتها، وذلك لأسباب معروفة لا داعي لتكرارها.

قسمنا المتن الى عشرة فصول حسب الموضوعات، كما وضعنا عناوين تقريبية، وذيلنا كل فصل بتعليقات تتضمن شرح الألفاظ الغامضة، تعريف الأشخاص والأماكن والقبائل ، ونسبنا الأبيات الشعرية الى اصحابها، كما استخرجنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال.. ورقمناها بالأرقام العربية، بينما رقمنا الاختلافات بين النصوص بارقام هندية.

ولا يفوتنا أن نشير الى ان الفصل الأول من كتابنا يشترك مع اخر الجزء الثاني من النفاضة المنشور، قمنا بإعادة تحقيقه اعتبارا منا ان الجزء الثالث بمثابة نسخة جديدة.

والكتاب غني بالأحداث التاريخية والاثار الأدبية، كما يعكس جوانب متعددة من ثقافة ابن الخطيب المتنوعة وهذا من شانه ان يملي فهارس للكتاب، فكانت كما يلي :

- فهرس الأحداث التاريخية حسب تسلسلها الزمني.
- فهرس الأشخـاص والقبائـل.
- فهرس الأمـاكـن.
- فهرس الأشعـار.
- فهرس الرسائل والقطع النثرية .
- فهرس الآيات القرآنـة.
- فهرس الأحاديث النبويـــة.
- فهرس الأمثـال.
- فهرس مؤلفات ابن الخطيب التي ذكرها في المتن.

رمـوز التحقيـق :

[ ]	: زيادة من النصوص المقارن معها.
( )	: ساقـط.
< >	: زيادة من عند المحققة.
ل	: اللمحة البدرية، بيروت 1987.
ر	: ريحانة الكتاب (مخ، الاسكوريال رقم 1825)
ط. القاهرة	: ريحانة الكتاب، تحقيق د. عنان، القاهرة 1981. 2 ج.
ف	: نفاضة الجراب، ج 2، تحقيق العبادي، القاهرة (د.تا).
ح س	: الإحاطة (مخ. الاسكوريال رقم 1673، 1674).
ح	: الإحاطة (مخ. الأكاديمية الملكية بمدريد، رقم 142).
ط. القاهرة	: الإحاطة، تحقيق د. عنان، ط 2 القاهرة - 1977، 4 ج.
ن	: نفح الطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت 1968، 8ج.
م	: نفاضة الجراب (مخ. الخزانة العامة رقم 256 ك). الجزء الثالث.
د	: ديوان الصيب والجهام، تحقيق قاهر، الجزائر 1973.
ك	: الكتيبة الكامنة، تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1968.
ش	: ديوان الششتري، تحقيق النشار، الإسكندرية 1960.

وصف المخطوطة

للمخطوطة نسختان :

احداهما تحت رقم 6593 تحتفظ بها الخزانة الحسنية بالرباط، وهي قديمة متلاشية، ملتصقة الأوراق مبتورة الأول والأخر، وغير صالحة للإستعمال.

النسخة رقم 256 ك وتوجد في الخزانة العامة، هي التي اعتمدت في التحقيق،

عدد اللوحات : 290 مرقمة بالطريقة الحديثة (حسب الصفحات).

حجمها: 26,9 X 20,6 سم.

الغلاف : بني من الورق المقوى تليه ورقة مضافة الى الكتاب مكتوب عليها اسم اللمحة البدرية، وفي نفس الصفحة كتب العلامة المنوني بقلم حبر جاف أزرق ما يلي :

«هذا المجلد هو السفر الثالث من نفاضة الجراب لابن الخطيب وهو السفر الأخير حسبما يؤخذ من كلمتها الختامية. وقد كتب في طالعته على قطعة من الورق مغايرة للورق الأصلي اسم ابن الخطيب من غير ذكر اسم الكتاب الذي ربما يتوهم أنه اللمحة البدرية وهو غيرها قطعا كما يعلم من مقابلة الكتاب باللمحة من سياق الكتاب الذي يتماثل مع سياق الجزء المعروف منه والمحفوظ بالاسكوريال وأن هذا الجزء المتحدث عنه يكمل نسخة الاسكوريال التي تليها ويوضح ان جزء الأسكوريال هو الثاني ويحدد أن الجزء الذي لا يزال ضائعا هو الأول وهو الذي اقتبس منه ابن غازي في الروض وهو أيضا بدون شك الذي يفصل رحلة ابن الخطيب.

الخط : أندلسي مليح، كتبت بعض الألفاظ بقلم غليظ اشارة الى الرجوع الى السطر.

كما كانت تتخلله فواصل وهي عبارة عن ثلاث نقط مترادفة.

الشكل : شكل الناسخ بعض الالفاظ السهلة، اما المستعصية فاكتفى برسمها كما هي او كما فهمها.

تبتدىء المخطوطة بما يلي :

«بسم الله الرحمان الرحيم ، صلي الله على سيدي ومولاي محمد وعلى آله وصحبه».

قال الشيخ الإمام العلامة، البحر الفهامة، ابو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني الأندلسي، رحمه الله ورضي عنه :

الحمد لله الذي جعل دول الأملاك، كانجم الاحلاك، تطالعها من المشارق نيرة. وتلعب بها مستقيمة اومتحيرة.

وتنتهي بقول ابن الخطيب :

وقد آن لنا ان نختم هذا السفر ونقتصر عليه، الى ان يسنى الله الوجهة الحجازية، فنستانف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الاقطار، ونتلقاه من الاخيار، ان شاء الله.

تم السفر الثالث وبتمامه تم جمع الديوان والحمد لله الذي هدانا للإيمان وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه وذريته الطيبين الأكرمين اجمعين وسلم تسليما الى يوم الدين.

المخطوطة لا تحمل اسم الناسخ ولا تاريخ الانتهاء من النسخ، ولكنها قديمة.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الإمام العلامة البحر الفهامة أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني الأندلسي رحمه الله ورضي عنه

أول صفحة من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 256 ك.

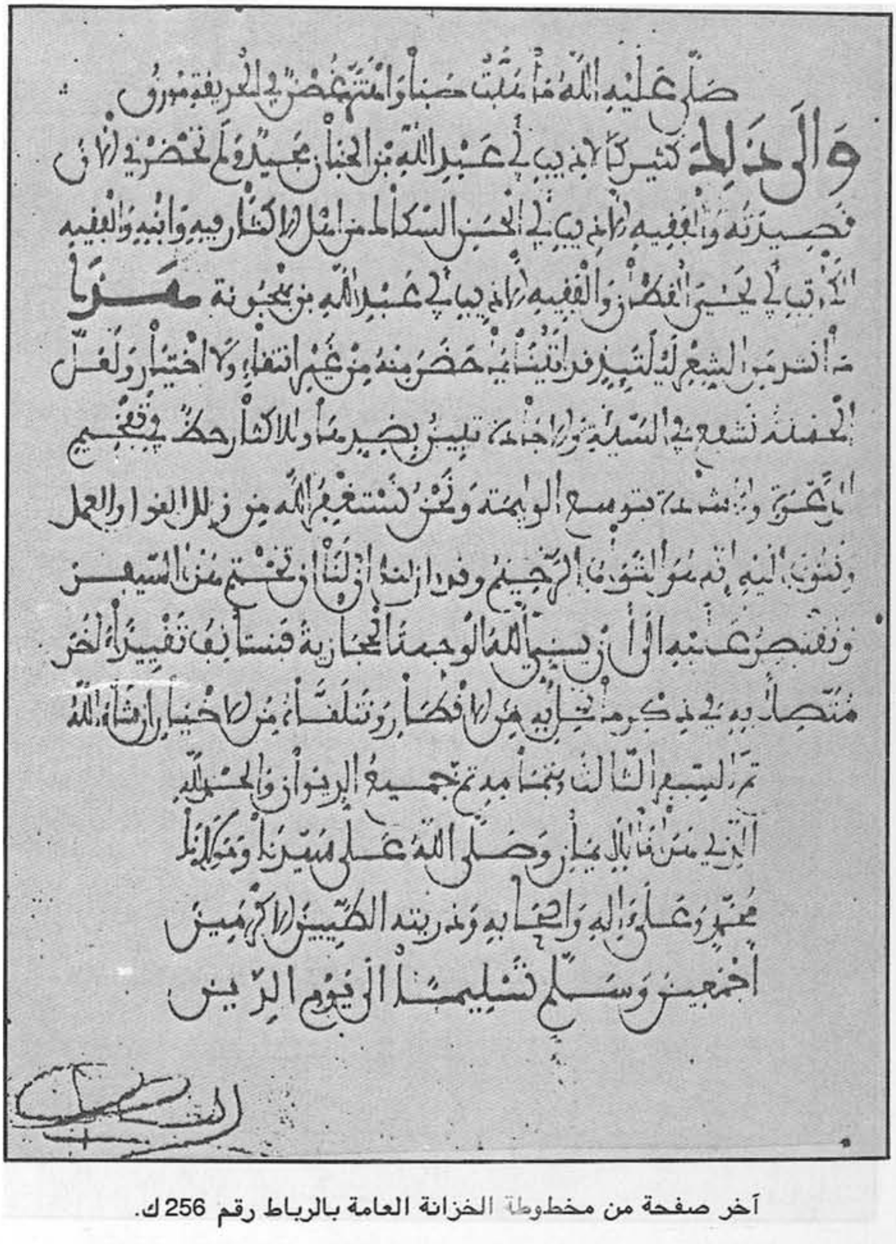
تم السفر الثالث وبتمامه تم جميع الديوان والحمد لله
الذي من علينا بالإيمان وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الأكرمين
أجمعين وسلم تسليما إلى يوم الدين

آخر صفحة من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 256 ك.

الفصل الأول

‹رسائل وأشعار ومؤلفات كتبها ابن الخطيب أثناء إقامته في المغرب›

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدي ومولاي محمد وآله وصحبه. /1/

قال الشيخ الإمام العلامة، البحر الفهامة، أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني الأندلسي، رحمه الله ورضي عنه (١) :

[وصدر عني لهذا العهد من نظم الكلام، ونثره ما يُذكر :

فمن التواليف : رجز في الأغذية[1]، اذ كنت قد فرغت من النظم في العلاج والسياسة، تضمن ذكر الأغذية على أحرف المعجم وطباعها ومنافعها ومضارها. وإصلاح خللها، وما تعلق بها من وجوه المعالجة، ولم أقف في هذا الغرض على نظم. وشرعت في تأليفٍ يختص بتاريخ الدولة النصرية على أسلوب مختصر منبه على العيون، سميته «باللمحة البدرية في الدولة النصرية (٢)» [افتتحته بما نصه](٣):

الحمد لله الذي جعل [الأزمنة كالأفلاك، و] (٤) ودول الأملاك كأنجم الأحلاك، تطلعها من المشارق نيرة. وتلعب بها مستقيمة أو متحيرة، ثم تذهب بها غائرة (٥) متغيرة، السابق عَجِل، وطبع الوجود مرتجل، والحي من الموت وجل، والدهر [لا] (٦) معتذر، ولا خجل بينما ترى الدست عظيم الزحام، والموكب (٧) شديد الإلتحام، والوزعة تشير، والأبواب يقرعها البشير، والسرور قد شمل [الأهل](٨) والعشير، والأطراف تلثمها (٩) الاشراف، والرايات (١٠) تعقد، والأعطيات تنقد، اذ رأيت الأبواب مهجورة والدسوت لا مؤملة ولا مزورة، والحركات قد سكنت، وأيدي الإدالة قد تمكنت، «فكأن لم يسمر (بها) (١١) سامر» [2]، ولا نهى ناه ولا أمر آمر، ما أشبه الليلة بالبارحة» [3]، والغادية بالرائحة، «إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذوره الرياح [4]».

فالويل لمن [لم] (١٢) يترك حسنة تنفعه، أو ذكرا جميلا يرفعه، فلقد عاش عيشة (١٣) البهيمة النهيمة، وأضاع جواهر عمره الرفيعة [القيمة، في السبل] (١٤) غير المستقيمة، وبذر أمانة الله في المساقط (١٥) العميقة، وطوبى لمن عرف المصير وغافص(١٦) (5) الزمن القصير، في اكتساب محمدة تبقى بعده شهابا، وتخليد منفعة (١٧) تفيده / ثناء وثوابا، فالذكر كلما تخلد استدعى الرحمة وطلبها، واستدنى المغفرة واستجلبها، فلمثله فليعمل العاملون، وغايته فليؤمل (١٨) الآملون، «الدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون[6]، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي شرح حقارة الدنيا على الله وبين، وحد (١٩) البلوغ منها وعين، وخفض الكلفة ولين، وحسن الدار الآخرة وزين، وخفض أمرهذه الدار الغرور، وهين وقال صلى الله عليه وسلم : «أكثروا من ذكر هادم اللذات[7]» كيلا تتشبث بها يد «ولتنظر نفس ما قدمت لغد» [8]، والرضى عن آله الذين جازوا على جسرها الممدود ومروا، ولقوا الله وهم لم يغتروا، فكانوا إذا عاهدوا بروا، وإذا سمعوا اللغو فروا، وإذا تليت عليهم آيات الرحمان خروا، وكانوا عن حدود تقواه لا يبرحون، ويسوى (٢١) مواهبه الباقية لا يفرحون، وفي مرضاته يمسون ويصبحون، «أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون» [9].

أما بعد، فإن تاريخ الدول عبرة لأولي النهى، وذكرى لمن غفل عن الله وسها، لتحول الأحوال، وتصير الأمور الى الزوال، وتلاعب زعازع الأهوال بالنفوس والأموال، الى إمتاع المجالسة، وإتحاف المؤانسة عند الملابسة، لا سيما التاريخ الذي لم يهتد لضمه لديوان (٢٢) لقلة عيان، أو تأخر زمان، فالنفوس اليه متطلعة، وباجتلاء أغراضه متولعة، لذلك ما جلبت في هذا الكتاب ذكر «ملوك الدول النصرية» على نسق، واطلعت منهم في ليل الحبر بدور غسق، إذ كنت جهينة أخبارهم، [10]، [وقطب مدارهم] (٢٣)، وزمام دارهم، فذكرت نبذا من حال وطنهم الذي سكنوه، وأفقهم الذي حسنوه بسيرهم الحميدة وزينوه، ومن دال قبلهم من أمير، أو ذي خبر شهير، ثم تعاقبهم بحسب الزمان، وسعة الإمكان، ومن اختص بهم من كاتب وقاض، (٢٤) ووزير، أو كان على عهدهم من ملك / كبير، أو حادث يليق بتخليد أو تسطير، وسميته «باللمحة البدرية، في الدولة النصرية».
فإن كانت الإجادة فهو القصد (٢٥)، وإن (٢٦) كانت الأخرى بذل الجهد، وحصلت البراءة من العجز ولله الحمد، وها أنا أبتدي وبالله أهتدي، وعفوه يتغمد ما خطته يدي، وينقسم حسبما يذكر :

القسم الأول : في ذكر المدينة التي اقتعد هذا الملك سريرها، وأحكم تدبيرها.

القسم الثاني : فيما يرجع إليها من الأقاليم والأقطار، على الإيجاز والاختصار.

القسم الثالث : فيمن دال بها من أمير . وسلطان شهير.

القسم الرابع : في عوائد أهلها وأوصافهم، على تباين أصنافهم.

القسم الخامس : في نسق الدول، واتصال الأواخر منها بالأول، وما يختص بكل دولة من الألقاب، والأذيال المستطرفة (٢٧) والأعقاب (٢٨).

ومن المنظوم والمنثور في شتى الأغراض، من ذلك في مخاطبة الوزير عماد الدولة أبي عبد الله عمر بن عبد الله [١١] في بعض ما فتح الله عليه (٢٩) [فيه ما نصه] (٣٠) :

(سريع)

لا تَـرْجُ إلاَّ اللـهَ في شـدَّةٍ	وثِـقْ بـه فـهْـوَ الـذي أيـدَّكْ
حـاشـاكَ أنْ تـرجُـو إلاَّ الـذي	فـي ظُلْمَةِ الأحْشـاء قدْ صَوَّرَكْ (٣١)
فاشْكُرْهُ بالرحْمَةِ فـي خَلْقِـه	وَوَجْـهَـكَ ابسطْ بالرضى أوْ يَـدَكْ (٣٢)
واللـهُ لا تُهْمِـلُ الطافَـهُ	قـلادَةَ الحـقُّ الـذي (٣٣) قلَّـدَكْ
مـا أسْعَـدَ المُلْـكَ الـذي سُسْتَـهُ	يا عُمَـرَ العَـدْلِ ومـا أسْعَـدَكْ

نخص الوزير الذي بهر سعده، وحمد في المضاء قصده، وعول على الشيم الذي اقتضاها مجده، وأورثه إياها أبوه، وجده، الكذا ابن الكذا (٣٤)، أبقاه الله ثابت القدم، خافق العلم، شهيرا حديث سعده / في الأمم، مثلا خبر بسالته وجلالته في العرب والعجم.

تحية معظم مجده الكبير، المستشف الى عهده (٣٥) الوثيق وحسبه الشهير، المسرور بما سناه (٣٦) الله له من نجح التدبير، والنصر العديم النظير، وإنجاده إياه عند إسلام النصير (٣٧)، وفراق القبيل والعشير، فلان بن فلان (٣٨)، واليد ممدودة الى الله تعالى في صلة سعد الوزير، أبقاه الله بدوام (٣٩) عصمته، واللسان يطنب ويسهب في شكر نعمته، والأمل متعلق بأسبابه الكريمة وأذمته، وقد كان شيعته مع الشفقة التي اذابت الفؤاد، وألزمته (٤٠) الأرق والسهاد، على علم بأن عناية الله عليه عاكفة، وديم الآئه لديه واكفة، فإن الذي أقدره وأيده ونصره، وأنفذت مشيئته ما دبره، كفيل بإمداده، وملي باسعاده (٤١)، ومرجو لإصلاح دنياه ومعاده، وفي اثناء هذه الأراجيف استولى على معظم وزارته الجزع،

وتعاورته الأفكار تأخذ وتدع، فإني - كما يعلم الوزير [أعزه الله] (٤٢) - منقطع الأسباب، متوحش من الجهة (٤٣) الأندلسية على بعد الجناب، ومستعدى على في كوني (٤٤) من المعدودين فيمن له من الخلصاء (٤٥) والأحباب، فشرعت في نظر أحصل منه على زوال اللبس، وأمان النفس، واللحاق بمأمن يرعاني برعي الوزير خلال ما يدبر الأمر من له التدبير، ففي اثنائه، وتمهيد أساس بنائه، ورد البشير بما سناه الله لسيدي وجابر كسري، ومنصفي بفضل الله من دهري، من الصنع الذي بهر، وراق نوره وظهر [فأمنت وإن لم أكن ممن جنى، وحفتني المسرات بين فرادى وثنى، وانشرح بفضل الله صدري، وزارتني النعم والتهاني من حيث أدري ولا أدري، ووجهت الولد الذي شملته نعمة الوزير واحسانه، وسبق اليه امتنانه، نائبا عني في تقبيل يده، وشكر يده، والوقوف ببابه، والتمسك بأسبابه، وآثرته بذلك لأمور، منها : المزاولة (٤٦) فيما كان يكلفه من أمر إخوته (٤٧) الأصاغر، وتدريبه على خدمة الجلال الباهر، ولعائق عن ضعف الحركة، [وإفرادي له بالبركة] (٤٨)، وبعد ذلك أشرع بفضل الله في العمل على تجديد العهد بباب الوزارة العلية، عارضا من ثنائها ما يكون وفق الأمنية، ورب عمل أغنى عنه فضل نية (٤٩) [12]، والسلام الكريم على سيدي ورحمة الله، وبركاته] (٥٠).

[13]

[وخاطبت عميد الجهة المراكشية أبا ثابت عامر بن محمد الهنتاتي في غرض الشفاعة : (٥١)

سيدي الذي هو رجل المغرب كله، والمجمع على طهارة بيته وزكاء أصله، علم أهل المجد والدين، وبقية كبار الموحدين (٥٢)، بعد السلام الذي يجب لتلك الجلالة الراسخة القواعد، السامية المصاعد، والدعاء لله أن يفتح لك في مضيقات هذه الأهوال (٥٣) مسالك التوفيق، ويعلقك (٥٤) من عصمته بالسبب الوثيق، أعرفك أن جبلك اليوم وقد عظم الرجفان، وفار (٥٥) التنور وطغى الطوفان، تؤمل النفوس الغرقى جودي [14] جوده، وترجو التمسك بالوجود مع وجوده (٥٦)، / ووالله لولا العلق (٥٧) [15] الذي يجب لها الالتزام، ما وقع على غير قصدك الإعتزام، فالله يمدك بإعانته على تحمل القصاد، ويبقى محلك (٥٨) رفيع العماد، كثير الرماد [16]، ويجعل (٥٩) أبا يحى عوضا (٦٠) منك بعد عمر النهاية البعيد الآماد، ويبقي كلمة التوحيد (باقية) (٦١) فيكم الى يوم التناد [17]، وحامله القائد كذا بيته معروف النباهة والجهاد، ومحله لا ينكر في الفؤاد (٦٢)، لما اشتبهت السبل، والتبس القول والعمل، لم يجد أنجى من الركون الى جنابك، والتمسك بأسبابك، والإنتظام في جملة (٦٣) خواصك وأحبابك، حتى ينبلج الصبح، ويظهر النجح، ويكون بعد هجرته الفتح، ومثلك من قصد وأمل، وانضم (٦٤) اليه المطي وأعمل، وأما الذي عندي من

القيام بحق تلك الذات الشريفة، والقول بمناقبها المنيفة، فهو شيء لا تفي به العبارة، ولا تؤديه الألفاظ المستعارة، (والله المسؤول في صلة عزة سيدي، ودوام سعده) (٦٥)، والسلام.

وخاطبت (٦٦) شيخ الدولة المرينية على هذا العهد [المرجى] (٦٧) يحيى بن رحو[18] وكان قد صدر له مني بر عند وصوله الى غرناطة (٦٨)، ونشأت مداخلة عميقة (٦٩) الى الآن :

سيدي الذي له المزية العظمى، والمحل الأسمى، شيخ قبيل بني مرين، وقطب مدار الأحرار على الإجمال والتعيين، والمتميز بالدهاء والرجاحة (٧٠) والمعرفة الفسيحة الساحة، والصدقة المباحة، وشرط (٧١) الصوفية من ترك الأذى ووجود الراحة، أسلم على ذاتك الطاهرة التي بخلت الأزمان والله أن تأتي بنظيرها، وتنافست الدول في تكبيرها، وسارت المواكب الملكية بمسيرها، وأثنت الألسن بفضلها وخيرها، وأقرر لديها أنني أعددت من معرفتها بالأندلس كنزا لم أنفق منه الى اليوم وزنا، إعدادا له وخزنا، اذ لا يخرج العتاد الكبير الا عن حاجة وفاقة (٧٢)، ولا ترد اليد الى الذخيرة إلا في اضاقة، وعجز طاقة، وما كانت الوصلة بمثله / ليهملها مثلي جهلا بقيمتها الغالية وإزراء بجهتها(٧٣) الكافلة الكافية، لكن نابت عن يدها أيد، وأعفى عن ابتذالها ما كيف الله من عمرو وزيد، والآن أقرر أني كادت حاجتي الى ذلك العتاد (٧٤) أن تتمحص، وزبدته أن تتمخض، اذ هو حظي من رعي ذلك القبيل الذي قصرت عليه رياسته، والوزير الذي من رأيه يستمد (٧٥) سياسته، واذا وفد خاصة (أهل) (٧٦) هذه المدينة مهنين، وبشكر الإيالة (٧٧) الكريمة مثنين، فخيمته ظلي الظليل (٧٨)، ومشاركته معتمدي في الكثير فكيف ولا غرض لي إلا في القليل، وعندي أن رعيه لمثلي لا يحتاج (٧٩)، الى وسيلة تجلب، ولا ذمام يحسب، فمثله من قدر قدر الثناء، وشيد أعلام الحمد سامية البناء، وعرف أن الدنيا على الله أحقر الأشياء، وقد رفعت أمري كله بعد الله الى رأيك، وغنيت عن سعيي لنفسي (٨٠) بجميل سعيك. والسلام.

وخاطبت في هذه الحال صاحب خطة العلامة، الأمير الناجم أبا سعيد بن رشيد[19] بما نصه من المنظوم والمنثور، واتفق أن لم يوجه شيء من ذلك كله ولا مما قبله، لفصل الدهر هذه الخطة بإذن مصرفه سبحانه (٨١).

(وافر)

بكَ الخطـطُ الرفـيـعــةُ فَلْـتُهــنَّا فإنـــك سَعْدُهـــا لفظـاً ومعنًـــى

إذا ذُكِرَ العلاءُ فأنْتَ أعْلَى … وإنْ ذُكِرَ السناءُ فأنْتَ أسْنَى
محاسِنُكَ اغْتَدَتْ جَنّاتِ عَدْنٍ … لِمَنْ يَرْتَادُ إحسانًا وحُسْنَا
فمهمَا حَلّها إنسانُ عَيْنٍ … فللإنسانِ فيها ما تَمَنّى
هززتُ أبا سعيدٍ منكَ دوحاً … بِهِ ما شِئْتُ (٨٢) منْ ظِلٍ ومَجْنَى
فَكُنْ حَيْثُ اقْتَضاهُ بِكَ (٨٣) اعتدادي … وشِدْ لي من كريمِ الرعيِ مَبْنَى
فَتَى الفتيانِ أنْتَ بلا نزاعٍ … ومِثْلي مَنْ وَفَى بِيَدٍ وأثْنَى

الحمد لله حمد من لم يعدم اللطف، ولم يفقد (٨٤) على البذل العطف، والشكر لله الذي سحب السحب الوطف [20]، وسوغ من أفنان نعمه القطف، وأطالع سيدي الذي وسم السعد كنيته وأعملها (٨٥)، وقبل الإجماع حجة فضله وسلمها، وتيمنت باسمه وصورته ومعرفته الدولة التي خدمها، لما عجل لها الوسيلة وقدمها، إني(٨٦) لما اتصل بي خبر استقلاله برياسة القلم الأعلى، والرتبة الفضلى، والدرجة (٨٧) التي هو الأحق بها الأولى، ذاتا وصفات (٨٨) وقولا، قلت هذه فريضة لي فيها حظ وتعصيب، وغنم (٨٩) لي فيه إرضاخ ونصيب، وهدف لي فيه سهم مصيب، العروة الوثقى (٩٠) والآخرة خير وأبقى [21] ، اللهم أوزعنا شكر نعمتك، ولا تقطع عنا عوائد فضلك وكرمك، سادة ككعوب الرمح، فضلهم أوضح من فلق الصبح، كلما أفل منهم أفل، أو غاب كاف كافل، أربى من أقبل على من أدبر، وقال لسان الحال هذا أكبر، سيما هذا الفاضل الذي هو فضل (٩١) كله، وطبعه على الفضائل يدله، ما شئت من رشد وسعد، ووجه سَبْط وحَسَب جَعْد، وقبل وبَعْدٍ ومخيلة نُجح لا تُخْلف بوعْد، ورئاسة هذا القلَم الأعلى، أبقى اللّهُ سيِّدي مَوْرِد مثْلي ممَّن أصبح سلْعَة (٩٢) تتغالى فيها أُولو الذّوات الفاخرة، ويتناغي المتنافسون في إحياء العظام الناخرة، وحظّ الدنيا والآخرة، فإذا رُفع في الرتْبة علَم خفاق، خفَّاف، وتعين إجماعٌ (٩٣) وإصفاق [22]، فهو قبلتي التي ارضاها (٩٤)، ووجهتي التي عينَها الحقّ (٩٥) واقتضاها، فهنأت أولا نفسي بوفور حظّها من النِّعمة، وفوزها بالقدْح المُعلَّى (٩٦) عند القسْمة، ثم هنأت الرتبة التي ظفرت بالكفء والكريم، ولازمها اليمن والسعد ملازمة الغريم، وقدمت بين يَدي قدومي [علي سيدي] (٩٧) الذي لا محطَّ لي إلا على نارِ قِراه، ولا سيْرَ لي إلا لذُراه، فقد جمع لي الصيد فراه، وحَمِد عزمي / عند صحيح وجهة (٩٨) المشرق وسُراه [23] بفضل الله وتنبيهِ مِثْله على رَعْي مثْلي جفوةً يسعها كمالُه، ويتغمَّدها إفضالُه. إذ

ذاتُه أشرفُ، وهو بما تُوحيه طباعُهُ الكريمة أعرف، حفظَ الله علينا منه جُملَةَ الكمال، وقِبْلَةَ الآمال، وعرفه عوارفَ الإقبال بفضله. والسلام [الكريم يخصه ورحمة الله وبركاته] (٩٩).

وخاطبت صاحب أشغال الدولة الناجمة يوسف بن الكناني كذلك : (١٠٠).

سيدي الذي يشار إليه (١٠١) بالبنانِ عندَ ذكْرِ الأعيانِ، وعنْدَهُ يقفُ حَمْدُ اللسان، في عرض أولي الحُسْن والإحسان، سَهْم كِنَانه الصائبِ، وفَخر الآتي منها على الذاهب،أبقاكَ اللهُ واضحَ المسالكِ في الفصل والمذاهبِ.

حَصَلَتْ بيني وبين ابْنِ عمِّك مداخلةٌ أوْجَبهَا المجْدُ الذي أنتَ فيه قسيمهُ، والسَّرْوُ الذي راق العيونَ وسيمُهُ والخُلُق الذي هو الرَّوضُ تضوَّعَ نسيمُهُ، وأنا حريصٌ أن أجمعَ من صنعيتيْ (١٠٢) الدهْرِ عليَّ بمعرفتي بكما بين(١٠٣) أُخْتيْن، هما انشراحُ الصدر وقُرَّة العيْنِ، فسهل سبيل الثناء على مجدك، وسوغ (١٠٤) المكارم التي هي من بعض البنين لجدك، فإني (١٠٥) منْ يَوْمِ نَزَعْت عن وطني، وضاق بالاغتراب عطني[24]، عيال على الأعيان الأعلام، سيَّما حَمَلَةَ الأقلام، وقد رُمت قُربك فأمَّا معنىً وحبًا فتيسّر، وأما حسًا ظاهراً، فتعسَّر وتعذَّر، وبادرتُ تهنئة سيِّدي بالولاية التي هي إرث عن السلف (١٠٦)، وعن سابِقٍ ومؤتنف، وان أغفلتُ قبل فقد ذكرت، أو أخطأتُ فقد اعتذرتُ، والفروضُ تُقْضى إذ فاتت وهي العبادة، فكيف المعاملاتُ التي تتغمدها السادةُ، وأنا على إثر الكتاب وقدمته لأجد محلَّه فسيحاً لأملي، كفيلاً بجذلي، وجانبَه مسرحا (١٠٧) لناقتي وجَمَلي بحول الله.

ولَّا تمَّ الأمر لمولانا السلطان أبي زيان [25]، خاطبته على يَدَيْ مُصَرِّحٍ أمره عامر بن محمد بن علي، بما نصُّهُ، وقد حملته ما ينهيه إليه من تَشَيُّعي : (١٠٨)

(كامل)

يــا بْــنَ الخلائف يا سَمِــيَّ مُحَمَّــدٍ ... يا مَــنْ عَــلاَهُ ليْــسَ يحصِــرُ حاصِـرُ
أبْشِــرْ فأنْتَ مجدُدٌ (١٠٩) الملْــكِ الــذي ... لــولاكَ أصْبَــحَ وَهْــوَ رَسْــمٌ داثِــرُ
مــن ذا يعانِــدُ مِنْكَ وارِثَــهُ الّــذي ... بسعــــوده فَلَــكُ المشيئــة دائِــرُ
ألقَــتْ إليــكَ يــدَ الخلافــة أمْرَهــا. ... إذْ كُنْــتَ أنْتَ لَهــا الوَلِــيُّ الناصِــرُ
هذا وبينــكَ للصريــخ [26] وبيْنهــا ... حَــرْبٌ مُضَــرَّمَةٌ (١١٠) وبَحْــرٌ زاخِــرُ
من كــان (١١١) هــذا الصنعُ أولَ أمْــره ... حَسُنَــتْ لَــهُ العُقْبَــى وعَــزَّ الآخِــرُ
مولايَ عنــدي فــي عــلاكَ مَحَبَّــةٌ ... واللّــه يَعْلَــمُ مــا تُكِــنُ ضمائــرُ
قَلْبــي يُحَدِّثنــي بأنّــكَ جابِــرٌ ... كســْري وحظِّــي منْــكَ حَــظٌّ وافِــرُ

بِشْرى جدودكَ قَدْ وضَعْتُ (١١٢) حقيبتـــي   فوَسيلَتـــي لعُــــلاكَ نـــورٌ باهـــر
وبَذلْــتُ وُسْعي واجْتِهــادي مثلمــا   يُلْقَى لــك سيْــف أمرك عامــرُ [27]
وهو الوَلـيُّ لدى الـذي اقْتَحَمَ الــردَى   ونَضَى العَزيمـةَ وَهْـوَ سيْفٌ باتِرُ (١١٣)
ووَلـيّ جـدِّك في الشـدائـد عنْدَمــا   خذلـت علاه قبائــلٌ وعشائـــر [28]
فاستَنْهِـد منــه النصـح واعْلَمْ أنَّـــهُ   فــي كـــلِّ مُعْضلــة طبيــبٌ ماهـــرُ
ورَفَعْتُهـــاَ لتنـــوبَ قَبْــل توَصلُّــي   لك إذْ عذائي عنك عَذْرٌ ظاهـــر (١١٤)
إنْ كُنْــتُ قَدْ عَجَّلْتُ بَعْضَ مَدائحـي   فهي الرياض وللريــــاض بواكـــر

مولانا وعُمْدَة ديننا ودنيانَا الذي سخَّر الله البرَّ والبحْرَ لأمره (١١٥)، وحكم
فوق السماوات السبْع بعزِّ نصره، وأغنى يوْمَ سعده عن سلِّ السلاح وشَهْرِه،
10/ وفَتق عن زهر الصنع (١١٦) الجميل كمامةَ / تسليمه وصبره، وقيَّض له في علْم غيبه
وزيرا مذخورا لشَدِّ أزره، وقود الملكَ إليه على (١١٧) حال حَصْره، الخليفةَ الإمام
الذي استَبْشَرَ به الإسلامُ، وخفقت بعزته (١١٨) الأعلامُ، ولاح بدرُ مُحيّاه فافتضح
(١١٩) الإظلام، المقتدى بالنبيِّ الكريم سميِّه في المراشد التي تألَّقَ منها الصبْحُ،
والمقاصد التي لازمها (١٢٠) النجح. والتمحيص الذي نبع منه المنحُ، حتى في الهجرة
التي جاءه بعدها الفتح، أبو زيان بن مولانا وليِّ العهد ترشيحا وحالاً (١٢١)، ومؤمل
الإسلام تقلّدا للمذهب الصريح (١٢٢) وانتحالاً، وأمير المسلمين لوْ أوسَعَهُ القدر
إمهالا، ووُسطى عقْد البنين خلائق متعددة وخلالا، المتحف بالسعادة ولما(١٢٣) يعرِفْ
بدْرُهُ هلالاً، المعوَّضُ بما عندَ اللهِ سعادة ألبسته سربالاً، وأبلغته من رضاه (١٢٤)
آمالا، أبي عبد الرحمان (١٢٥) بن مَولانا أمير المسلمين عظيم الخلفاء، وعُنصُر الصبْرِ
والوفاءِ، وستْر اللّه المسدول علي الضعفاء، والمجاهد في سبيل الله بنَفسه ومالَه،
المنيفَ على مراكز النجوم بهِمّته وآماله (١٢٦)، المقَدّس أبي الحسن بن موالينا
الخلفاء الطاهرين، والأئمّة المرتضين (١٢٧)، من قبيل بني مرين، وصفوة الله في هذا
المغرب الأقصى من أولِيائه المؤمنين، وزينة الدنيا وعمدة الدين، هنأه الله [على]
(١٢٨) ما أورَثَهُ من سرير المُلْكِ الأصيل، وخَوَّلهُ من سعادة الدنيا والدين على الإجمال
والتفصيل، وتوّجه من تاجَ العِزّة القعساء عند اشباه السبيل، وعوّضهُ من قبيل
الملائكة عند تشتُّت القبيل، وجعل قَدَمَهُ الراسخةَ، وآيته (١٢٩) الناسخَةَ، وربوته
الساميةَ الباذخَةَ، وَعزّة نصره الشادخة (١٣٠) وأوزَعَهُ آلائه في الخلاص من ملكة
أعدائه، وخطر البحر وعدوان مَائه، وغَوْل السفر، وارتكاب الغَرَر [29] وثبات أقدام

أوليائه الذين «ما بدلوا تبديلاً»[30]، ولا ارتضوا لقبلة طاعته بعد أن ولّوا وجوهَهم شَطْرها تحويلا، بل صَبَروا صبراً / جميلاً، وباعوا أنفُسَهُم (١٣١) تتميماً لعُقْدَة إيمانهم، وتكميلاً. يسلّم على مقامكُم الذي وَسَم السعْدُ مشرق جبينه، وذُخِرتْ قبلُ الطاعةُ ليمينه، وأقسم الدهرُ بمظاهرة أمرِه السعيد فبرٌّ، والشكرُ لله، في يمينه، عبدكم الذي اعتلق منكُمْ بالوسيلة الكُبرى، وَقرّ بملْكِكُم عيناً وشرح صدراً، وبذل الجهد وان جمل قدرة وقدرا (١٣٢)، والتمس لكم الدعاء علناً وسراً، فلان الذي حط رحل انتظاره (١٣٤) بتراب الملوك الكرام مِنْ جدودكم، محاريب بركم، وأسباب وجودكم، وابائكم الذين في مَظاهر برهم (١٣٥) ورعيهم يظهرُ للناس مخايلُ هداكُم وتدرُّ سحائب جودكم، ملتحفاً منذ سنين عدّة (١٣٦) بأصونَة قبورِهم وثيابها، مستَظلاً ببناها (١٣٧) المعظّمة وقبابها، ممرغاً خدَّهُ بترابها، ومواصَلَ الصراخ بيا آل مرينَ ويا آل يعقوب (١٣٨) متطارحاً على أبوابها، فلَمْ يُتح الله نعرة تَرْعى الضيف وتحمي الذليل (١٣٩)، أو حميّة ترفع الضيم وتشفي الغليل، إلا على يدكم أيها الكريم (١٤٠) ابن الكريم، وبطل الميدان في موْقف الهول العظيم، المذخور لنصْر المظلوم، وانتصاف (١٤١) الغريم، وإجالة (١٤٢) أقلام الفَتح بفتْح الأقاليم. كتبه مهنّئا بما سنّاه الله لملككم مِنَ الصنْع (١٤٣) الذي خَرَقَ حجابَ العادة، وأرى إعجازَ السعادة (١٤٤)، مُعَجِّلاً ذلك بيْنَ يَديْ المُبادرة إلى لثم بساطكُمْ الذي يشرف وجوهها مليحة الوجوه (١٤٥)، وتخشاه الأملاكُ الجبابرة وترجوه، وأداء (١٤٦) الواجب مِنَ القيام بمَنْظُومِ ثنائه في الحقل المشهود، وإبلاغ لسان الحَمْد وسع المجْهود، وإلقاء (١٤٧) ما عندَ العبد من خلوص وجنوح، وحبِّ واضح (١٤٨)، أي وضوح، فوليُّ دعوتكم الشيخُ أبو ثابت - أعزّه الله - يُقرِّرُه، ويُبَيِّنُ مُجْمَلَهُ ويفسِّرُه، والعبدُ واثقٌ بفضل الله على يَدَيْكُمْ، وملْتَمِسٌ النظر (١٤٩) لديكم، وقاطع بأن طلبته بكم تَتَسنّى (١٥٠) وأنكم سبب عاقبته الحُسنى، إمّا بالظهور على الوطن الذي تجرأ المتغلّبُ به على مُلْكِكُم، ومد اليدَ الى نثر (١٥١) سلْكِكم، ونقْضِ إرثكم (١٥٢) المسلّم / المحرّر، وزلزل وطنكم المؤسس على الطاعة لكم (١٥٣)، وأضرم النار في بسائطكم وجبالكُم، وأطلَقَ يَد الفتْنَة على بيوت أموالكُمْ، متكثّراً عليكُمْ بالقلّة، مُتَعَزّزاً بالذلة، جانيا على داركم بماً لا تبيحُه الملّة، أوَ بالشفاعةَ الجازمة إنْ لَمْ يأذَنِ اللهُ في الانتصاف (١٥٤)، واللهُ يَجْعَلُ الظهور لكم مِنَ الأوصاف، ويُعينَكم على جَبْرِ الكسير، وتَيْسير الأمر (١٥٥) العسير، ويهنيكم منحة المُلْك الكبير، ويُبقي كلمتَهُ في عَقِبكم بعد تملّؤ التعمير، والسلام.

وخاطبت الوزيرَ كبيرَ الدولة[31] على أثرِ الفتْح الثاني الذي تكيّف له :(١٥٦)

سيّدي الذي أُسَرُّ بسعادته، وظهورِ عنايةِ الله به في إبدائه وإعادته، وأعلمُ كريم (١٥٧) مجادته، وأعترف بسيادته، الوزير الميمون الطائر، الجاري حديثُ سَعْدِه ومضائه (١٥٨) مَجْرى المثَل السائر، الكذا ابن الكذا - أبقاه الله عزيز الأنصار، جاريةً بِيُمْنِ نَقيبته حركةُ الفلك الدوار، معصوماً منَ المكاره بعصمة (الله) (١٥٩) الواحد القهّار، مُعَظَّم سيادته الرفيعة الجانب، وموقِّر وزارته الشهيرة المناسب، الداعي الى الله بطول بقائه في عز واضح المذاهب، وصُنْعٍ واكِف السحائب - فلان (١٦٠) من كذا عن الذي يعلم سيدي من لسان طلْق بالثناء، ويد مَمْدودة الى الله بالدعاء، والتِماس لِما يُعدّ (١٦١) من جزيل النُّعماء، «والفتحُ الذي تفَتَّحُ له أبواب السماء» [32] ، وقد اتصل (به) (١٦٢) ما سَنى (١٦٣) الله له من النصر والظهور، والصنع البادي السفور، لما التقى الجمعان، وتُهوديت أكواس الطعان، وتميز (١٦٤) الشجاع من الجبان، وظهر (١٦٥) من حزامة سيدي وبسالته ما تحدث به ألسنة الركبان، حتى كانت الطائلة لحِزبه، وظهرت عليه عناية ربه، فقلت الحمد لله الذي جعل سعد عمادي متصل الآيات، بعيد الغايات، وصنع الله له باهر الآيات، واضح الغرر / والشيّات. وقد كنت بعثت أهنئه بما تقدم من صنع جميل، وبلوغ تأميل، فقلت : «اللهم أفد عليه (١٦٦) التهاني تترى، واجعل الكبرى من نعمتك السالفة نعمتك الرادفة المخالفة هي الصغرى (١٦٧). واجمع له بين نعم الدنيا والأخرى، والناس - أبقى الله سيدي - لهم مع الاستناد إليك جهات، وأمور متشابهات (١٦٨)، إلا المحب المتشيع فجهتك هي التي أنست الغربة. وفرجت الكربة، ووعدت بالخير (١٦٩)، وضمنت عاقبة الصبر (١٧٠)، وأنا أرتقب ورود التعريف المولوي على عبيده بهذه المدينة وأصل - إن شاء الله - لمباشرة (١٧١) الهناء، وقرة العين بمشاهدة الالاء، والله - عز وجل - يديم سعادة سيدي ويطيل بقاءه، ويرادف قبله نعمه وآلاءه، بفضله (١٧٢)، والسلام.

وخاطبت (١٧٣) الرئيس الماجد أبا ثابت عامر بن محمد (الهنتاتي) (١٧٤) مراجعا عن مخاطبة (١٧٥) براءة وردت [33] قبل وصوله لمصارخة (١٧٦) الملك.

يا سيدي الذي لبستُ من يده البيضاء طوقاً، وسموت بمعرفته فوقا فوقا، وعجزت عن معرفة قدره مقالا فقلدتها حالا وذوقا. ورد علي مشرف (١٧٧) المراجعة وفضله عميم، ومصدره - أبقاه الله - كهف فهو لأجل ذلك رقيم، فقلت قول بلقيس : «إني ألقي إلي كتاب كريم» [34] أطرب بدنو اللقاء، وبشر على الظما (١٧٨) المبرح بالسقاء، وهي علم الله الأمنية، والمنحة السنية، سيما لمثلي ممن خبر وتنخل، وجوّد وبخل، (١٧٩) وأعمل ميزان الاختبار، وماز الشبه [35] من النُّضار (١٨٠)، فوقفتُ عليك اختياره، وشهد بطيب تبرك معياره، فأنت، والله يقيك، ويصل بك الامتاع ويبقيك،

لست من الزمن في شيء بعد أن صار رشده لغي، ونشره لطي، إنما أنت بقية من منحة (١٨١) الإمام، وزهر تلك الكمام، ورفعة من تلك الحلل الرفيعة، وعوض (١٨٢) من تلك الزريعة، أبقته الأيام لتباهي به يوم الزينة (١٨٣) / وتدل على من ذهب من رجالها وهي جد حزينة. /14/

وكان مما أوصى (١٨٤) علي يد سيدي أن أقاسمه المراحل ، وأجدد بلقائه (١٨٥) أنسي [الماحل] (١٨٦)، لولا ما طرقني من تشتيت صيرني داية طفل، وحارس باب غير ذي قفل، والإنسان محلّ تأثير، وباعتبار التغييرات غير أثير، والله ـ عز وجل ـ يؤاخذ ببعض ما كسب العبد ويعفو عن كثير، ومع ذلك فلقاء سيدي روح من الله ينفس الكروب، ويبلغ المرغوب، وحركته (١٨٧) ـ بفضل الله ـ حركة اقبال، [وعند] (١٨٨) اللقاء يفسر كل إجمال، بحول الله، والله ـ عز وجل ـ يمنع عن سيدي نواجذ الدهر (١٨٩)، ويحفظه في السر والجهر، ويقر عينه (١٩٠) بولده، ويرده مرد السلامة والغنم الى بلده، ويجعل أيدي مناوئه تحت يده، كما جعل يومه في الفضل مقصرا عن غده، بفضل الله، والسلام.

ومما خاطبت (١٩١) به وزير الدولة الناجمة، محمد بن موسى الملقب بالسبيع، ولم يقض انفاذه (١٩٢) :

(طويل)

أيا سَبُــعَ المَيــدانِ غيْــر مدافــعٍ ... إذا بَرَقَتْ تحتَ العَجاجِ المناصــلُ
ومــن شأنُــهُ واللــهُ يَرفَــعُ شأنَــهُ ... "عفــافٌ وإقْـدامٌ وحـزْمٌ ونائــلُ" [36]
أهنيك أم يَهْنــي الـوزارة أنـهـا (١٩٣) ... أنـافَ عليْـهـا منـكَ كـافٍ وكافــلُ
لئـنْ صَغَّـروا منْـكَ السُّبيْـعَ فانَّــهُ ... لتصغيـرُ تَعْظيـمٍ به الفَخـرُ حاصــلُ
كمَا فَعَلوا في المَوتِ والخَطْبُ خَطْبُــهُ ... "دُويهيـةٌ تصفـرّ منهـا الأنامــلُ"

ومما صدرت به إليكم كتابا لم يتأت إيصاله (١٩٤)

(طويل)

أيا سَبُيــعَ المَيــدانِ دَعْــوةَ آمــلِ ... على[يد]ك(١٩٥) النصرالعزيز على الدهر
عيالا(١٩٦)على الأحـرار أصبَحتْ فلْتقم ... [بأمري قيام] (١٩٧) الواحد الماجد الحــرُّ
وأنتَ الذي جلّيت في كل حلْبــةٍ (١٩٨) ... من الجود (١٩٩)والإقدام في حدَّة العُمْـرِ
إلى الحَسَبِ الوضّاحِ والشِّيمِ العـلْــى ... إلى الراي [والفهم](٢٠٠)المسدد (٢٠١)والشعرِ
لَعَمْــرُكَ ما تَــدْري الـوزارةُ كُفْأهــا ... سواكَ يَميـنـا لا يخـاف مــن الــوِزْرِ
ومثلُـك من يعْنــى بِمِثْلــي فإنــني ... تَهيم (٢٠٢) المعالي في ثنائي وفي شكْري / 15

ومن المقطوعات المستملحات قولي، وقد قلت لبعض الأصحاب عقيب فكاهة ولوذعية أنكرتها على نفسي، ما رأيت ضيفا أهون ولا أهضم لدي من هذا الشيب، أعني الشيب الذي عاجلني، فقال : هو جنى على نفسه، فإنه طرقك على غفلة في غير وقته الذي يستعد فيه لكرامته فيه (٢٠٣) :

(خفيف)

قلتُ للشَّيْبِ لا يَرِبْكَ جَفائي ... في اخْتِصاري (٢٠٤) لكَ البرودَ ومَقْتِكْ
أنْتَ بالعَتْبِ يا مَشيبي أوْلى ... جِئْتَني غَفْلَةً وفي غَيرِ وَقْتِكْ

ومما وقع من الملح، وقد جرى ذكر علي بن كماشة [37] من قواد الأندلس، وقد مر ذكره، وهو مشهور بالشؤم في حركاته، معروف بذلك، وتوجه في خدمة السلطان [إلى الأندلس] فلم ينجح القصد فقلت (٢٠٥) :

(طويل)

كُماشيُكُمْ من أجْلِه انكَمَشَ السعْدُ ... إذا ما اطَّرحتُمْ شؤْمَهُ أنْجِزَ الوَعْدُ
ومَنْ لَمْ يكن (٢٠٦) من قبلُ للسعْدِ عنْدَهُ ... مخيلةٌ (٢٠٧) نُجْحٍ كيفَ تُرْجى لهُ بعدُ
وتصريفُهُ المشؤومُ فلتتذكّروا ... و"ما قُلْتُ إلا بالذي عَلِمَتْ سَعْدُ" [38]

/16/ وجرى أيضا ذكر ما يوصف به، فكان من التملح فيه (٢٠٨).

(مجزوء الرمل)

قيلَ لي ماتَتْ فراشَهْ ... مِنْ بُخارِ ابنِ كُماشَهْ
أحرزَتْ أجْرَ شهيدٍ ... نالَهُ الطعْنُ ونَاشَه
رحمَةُ اللهِ ورِضْوا ... نُ على تلكَ الفراشَهْ

وفي مثل ذلك أيضا (٢٠٩) :

(كامل)

مرَّ الذبابُ على فمِ ابنِ كماشةٍ ... فانقضَّ عسكرُهُ وهيضَ جناحُهُ
فكأنَّهمْ صرعى وقد عصفَتْ بهمْ ... مسمومةٌ عندَ الصباحِ رياحُهُ
سرعانَ حرْبٍ منْ بني حرْبٍ أتَتْ ... حملَ السلاحِ عليهمُ سفّاحُهُ
أعليٌّ جلَّ (٢١٠) اللهُ كمْ منْ خائنٍ ... ناجيْتَهُ صبحاً فساءَ صباحُهُ

وقلت (٢١١) وقد حدث ما اوجبه (٢١٢) :

(مخلع البسيط)

مَنْ طَلَبَ الوُدَّ مِن سَلاوي (٢١٣) ... أنشأهُ اللهُ مِنْ مساوي
هاويةٌ أُمُّهُ وفيها ... أبوهُ مِنْ بعْدِ ذاكَ هاوي
راويةٌ (٢١٤) الفضلِ في انقطاعٍ ... عنهم إذا ما فَرضْتَ راوي
حمْقَى فما شئْتَ مِنْ دماغٍ ... قد عدموا المخَّ فهو خاوي
مرْضى مِنَ الجَهْلِ لا حكيمٌ ... ولا طبيبٌ ولا مُداوي
لَيسَ لَهُمْ في النشابِ (٢١٥) نِدٌّ ... ولا نظيرٌ ولا مُساوي
قبَّحَها اللهُ مِنْ وُجوهٍ ... أدحَضَها اللهُ مِنْ دعاوي
يا ليتني إذْ سكَنْتُ فيهم ... من أرضٍ والاتن قِنْاوي [39] /

وخاطبت شيخ العرب [40] المخصوص بالمزية لهذا العهد، منبها على بر من قصده، مستعينا بجاهه من الأصحاب (٢١٦) :

(كامل)

عرصاتُ (٢١٧) داركَ للضيافِ مُبارِكُ ... وبضوءِ نارِ قراكَ يُهْدى السالكُ .
ونوالُكَ المبذولُ قد شَمِلَ الورى ... طرا وفضْلُكَ لَيسَ فيه مشارك (٢١٨)
(وقل للذي قال الجودُ قد انطوى ... والبأسُ ليسَ له حسامٌ فاتكُ) (٢١٩)
والجود ليس لهُ غمامٌ هاطلُ ... والمجدُ ليسَ لهُ سنامٌ تاركُ (٢٢٠)
جمعَ الشجاعة (٢٢١) والرجاحةَ والندَى ... والبأسَ والرأيَ الأصيلَ مُبارَكُ
للدينِ والدنيا وللشِّيَمِ العُلى ... والجود إن شحَّ الغمامُ الماسكُ (٢٢٢) [41]
(عند الهياجِ ربيعةُ بْنُ مُكدَّمٍ ... والفضلُ (٢٢٣) والتقوى الفُضَيْلُ ومالك) (٢٢٤)
ورثَ الجلالةَ عَنْ أبيهِ وجَدِّهِ ... فكأنَّهُمْ ما غابَ منهمْ (٢٢٥) هالكُ
فجيادُهُ للآملينَ مراكبُ ... وخيامُهُ للقاصدينَ أرائكُ
فإذا المعالي أصْبَحَتْ مملوكةً ... أعناقُها بالحقِّ فَهْوَ المالكُ
يا فارسَ العُرْبِ الذي مِنْ بيتهِ ... حَرَمٌ لها حَجٌّ بهِ (٢٢٦) ومناسكُ
يا مَنْ تيسر (٢٢٧) باسمه قُصّادُهُ ... فلهُمْ إليهِ مساربٌ ومسالكُ
أنتَ الذي استأثرْتُ فيكَ بغبطتي ... وسواكَ فيهِ مآخذٌ ومتاركُ
لازلتَ نوراً يُهتَدَى بضيائه ... مَنْ جَنَّهُ للروعِ لَيْلٌ حالكُ
ويخصُّ مَجْدَكَ مِنْ سلامي عاطرٌ ... كالمسكِ صاكَ به الغوالي صائكُ / 8

الحمد لله الذي جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميرا، وجعل اسمك فالا، ووجهك جمالا، وقربك جاها ، ومالا، وآل رسول الله لك آلا، اسلّم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها، وقطب سادتها وكبرائها، وأهنئك بما منحك الله من شهرة تبقى، ومكرمة لا يضل المتصف (٢٢٨) بها ولا يشقى، اذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنا للخائف، على تباين (٢٢٩) المذاهب والطوائف، وصرف الألسنة الى مدحك، والقلوب الى حبك، وماذلك إلا لسريرة عند ربك، ولقد كنت أيام جمعتني (٢٣٠) وإياك المجالس (٢٣١) السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الأمل سالكا، لما يلوح لي على وجهك من سيما المجد والحياء، والشيم الدالة على العلياء، وزكاء الأصول وكرم الأباء، وقد (٢٣٢) كان والدي - رحمه الله - عين للقاء خال السلطان قريبكم (٢٣٣) لما توجه في الرسالة الى الأندلس نائبا في تأنيسه عن مخدومه، ومنوها حيث حل بقدومه، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة (٢٣٤) والمعرفة، والوسائل المختلفة، (ثم لما حل والدي (٢٣٥) بفنائكم شملته مكارمكم (٢٣٦) العربية. ونالته فضائلكم التي اقتضتها الأصول الزكية، والنفس الأبية) (٢٣٧)، فعظم لأجل هذه الوسائل شوقي الى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذي حلوله شرف وفخر، ومعرفته كنز وذخر، فلما ظهر الآن لمحل لأخ (٢٣٨) القائد الكذا فلان اللحاق بك، والتعلق بسببك، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعض (٢٣٩) والله ييسر في البعض عند تقرير الأمر وهدنة الأرض، وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد، وماجد وابن أمجاد، ومثلك لا يوصي (٢٤٠) بحسن جواره، ولا ينبه / على إيثاره، وقبيلك من العرب في الحديث والقديم (٢٤١) وهو الذي أوجب لها مزية التقديم، لم تفخر(٢٤٢) قط بذهب يجمع، ولا ذخر يرفع، ولا قصر يبنى ولا غرس يجنى، إنما فخرها بعدو يغلب (٢٤٣) وثناء يجلب، وجزز تنحر، وحديث يذكر، وجود على الفاقة، ومحاجة بجهد الطاقة (٢٤٤)، فلقد ذهب الذهب، وبقي النشب، وتمزقت الأثواب، وهلكت الخيل العراب، «وكل الذي فوق التراب تراب» [42]، وبقيت المحاسن تروى وتنقل، والأعراض تجلى وتصقل، ولله درّ الشاعر اذ يقول :

(رجز)

وإنمـا المرء حديـث بـعده   فكن (٢٤٥) حديثا حسنا لمن وعى [43]

هذه مقدمة أرجو أن يسنّي (٢٤٦) الله بعدها لقاء الأمير، فيُجلي اللسان عما في الضمير،

(طويل)

ومَدْحـي على الأملاك وقفٌ وإنمـا (٢٤٧)   رأيتكَ منها فامتدحـتُ علـى رسْـمِ (٢٤٨)
وما كُنْتُ بالمُهْدِي لغيرِكَ مِدْحَتِـي   ولو أنهُ قد حلَّ في مَفْـرقِ النجْـمِ

وطلب مني صاحب العلامة الرئيس الفاضل، أبو القاسم بن رضوان [44]
أن أكتب لولده على ظهر مجموع انتسخ له من شعري بالإجازة، فكتبت له ما نصه(٢٤٩) :

أما بعد حمد الله الذي جعل الفضائل بدرا وزرعا (٢٥٠)، وأصلا يخلف فرعا، فإن أهمل الأصل فهو من أهمال الفرع (٢٥١)، وإن ترك الزرع ضاق بالحاجة الضرع (٢٥٢)، فحفظها لهذا السبب حافظ الأنواع، وأغرى بها سليمة الفطر وكريمة الطباع، فاطردت العناية واستمرت، وانثالت (ودرت) (٢٥٣) ونجحت الأعمال وانبعثت الآمال، وتعديت شروط الوجوب الى شروط الكمال، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي فضلت ملته المِلل، وشفت هدايته العلل، فكان مما انفردت به رواية الخلف عن السلف، وتلافي الفوائد الفعلية من قبل التلف / ، /20/ والرضى عن اله الطيبين، وصحابته المنتخبين (٢٥٤)، فإني لما استدعاني السيد الكبير الحبر، الإمام صاحب القلم الأعلى، والطريقة المثلى، والذات الفضلى، ريحانة الأندلس التي تضوع منها المغرب، وتغنى بحديث فضله (٢٥٥) الحادي المطرب، وفخر الأفق الجهادي بيتا معمورا بالوزراء الأخيار، والصلحاء الأبرار، ونسب في خرقة (٢٥٦) الأنصار، من بني النجار ، وحسبك بخؤولة المختار، وعفاف طاهر الثوب ضافي الأزار (٢٥٧)، الى الوجه المبشر بالسعادة، وبيمن (٢٥٨) النقيبة في الإبداء والإعادة، والحياء الذي نضر الوجه، وأرق (٢٥٩) البشرة، والذات التي لا تعرف الشره، والعلم من أزمّة الفنون المسلّم له في الأبكار [منه] (٢٦٠) والعون، أبو فلان لإجازة ولده (الأسعد) (٢٦١) الأمجد، وارث رتبته الشماء، بعد تملي الحياة (٢٦٢) وطول البقاء، وقرة عين المجادة والعلياء، أبي فلان (٢٦٣) وابن أخيه الفاضل ، الصدر، الرفيع القدر، أبي الفضل، وهو الولد الأسعد، أبو فلان (٢٦٤)، شمل الله الجميع بستره وعصمته، ووصل لهم ما عوّدهم من نعمته، وشغلهم بالعلم النافع، وحرمته (٢٦٥)، وأعلقهم بوسائل العرفان وأذمته (٢٦٦) ، تضاءلت علم الله إجلالا بمحله من التبحر في المعارف، واستظلاله بظلها الوارف، لكن أقدمت امتثالا، وحذوت (٢٦٧) من أمره مثالا، وبادرت اعتمادا على اغضائه واتكالا، فقلت : «أجزت الولدين المذكورين فيما يصح لي أن أجيز فيه من رواية اشرك هذا الفاضل في بعضها، وأسهم بنفله (٢٦٨) في فرضها، نظم (٢٦٩) ونثر هذا المُكتَتَب من بعض قلمه(٢٧٠)، وتآليف ينبه عليه : ككتاب «الإحاطة بتاريخ (٢٧١) غرناطة، في أسفار

سبعة، وعائد الصلة»، في سفرين، [و«عمل من طب لمن حب»، في سفر، و«الكتاب اليوسفي»، في سفرين] (٢٧٢)، و«طرفة العصر»، في ثلاثة و«الصيب والجهام»، في سفرين، ونفاضة الجراب»، في ثلاثة و«الأراجيز الخمس»، [من نظمي بمدينة سلا]
/21/ (٢٧٣)، في أصول / الفقه والتاريخ الإسلامي (٢٧٤)، والسياسة، والعلاج، والأغذية، الى غير ذلك مما هو بهرج (٢٧٥) يفتقر الى إغضاء العارف، وزيف يحتاج الى مسامحة أمام الصيارف، إجازة تامة على شرطها المعتبر، وسننها الواضح الأثر، والله يعدل بنا الى ما ينفع، ويزكي ويرفع ، فقد (٢٧٦) ذهب العمر الأطيب. في السعي الأخيب، وانصرف الزمن الأبدع، في السراب الذي يخدع، اللهم لا تطردنا عن بابك، ولا تقطع بنا عن جنابك.

وكتب العبد الغافل، الراجي الأمل، فلان (بن فلان) (٢٧٧) في كذا.

هوامش

(١) كذا ابتدئت مخطوطة نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، السفر الثالث، خع. الرباط رقم ٢٥٦ ك.

(٢) نشر اللمحة البدرية محب الدين الخطيب، ط ٢، بيروت ١٩٧٧.

وقد وردت هذه المقدمة في الصفحات ١٧ -٢٠ مع وجود بعض الاختلافات بينها وبين المتن حاولنا اثباتها.

(٣) ما بداخل المعقوفتين : زيادة من نفاضة الجراب، ج ٢، تحقيق العبادي، ط. القاهرة، وقد زدناه لضرورة السياق لأن بداية مخطوطتنا اى (الفصل الأول) تشترك مع خاتمة الجزء الثاني المذكور، انظر الصفحات (٣٤٢ ـ ٣٦٩)..

(٤) من ف ٣٤٣، ل ١٧.

(٥) ل : عاثرة

(٦) ساقطة في م.

(٧) م : المركب، تصويبه من ف، ل .

(٨) من ل.

(٩) ف ٣٤٤ : يلثمها

(١٠) م : الريات، تصويبه من ف،ل.

(١١) ساقطة من ف.

(١٢) زيادة من ف. وساقطة في ل.

(١٣) ل ١٨ : عيش.

(١٤) زيادة من ف، ل.

(١٥) ل: المساخط

(١٦) م : وعافص.

(١٧) ف ٣٤٣، ل ١٧ : منقبة

(١٨) ف ٣٤٤ : فليأمل، ل ١٨ : فليتأمل.

(١٩) ل : وحدد.

(٢٠) ف ٣٤٥، ل ١٩ : عهودا.

(٢١) ف : ويسري.

(٢٢) ف ٣٤٥ : الى ضمه لديوان.

(٢٣) زيادة من ل.

(٢٤) ف، ل. : قاض وكاتب.

(٢٥) م : المقصد، تصويبه ف ٣٣٦، ل.

(٢٦) ل : لو.

(٢٧) م : المتطرفة.

(٢٨) الى هنا ينتهي ما ورد في اللمحة.

(٢٩) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، لوحة ١٧٩، والمطبوع ٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣. وفي النفاضة ٢/٣٤٦ ـ ٣٤٧. وفي النفح ٦/٤١٠ ـ ٤١١.
ـ كما ثبتت الأبيات في ديوان ابن الخطيب : الصيب والجهام ص ٤١٧.
(٣٠) من ٣٤٦.
(٣١) ف ٣٤٦، د. ٤٠٧، ن ٦/٤١٠ : أوجدك.
(٣٢) غير واضح في المتن، تصويبه من المراجع.
(٣٣) ف : التي.
(٣٤) ر ١٧٩ ظ : الشيخ الكذا بن فلان، وفي ف : الكذا بن الشيخ الوزير الكذا، وفي ن : الوزير عمر الكذا بن الشيخ الكذا.
(٣٥) م : عقده.
(٣٦) م : سقاه.
(٣٧) م : النظير.
(٣٨) ف ٣٤٧ : فلان ابن فلانة، وفي ر ١٧٩ ظ : ابن الخطيب من سلا حرسها الله، وفي ن : ابن الخطيب.
(٣٩) ف : ودوام.
(٤٠) ف : والزمت.
(٤١) م : باستعاده، تصويبه من المراجع.
(٤٢) من ف.
(٤٣) ف : الجبهة.
(٤٤) م : كونه، وهو تحريف.
(٤٥) المراجع : الخلصان.
(٤٦) ف : المداولة، ما أثبتناه من ر ١٧٩و، ن ٦/٤١١.
(٤٧) ر : كان يلزمني من اخوته.
(٤٨) من ر.
(٤٩) ر : النية.
(٥٠) ما بين المعقوفتين زيادة من المصادر المذكورة، يبدو أن الناسخ وقع له خلط بين هذه الرسالة والرسالة التالية المرفوعة الى أبي ثابت.
(٥١) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٨١، والمطبوع ٢/١٠٩ ـ ١١٠ . وفي النفاضة ٢/٢٥٠ ـ ٢٥١. وفي النفح ٦/٤١٦ ـ ٤١٧.
(٥٢) ما بين المعقوفتين من المصادر.
(٥٣) ن ٦/٤١٦ : الأحوال.
(٥٤) ن : ويمسك.
(٥٥) ن : وفاض.
(٥٦) ن : وتغتبط غاية الإغتباط بوجوده.
(٥٧) م : العلو، وفي ن ٦/٤١٧ : العلائق.

(٥٨) ر ١٨١ و : ومجدك.
(٥٩) ر : وجعل.
(٧٠) ف : خلفا.
(٦١) ساقطة من ن.
(٦٢) م : الفؤاد، تصويبه من ن.
(٦٣) ر، ن : سلك.
(٦٤) ف ٣٥١ : وانضي.
(٦٥) ساقطة في ر.
(٦٦) وردت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٨١ ـ ١٨٢، وفي ط. القاهرة ٢/١١٠ ـ ١١١. وفي النفاضة ٢/٣٥١ ـ ٣٥٢. وفي النفح ٦/٣٨٦ ـ ٣٨٧.
(٦٧) بياض بالأصل تصويبه من ف ٣٥١.
(٦٨) ف : اغرناطة.
(٦٩) م : عقيمة، وهو تحريف.
(٧٠) ف : الوجاهة.
(٧١) ر ١٨١ و، ف : وشروط.
(٧٢) م : وفاقه، وهو تصحيف.
(٧٣) وان رابحتها، وهو غير مناسب للسياق، تصويبه من المراجع المذكورة.
(٧٤) م : العتل، وفي ر ١٨٢و: القتاد.
(٧٥) ر، ن ٦/٣٨٧ : تستمد، وفي ف : تستعد.
(٧٦) ساقطة من ف ٣٥٢.
(٧٧) ف : ايالته .
(٧٨) ر : فجهته ظلي الظليل، ن : فخيمته ظل الظليل.
(٧٩) ف، ر، ن: لا يفتقر.
(٨٠) ر : لنفسك.
(٨١) وردت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ٢٠٢، ط القاهرة ٢/١٨٢ ـ ١٨٣. وفي النفاضة ٢/٢٥٢ـ٢٥٣.
(٨٢) م : بما، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه من ر ٢٠٢، ف ٢٥٢.
(٨٣) ر : فكن حيث اقتضى منك.
(٨٤) ر ٣. ٢ ظ، ف ٢٥٣ : لم يفقد اللطف ولم يعدم.
(٨٥) م : واعلمها، تصويبه من، ف.
(٨٦) ر : انني.
(٨٧) ف : والدوحة.
(٨٨) م : وصفاتا، خطا من الناسخ.
(٨٩) ر : وغنيمة.
(٩٠) ف : وتقى.

(٩١) ر : يمن.
(٩٢) م : محيت اللام في سلعة.
(٩٣) م : الجماع، وهو تحريف، تصويبه من المرجعين.
(٩٤) ف، ر : ارضاها.
(٩٥) ف : الدهر.
(٩٦) م : العلي، وهو تحريف، تصحيحه من ر٢٠٣.
(٩٧) زيادة من المرجعين.
(٩٨) ر، ف : ٣٥٣ : صبح وجهه.
(٩٩) زيادة من ر.
(١٠٠) وردت في النفاضة ٣٥٤/٢.
(١٠١) ف : اليه يشار.
(١٠٢) ف : صنيعي.
(١٠٣) ف : بمعرفتكما.
(١٠٤) ف : وسبوغ.
(١٠٥) ف : فانني.
(١٠٦) ف : سلف.
(١٠٧) ف : منشرحا.
(١٠٨) وردت الرسالة في ريحانة الإسكوريال، ل ١٧٦ ـ ١٧٧، وفي ط، القاهرة ٩٢/٢ ـ ٩٥. وفي النفاضة ٣٥٤/٢ ـ ٣٥٨. وفي النفح ٣٨٢/٦. كما وردت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٥٠٩ ـ ٥١٠، وفي الإستقصا ٤٥/٤.
(١٠٩) ر ١٧٦ ظ : ممجد.
(١١٠) ر، ن : مضرسة.
(١١١) م : وكان، وهو تحريف مخل بالوزن، تصويبه من المراجع المذكورة.
(١١٢) المراجع : حططت.
(١١٣) م : باثر، وهو تصحيف.
(١١٤) هذا البيت ساقط من ر ١٧٦ ظ، ن ٣٨٢/٦.
(١١٥) ر ١٧٦ و، ن : بأمره.
(١١٦) ر : الصنيع.
(١١٧) ر : في .
(١١٨) ف، ن : بعزه.
(١١٩) ن. ٣٨٢/٦ : فافتض.
(١٢٠) م : لارمها، وهو تصحيف.
(١٢١) ر، ن : ومالا.
(١٢٢) م : المريح، وهو تحريف، صوابه من المراجع.
(١٢٣) ف ٣٥٦، ن ٣٨٣/٦ : بالشهادة، وفي ر ١٧٦ و : بالسعادة ولم.

(١٢٤) المراجع : من رضوان الله.
(١٢٥) ر : أبي عبد الله.
(١٢٦) ر : بهمه، ن : بهمهه، وفي المتن : الميم غير واضحة في لفظة اماله.
(١٢٧) ن : المرضيين.
(١٢٨) من ف.
(١٢٩) ن : واياته.
(١٣٠) م : السادخة، ولا معنى لها، يمكن قراءتها الصارخة ، أو الشادخة حسب ما ورد في المراجع المذكورة.
(١٣١) المراجع : نفوسهم.
(١٣٢) ف ٣٥٦ ك وان حمل قدرة وقدرا، ر ١٧٦ و: وان جل قدرة وقدرا، ن ٣٨٣/٦ : قل قدرة وقدرا.
(١٣٣) ر، ن : ابن اللخطيب.
(١٣٤) ف ٣٥٧ : اقتصاده.
(١٣٥) ر، ف : في مظاهرتهم.
(١٣٦) ف : سنتين.
(١٣٧) ر، ن. ٣٨٤/٦ : بافنينها.
(١٣٨) ف : مواصلا الصراخ يا آل مرين ويا آل يعقوب، وفي ر : مواصلا الصراخ بآل مرين يعقوب، وفي ن : مواصلا الصراخ يالمرين وياليعقوب.
(١٣٩) المراجع : الدخيل.
(١٤٠) م : يديكم يالكريم : تصويبه من ر١٧٧ ظ، ف ٣٥٧.
(١٤١) المراجع : وانصاف.
(١٤٢) م : واجلة، وهو تحريف.
(١٤٣) غير واضح في م.
(١٤٤) ف ٣٥٧ : السادة، ر ١٧٧ ظ : وأرى أنواع اليمن والإسعاد.
(١٤٥) ف : الذي لشرف وجوهها تلثمه الوجوه، ر ١٧٧ و : الذي تصرف اليه الوجوه، ن ٣٨٤/٦: الذي شرف وجوهها بلثمة الوجوه.
(١٤٦) ر : مؤديا.
(١٤٧) م : من، وهو تحريف.
(١٤٨) ف ٣٥٧، ر : وضح.
(١٤٩) م : النصر تصويبه من ر.
(١٥٠) م : تتسن.
(١٥١) ف : نشر.
(١٥٢) : ونقص ارثكم، : ونقض اثر سلفكم.
(١٥٣) ر : بكم.
(١٥٤) ر : ان لم يتأذن الله في الانصاف.

(١٥٥) ر : الأمل.
(١٥٦) وردت الرسالة في النفاضة ٢/٣٥٨ ـ ٣٥٩. وفي ريحـانة الأسكـوريـال ١٧٩ ـ ١٨٠، ط. القاهرة ٢/١٠٤. وفي النفح ٦/٤١١ـ ٤١٢.
(١٥٧) ر ١٧٩ و. ن ٦/٤١١ : كرم.
(١٥٨) م : وحضائه، لا معنى لها، تصويبه من المراجع.
(١٥٩) ساقطة من ر.
(١٦٠) ن : ابن الخطيب.
(١٦١) م : بما بعده، والأنسب ما اثبتناه من المراجع.
(١٦٢) ساقطة من المراجع.
(١٦٣) ر، ن : ماسناه.
(١٦٤) ر، ف ١٥٨، ن ٦/٤١٢ : تبين.
(١٦٥) ف : وظهرت.
(١٦٦) ر. ١٨، ن ٦/٤١٢ : علينا، وفي م : علي، والأنسب ما أثبتناه من ف ٣٥٩.
(١٦٧) ر : واجعل الكبرى من نعمك الصغرى، وفي ف : واجعل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصغرى.
(١٦٨) المراجع : مشتبهات.
(١٦٩) ف : بالجبر.
(١٧٠) ن : الضير.
(١٧١) ر : الى مباشرة.
(١٧٢) ر : والله يديم سيدي الذي هو كهف موديه، حتى يظفره الله بمن يناوئه ويعاديه.
(١٧٣) وردت هذه الرسالة في النفاضة ٢/٣٥٩ ـ ٣٦٠.
(١٧٤) ساقطة من ف.
(١٧٥) ف ٣٥٩ : برة.
(١٧٦) ف : لمصارحة ، والمتن أصح.
(١٧٧) ف : شرف.
(١٧٨) «وبشر : ساقطة من م، والزيادة من ف، بينما كتب «على البرح» في الهامش.
(١٧٩) ف : ونخل.
(١٨٠) م : النظار، خطأ من الناسخ.
(١٨١) ف : مشيخة.
(١٨٢) م : وعرض، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ف.
(١٨٣) ف. ٣٦ : زينة.
(١٨٤) ف. ٣٦ : أوجب.
(١٨٥) ف : واجود.
(١٨٦) زيادة من ف يقتضيها سياق الأسلوب.
(١٨٧) م : وحرته، تصويبه من ف.

(١٨٨) بياض بالأصل، ملأناه من ف.
(١٨٩) ف : والله عز وجل يمنع عن سيدي مواجد الدهر، وفي م : يمتع من سيدي بواحد الدهر. ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(١٩٠) م : عيناه، تصويبه من ف.
(١٩١) وردت الأبيات في النفاضة ٢/٣٦٠.
(١٩٢) م انقاده، وهو تصحيف.
(١٩٣) ف. ٣٦ : تهنى الوزارة إنها.
(١٩٤) ثبتت الأبيات في النفاضة ٢/٣٦٠/٣٦١.
(١٩٥) بياض في الأصل تصويبه من ف. ٣٦.
(١٩٦) ف: عيال.
(١٩٧) بياض في الأصل، تصويبه من ف.
(١٩٨) م : حلبه، وهو تصحيف.
(١٩٩) م : الوجود، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه من ف ٣٦١.
(٢٠٠) زيادة من ف يقتضيها الوزن.
(٢٠١) م : السدد، وهو تحريف، صحته ما أثبتنا.
(٢٠٢) م : نهيم، وهو تصحيف.
(٢٠٣) ثبت البيتان في الإحاطة مخ الأسكوريال، السفر ١، ل ٢٧٧. ـ النفح ٦/٤٧٥. ـ النفاضة ٢/٣٦١.
(٢٠٤) غير واضح في م، تصويبه مما ذكر.
(٢٠٥) وردت الأبيات في النفاضة ٢/٣٦١ ـ ٣٦٢.
(٢٠٦) ف ٣٦٢ : تكن، وهو أنسب.
(٢٠٧) م : نحيلة، تصحيحه من ف.
(٢٠٨) ثبتت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٣٨٥. وفي النفاضة ٢/٣٦٢.
(٢٠٩) وردت الأبيات في نفس المرجعين.
(٢١٠) م : حل، وهو تصحيف، تصويبه من د ٣٨٥، ف ٣٦٢.
(٢١١) الواو غير واضح في م.
(٢١٢) ثبتت الأبيات في النفاضة ٢/٣٦٢.
(٢١٣) م : السين غير واضحة حيث تبدو كالقاف نتيجة بقعة حبر.
(٢١٤) م : رواية، وهو تحريف صححناه من ف ٣٦٢.
(٢١٥) ف : المشاق.
(٢١٦) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٨٢ـ ١٨٣، ط. القاهرة ٢/١١٣ ـ ١١٥ ـ وفي النفاضة ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٥. وفي النفح ٦/٤٠٠ ـ ٤٠٢ وفي الاستقصا ٤ / ١٣ ـ ١٥.
(٢١٧) ن ٦/٤٠٠، استقصا ٤/١٣ : ساحات.
(٢١٨) ر ١٨٢ و : وفضلك ليس له حسام فاتك.
(٢١٩) هذا البيت ساقط من ر.

(٢٢٠) ف ٣٦٣ : سنام تامك، وفي ر : سنام هاتك، وفي ن ٦/٤٠٠ : همام باتك.
(٢٢١) ف : السجاحة، ر : السماحة.
(٢٢٢) ر : صح الغمام الماسك، وفي ن ٦/٤٠١ والإستقصا ٤/١٣ : الغمام السافك.
(٢٢٣) ف : في الفصل.
(٢٢٤) البيت ساقط من ر.
(٢٢٥) ر : عنهم.
(٢٢٦) ر : بها.
(٢٢٧) المراجع : يبشر.
(٢٢٨) ف ٣٦٤ : المنصف.
(٢٢٩) ر ١٨٢، ن ٦/٤٠١ : قياس، استقصا ٤/١٣ : كثرة.
(٦٣٠) م : جمعني، تصويبه من ف، ر : تجمعني.
(٢٣١) ر ١٨٣ ظ : شيما.
(٢٣٢) ساقطة من المراجع.
(٢٣٣) م : قريكم تصويبه مما ذكر.
(٢٣٤) م : الجهادات، تصويبه من المراجع.
(٢٣٥) ف ٣٦٥ : ولدى.
(٢٣٦) غير واضح في م، تصويبه من ف.
(٢٣٧) ما بين قوسين ساقط من رن ، استقصا.
(٢٣٨) ر ١٨٣ ظ : أخي.
(٢٣٩) المراجع : بعضي.
(٢٤٠) م : لا يوصي، تصحيحه من المراجع.
(٢٤١) م : وقبيلك في الحديث من العرب والقديم، تصويبه من الاستقصا ٤ / ١٥.
(٢٤٢) ن ٦/٤٠٢. استقصا، ف ٣٦٥ : لم يفتخر،
(٢٤٣) المراجع : م : بعدد يغلب، والانسب ما اثبتناه من المراجع.
(٢٤٤) ر، ف : سماحة بجهد، ن، استقصا : سماحة بحسب.
(٢٤٥) م : وكن.
(٢٤٦) ن ٦/٤٠٢، استقصا : ان يسر الله ف، ٣٦٥ : ينسئني.
(٢٤٧) ف : وقف وانني، ن : مدح وانما.
(٢٤٨) ن : وسمي..
(٢٤٩) ثبتت في ريحانة الأسكوريال، ورقة ٢١٤، ط. القاهرة ٢/٢٢٢ - ٢٢٥، وفي النفاضة ٢/٣٦٦-٣٦٩.
(٢٥٠) ر ٢١٤ ظ : بذرا تنبت زرعا.
(٢٥١) ف ٣٦٦ : فان اهمل الأصل فهو من الاستفادة الفصل.
(٢٥٢) ر ٢١٤ ط : الذرع.
(٢٥٣) ساقطة من م.

(٢٥٤) م : المنتجين، والأنسب ما صححناه من ف.
(٢٥٥) ر، ف : بفضلها.
(٢٥٦) ر ٢١٤، ف ٣٦٦ : ذروة.
(٢٥٧) ر ٢١٤ و : الاردان، م : الأزرار.
(٢٥٨) ف : يمن.
(٢٥٩) ف : وادق.
(٢٦٠) من ر، ف.
(٢٦١) ساقط من ف.
(٢٦٢) م : الحياء، والسياق يقتضي ما اثبتنا من ر، ف. وفي ف : تملو الحياة.
(٢٦٣) ف : أبي عبد الله.
(٢٦٤) ف : ابو سالم.
(٢٦٥) ف : وخدمته.
(٢٦٦) ف : وازمته.
(٢٦٧) م : وحذرت، والسياق يقتضي ما اثبتناه من ر، ف.
(٢٦٨) ف ٣٦٧ : بقلمه، ر ٢١٤ و : بتافه من.
(٢٦٩) ف ، ر : ونظم.
(٢٧٠) ف : بنيه، وما اثبتناه من ر لعدم وضوحه في المتن، وملاءمته للسياق.
(٢٧١) ر : في تاريخ.
(٢٧٢) زيادة من ر، ف.
(٢٧٣) من ر، ف.
(٢٧٤) م : الاسلام، تصويبه من ر، ف.
(٢٧٥) بياض بالأصل، تصويبه من ر، ف.
(٢٧٦) ر : فلقد.
(٢٧٧) ساقط من ر، ف ٣٦٩.

تعليقات الفصل الأول

[1] يرجح محمد التطواني أنها الأرجوزة المسماة بالمعتمدة في الأغذية المفردة انظر (ابن الخطيب من خلال كتبه 139/2).

[2] اقتباس من بيت مضاض بن عمر الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس «ولم يسمر بمكة سامر»

[3] «ما أشبه الليلة بالبارحة » : عجز بيت لطرفة بن العبد يجري مجرى المثل، وصدره : «كلهم أروغ من ثعلب ». انظر (فصل المقال ص 227- مجمع الأمثال 2/ 275 رقم (383)

[4] سورة 29- (الكهف)، اية 45.

[5] غافص : فاجأ على غرة.

[6] سورة 29 (العنكبوت)، اية 64.

[7] انظر(المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 6/ 122).

[8] انظر (نفس المرجع 6/ 477)

[9] سورة 58 (المجادلة)، آية 22.

[10] جهينة : شخص يضرب به المثل، فيقال : «عند جهينة الخبر اليقين».
انظر (- الأعلام 2/ 142. - مجمع الأمثال 2/ 3 رقم 2383).

[11] عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني نسبة الى بني يابان من قبائل بني مرين ، كان وزيرا لأبي سالم المريني، فقام بثورة أدت الى مقتل هذا الأخير سنة 762 هـ / 1360م، وقد لعب دورا هاما في الأحداث السياسية المغربية. انظر اخباره بتفصيل في (- النفاضة 2/ 303 - 309، المتن، لوحة 40، 41. - الإستقصا 4/ 37. - جنى زهرة الاس ص 1، 2).

[12] اشارة الى الحديث النبوي : «انما الأعمال بالنيات» . انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 4/ 358).

[13] أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي، شيخ قبيلة هنتاتة المصمودية تولى أحكام الشرطة بتونس في عهد أبي الحسن، ثم ولي الجباية لأبي عنان فارس بمراكش، وفي سنة 763 هـ/ 1362م بايع الطفل أبا الفضل بن أبي سالم سلطانا على مراكش واستوزر له، ودام استبداده بها الى أن قتله السلطان عبد العزيز سنة 771 هـ / 1369م. انظر (- العبر 7 / 623-625 - الإحاطة 4/ 216. - الاستقصا 4/ 54 .

[14] جودى : جبل بالجزيرة العربية، وهو المذكور في القرآن الذي استوت عليه سفينة نوح. انظر (- الروض المعطار، تح . احسان عباس ص 181. - سورة 11 (هود)، (اية 44)، واستعماله هنا مجازي.

[15] العلق : بكسر العين وسكون الام، أوبفتحهمامعا تعني الهوى والحب.

[16] اقتباس من بيت الخنساء :

طويل العماد عظيم الرما د ساد عشيرته أمردا

انظر (المبرد : التعازي والمراثي ص 90).

[17] التناد : يوم القيامة.

[18] يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، كان شيخا للغزاة المغارية بالأندس، فلما خلع الغني بالله فر الى قشتالة، ومنها الى المغرب، ثم رجع الى منصبه بعد استرجاع الغني بالله ملكه، واستمر فيه الى أن سجنه السلطان المذكور سنة 764 هـ / 1362م.

انظر (اللمحة ص. 130. النفاضة 2/ 179. ـ شبانة : «شيوخ الغزاة المغاربة كما ارخ لهم ابن الخطيب في الإحاطة»، مجلة البحث العلمي، 13، (1967) ص 128، 129).

[19] صاحب خطة العلامة هو الذي يكتب بخطه علامة السلطان على المراسيم نيابة عنه، فإذا كانت علامة الصك المريني : وكتب في التاريخ المؤرخ به، فهي بخط السلطان، وان كانت : وكتب في التاريخ، فهي بخط صاحب العلامة، وبعض الملوك المغاربة يكتبون عند العلامة : صح في التاريخ. انظر (ـ ابن الأحمر : مستودع العلامة ص 21. ـ الاستقصا 4/ 49. ـ ورقات المنوني ص 62).

ـ أبو سعيد محمد بن محمد بن رشيد، كان فقهيا كاتبا، كتب لأبي عنان وغيره من الملوك المرينيين، وكان مشهورا بحسن خطه. انظر (الجذوة 1/ 231)

[20] السحب الوطف : السحب الممتلئة مطرا.

[21] سورة 87 (الأعلى) آية 17.

[22] اصفاق : اتفاق.

[23] اشارة الى المثل : «عند الصباح يحمد القوم السرى». انظر (ـ فصل المقال ص 254 ـ مجمع الأمثال 2/ 3 رقم 2).

[24] العطن : والمعطن، هو مبرك الابل أو مربض الغنم، ويقال : «فلان ضيق العطن»، أي ضيق الخلق. انظر (فصل المقال ص 431).

[25] أبو زيان (739- 767 هـ / 1338- 1365م) محمد بن أبي عبد الرحمان بن أبي الحسن، بويع يوم الاثنين 21 صفر 763 هـ / 1361م. انظر ـ روضة النسرين ص 32. ـ الإستقصا 4/ 44- 51).

[26] الصريخ : الإغاثة والنجدة.

[27] يقصد ابا ثابت عامر الهنتاتي.

[28] يشير الى موقف أبي ثابت من أبي الحسن المريني عندما انهزم سنة 751 هـ / 1350م، حيث أجاره من ابنه أبي عنان. انظر تفصيل الخبر في (الإستقصا 3/ 173- 174).

[29] الغرر : بفتح العين والراء، تعني التعرض للهلاك.

[30] اشارة الى قوله تعالى : «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا»

[31] يقصد الوزير عمر بن عبد الله.

[32] اشارة الى بيت أبي تمام الشهير :

فتح تفتح أبواب السمـاء له وتزهو الأرض في أثوابها القشب

[33] براءة في اصطلاح المغاربة والأندلسيين تعني رسالة.

[34] سورة 27 (النمل)، آية 29.

[35]الشبه : بكسر الشين وتسكين الباء او بفتحهما معا تعني النحاس الأصفر.

[36]تضمين لعجز بيت أبي العلاء المعري :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل　　　عفاف واقدام وحزم ونائل

[37] علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي أبو الحسن، تولى الوزارة للغني بالله محمد الخامس اثناء اقامته في رندة، قبل استرجاعه لملكه، وقد ترجم له ابن الخطيب مرارا متهما اياه بالشؤم، كما اثبت في المتن انه نفي الى تونس في رمضان 763 هـ/يونيو 1362م. انظر (المتن لوحة 113، 114. - الإحاطة 2/ 15- 17.)

- M.A. Ladero, Granda. Historia de un país islámico, page 79)

[38] «وما قلت الا بالذي علمت سعد» : عجز لبيت الحطيئة، صدره : «وتعذلني ابناء سعد عليهم»، ويجري مجرى المثل. انظر (ديوان الحطيئة ص 42).

[39] والاتن : مدينة بالسودان انظر تفصيل الحديث عنها في رحلة ابن بطوطة ص 442-443.

[40] مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل، شيخ قبائل الخلط، وصاحب الشورى في عهد السلطان ابي الفضل، قتله السلطان عبد العزيز سنة 771 هـ/ 1369م. انظر (- العبر 2/ 480- النفاضة 2/ 323- الإستقصا 4/ 53، 56).

[41] ربيعة بن مكدم (85 ق. م - 62 ق.م) من بني كنانة وأحد فرسان مضر في الجاهلية. انظر (الأعلام 3/ 43).

- الفضيل : لعله يقصد أبا علي الفضيل بن عياض الفنديدي، كان من قطاع الطرق في خراسان، ثم تاب وتزهد، توفي بمكة سنة 187 هـ/ 802 م. انظر (وفيات الأعيان 3/ 215-217).

- مالك : يقصد أبا عبد الله مالك بن أنس الأصبحي أمام المذهب السني المسمى باسمه، توفي سنة 179هـ/ 795م. انظر

(E I, III, 218 - 223 [J. Schacht])

[42] « كل الذي فوق التراب تراب» : اشارة الى بيت أبي العتاهية :

من تراب خلقت لاشك فيه　　　وغدا أنت صائر للتراب

انظر (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ص 31)

[43]هذا البيت من مقصورة ابن دريد ص 115.

[44] أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي من مالقة، رحل الى فاس، والتحق بخدمة أبي الحسن فلما انهزم السلطان سنة 749 هـ/ 1338م رجع الى الأندلس، ورحل مرة أخرى الى المغرب في عهد أبي عنان وظل يشغل منصب صاحب العلامة الى أن توفي سنة 783 هـ/ 1381م. انظر (- المسند ص 144. التعريف ص 41- 44. - ابن رضوان : الشهب اللامعة ص 9- 36).

الفصل الثاني

[انتهى ويتلوه في الثالث] (١) رجع التاريخ

وانتهى ‹امر› (٢) هذه السنة الشَّهْباء الإِضْحائيَّة (٣) [1] إلى العشر الأَخَر من يناير العَجَمي الموافق لأخريات ربيع الأول من العام (٤) ‹٧٦٣هـ›، مُمْسكة شُحاً، كلما مُوِّهَت بالقَزَع تلاشى هلَهُلُه وفشا دخانه (٥)، وظهر ‹الطاعون› (٦) [2] بأرض مكناسة وفاس وتازا وما إلى ذلك، لكونها لم تستأثر بِبُلالة رحمة مما قسَم الله لغَيرها، إلى ما أصابها من معَرَّة الفتنة إلى هذا العهد، واستُهْدِفَ مَنْ بها إلى هَلَكَة المجاع، وفُشُوّ المُوتَان، ففي هذا العشر الأخر الحامين على العباد، عَظُم الجفافُ، وعَصَفَت الريحُ الرجْفُ، تنقل الهضْب قبل ارْتداد الطرْف، وتُبَدِّلُ أعيان الأرض، وتعاجل حِلاق لِمَم النَّبْت، فصيِّرت وجه الأرض كمطارح خبث الحديد أمام مضارب ‹البيد› (٧) يبْساً وقحلاً وعقراً للأرجل [3]، وعصياناً على السنابك [4]، وأحرقت ما كان قد نَجَمَ من باكر البَذْر، ونَشْط النبات، ودامت فاستأْصلَت الأوراق من الشجر الدُّهين الذي لا يَسْقُط، ونشَفَت البَشرات، وأشَنَّت الجلود، ثم اقْتادت بآخره سحابا هفَافاً عاليَ الهَيْدَب [5]، فَرْسياً ذا حفيف، ثم تثاقَلَ ومالَ إلى الدُّكْنَة، ثم تَسَحَّمَ وطَشَّ، ثم توالى صَوْبُه كأجنحة الطيْر، ثم تداعى فاهْتَزَّت جبال الغيم تُقَلْقِلُها هائلةُ الرعود، فسالَت الأرض، وفَهَقَت الأغوار، وتَقَلْقَل الزرع، وانْبسطت النفوس، وهَوى السِّعْرُ بَعْد سُمُوِّه في دَرَج تَوَقُّعٍ / الشدَّة.

وفي ذلك قُلْتُ مُرتجلاً (٨):

(طويل)

لَقَدْ زَالَت اللأْواءُ [6] وارْتَفَعَ الجهْدُ	وأطنَبَ في شكْرِ الحيا الوَهْد (٩) والنجْدُ
غداةَ سرتْ ريحُ النُّعامى (١٠) لواقحاً	وجاءَ على آثارِها الغيثُ مِنْ بَعْدُ
سحائبُ أمثالِ القطارِ [7] إذا وَنَتْ	بِمُثْقَلَة الأوقارِ [8] صاحَ بِهَا الرعْدُ
وهشَّ عليها البرقُ بالسوْط فانبَرَتْ	تَدافَعُ في عَرْضِ الفلاةِ وتشتَدُّ
فما كانَ إلاَّ أنْ أناخَتْ وعرَسَتْ	فعرَّسَت النعماءُ واقتُضِيَ الوعْدُ

وحلّتْ تجارُ الرَّبيعِ (١١) كُلُّ بضــــاعةٍ
تُقِرُّ لها صنعــاءُ بالفضــلِ والهنــدُ

فما شئْتَ فيــها مــن نمارقِ سُنْدُسٍ
وإستبرقٍ منْ فوقِ غُبْرِ الرُّبى يَبْــدو

ولائمُ فَضْلِ الله فيــها مــوائدُ
تَقومُ قيانُ الوُرْقِ [منْ] (١٢) فوقها تشدو

لكَ الشُّكْرُ يــا رحــمانُ فيمــا بذلْتَهُ
مِن الرِّفْقِ فينا دائماً ولَـكَ الحَمْـدُ

<سفر ابن الخطيب إلى فاس لتقديم ولائه للسلطان أبي زيان>

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر كان التوجُّه إلى مدينة فاس(١٣) - حرسها الله - لأداء حَقِّ الدولة الدائلة، واللهج (١٤) بالوفاء بعُقدتها والمدافعة عن دَعْوتها، وإيصال صَكِّ بَيْعَتِها، فاقْتَحَمْنا - وقد طال البعْدُ - سلوكَها، فصارت مَحْواةً ومسْبَعَةً صُحْبَةَ الوالي العامل على بلاد دَرْعة [9]، الشاذَّ عن ذلك الأفق، المسْتوْسِق الطاعة للأمير عبد الحليم [10]، وقد صَحَّ لحاقه بوطن سجِلْماسَةَ واستقراره به، عبد الله بن عثمان بن محمد بن يحيى المجدولي، حجاجَ الدولة المرينية، ومستعمله (١٤) في الغيباتِ (١٥) والاجْهار، والعنايةِ بالقرآن مع الاستهانةِ بالدماء المحرَّمة فيه، ولَقِينا من وَعْثاء السفر نَصَباً لإغراق المطر، وانْسِكاب الغيم، وقد أذنَ الله، عز وجل، /في انْحِلالِ نَسيج الغمام، فسمحت السُّنة منه بما بَخِلَتْ مُرضِخَةً مطفِّفَةً [12]. / 23 /

وكان دخول البلدِ الجديد [13] يوم الجمعة الموفي ثلاثين لشهر تاريخه، والاتِّصالِ ليلتئذٍ بالسلطان [14]، وغشيانُ خَلْوَةِ لَذَّته، في بُحْبُوحة قصره، وعلى أريكة تبذُّله، والمبيتُ ببعض حُجَرِه، والطعامُ من خاصِّ خِوانه، والإصابةُ منه باختيارِه وتعيينه، والمُواكلةُ من وزيرِه.

ومن الغد أنشدْتُه، وقد قَعَد للخاصة بمجلس سَلَفِه، مُنوه الإنشاد بالإطراء والاستعادة، مُرفِّهاً فيه عن القَوْمَةِ، قريبَ الجلسة، قولي (١٦) :

(طويل)

لمَـنْ عَلَمٌ في هَضْبَةِ المُلـكِ خَفّـاقُ
أفاقَتْ به منْ غَشْيَةِ الهَرْجِ [15] آفــاقُ

تَقِلُّ رياحُ النصـرِ مـنه (١٧) غمامــةً
تُمَدُّ لها أيدٍ وتَخْضَــعُ أعنــاقُ

وبيعةُ شورى أحكم اللهُ عَقْدَهــا
وأُعْمِلَ إجماعٌ عليها وإصفاقُ [16]

قَضَى عمرٌ فيهـا بحقِّ مُحمَّـدٍ [17]
فَسُجِّلَ عقْدٌ (١٨) للوفاء (١٩) وميثـاقُ

أحلماً تَرى عيناي أمْ هيَ يَقْظـةٌ (٢٠)
أعنْدَكُما في مشكلِ الأمرِ مِصْـداقُ

رِفاقٌ (٢١) لفضلِ اللهِ فـي الأرْضِ تَبْتَغي ... ومُجْتَمَعـاتٌ لا تريبُ وأسْواقُ
وسَرْحٌ (٢٢) تُهَنِّيهِ الكَلاءَةَ بالعُـلى ... وفلحٌ بسُقْيا (٢٣) الغيثِ قامَ لَهُ ساقُ
وقدْ كانَ طَيْفُ الحلْمِ لا يُعْمِلُ(٢٤) الخُطى ... وللفتنةِ العَمْياءِ في الأرْضِ إطباقُ
وللغيثِ إمْساكٌ وفي الأرضِ رَجْفةٌ (٢٥) ... وللدِّينِ والدُّنيا وجومٌ وإطراقُ
فكلُّ فريقٍ فيهِ للبَغْيِ رايةٌ ... وكلُّ طريقٍ فيهِ للعَيْثِ طُرّاقُ
أَجَلْ إنَّهُ مِنْ آلِ يعقوبَ [18] وارثٌ ... يَحِنُّ لَهُ البيْتُ العتيقُ ويشتاقُ
لَهُ مِنْ جناحِ الروحِ ظلٌّ مسَجَّفٌ ... ومِنْ رَفْرَفِ العِزِّ الإلهيِّ رُستاقُ /24/
أظلَّ على الدُّنيا وقد عادَ نورُها (٢٦) ... دُجىً وعلى الأحْداقِ للذُّعْرِ إحْداقُ
وأشْرقت الأرْجاءُ مِن نورِ ربِّها ... وساحَ بها لله لُطفٌ وإشْفاقُ
فَمِنْ ألسُنٍ لله بالشُّكْرِ (٢٧) أعْلَنَتْ ... وكانَ لها من قبلُ هَمْسٌ وإطباقُ
ولَيْسَ لأمْرٍ أبْرمَ اللهُ ناقضٌ ... وليسَ لمَسْعىً أنْجحَ اللهُ إخْفاقُ
محمدُ قَدْ أحْيَيْتَ دينَ محمدٍ ... وللخَلْقِ أدماءٌ تفيضُ وأرْماقُ
ولوْ لَمْ تثبْ غطّى على شفقِ الضُّحى ... دمٌ لسيوفِ(٢٩) البَغْيِ في الأرضِ مُهراقُ
فأيْمنْ بمَشْحونٍ مِنَ الفُلْكِ سابحٍ (٣٠) ... لَهُ باخْتيارِ اللهِ حظٌّ وإيساقُ
أقلَّكَ والدأماءُ (٣١) [19] تُظْهِرُ طاعةً ... إليكَ وصَفْحُ الماءِ أزْرقُ رقراقُ
إلى هدفِ السَّعْدِ انبرى منْهُ والدُّجى ... يُضِلُّ(٣٢) الحجى سَهْمٌ مِنَ السَّعْدِ رشّاقُ
فخُطَّتْ لتَقْويمِ القَوامِ جَداولٌ ... وصَحَّتْ مِنَ التوْفيقِ واليُمْنِ أوفاقُ [20]
تباركَ مَنْ أهداكَ للخلقِ رَحْمةً ... ومُستَبْعَدٌ أنْ يُهْمِلَ الخَلْقَ خلّاقُ
هُوَ اللهُ يبلو الناسَ بالخيرِ فتنةً ... وبالشرِّ والأيامُ سُمٌّ وترْياقُ
سمتْ (٣٣) منكَ أعناقُ الورى لخليفةٍ ... لَهُ في مَجالِ السَّعْدِ وَخْدٌ وإعْناقُ [21]
وقالوا : بنانٌ ما استقلَّ بكفِّهِ ... تَفيضُ على العافينَ أمْ هِيَ أرزاقُ
وأطْنبَ فيكَ المادحونَ وأغرقوا ... فلمْ يُجْدِ إطْنابٌ ولمْ يُغْنِ (٣٤) إغْراقُ
ألسْتَ مِنَ القوْمِ الذينَ أكفُّهمْ ... غمامُ ندىً إنْ أخْلفَ الغيْثُ غيْداقُ
ألسْتَ مِنَ القومِ الذينَ وجوهُهُمْ ... بُدورٌ [لها] (٣٥) في ظُلْمةِ الرَّوْعِ إشراقُ /25/
رياضٌ إذا العافي استظلَّ ظلالَها ... ففيها جنىً ملءَ الأكفِّ وأوراقُ
أبوكَ وليُّ العهدِ لَوْ سالَمَ الردى ... وجدُّكَ قدْ فاقَ الملوكَ وإنْ فاقوا
فمَنْ ذا لَهُ جدٌّ كجَدِّكَ أوْ أبٌ ... لآلِيءُ والمجدُ المؤثَّلُ نسّاقُ (٣٦)
وحَسْبُ (٣٧) العُلى في آلِ يَعقوبَ أنهمْ ... هُمُ الأصلُ في العَلياءِ والناسُ ألحاقُ
أسودُ سروجٍ أوْ بدورُ أسرّةٍ ... فإنْ حاربوا(٣٨) راعوا وإنْ سالموا راقوا
يطولُ لتحصيلِ(٣٩) الكمالِ سُهادُهُمْ ... فهُمْ للمعالي والمكارمِ عُشّاقُ
لئنْ (٤٠) نسيَتْ إحْسانَ جدِّكَ فرقةٌ ... تُزَرُّ على أعناقِهمْ منْهُ أطْواقُ

أجــازتْ خــروجَ ابنِ ابنه عن تراثـه ... ولَمْ تَدْرِ ما ضمّتْ مـن الحُكْمِ (٤١) أوراقُ
ومنْ دونِ ما أمّوهُ (٤٢) للّـــه قـــدْرَةٌ ... ومن دونِ مـا رامـــوه (٤٣) لـلّه إغــلاقُ
خُذِ العَفْوَ وابْذُل فيهمُ العُرْفَ ولْتسَعْ [22] ... جريرةَ مَنْ أبْدى لـــكَ العُذْرَ أخــلاقُ
فَرُبَّتَمـــا تَنْبـــو مُهنَّدَةُ الظُّبـــــى ... وتهفو حلومُ القـــومِ والقـــومُ حذّاقُ
وما النـــاسُ إلا مُذْنِبٌ وابـــنُ مُذْنـــبٍ ... وللّـــه إرْفــــادٌ عليهـــمْ وإرْفـــاقُ
ولا ترجُ في كلِّ الأمـــورِ سوى الـــذي ... خزائنُهُ مـــا ضرّهـــا قـــطُّ إنفـــاقُ
إذاً هو أعطى لـم يضِـرْ منـــع مانـــعٍ ... وإنْ حشدتْ طسمٌ وعادٌ وعِمـــلاقُ [23]
عرفتَ الردَى واستأثرتْ بكَ للـعـــدى ... تُخُومٌ بمُخْتَـــطِّ الصليـــبِ وأعمـــاقُ
فيسّرَ لليسْرى وأحيا بـــكَ الـــورَى ... وللروْعِ إرْعادٌ عليـكَ وإبـــراقُ [24]
26/ فجازِ صنيـعَ اللّــه وازدد بشُـــكْرِهِ ... مواهـبُ جودٍ غيثُهـــا الدهـرَ دفّاقُ
وأوْفِ لمَنْ وفَى (٤٤) وكافِ الـذي كفَـى ... فأنْتَ كريمٌ طُهِّرتْ منـهُ (٤٥) أعـــراقُ
وتَهْنيكَ يا مَوْلَـــى الملـــوك خلافـــةٌ ... شجتْها تباريـــحٌ إليـــكَ وأشـــواقُ
فقدْ بلغتْ أقصى المنَى بـــكَ نفسُـــها ... وكَمْ فازَ بالوَصْلِ المُهَنّا مُشْتـــــاقُ
فلا راعَ منها السِّرْبَ للـــدهْرِ رائـــعٌ ... ولا نالَ منها جدّةَ السعْـــدِ إخـــلاقُ
أمولايَ راعَ الدهرُ ســرْبي وغالَـــني ... فطَرْفـــيَ مَذْعـــورٌ وقَلْبِـــيَ خفّاقُ
وليْسَ لكَسْري غيرُكَ اليـــومَ جابـــرٌ ... ولا ليـــدِي إلا بِمَجْـــدكَ إعْـــلاقُ
ولي فيكَ (٤٦) حـــبٌ واعتـــدادٌ غرسْتَهُ ... فرفَتْ به (٤٧) من يانـــعِ الحَمْدِ أوراقُ
وقدْ عيلَ صبْري في ارتقابي خليفـــةً ... تُحَلُّ بـــه للـضُرِّ عنّـــي أوهـــاقُ
وأنتَ حُسامُ الله واللـــــهُ ناصـــرٌ ... وأنـــتَ أمـينُ اللـــه واللـــهُ رزّاقُ
وأنتَ الأمانُ المُسْتجـارُ مـــنَ الـــردَى ... إذا راعَ خطـــبٌ أو تُوُقِّعَ إمْـــلاقُ
وأهْوَنُ ما يُرْجَـى (٤٨) لديكَ شفـــاعةٌ ... إذا لَمْ يكُنْ عـزم حثيـــثٌ وإرْهـــاقُ
ودونَكَها منْ ذائـعِ الحمـــدِ مُخلـــص ... لَهُ فيكَ تَقْييدٌ يـــروقُ وإطـــلاقُ [26]
إذا قــــالَ، إمـــا كُلُّ سمْـــعٍ لقولـه ... فَمُصْغٍ وإمّـــا كُـلُّ أنْفٍ فنشّـــاقُ
ودُمْ خافـــقَ الأعلامِ بالنَّصْـرِ كلّمـــا ... ذهبْتَ لِمَسْعىً لم يكُنْ فيـهِ إخفـــاقُ

وأنشدتُ وزيرَهُ الغالبَ على أمرِه، عُمَرَ بْنَ عبدِ اللّهِ بْنِ عليّ وقد تَقَرَّرَت بيني وبيْنه الصداقةُ قَبْلَ الأمر، وطال تردُّده إلى "سلا"، قَوْلِي : / /27/

(كامل)

حنَّتْ لخُضْرِ رُبىً وزُرْقِ مياهِ … وجآذرٍ منْ قومِها أشْباهِ
فتجاذَبَتْ (٤٩) حبلَ الأزِمَّةِ وانبرتْ … تحْكي البوارِقَ سُرْعَةً وتُضاهي
هلاَّ حنَنْت (٥٠) إلى معاطِنِ أمْنِه … ومقيلِ عزٍّ تحتَ سِدْرَةِ جاهِ
ما بعْدَ جنَّاتِ العُلى مِنْ مَنْزلٍ … إلاّ حمى عُمَر بنِ عبدِ اللّهِ
في حيثُ فاخَرَ بالوزارةِ فاخِرٌ … كَلاَّ وباهى بالعَلاءِ مُباهِ
الواهِبِ الآلافَ غيْرَ مُعيرِها … طَرْفَ الضَّنينِ وإنْ تكُنْ هِيَ ما هي
يَرْمي بِفِطْنَتِه الرجالَ ولَحْظِه … فيميزُ داهِيَها منَ المُتَداهي
سيْفٌ على كَبِدِ (٥١) الخلافةِ صارِمٌ … عَلَمٌ [على] (٥٢) ثوبِ الجلالِ الزّاهي
شَهِدَ العِيانُ بأنَّ عالَمَ مجْدِهِ … في الحسنِ لَيْسَ بعالَمٍ مُتَناهِ
أكْرِمْ بِهِ مِنْ مَوْرِدٍ أو مَصْدَرٍ … أعظِمْ بِهِ مِنْ آمِرٍ أوْ ناهِ
كَمْ دونَ مَوْقِفِ بأْسِه منْ طاعِنٍ … كمْ دونَ منْزِلِ ضَيْفِهِ مِنْ طاهِ
تتضاءَلُ الأعْداءُ فوضَى حوْلَهُ … كاللَّيْثِ كرَّ على قَطيعِ شِياهِ
كَلِفَتْ نفوسُ الناسِ منْهُ بأرْوَعٍ … جَذْلانَ لا بطِرٍ ولا تيّاهِ
مُتَشاغِلٍ بالحزْمِ يَقْدَحُ زَنْدَهُ … لا يُسْتَفَزُّ بعابِثٍ أوْ لاهِ
الرأْيُ تُسْتَدارُ كؤوسُهُ … ومنَ الصهيلِ معازِفٌ ومَلاهِ
أمَّا صلاةُ صلاتِه فَهْيَ التي … قدْ جلَّ فيها عنْ مقامِ الساهي
أمّا إرادتُهُ الدواهي كُلَّما … شَكَتِ المُلوكُ بِمُعْضِلاتِ دَواهي
فترى سياسةَ بَزْرجُمْهِرَ [27] أحكمتْ … أوْضاعُها في بابِ شاهَنْ شاهِ
يا سيِّدَ الوزراءِ يا مَنْ ذِكْرُهُ … كالشَّهْدِ أو أحلى على الأفواهِ
يا مَنْ إذا ما قيلَ : أيَّةُ غِبْطةٍ … وسعادةٍ للمُلْكِ قالَ : أنا هي
سُسْتَ الأمورَ وبَيْتُ مُلْكِكَ قَدْ غدا … صِفْراً وتاهَ الخلقُ أيَّ متاهِ
فقَهَرْتَ كلَّ مُعانِدٍ وسلَكْتَ طُرْ … قَ العَدْلِ بيْنَ أوامِرٍ (٥٣) ونَواهِ
ما إنْ رأيتُ ولاَ سَمِعتُ بِسُفْرَةٍ … فرزانُها [28] نابتْ منابَ الشّاهِ /28/
أنا مَنْ علِمْتَ وفاءَهُ وثَناءَهُ … عِلْمَ اليقينِ المَحْضِ دونَ مُضاهِ
لَمَّا عرفتكَ ما شككتُ بأنّهُ … تَثْرى يَدا أملي ويَعْظُمُ جاهي
أقبلْتُ في وفْدِ الهناءِ مبادراً … ولِيَ الهَنا شُكْراً لفضلِ إلهي
جعَلَ الإلهُ ثَناكَ في الدُّنيا لَهُ … متردِّداً في ألْسُنٍ وشِفاهِ
ويمينَكَ السَّمْحاءَ مُسْتَلَمَ الوَرَى … وحِماكَ مَبْرَكَ آنُفٍ وجِباهِ
وهَمَتْ على مثْواكَ إنْ ضَنَّ الحيا … سُحُبٌ مباركةٌ بفضلِ اللّهِ

المجلسُ السلطاني على رسمِهِ من إفاضَةِ القَبولِ والإحسانِ والاستِحْسانِ، واللّهُ لا يقطعُ عنَّا سَبَبَ فَضلِه.

ومما خَاطبْتُ بِهِ صاحبَ العَلامةِ[29]، وقد أبْهَضَتْهُ كُلَفُ الخلْقِ على يدى، مُداعباً (٥٤).

(خفيف)

سَيِّدي أنتَ عُمْدَتي فاحْتَمِلني   وتَغَمَّدْ بالفضْلِ منكَ جَفائي
/29/ مُبتلىً أنتَ بالبرابرِ والفُـ[30]ـزِّ وأهلِ الجبالِ والصَّحراءِ
وذَوي أينق (٥٥) وأهلِ حميرٍ   ورجالٍ وصبيةٍ ونساءِ
وبوادٍ يجري لكَ الجِلْفُ منهمْ   بكساءٍ طَوْراً ودونَ كساءِ
ترفَعُ الصوْتَ إنْ مررتَ عليهمْ   كالكراكِي [31] أو بنَاتِ الماءِ
وإذا ما اعتذَرْتَ لَمْ يقبلوا الأعذارَ (٥٦) خُصَّ القبولُ بالعُقَلاءِ
وشيوخٍ بيضِ اللِّحَى خضبوا الأرْ   جُلَ مِثْلَ الحمامِ بالحِنَّاءِ
وسُعاةٍ ذَوي اجْتداءٍ وإلحا   فٍ شديدٍ (٥٧) يأتونَ بَعْدَ العشاءِ
وأفاريدَ يسرُدونَ (٥٨) دَوِيّاً   كَدَوِيِّ الرَّحَى عديمَ (٥٩) الغَناءِ
يَكْتُبُ الشَّخصُ منهُمُ ألفَ حوْلٍ   وَهْوَ لا يستبينُ شكلَ الهِجاءِ
غَيْرَ ذالٍ تَرِدُ دالاً وظاءٍ   جُعلَتْ نائباً منابَ الطاءِ
وحبيشٍ كلامُهُمْ يُشْبِهُ الخطا   فَ عندَ انْفِجارِ خيطِ الضياءِ
وتيوسٍ منْ أرضِ أندلُسٍ قَدْ   قصدوا عَن ضرورةٍ وجَلاءِ
كانَ مِنْهُمْ مرزَبَّةٌ (٦٠) [33]وسواهُ   وَهْوَ فيهِم مِن جملةِ الظُّرفاءِ
وذَوُو فديةٍ وقومٌ أَسارى   عَبَروا البَحْرَ رغبةً في الفداءِ
أوْقَحُ القوْمِ ضَجَّتِ الأرْضُ منْهُمْ   نَبَذوا كُلَّ حِشْمَةٍ وحَياءِ
وَسِعَ الخلقَ (٦٢) منكَ خُلُقٌ جميلٌ   وجنابٌ للفَضْلِ رَحْبُ الفِناءِ
وتولَّوا على انفرادٍ يَبُثُّو   نَ وقَدْ أُسْعِفوا حَميدَ الثَّناءِ
مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ سِواكَ على الخِدْ   مَةِ - بورِكْتَ - أو على الثُّقَلاءِ
/30/ إنما أنتَ للبَرِيَّةِ كَهْفٌ   ومَلاذٌ في شِدَّةٍ ورخاءِ
أيْنَ ثِقلي إذا فُرِضْتُ ثقيلاً   وعظيمِ (٦٣) الجفاءِ مِن (٦٤) هؤلاءِ
ومُقامِي نَزْرٌ وأصْرِفُ وَجْهِي   "لسلاً" حيثُ مَعْدَنُ الحُمَقاءِ (٦٥)
خالصاً عِنْدي كُلُّ سِرٍّ وَجَهْرٍ   لَكَ حُبِّي ومِدْحَتي ودُعائي (٦٦)
فأعنِّي واصرِفْ لتَجديدِ ما أصْدرْتَ وجْهَ الأماجِدِ الحُسَباءِ
وأعِدْني لخَلْوَتي عن قريبٍ   لا تُعذِّبْ قَلْبي بطولِ الثَّواءِ
أنتَ أنقذْتَهُ وليسَ لَهُ إلاكَ في كلِّ غايةٍ وابْتداءِ (٦٧)
خَتَمَ اللّهُ الرِّضى يا ابنَ رِضوا   نٍ لَكَ العُمْرَ بعْدَ طولِ البَقاءِ (٦٨)

وصَدَرَ الأمرُ الكريمُ بما نَصُّه (٦٩) :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، نظم العنايةَ ووصلَها، وأجْمَلَ الرعايةَ وفصَّلَها، وأحْرَزَ مواهبَ السعادة (٧٠) وحصلَّها، أمَرَ بإبْرامه، والوقوف عند أحكامه، عبدُ الله، المتوكلُ على الله [محمد] (٧١) أميرُ المؤمنين (٧٢) بْنُ مولانا الأمير أبي عبْدِ الرحمان بْنِ مولانا أميرِ المسلمين، المجاهدِ في سبيل ربِّ العالمين أبِي الحَسَنِ بْنِ مولانا أميرِ المسلمين، المجاهد في سبيل ربِّ العالمين، أبي سعيدٍ بْنِ مولانا أميرِ المسلمين أبي يوسفَ يعقوب بن عبْد الحقِّ، أيَّده الله ونصره، وسنَّى لَهُ الفتحَ المبين ويسَّره، للشيخ الفقيه، الأجلِّ الأسنْى، الأعزِّ الأحظى، الأرفع الأمجد، الأسمى(٧٣)، الأوجَه الأنوه، الأرْقى، العالمِ العلَم، الرئيسِ الأعرف، المتفنِّنِ الأبْرَع، المُصنِّف المُفيد الصدْرِ الأحْفل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله بْنِ الشيخ الفقيه، الوزير الجليل (٧٤)، الأسنْى الأعز، الأرْفَع الأمجَدْ، الوجيه / الأنْوَه الأحْفل، الأفْضل الأكمل، [الحسيب 31 /
الأصيل الأكمل، المبرورِ المرحوم] (٧٥) أبي محمد بن الخطيب - وصل الله عزته، وإلى رفعته، قابلَه، أيَّده الله بوجه (٧٦) القَبول والإقبال، وأضْفى عليه ملابسَ الإنعام والإفضال، ورعى له خدمةَ السَلَف الرفيعِ الجَلال، وما تقرَّرَ من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العالي، وأمر في جملة ما سوَّغه من الآلاء الوارفةَ الظلال، الفسيحةَ المجال، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدِّمِ تاريخُها، المتضمِّنةِ تَمْشية ثلاثمائة (٧٧) دينار من الفضةِ العشرية [34] في كلِّ شهر عن مرتَّب [له ولولَده الذي لنظره] (٧٨) من مَجبى مدينة "سلا" - حرسها الله - ومن حيثُ جرَتْ عادته (٧٩) أن يُتَمَشّى له، ورَفْعُ الاعتراض عنه ببابها فيما يُجلَبُ إلى منزله (٨٠) من الأدْمِ، والأقوات على اختلافها، من حَيوان وسواه، وفيما يستفيدُه [خدامه] (٨١) بخارجها وأحْوازها من عنَب وقطنٍ وكتّان، وفاكهةٍ وخضر وغير ذلك، فلا يُطلَبُ في شيءٍ من ذلك بمغْرَمٍ ولا وظيف[35]، ولا يُتوجَّهُ إليه فيه بتكليف، يتَّصل له حكم [جميع] (٨٢) ما ذُكر في كل عام تجديدا تاما، واحتراما عاما، أعلنَ بتجديد الحُظوة واتصالها، وإتمام النِّعمة وإكمالها، من تواريخِ الأوامر المذْكورة إلى الآن، ومن الآن إلى ما يأتي بَعْدُ على الدوام، واتِّصال الأيام، وأن يُحْمَلَ جانبه فيمن يُشركُه أو يَخْدُمُه مَحْمَل الرعي والمحاشاة من السُّخَر مهما عرضَتْ، والوظائف إذا افْترِضَتْ، حتى يتَّصل له تالدُ العناية بالطارِف، وتتضاعف له أسباب المِنَنِ والعَوارِف، وتُحرَّر له الأزواج التي حَرَثَها بتالمَفْت[36] (٨٣) [من كلِّ وجيبةٍ، وتُحاشَى] (٨٤) من مغرَمٍ أو ضريبة، بالتحرير التام، بحول الله وعونه.

ومَنْ وقف على هذا الظهير الكريم فلْيَعْمَلْ بمقتضاه، ولْيُمْضِ ما أمضاه، إن شاء الله.

/32 وكُتِبَ في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة. / وكتب في التاريخ.

ووقَفَ تشوُّفي إلى تجديد العهد بزيارة (٨٥) المعاهدِ المباركة، والانْتباذ عن مظانِّ الهَرْج، وميادين الفتْنة، فَصَدر في ذلك ما نَصُّه :

"هذا ظهيرٌ كريمٌ، جدَّد العناية وأضْفاها، وشرَع مواردَ الحظوة وأصفاها، وتمم المواهبِ ووفَّاها، وأطْلعَ للمُعْتَمَد به وجوهَ القَبول يروقُ مُجْتَلاها، وعرَّفه عَوارِفَ الإيثار تفوقُ أُخْراها أولاها، أمر به وأوجب العمل بحَسَبه، عبدُ الله، المتوكل على الله، محمدٌ أميرُ المؤمنين، المجاهد في سبيل ربِّ العالمينَ، بْنُ مولانا الأمير أبي عبد الرحمان بْنِ أمير المسلمين، المجاهدِ في سبيل ربِّ العالمين، أبي الحسن بْنِ مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل ربِّ العالمين أبي سعيد بْنِ مولانا أميرِ المسلمين، المجاهد في سبيل ربِّ العالمين، أبي يوسف يعقوب بْنِ عبد الحقِّ - أيَّد الله أوامره وخلَّد مآثره - للشيخ الفقيه، الأجلِّ الأسْنى، الأعزِّ الأحظى، الأرْفَع الأمجد، الأسْمى الأوْجَه، الأنْوَه الأرقى، العالِم العَلَم، الرئيس الأعْرف، المتفنِّن الأبْرع، المُصَنِّف المُفيد، الصدْر الأحْفَل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه الوزير، الأجلِّ الأسْنى، الأعزِّ الأفضل، الحسيب الأصيل، الأرفع الأمجد، الأحفل الأكمل، المبرور المرحوم، أبي محمد بن الخطيب - وَصَلَ اللهُ أثرَتَه [37]، ووالَى رِفعتَه، ومَهَّد (٨٦) له جوانب البرِّ والاهتمام، وجدد ملابس التنويه والإكرام، وأقام على جميل اعتقاده فيه واضحةَ الأعلام، ورعى وسائلَه المَرْعيَّةَ الذمام، ومقاصدَه الكريمةَ الافتتاح والاختتام - ومما امتازَ به من الانقطاع إلى هذه الأبواب اليعقوبية، المخصوصة برَعْي الجوار على مرِّ الأيام، فأحلَّه (٨٧) من بِساطه المَحلَّ الذي يليقُ بمَنْ

/33 تَرفَّع قَدْرُه، وشُهِرَ ذِكْرُه، / واعْتُمِدَ بالرعْي الذي تساوى سِرُّهُ وَجَهْرُه، وجدد له حكم الظهير الصادر له بالإذن في زيارة المشاهد المقصودة، والأماكن المحسوبة المعدودة، والمحالِّ التي يَقْصدُها أهل الفضل والدين، والرَّغْبة في لقاء الأولياء والصالحين، ومُطالعة محاسنِ البلاد، والتَّمتُّع بأفانين الكرامة الواضحة الاشهاد، فلْيعْمل الوجْهَةَ المبارَكَةَ متى شاءَ محمولا على سبيل العنايَة، مُعتمدا بجزيل الكرامَةِ والحفاية، مُوَفَّى الأغْراض من البرِّ، والإجْلال المُستَمِرِّ، مُصْحَبا في الطرق بِمَنْ يُعَيِّن كرامةَ طريقِه، وتَلَقِّي حزْبه بالمَبَرَّة وفريقه، ولْيَعْلَمْ مَنْ يَقِفُ مِنَ الولاة والخُدَّام، وجميع مَنْ لَهُ نَظرٌ في حكمٍ منَ الأحْكام، أننا نوازِنُ بين الأحوال، ونحرص على أن تكون المزيَّةُ لدولَتنا على ما قَبلها في جميع الخلال، والثَّناءُ متصلا على مقامنا مناسباً لما (٨٨) يليقُ به من الأقوال والأعمال، ونَعتَبر ذلك عند عرضه علينا اعتبار الجزاء على التفصيل والإجمال، فَلْيُوَفُّوا الغَرَضَ من بِرِّه وإجلاله على

الكمال، وليَبْتَغُوا به من مقامنا مزيدَ الإنعام والإفضال، حتى يعودَ مُثَلَّج الصدْر بفَضْلِ دَوْلَتنا على ما تقدَّمها، مجتنيا ثمرة مقاصده التي قدَّمها، وخدْمته (٨٩) التي أصلَّها ببابِنَا وأحْكَمَها (٩٠)، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه المستعان.

كُتب في السادس من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة بالحَضْرة العلية، المدينة البيضاء، حرسها الله. وكتب في التاريخ المؤرخ به.

إلى نعمِ سوى ذلك، وعنايات وكرامات، والمَشْكُورُ الله (٩١)، سبحانه. وشرعْتُ في القُفول بَعْد أن تشوَّف (٩٢) إليَّ انْتقالي لِخدْمة البابِ السلْطانيِّ، مطمعا في أقْصى ما تَنتهي إليه وسائلُ الأقلام، ووقعَ من العذرِ والتملُّق في الإعفاء، وتدقيق الأعْذار، ومُختلف التعلُّل، ما سهَّل - والحمد لله - الأملَ، وهنَّأ الصدْرَ، لا أخْدمنا الله غيره، ولا أعدَمَنا سِتْرَهُ، / وحلَّ عن أعناقنا ربَقَ الملَكات، ونكَّب بنا عن مهاوي الهلَكة، بفضْله. / 34

‹القبض على منصور بن أبي علي›

وليوم(٩٣) الوصول، تُعُرِّف ما كان من القبض على الأمير منصور، ابن السلطان، أبي عليٍّ[38] أخي الأمير عبد الحليم، بيتِ القصيد، وناهضِ العُشِّ، إذْ أقْبل من الأندلس مُمداً لأخيه في طائفةٍ من بني مرين المسْتقرِّين فيها ولُمَّةٍ من الكُتَّاب والطلَبَة، كالفقيه، الصدْر، البليغ، المستولي على وافر من الخصالِ نَظما ونثرا وأبهةً، إلى الفروسيةِ وشدَّة (٩٤) الثبات في مواقفِ الكريهة، والتدَرُّب على الغزْو، وبنين له ثلاثة، أوسطهم نابغةٌ من النوابغ، بالغٌ أقصى مبالِغ الإجادة في المنظوم [والمنثور] (٩٥)، يُبرِّح بِلُبِّه عن قفص المكتب.

وصل هذا الأمير مستدْعًى من قبَلِ أخيه عندما استقر "بتازا" واستولى على "مكناسة"، وطَمعَ في إضافة الحَضْرَة، طَرَقَ أسطول إجازته الممدود هول البحر، فألقاه بساحل "غساسة"[40] من إيالة عَدُوِّه، فتُقُبِّضَ عليه وعلى من قصُر عن الفرار إلى الإيالة الزيانيَّة[41]، وأُدْخلَ مدينةَ "فاس" يوم الأحد ثاني ربيع الآخر المذكور، مكبولا، محمولاً على الظهر، غير مغير من شكله، ولا مُهان بنزع وطائه، بين يديه طبولٌ تُشَهِّرُهُ، وشقَّتْ به المدينة بطريق شهرته، فرقَّ له الناس لمكانه من الفضل والخصل، واشتهارهِ بالفُتُوَّة ومماسَّة الأدب، وهو بحال استجماع وثبات، مُلتفتٌ إلى أشكال الأشياء، مُسَلِّمٌ على من بالنوادي والمجتمعات، مُعْمِلُ اللسانَ في تلاوة وذِكْر.

ولَمَّا أُحْضِرَ بين يديْ السلطان، سأله مِنْ وزرائه وحُجَّابِه مَنْ يَرِي [42] بجنبه، والإغلاظ له النفوسَ عن أخيه، واستفهم عن سبب وِجْهَتِه في سبيل التَّعْنيت، فجَدَّ عن نفسه، واعترفَ بوجوب حقِّ السُّلْطانِ وحقِّ سَلَفِه، وشكر ما أظلَّهُ من كفالَةِ جدِّه، وأنَّهُ إنَّما قدمَ وإخْوَتَه على دارِ المُلْك لَمَّا عَلِمُوا عَدَمَ ذُرِّيَّتِه، وانقطاع
/35/ سببه، وخُلُوَّ / الوطن من وَلَدِه، فأما وقد جَبَرَ الله الأمرَ بوَلِيِّه، وأعادَ الحقَّ إلى أهله، فطاعتُهُ متعيِّنَةٌ، وفيئَةُ مَنْ ثار من إخوانه بمُحاولته هو حاصِلَةٌ، وألطفَ القَوْلَ ما شاء، فلانتْ لهُ القلوبُ، وخفَّتِ المَوْجِدَةُ بما أوجبَ تأنيسَهُ، واقتضى (٩٦) ثقافه، مرفَّهاً عليه.

ووافق ذلك وصول شيخِ عرب سُوَيْد، وانْزمار بْنُ عريف [43] والشروعُ في المهادنة، فقَوِيَ الرجاءُ في تسنِّي القرار، وتهنِّي الأمانة، والتفرُّغ إلى مصابَرَةِ ما عسى أن يُنْتِجَهُ تأخُّر الغيث، وفواتُ زَمَنِ البذْرِ، وكانَ مِنَ الأمْرِ ما يُذْكرِ، إن شاء الله.

<انصراف عامر بن محمد إلى مراكش>

وفي عشيِّ الجُمعة قبله، كان انصراف الجيش المراكشي مظاهر الأمير، ومرسي قواعد الدولة، بعد أن فوض إلى عميد (٩٧) وطنه، عامر بن محمد بن علي في قُلِّه وكُثْره، ووقفت حدوده عند إيعازه وإشارته، وقصرت جبايته على ذات يده، وأتبع ولاته وعماله عقبه، وقلَّدُوا طاعته، وأحْرى به أن يقتعد (٩٨) السَّنام والغارب، ويستأثِرَ بالزفْرَة، ويُخصَّ بالتفويض، ويلْقى في يده زمام الملك، ويعقد له تاجُ الإستكفاء، من رجلٍ ثَبْتِ الرأيِ، راجِحِ الحصاة، حسنِ الوجه، بعيدِ الغَوْرِ، مُطبِّق مقاصد السَّداد، ثاقبِ شهابِ الفهم، ملتفت إلى أعقابِ التَّقِيَّة، مستَمتع بالخلاق، طبٍّ بالعِلَلِ، مذيع للنَّصَفَة، فاصلٍ للحكم، مستشعر للهَيْبَة، مُتَوَقِّلٍ هضبة سنن (٩٩) الوقوف، محمود جميع الخلال، رجل المغرب بلا منازعة، فانصرفَ يجرُ الدنيا وراءه معرسا بإحدى بنات ملك "إفريقية" [44] كانت تحت العصمة الفارسية [45]، فصحبته قبل البناء بها، وقد أخذ ظهر ركابها من الزينة ما يستوقف حمولة (١٠٠) فارهةً، وولايا بالأباريق (١٠١) مثقلة، وتجافيف من الحلل مقدرة، وكتيماً [46] مثقل الحلية، وقبَّةٌ أُفرغت على قسيِّها لِياتُ النَّسْجِ المُختلف الزينة، المتخذ من
/36/ خالص السرق [47]، دون (١٠٢) المَناطق والأشمار والأقبية المشهورة / يسيرون حفافيْ محملها الملوكي، في سبيل اقتياده سيرَ النعام إذا سقفت بأجنحتها، وركضتِ الأرض بمقادم سوقها، وتبعها من العقائل حافَّات بهَودجها، ومن اللِّدات والحواضن (١٠٣) والقهارم [48] وعجز التربية ومواشط الزينة ورقيق المهر وخنافس

المطابخ، ما صيَّر الأرض روضا مزهرا، والبطحاء دوحا أنيقا، والتفَّ بمركبها من نساء الخدَّام، وعرائس أمراء العرب على ما يتعلَّق بأذيال هذه الصِّفة، أممٌ من صنف النِّسوان حُزِرَ عددهن بما يُستراب منه في حكايته.

وتمت لهذا الرئيس ألقاب الملك، من إعزاز موكبه بالرماة من المشارقة، وفرسان نصارى السقيفة، ورجال الرقاصة، وجماعة المشاة الأندلسيين المختصين بأبهة الخلافة، والله يُتِمُّ علينا نعمته.

وخاطبته ليلتئذ بقولي (١٠٤) :

(كامل)

يا وارثَ المَهْدِيِّ في الجَبَلِ [49] الـــذي ... فضلَ الجبالَ فكـــانَ مطـــلعَ بـــدْرِهِ
وبه مُصَلاَّهُ (١٠٥) ومدْرسُـــــهُ الـــذي ... أهْدى مِنَ التوحـــيـــد يـــانع زهْرِهِ
أبْشِرْ، فإنكَ بعدمـــا بَعُـــدَ المَـــدَى ... وتـــولَّت الدُّنـــيا، مُـــجَـــدِّدُ أَمـــرِه
واعلَمْ بأنـــكَ أنـــتَ عامـــرُ ربْعـــه ... وأَعْلَمْ بأنـــكَ أنـــتَ (١٠٦) نُكتَةُ سرِّهِ
وإذا بلَغْـــتَ إلـــى مـحلِّـكَ ســالماً ... سلِّمْ لسَعْدِكَ فـــي سعـــادةِ دَهْرِهِ (١٠٧)

‹أحداث أندلسية›

وانعقد بين السلطان المستدعى للأمر بالمغرب، الملقب بالمتوكل على الله، أبي زيان ابن الأمير أبي عبد الرحمان وبين السلطان الهنشه بن هرنده بن شانجه ابن أدفونش، عقدٌ يشتمل على شروط أهمُّها : قطيعة المتغلب على الأندلس، المتوثِّب على ملكها، وإعانة سلطانها / الفاضل الخلال، أبي عبد الله محمد بن / 37
أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، عابر البحر إلى استرجاع حقِّه، والطلب بوتره، وقد تخلَّى له عن مدينة "رندة" وحُصونها، وهي على ما هي من خصب ومنعة، جاور المتغلب [50] منه داءٌ يقطع أبهره على الأحايين، تنغَّصُ بقُرْبِهِ كل لذة محرمة أو مباحة، وجعل يقلب رأسه فوق وساده عند كل نومة، واحْتَجَرَ فلم يُصْحِرْ من لدن ذلك غلْوة [51]، وأكْذب دعواه في المخاطرة، إذْ صارت زَهْرةُ الدنيا وزِبْرِجُ الإمارة مَجْبَنَةً، وقام لمطالبة رسم "برندة" لوفور الخزين، وخلوص الشوكة، وارتاش خاصَّته بولاية تلك الثغور والمسالح، وتبلَّغُوا ببُلالتها، وقنعوا بإسم القيادة منها.

"إذا [ما] (١٠٨) لم تكن إبل فمعزى [52]"

وأسند الظهر من الطاغية إلى هضبة راسية، وعَمَّ الأمر رغبة (١٠٩) الانسحاب والسلم والاختصاص بالهدنة (١١٠)، فامتدّوا وبذّروا، وفلحوا وأتْجروا وتغطَّوْا بجناح الدهر ينظرون إلى حلول النقمة بمن سواهم.

واستقرّتْ لهم أليقاب (١١١) الملك، فاختص برسم الوزارة، الشيخ طُوَيْسُ [53] الوقْت، عليّ بنُ يوسف بن كَماشة، مُدْخل عَدُوّه، وعاقد صفقة الغدْر على خَدِّه، وشاحذ مُدْيَة نحره بيده، ورسول الدائل اليوم في سبيل استئصاله، ومواجهته بالتقريع في دار غربته، والمغري باغْتيابه، والمعين لإثبات موجب خلعه، والمذعن إلى إنبائه بنكايته، وسدَّ في وَجْهه الأبواب معاقلة ومناوشة لحربه المرتجزة بمساوئه وهناته، فقام له بالرسم الوزاريّ، كما اضطرَّ صيَّادٌ إلى صُحبة الكلب، واستعمل في خطة (١١٢) الكتابة، الشيخ الفقيهَ، قاضيه بعد المنوَّه به، ذا السكينة، وربَّ البيت النبيه، والطاهر الشاهد بالخيرية، أبا الحسن النباهي [55]، وقدَّم على

/38/ الجيش بعض الرؤساء من قرابته. وقصده الجيش الغرناطيُّ / فكانت - زعموا - بين الفريقين حرب بان لجمع القلّة فيها الظهور.

ولما وقع العقد بين ملك المغرب، وبين سلطان قشتالة، كان لسلطان الأندلس المستقرِّ "برندة"، أبي عبد الله بن نصر في العقد الغناء والنصحُ والكفالةُ والظهورُ والضمانُ، إلى أن أتمَّ يده (١١٣)، وأبرم بكَدحه وسعيه، وأسف الوزير طويسُ هذا، السلطان المستدْعى للمغرب لما ألزمه في الخفيِّ لنفسه من شروط فيها، تشتمل على نقدٍ وكالىءٍ [56]، وعرض واعتمار، وأطاع فيها داعيَ الهلع، وفاضح الحرص، وأجره السلطانُ في ذلك رسنه، لحاجته إلى خلاص نفسه، فرحل يطوق المذكور كل مذمَّة، ويحمله كل منقصة، وبنيَتْ على ذلك ناجمةُ إحنَة، واتفق القول من حذاق الخاصة على أن تصريد الشراب، وعسْر هذه الإيالة، وركود ريح القوم حظُّ هذه الوزارة الطوَيْسية (١١٤)، وقال بعضهم يخاطب السلطان (١١٥) :

(طويل)

كُما شيكُمْ من أجْله انكمشَ السَّعْـــدُ ... إذا مـــا اطَّرَحْتُمْ شؤْمَهُ أنجزَ الـــوَعْدُ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ للسَّعْدَ في بدْءِ أمــره (١١٦) ... مخيلَةُ نُجْـحٍ كيـفَ تُرْجـى لَــهُ بَــعْدُ
وتصريفُـــهُ المشْؤومُ فَلْتتـــذَكَّروا ... "وما قُلْتُ إلاّ بالذي (١١٧) علِمتْ سَعْدُ" [57]

وقلما انخرمت القاعدة فيما يستحضر لهذا الرجل المحدود، الكَلُّ على مولاه من ‹كل› وجهة، كرسالته إلى السلطان أمير المسلمين، أبي الحسن بين يدي هزيمته "بطريفٍ"، ثم وجهته إليه بين يدي هزيمته "بالقيروان" [59] إلى غيرما كائنة، لا ابتلانا الله بسيء السمات، ولا جعلنا من دواعي النفرات، وعسلنا في الدنيا، وألطف بنا في الآخرة، بفضله.

وكيَّف الله للوَغْد الأغمّ القفَا [60]، مُطَعِّم الإملاء، المتغلب على الأندلس لهذا العهد، وبتاريخ ثاني ربيعي العام المنسوب / إلى ثلاثة وستين وسبعمائة نصرا عزيزا لا كفاء له، لما جاش بحر طاغيتهم، وانتفخ سحرُه، ورأى أن قد ظفرت يده بطائفة من المسلمين يضر بها أخرى، ويرى جشعَه للعقبى، وقد ذمر إليه أمراءه، وأوعزَ إلى «الميشر» الكبير بصدِّه، فنهد (١١٨) إليه نهْدَةً شاتيةً، واقتحم الجهات الشرقية الوادي آشية بمن لفَّ لفَّه من أهل "جيّان" و"أبّدة" و"بياسَة" و"مارْتُش" (١١٩) [61]، وما إلى ذلك الصُّقْع. / 39

فلما أدْرَبَ (١٢٠) [62] وسلك بعض الفوهات والثنايا (١٢١) متوغلا صاح به المسلمون من كل جهة، وتلاحق الجيش الغرناطي، إذ كان مزاح العلل بسبب عين من عيون الروم، أنهى الخبر وأوجب الاستعداد، فمنح الله المسلمين أكتافهم، وأوقعوا بهم وقيعة شنعاء، قدُم بها العهد، وألْحَمَ السيفُ، وملأ الأيديَ السَّبْيُ، وضاق عن الأسر القدُّ، وسيق زعيمهم أسيرا بعد أن هلك عليه حاميته، وخضدت (١٢٢) حوله شوكته. وبلغت هذه الوقيعة من الشهرة والفشو والذياع ما لم تَبلغ إليه كائنة من أعاظم الكوائن ، والله لا يجعلنا إملاء وفتنة، وفقد من المسلمين بها عديد من فرسان رجح، ولا كالقائد الشهم البقية، الحسن الروّاء، الراجح الوِزان، النِّقْب، المرشح للوزارة، بحسن السَّمت، وأصالة الدُّهي، ووقار المجلس، شعيب بن يحيى بن شعيب، الجاري عليه القدر، المنسلخ من آية النجابة ليلة الحادثة على سلطانه وهو مؤتَمنه على لدة الملك، وظئر الإمارة "بمالقة"، فأعلن بدعوة أخيه الثائر عليه [63]، من غير تثبت ولا استكشاف، ولا ركون إلى خاتَم، فتخلفها عارا وشنارا، ولم يزل وَجْهُه بعدها مُسْوداً، وحظُّه ناكصا، إلى أن أتحفه الله بالشهادة عنوانا على تقبل فيئته وغيره من الأنجاد على نزارتهم بباب هذا الدّائل، وخُلُوٌّ مصافُّ الإسلام يومئذ منهم على عهده، / وبسوء تدبيره، ومكذب استغنائه، فكان المنح منغصا، والفتح متنقصا، وشاع استعداد العدو لهذه الوخزة، وقد جللته صغارا عظيما ومخزيةً، واستحشادُه من زُرَّتْ عليه أطواق عمالته الفسيحة، والله يخيب مسعاه، ويعيد المسلمين إلى ما عهدوه من رُحْماه، ويُتِمُّ عليهم بالإيالة المرضية نعماه. / 40

رجع التاريخ

<استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة بفاس>

واستقر شأنٌ إلى هذا العهد مستقرُّه بالمشرق، بعد امّحاءِ رسم الخلافة وخمول الذناب من ولد العباس، فأعمل هذا الوزير فكره فيما يؤمنه بادرة سلطانه، فلم يمكنه من لدن تولج باب القصر من غير راحة يتهناها، وأريكة وثيرة يتوسّدها، وعروس معطرة يتفشاها، وبركة ريانة يقتحمها، وبيت نعيم يستلقي فوق مرمره المفروش ومائه المسكوب، واستلب من كان قد علق بثوبه، من أجل طريقه، أو مدى مراوضته، من مخلب وشوكة، ومتات وذمّة، ممن أمّل الحظّ لديه، ورام التنفّق عنده، فاستظهر على مهمّات أبدى الضرورة إليهم فيها، وصيّرهم منبثين، وللفاقرة مرتقبين، واشتمل عليه أخذا شعاب القصر ونقابه، ومجليا عنه أبواب الحرم من العمات، والنائبات مناب الأمهات، وأولات الدالّة، ومُهديات النصائح، وسكن لصقه، وتوصل إليه في الدّهليز الخفيّ، نافقا من تقدّمه، يباشر منه يقظته ونومه، ويتفقد خلوته، فإذا متع[64] النهار أقعده، بعد أن حوّله رسوما من قول وعمل، يلمّ فيها بعيون مختطفة، بين إفصاح وهينمة[65]، ويفرُّ فيما عداها ما يُطبقُ المقطعَ من لفظ الوزارة، ثم "انكفأ أدراجه" [66]، ووكل به كل غبوق، شاغلا له بالمعاقرة ظهيريه ووليّيْ ثقته رَضيّيْ استخلافه على رسم المنادمة : الشيخ، مُستَظْهر الروم، حُجّة الله في الوَرَق[67]، علىَ الأميّة وجُمود الرُّوح الحيواني، وفقدان الإدراك، وإظلام جوّ النفس الناطقة، عمر بن العجوز، من مسلمة أولئك القُلْب[68]، ويتلوه / الشيخُ السَّفْلَة، البذيء، الصفعانَ، المتوسّل بالعُهْر والضّرّط والمُكاء والتلاعب بخُصْيَيْه، الباجحَ بالنادرة الفاترة، على التبارد والتباغض والشيب وفساد الأسنان وطليعة الخدر، الملعون بكل اعتبار ولغة، إبراهيم بن أحمد البطروجي[69]، فإذا قُضيت العشاءُ الآخرة ترَجْرَجوا بين يدي الثُّمَّل والطفوح إلى منازلهم بعد قضاء حقّ مُغريهم، الوزير وطروقه بتحيّة بيته. /41

وأقام في رسم الوزارة صهره ومنشله من الهفوة، مسعود بن رحو بن علي الفودودي[70]، فوسّطه للناس، واحتجب عنهم، وباشر به حاج خاملهم، وواصل به جناحه، "وأنْفُكَ منْكَ وإنْ كان أجْدَعَ"[71] فصار هذا الأمير مقلّد الأمر المُستدْعى

له، كأنه بمنزلة العباسيّ "بمصر"، المعتام لتمام شرط البيعة، وكمال رسم الإمامة، والوزير الذي حجبه بمنزلة السلطان الأسْفَهْصَلاَر [72] من التُّرك، والوزير مُنْتابُهُ مسعود بمنزلة وزيره المعبَّر عندهم بالصاحب [73].

وكان من الإتفاق إتيان هذا السلطان مُفرغا في أُولِي القوالب بهذا الغرض، وأحسنهم انخراطا في هذا النّمط، وأسهلهم تَأتّيا لهذا القصد خيرية وإقصارا عن الغايات التي تؤدّي إلى المعاطب، ورضى بالبلاغ، وأخْذا بالعفو، واستراحة إلى المناب، والله يُسَوّغ المسلمين سهولة جانبه، ويُعرّفهم الأمنية من تلقائه، ويُجري فيهم الخيرَ على يديه.

هوامش الفصل الثاني

(١) زيادة من ف ٣٦٩.
(٢) بياض بالأصل.
(٣) غير واضحة في "ف"، واحتمل د. العبادي أنها : " أول هذا السفر المسهب وبجانبه"، والأصح ما ورد في المتن لتناسبه مع السياق.
(٤) إلى هنا ينتهي الجزء المشترك مع النفاضة ج ٢.
(٥) م : دخانيه، وهو تحريف.
(٦) يبدو أن هناك لفظة ساقطة قدرناها بما أثبت.
(٧) بياض بالأصل.
(٨) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات في ديوانه : الصيب والجهام ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ممهدا لها بقوله: وقلت وقد رحم الله بالغيث بعد القحط الشديد.
(٩) د ٤٦٩ : الغور.
(١٠) م : النعمن، تصويبه من د.
(١١) م : تجاري الربع، تصحيحه من د ٤٧٠.
(١٢) من د، يقتضيها الوزن.
(١٣) م : سلا، والقرائن تقتضي ما أثبتنا.
(١٤) م : الج.
(١٥) م : متعمله في العماة وما أثبتناه حسب قراءة د. بنشريفة.
(١٦) وردت هذه القصيدة في النفح ٦ / ٨ ـ ١١، وفي الاستقصا ٤ / ٤٦ ـ ٤٨.
(١٧) ن ٨/٦، الاستقصا ٤٦/٤ : عنه.
(١٨) المرجعان : عهد.
(١٩) غير واضح بالأصل، تصويبه من المرجعين.
(٢٠) المرجعان : فترة.
(٢١) ن : وفاض.
(٢٢) م : وشرح.
(٢٣) المرجعان : بسقي.
(٢٤) م : لا يعلم.
(٢٥) المرجعان : رجة.
(٢٦) ن ٩/٦، استقصا ٤٦/٤ : ضوؤها.
(٢٧) استقصا : بالشكر لله.
(٢٨) م : تثبت، تصويبه من المرجعين.
(٢٩) م : ليسوف، وهو تحريف.
(٣٠) م : فايمن مشحون من الفلك سادج، تصحيحه مما ذكر.
(٣١) م : والدماء وهو تحريف.

(٣٢) ن، استقصا ٤٧/٤ : تضل.
(٣٣) ن، استقصا : سمت.
(٣٤) م : يغز، تصويبه مما ذكر.
(٣٥) زيادة مما ذكر.
(٣٦) م : نسلاق، تصويبه من المراجع.
(٣٧) م : وحسبك، وهو تحريف.
(٣٨) م : حربوا.
(٣٩) م : التحصيل، وهو تحريف.
(٤٠) م : إلى، تصحيحه من المرجعين.
(٤١) ن ٦/١٠، استقصا ٤٧/٤ : الذكر.
(٤٢) المرجعان : مارامه.
(٤٣) المرجعان : ما امه.
(٤٤) ن ٦/١٠، استقصا ٤٨/٤ : أوفى.
(٤٥) المرجعان : منك.
(٤٦) ن ٦/١١، استقصا : ود.
(٤٧) المرجعان : فراقت به : ساقطة من م.
(٤٨) ن ٦/١١، استقصا ٤٨/٤ : ترجى
(٤٩) م : فجاذبت، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
(٥٠) م : حنت، وهو تحريف.
(٥١) هكذا في الأصل ولعلها كتد.
(٥٢) زيادة للوزن.
(٥٣) م : وأمر، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
(٥٤) وردت هذه القصيدة في ديوان الصيب والجهام ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩.
(٥٥) م : أنيق.
(٥٦) م : العذر، والأنسب للوزن ما أثبتناه من د ٢٣٧.
(٥٧) من د ٢٣٨، يقتضيها الوزن.
(٥٨) م : يدرسون، تصويبه من د.
(٥٩) د : قليل.
(٦٠) م : مرزية، وهو تصحيف.
(٦١) د ٢٣٩ : كدية.
(٦٢) د : الكل.
(٦٣) د : وكثير.
(٦٤) من د، يقتضيها سياق المعنى والوزن.
(٦٥) هذا البيت ساقط من د.
(٦٦) ترتيب هذا البيت في د بعد البيتين التاليين.

(٦٧) هذا البيت ساقط في د ٢٣٩.
(٦٨) م : لك بعد طول عز البقاء، والأنسب ما أثبتنا من د لتلاؤمه مع الوزن.
(٦٩) ورد هذا الظهير في الاحاطة مخ الاسكوريال ٤٣٢/١، وفي ط. القاهرة ٤٥٥/٤ ـ ٤٥٧، وفي النفح ٥/٦ ـ ٦، وفي الاستقصا ٤٨/٤ ـ ٤٩.
(٧٠) م : السعاد.
(٧١) زيادة مما ذكر.
(٧٢) ح س ٤٣٢ : المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين.
(٧٣) المراجع : الأسنى.
(٧٤) ح ٤٣٢، ن : الأجل.
(٧٥) مما ذكر.
(٧٦) م : بوجهه، وهو تحريف.
(٧٧) ح س ٤٣٢، ن ٥/٦، استقصا ٤٩/٤ : خمسمائة.
(٧٨) زيادة من المراجع.
(٧٩) المراجع : العادة.
(٨٠) إلى منزله ساقطة من المراجع.
(٨١) زيادة مما ذكر.
(٨٢) من المراجع.
(٨٣) ن، استقصا : يحرثها بتالماغت، وفي ح س : يحرثها بتالغت، وفي ط. القاهرة ٤٥٦/٤ : يحرثها، تبالغت، وهو تحريف واضح.
(٨٤) زيادة من المراجع المذكورة.
(٨٥) م : بزيادة، وهو تحريف.
(٨٦) م : مهد، زدنا واو العطف للسياق.
(٨٧) م : فأحلوا، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٨٨) م : لمن، وهو تحريف.
(٨٩) م : خدمة، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٩٠) م : وأحكامها، والأنسب للسياق ما أثبتنا.
(٩١) م : والمشكور لله، ويمكن قراءتها : الشكور لله أو المشكور الله.
(٩٢) م : تشرف، وهو تحريف.
(٩٣) م : واليوم.
(٩٤) م : وشره، وهو تحريف.
(٩٥) بياض في الأصل قدرناه بما أثبتنا.
(٩٦) يفهم من السياق أن الناسخ اسقط لفظة.
(٩٧) م : عمير، وهو تحريف.
(٩٨) م : وأجريه أن يعتقد، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
(٩٩) م : هضبه سن.

(١٠٠) م : حموله.
(١٠١) م : بالإبريق، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(١٠٢) م : دور، وهو تحريف.
(١٠٣) م : اللذات والحواضر، صوابه ما أثبتنا.
(١٠٤) وردت هذه الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٥٠٦.
(١٠٥) د ٥٠٦ : ويمصلاه.
(١٠٦) زيادة من د يقتضيها الوزن.
(١٠٧) د : أزمة أمره.
(١٠٨) ساقطة من م.
(١٠٩) م : رعية.
(١١٠) م : الهندة، وهو تحريف.
(١١١) م : انيقاب، صوابه ما أثبتنا.
(١١٢) م : خطت.
(١١٣) هكذا بالأصل، ولعلها تم ما بيده.
(١١٤) م : الطوسية، تصويبه ما أثبتنا لأنها نسبة إلى طوس.
(١١٥) الأبيات لابن الخطيب وقد ثبتت في : النفاضة ٢/٣٦٢، الاحاطة مخ. المعهد المصري، ل ٢٩٩.
(١١٦) ن : ومن لم تكن للسعد عنده.
(١١٧) م : التي، تصويبه من المرجعين.
(١١٨) م : فهذا، وهو تحريف.
(١١٩) مارنش، وهو تصحيف.
(١٢٠) م : أدوب، تصويبه ما أثبتنا.
(١٢٢) م : واشنايا، والسياق يقتضي ما أثبتناه.
(١٢٣) م : وحضرت.
(١٢٤) م : يتوسد، ولعل الأنسب للسياق ما أثبتنا.
(١٢٥) م : انكف، تصويبه ما أثبتنا.

تعليقات الفصل الثاني

[1] الشهباء : المجذبة. ـ الاضحائية : المشمسة.

[2] الطاعون الأسود : بدأ ظهوره في آسيا الوسطى سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م، واكتسح أوربا وشمال إفريقيا، وقد ألف فيه ابن خاتمة وسالته تحصيل غرض المقاصد في المرض الوافد، كما ألف فيه ابن الخطيب رسالته مقنعة السائل عن المرض الهائل. أنظر (أومليل : الخطاب التاريخي ص ٨٨ – ٩١.

R. Ariè, "Un opuscule grenadin sur la peste noire de 1348 : la "Naṣīha" de Muhammad Šaqūrī", Boletín de la Asociación Española de Orientalistas, 1967, pp. 189-199.

[3] الأرجل : من الذواب ذات الترجيل وهو بياض في إحدى قوائمها.

[4] السنابك : ج. سنبك، وهي الأرض القليلة الإنتاج.

[5] الهيدب : من السحاب، المتدني من الأرض حيث يرى وكأنه خطوط عند انصباب المطر.

[6] اللأواء : ضيق المعيشة.

[7] القطار : من الإبل، مجموعة يلي بعضها بعضا على نسق واحد.

[8] الأوقار : ج. وقر، السحاب المثقل بالمطر.

[9] درعة : تقع جنوب المغرب الأقصى وراء جبال الأطلس الكبير، وقد كانت مركزا علميا ومحطة تجارية. أنظر (نزهة المشتاق ص ٦١. ـ الروض المعطار. تح. إحسان عباس ص ٢٣٥).

[10] عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا محمد، ويلقب بالمؤيد بالله، وهو ابن عم السلطان أبي سالم، كان لاجئا إلى الأندلس هو وإخوانه، وقد بعثهم أبو سعيد البرميخو للمطالبة بحقهم في الملك وإثارة الفتنة ضد أبي سالم كرد فعل لمساعدته محمدا الخامس. أنظر (ـ العبر ٤٦٨/٢. ـ النفاضة ٣٠٦/٢، ـ اللمحة ص ١١٨–١١٩، ـ الاحاطة ٥٢٩/٣ ـ ٥٣٣).

[11] سجلماسة : عاصمة إقليم تافيلالت، وقد كانت تعتبر من أعظم المدن الإسلامية. أنظر (معجم البلدان ١٩٢/٣. ـ صبح الاعشى ٥ / ١٦٣).

[12] الرضخ : العطاء القليل.

[13] البلد الجديد : فاس الجديد، وقد وضع حجره الأساسي يوم ٣ شوال ٦٧٤ هـ / ٢١ مارس ١٢٧٦ م في عهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أنظر تفصيل ذلك في (ـ ورقات المنوني ص ١٥ ـ ٨٥. ـ وصف إفريقيا ص ٢١٨).

[14] يقصد السلطان أبا زيان المريني.

[15] الهرج : شدة القتل وكثرته.

[16] إصفاق : اتفاق وإجماع، وفعله اصفق.

[17] يقصد عمر بن الخطاب ومحمد رسول الله (صلعم).

[18] آل يعقوب : نسبة إلى يعقوب بن عبد الحق بن محيو أبي يوسف المريني ٦٠٩ هـ ـ ٦٨٥ / ١٢١٢ ـ ١٢٨٦م. أنظر (روضة النسرين ص ١٧ ـ ١٨).

[19] الدأماء : البحر.

[20] تقويم : تحديد مواقع النجوم في زمن معين.
- جداول : ج جدول، وهو مصطلح فلكي يطلق على رسم يعين مواقع الأفلاك. أنظر (دوزي ١٧٦/١).
- أوفاق : ج. وفق، وهي مربعات تحتوي خانات تملا بحروف وأرقام. أنظر (دوزي ٢٢٤/٢).
[21] وخْد : ووخيد ووخَدان، وخد البعير : أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام.
- أعناق : اعنقت الدابة، إذا سارت سيرا واسعا.
[22] أشارة إلى قوله تعالى : "خذ العفو وأمر بالعرف". أنظر سورة ٧ (الاعراف)، آية ١٩٩.
[23] طسم وعاد وعملاق : قبائل من العرب العارية البائدة التي تمت إلى الجاهلية الأولى. أنظر (كحالة : معجم قبائل العرب ٦٨٠/٢، ٧٠٠).
[24] ارعاد وابراق : تهديد ووعيد، ويقال : "ابرق وارعد". أنظر (زهر الأكم ٢٨٣/١).
[25] اوهاق : ج. وهق، وهو حبل في طرفه انشوطة يوضع في عنق الدابة لتقاد.
[26] تقييد وإطلاق : من مصطلحات الأصوليين، التقييد : ذكر الإسم مقيدا بنعت أو شرط إلخ... والإطلاق : ذكره مجردا.
[27] بزرجمهر : وزير اشتهر بحكمته في عهد أنوشروان.
[28] السفرة : رقعة الشطرنج.
- الفرزدان : ج فرازين، وهي الملكة في لعبة الشطرنج، وفرزانه : كلمة فارسية تعني حكيم أو عالم أو محترم، لكن المعنى الأول هو المقصود. أنظر (المعجم في اللغة الفارسية ص ٢٤٠).
[29] صاحب العلامة : أبو القاسم بن رضوان، سبقت ترجمته.
[30] الغز : أو الأغزاز، ينتمون إلى جماعة الأتراك المصريين الذين دخلوا شمال إفريقيا في عهد الموحدين، وقد رتبوا في الجيش النظامي في فترة المرينيين. أنظر (- المعجب ص ٢٨٨. - ورقات المنوني ص ٧٠).
[31] الكراكي : طائر يشبه اللقلق. أنظر (عجائب المخلوقات ص ٤٦١).
[32] افاريد : ج. افريد، وهو الطالب أو التلميذ.
[33] مرزبة : هو محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النون التغلبي، ويعرف بابن الرمالية، من أهل غرناطة، ويطلق على أبنائه بنو مرزبة، أنظر (الاحاطة ٢٦/٣).
[34] الدينار الفضي : يزن ثمانية حبوب من الشعير، وهو في تجزئته مماثل للدينار الذهبي. أنظر (ورقات المنوني ص ٩٨).
[35] مغرم : ضريبة نقدية. أنظر (دوزي ٢٠٩/٢).
- وظيف : ضريبة تفرضها الدولة. أنظر (دوزي ٨٢٠/٢).
[36] الأزواج : ج زوج : كل واحد معه آخر من جنسه وتطلق على الحيوانات التي تستعمل للحرث، أما هنا فيقصد بها الأفدنة.
- تالمغت : أو تالماغت، وتنطق أيضا تالمخت، وهي منطقة زراعية خصبة، توجد بزعير ناحية الرباط. وقد ثبت في الاحاطة، مخطوطة الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤٣٢، اسم المنطقة "تالغت"، وهذه الأخيرة تنطق تالغت أيضا وتوجد بنواحي الصويرة، لكن الأرجح المنطقة المذكورة سابقا لقربها من سلا سكن ابن الخطيب.

أنظر (ـ التشوف ص ٢٩٠. ـ الاستقصا ٤٩/٤. ـ مناهل الصفا ص ٥٠. ـ أعمال الاعلام ٢٧٠/٣. الاحاطة ٤٦٥/٤).

[37] اثرة : مكرمة متوارثة.

[38] منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا علي، كان لاجئا إلى غرناطة مع إخوانه وبني عمه فلما قدم أخوه عبد الحليم إلى المغرب وبايعته بعض القبائل، أتى مناصرا له في أسطول من الأندلس، لكن الوزير عمر بن عبد الله دافع عن فاس واستقدم أبا زيان الذي كان لاجئا إلى قشتالة فانهزم عبد الحليم وقبض على منصور في ربيع الثاني ٧٦٣ هـ / فبراير ١٣٦٢م أنظر (الاحاطة ٢٩٨/٣، المتن لوحة ٣٥).

[39] لعله يقصد أبا القاسم محمد بن قطبة الدوسي، وهو من غرناطة، فقيه كاتب شاعر، له ثلاثة أبناء منهم أبو بكر محمد الذي صاحب منصور بن عمر ـ السابق الذكر ـ في رحلته إلى المغرب. أنظر (ـ الاحاطة ٢/ ١٨٢، ٢٥٠ ـ ٢٥١، ٣٩٩/٣. ـ الكتيبة ص ٢٧٢).

[40] غساسة : مدينة تقع على البحر المتوسط غرب مليلية بنحو ٢٥ كلم، ولها ميناء، وقد اندثرت الآن. أنظر (ـ وصف إفريقيا ص ٢٦٦. ـ العبر ١٠١/٦. ـ الاستقصا ١١٧/٣).

[41] الايالة الزيانية : دولة بني عبد الواد، وهم من بطون زناتة قامت دولتهم على يد يغمراسن بن زيان سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥م بالمغرب الأوسط، وكانت عاصمتها تلمسان. أنظر أخبارهم بتفصيل في (ابن خلدون أبو يحيى : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. ـ روضة النسرين ص ٤٤ ـ ٦٠).

[42] يرى : ورى الزند، خرجت ناره، ويقصد به هنا يحرض.

[43] ونزمار بن عريف بن العربي السويدي، من أمراء سويد بشرق المغرب، كان حيا سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م. أنظر (العبر ٥٧٠/٧ ـ ازهار الرياض ٢٢٨/١).

[44] إفريقية : كانت تطلق على المغرب الأدنى (تونس حاليا).

[45] العصمة الفارسية : بعض المؤرخين ذكروا أن عامرا تزوج بنت الملك الحفصي التي توفى عنها أبو عنان فارس، بينما ابن خلدون اثبت أن المصاهرة تمت بين أبي الحسن والحفصيين فقط، وقد أشار الأستاذ المنوني إلى سفارة أبي زيان عريف بن يحيى السويدي إلى تونس عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م ليخطب بنت الملك الحفصي أبي يحيى للسلطان أبي الحسن. أنظر (ـ إبن إبراهيم : الاعلام ٤١٦/٤. ـ الاستقصا ٤١٦/٤. ـ العبر ٢٦٧/٧. ـ ورقات المنوني ص ١٥٦ ـ ١٥٧).

[46] الكتيم : الجمل الذي لا يرغو.

[47] السرق : ج. سرقة بفتح السين والراء، القطعة من الحرير.

[48] القهارم : ج. قهرم أو قهرمان، وهو الوكيل.

[49] المهدي : يقصد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م. أنظر أخباره بتفصيل في (البيدق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين، الرباط ١٩٧١).

ـ الجبل : جبل درن، وهو الأطلس الكبير الذي انطلقت منه دعوة الموحدين، ويرى ابن الخطيب أن عامرا بحكم انتمائه إلى قبيلة هنتاتة "مصمودة" التي تستوطن جبل درن ولكونه شيخها فهو وارث مجد الموحدين. أنظر (ـ ابن عبد الله : المعجم التاريخي ص ٩. ـ أومليل : الخطاب

التاريخي ص ١٤٥ ـ ١٤٦).
[50] المتغلب على الأندلس : هو أبو عبد الله محمد السادس بن إسماعيل بن فرج بن نصر، ويعرف بأبي سعيد البرميخو، ابن عم محمد الخامس الغني بالله، ساعد إسماعيل على الثورة ضد أخيه الغني بالله، ثم قتله واستولى على ملك غرناطة في ٢٧ شعبان ٧٦١ هـ / ١٣ يوليو ١٣٦٠م، ولما استرجع الغني ملكه فر إلى قشتالة فقتله "Pedro el Cruel" بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣ هـ / ١٧ مارس ١٣٦٢م. أنظر (ـ الاحاطة ٥٢٣/١ ـ ٥٢٧، ـ اللمحة ص ١٢٨ ـ ١٢٩.
ـ العبادي : "فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، ٧، (١٩٥٩)، ص ٤٣ ـ ٣٧).
[51] غلوة : مسافة تقدر بحوالي ٢١م.
[52] "إذا لم تكن إبل فمعزى" : صدر لبيت امرئ القيس عجزه :
"كان قرون جلتها العصي"، وهو من انصاف البيوت التي تجري مجرى المثل، ويقصد به، اقنع باليسير. أنظر (ـ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣٣٣/٣،
ـ مجمع الأمثال ١٩٦/١ رقم ١٠٣٤).
[53] طويس : هو عيسى بن عبد الله أحد مغني الحجاز المشهورين في عهد الدولة الأموية، يضرب به المثل في الشؤم فيقال : "اشام من طويس". أنظر (ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٣/٣. ـ مجمع الأمثال ٢٥٨/١ رقم ١٣٦٦).
[54] علي بن كماشة. أنظر(ص ٣٧/٤١).
[55] أبو الحسن النباهي (٧١٣ ـ بعد ٧٩٢هـ / ١٣١٣ ـ بعد ١٣٨٩م)، هو علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي، من قضاة غرناطة وادبائها المشهورين. أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ٣٠٦/٤).
[56] كالئ : سلفة.
[57] "وما قلت الا بالذي علمت سعد"، سبقت الإشارة إليه.
[58] المحدود : الممنوع من الخير.
ـ الكل : بفتح الكاف وتشديد اللام، ثقل على صاحبه.
[59] يشير إلى واقعة طريف الشهيرة التي انهزم فيها أبو الحسن والجيش الغرناطي سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م. أنظر (ـ العبر ٢٦١/٧.
L. Seco de Lucena, "La fecha de la batalla del Salado", Al-Andalus, XIX, (1954), pp. 228-231.
ـ إشارة إلى هزيمة أبي الحسن بالقيروان لما ثار عنه ابنه أبو عنان فارس سنة ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م. أنظر (ـ ابن خلدون أبو يحيى : بغية الرواد ٢٧٢/١. ـ الاستقصا ١٥٨/٣).
[60] أغم القفا : كثير شعر القفا، وهو مذموم عند العرب.
[61] جيان : (Jaèn) وهي مدينة شهيرة بالأندلس، تبعد عن غرناطة بمسافة ٩٧ كلم. أنظر (الخريطة).
ـ ابدة : (Úbeda) وفي الروض المعطار بالذال معجمة، وهي مدينة صغيرة قرب النهر الكبير. أنظر (ـ معجم البلدان ٧٣/١. ـ الروض المعطار، نشر ليفي بروفنسال ص ١١. ـ الاحاطة ٥٥١/٤).

- بياسة : (Baeza) تقع على مرتفع مطل على النهر الكبير قريبا من أبدة. أنظر (- معجم البلدان ١ / ٤١٨. - الروض المعطار، نشر ليفي بوفنسال ص ٥٧).

- مارتش : (Martos) حصن يقع جنوب غرب جيان بمسافة ١٧ كلم. أنظر (- جغرافية الأندلس وأوربا ص ١٢٦. - ابن حيان : المقتبس ٦٥/٥).

[62] ادرب : دخل إلى أرض العدو.

[63] يقصد إسماعيل بن يوسف النصري أخا الغني بالله (٧٤٠ - ٧٦١هـ/١٣٣٩- ١٣٦٠م). أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ٣٢٨/١).

[64] متع النهار : بلغ غاية ارتفاعه.

[65] هينمة : كلام خفي لا يفهم.

[66] انكفا ادراجه : رجع من حيث أتى، وهو اقتباس من المثل، "رجع ادراجه". أنظر (مجمع الأمثال ٢٩٥/١ رقم ١٥٥٨).

[67] الورق : بفتح الواو والراء، معناها الخسة.

[68] عمر بن العجوز : أحد خدام الدولة المرينية. أنظر (العبر ٥١٦/٧).

- المسلمة : أو المسالمة، وهم الذين اعتنقوا الإسلام حديثا من يهود أو نصارى. أنظر (دوزي ٦٧٩/١).

- القلب : المحتال.

[69] إبراهيم بن أحمد البطروجي، من الرماة الأندلسيين، وقد كان قائدا لجند الرجل الأندلسيين في المغرب. أنظر (- النفاضة ٣٣٢/٢. - الاستقصا ٢٤/٤. - ابن عبد الله : الموسوعة المغربية ٨/١. - المنوني "قطعة عن نشاط الرماية بالجنوب المغربي"، مجلة الباحث، ١، (١٩٧٣)، ص ١ - ٢٧).

[70] مسعود بن رحو بن علي، كان وزيرا لأبي سالم، ثم تولى الوزارة في عهد أبي زيان، قتل سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م. أنظر (- التعريف ص ١٢٠. - روضة النسرين ص ٣١ - ٣٢. - الاستقصا ٤١/٤).

[71] تضمين للمثل : "منك أنفك وإن كان أجدع"، ويقال فيمن يلزمك خيره وشره. أنظر (- فصل المقال ص ٢١٧. - زهر الاكم ٩٨/١). - مجمع الأمثال ٢ / ٢٩٨ رقم ٤٠٠٧.

[72] الاسفهسلار : لقب من ألقاب أرباب السيوف. أنظر (صبح الأعشى ٧/٦).

[73] الصاحب : من ألقاب الوزراء، ويختص بأرباب الأقلام، انظر (صبح الأعشى ١٦/٦).

الفصل الثالث

<رحلة ابن الخطيب إلى مراكش>

فصل :

وكان خروجنا لمراكش يوم السبت الثالث والعشرين لربيع الآخر من العام [1]، والنزول بعين غبوله (١) [2]، في مضارب الأنس والتشييع بأنعم ليلة أمر حلاوتها فراق الغد، ومضاضُ فطام الألفة، وتضمنت هذه الحركة رحلة لم تقع العناية باتصال أخراها بأولاها، لكونها كانت خداجا [3]، إذ لم ألف لرقية العناية الإلهية جنا يصغي أو علة تشكى ولا حللت حيا يحفل بمن يذمُّ أو يُثْني، أو يَهْدم أو يَبْني، ولا اجتليْتُ مخيلةً / عن المروءة تُنْبي (٢) : /42/

(وافر)

تغيَّـــــرَتِ البِـــلادُ ومَـنْ عَلَيْهـــا ... فــوجـــهُ الأرض مُغْبرٌّ قبيـــحُ [4]

والناس يموجون بين منتفخٍ سَحْرُه، سامٍ لما يناله طرفُه، وسائل من الذعر سلْحُه، ومُصْغٍ إلى نداء أول الحشر سمعه، وراعيٍ بَهْم أهَمَّتْه نفسه، وأمراء العرب (...) (٣) أبا المثْوى، ومرْمَى عصي النوَى، أسْماءٌ دون مُسَمَّى، وألفاظ بلا معنى، وسباعٌ قد أخْصَبُوا من سلب قومهم. وارتاشوا [5] من بحار عيصهم، وامتصُّوا (٤) عظام عشائرهم، لا يرجعون فيها إلى سياسة ناظمة، ولا شريعة حاكمة، ولا عفافٍ وازعٍ، ولا خوْف من الله رادع، يصطفُّون كُراعهم للامتطاء، ونعاجهم للامتشاش، وحبوبَهم للعلَفَة والثُّرْد، وسمْنهم للائتدام (٥)، ويجلبون(٦) عليهم الضَّغط في قُطعان الإثارة (٧) [6]، ومُفترض(٨) الخَراج وثُقيل الإتاوة (٩)، فتراهم سكَارى، وللفرَج حَيارى، يترامَوْن بأبوابهم "شاكيةً جَرحاهُم إلى الغربان والرُّخم [7]"، تنظر الأيِّمُ البادي هَنُها إلى سمْل سُترتها فوق ظهر وصيفة الشيخ، وإلى طحينها في قِصْعَة ضَيْفه، وإلى نَعْجتَها الحبيبَةِ (١٠) إلى فُؤادها وكُراعها مِشاشَ فَكَّى وليدته،

فلا تتمالك نفسها أن تسيل في جميل صُراخها فلا تجلو زرافاتهن إلا الزُّباد الذي يتقصدُ [8] عَصيَّه فوق المفارق والأنوف، وقد تأذّن الله بنَصر المظلوم، وإن طالَ المَدى وتراخَى طولُ الإملاء، لا إله إلا هو.

فأنفتُ من اقتحام حدودهم التي لا تلوح بأعلامها هيْبة المُلك، ولا تخْفق فوق سبلها ألوِيَة الأمنَة، واغْتنمْت ذَنَبَ كبيرهم إليّ، مبارك ابن ابراهيم بن عَطيَّة أمير عرب الخُلْط [9]، الرحْب الوسيعة، الكُثْر الرماد، في مثل هذه السبل المذمومة، وقد
/43/ تأخر عنّي لقاؤه وإصْحاره بياضَ اليوْم، يوْمَ وصولي معتذرا / ببعض يُقبَل، وإن لم يتأخر طعامه وبِره، "فاتخذت الليل جملا [10]"، وطيَّر ثقاته إلي باستقالته من الهفوة واستعتابه، وتقرير عظيم موقع هذه النفْرة على نفسه، وجنايتها على عرضه، فلم يجدوا بي مَغْمَزا، ولا في استرجاعي مطْمعا، وعرضوا ما أصْحبهم من ملاطفة، فسدَّتْ الأليَّةُ سبيل قَبولها، والله يُعزُّنا بعزّ القُنوع، ويبتُّ آمالنا عن غيره. ولحقت "بسلا" لأيام عشرة.

وخاطبت المقام السلطاني بما نصه (١١) :

(كامل)

أبقــاكَ ظـــلاًّ للعبــاد ومَلْــجأً	وأعانــكَ الرحْمــانُ مــنْ سلْطــان
قَدْ زيـّن الدُّنــيا بنُـور جَمــالِـهِ	فلــذاكَ مــا يُدْعَــى أبــا زَيَّــانَ

مولايَ سلطان الإسلام، مختار الملك العلاَّم، المُسْتخلَص رَحْمَة لعباد الله من أيدي عَبَدَة (١٢) الأصنام، الذي أحْسَنَ الله خَلْقَه (١٣) الزكيَّ وخلْقَه، ورَحمَ به خَلْقَه (١٤)، وسوّغه إرثه من وراء البحار الزاخرة، والأمم الكافرة، وأورثه حقه، المولى الهمام، الخليفة الإمام، أبو زيان ابن مولايَ وليِّ العهد، وفارع هَضبة المجد، المقدس، المطهر، المعلم بشيم الكرم المشهر، أبي عبد الرحمان ابن مولاي كبير الملوك وإمامها، وعلم أعلامها، الإمام الكبير، الخليفة الشهير، المعظم المقدس، أبي الحسن ابن موالينا الأئمة المُهتدين، والخلفاء من بني مرين، أبقاه الله متمتعا بالملك الذي ألبسه خلّته، وشفَى به غلّته، وجعله في عقبه باقيا، وكان له فيه حافظا واقيا، عبدكم الذي أمِنَ عُدوان الدَّهر في ظلكم، ونشَقَ نسيم الرحمة من جانب فضلكم، وتعرّف من ضروب نعِمكم الكريمة الأنواع والأجناس، واستضاء من حبُكم وطاعتكم "بنور يمشي به في الناس [11]"، ما أوجب أن يُتَمثَّل بقول أبي نواس [12] (١٥) :

(طويل)

/ 44 عَلِقْتُ (١٦) بحبلٍ من حِبالِ محمَّدٍ أمنتُ بهِ مِنْ طارقِ (١٧) الحدثانِ
تغطيْتُ منْ دهري بظلِّ جناحِهِ فعيْني ترى دهري وليسَ يراني (١٨)
فلَوْ تسألُ الأيامَ ما اسْمي لما درتْ (١٩) وأيْنَ مكاني ما عرفنَ مكاني

يسلِّمُ على المقامِ المولَويِّ سلامَ العبودية الثابتة الرَّسم، ويتطارح على تقبيل تراب ذلك البساط بالروح قبل الجسم، ويسأل الله لكم وفور الحظِّ من السعادة والقَسْم، ويطالعُ بأنه انصرف بنيَّة الرحيل إلى مراكش، وأهم الأغراض : أن يلتمس الدعاء لمقام مولاه من المَشاهد المشهورة بقَبول السؤال، المتكفلة ببلوغ الآمال.

فلما توسَّط "تامسنا" [13] شَعُر بالضَّعف عن الحركة، وأحس بأسباب المرض منفردة ومشتركة، فانكفأ راجعا، مستعينا بالله وببركة المولى الذي عرفْتُ رحمته، وغمرت (٢٠) في الظَّعْن والإقامة نِعْمَتُه، خوفا من ألم يستحكمُ أو مرض يُسْدي في هذه البنية الضعيفة ويُلْحم [14]، ونرجو الله أن تقتضي لكم الدعاء من هذا الوليِّ [15] الذي مَنَّ الله بجواره، وجعلهُ من بركات هذا البلد وآثاره، وإلى أن يتيح الله تعالى نشاطا مستأنفا للحركة التي كان قد أزمَعَها، وييسِّر الإعانة ويسوِّغ مشرعها. وقد كان للعبد عَنَّ برحلة تصف المراحل والمنازل، والحادي والنَّازل، مطرَّزة باسمكم السعيد، مشرَّفة [بذكركم الحميد، حسبما تتضمنه أفذاذ بعث العبد شيئا (٢١)] من فصولها وفروعها وأصولها، تقرر أن الحركة والسُّكنة بالخدمة معمورةٌ والنفس مسخَّرة في خدمة المولى - أيده الله - ومأمورَة، وهو - جل وتعالى - المعينُ على لازم العبودية لخلافتكم (٢٢) المولوية. والسلام الكريم على مولاي ورحمة الله وبركاته.

من الرحلة المشار إليها (٢٣)

لما خفَّ عبد مَقامه صحبة وفد طاعته، ومقدِّم سُنَّة أمره العزيز وجماعته،
/ 45 باذلا في البدار / جُهْد استطاعته، طائرا بجناح الحُبِّ لأول أمر الإمكان وساعته، فرأى السرير قد استقلَّ به عاصبُه، والمُلْك قد تقررت مناصبه (٢٤)، فأدى الفرض، وقرض فأحسن القرض، وعرض كتائب المدح فاستوعب العرض (٢٥)، وملأ بها الأرض، وصدر قافلا، وفي ثياب العزِّ رافلا، واقتضى من إذنه في زيارة البلاد

المراكشية ما يُهدي لمن غاب (٢٦) خلال كماله، ويهني العباد بتمام الأمر ونُجح ماله، ويلتمس بركة الضريح [16] الذي يحسب الراغب بآماله، وظهر له أن يُدَوِّن (٢٧) رحلةً وجهته المنسوبة إلى عناية أمره، ويفتق كمامة فخرها عن زهره، مستعينا بالله في سره وجهره. فقال :

"خرجنا من أم القرى، ومجمع الورى، وكعبة السير والسّرى، مدينة "فاس" دار الملك الأصيل، والعز المشرف التليل، حيث القصور البيض، والمُلْكُ الطويل العريض، والأبواب المحروسة، والبساتين المغروسة، والمياه المتدفّقة، والجنود المرتزقة [17]، والمباني العظيمة، والرباع المرتفعة (٢٨) عن القيمة، والدين والدنيا، من غير شرط ولا ثُنيا، حرسها الله وكلأها، ووفر - وقد فعل - ملأها، نلتفت إلى معاهد السادة، وعِلَق الودادة، ومراقِب أُولي الإجادة (٢٩).

(طويل)

هُمُ أسكنونا فـي ظـلال بُيوتِهِمْ ظـلالِ بيـوتٍ أدفـأتْ وأكَنَّـتِ
أبَوْا أنْ يملّـونا ولَـوْ أنَّ أمـنّـا تُلاقـي الـذي لاقَوْهُ منّا لَمَلّتِ (٣٠) [18]

وشَيّعنا - ممن كرُم ذمامه، وعُرف بِرَبْع الوفاء إلمامه - جملةٌ من الصدور، والشموس والبدور، تذكرت عند وداعهم المهيج للشّكاة، والمدامع المشتبكات (٣١)، قولَ شيخنا أبي البركات [19] (٣٢) :

(سريع)

يا مَـنْ إذا مـا رُمْـتُ توديعـهُ ودّعْـتُ قَلْبـي قبـلَ ذاكَ الـوداعْ
/46 وبِـتُّ ليلـي ساهـراً حائـراً أخـادعُ النفْسَ بِبَعْضِ الخِـداعْ (٣٣)
يـا مِحْنَـةَ النفـسِ لمألوفِـها (٣٤) مِنْ أجلِهِ قـد جـاءَ هـذا الصُّـداعْ

وكان المبيت بدشار البُوَيْر من أحوازها، دشار نشّقّت (٣٥) الطريق بُلالة أهله، وأعدم الله المروءة من فتاهُ وكهله، ومن الغد قطعنا المرحلة الآهلة، والطريق الطاعمة الناهلة، حيث السهلُ الممدودُ، والماءُ الموجود (٣٦)، والجسورُ المحنيّةُ، والدشور السَّنِيّة، والآثار المرينية، إلى مدينة "مِكناسة".

ومنها بعد كثير.

حتى إذا الشمس همّت بتسلق (٣٧) الجُدُرات، وقادت أهلها إلى وراء الحُجُرات، وطفِق عَسْجَدُها يُذَهِّبُ لُجَيْنَ الضُّحى، وموساها الموشية تحلّق (٣٨) خدّ

الأرض بعدما التحى، قمنا نستشعر التجلّد للبين وهو يفضح، ونُجْمِل حُكْمَ الوَجْد والدمْعُ يَشْرَح، فودّعنا الخليط المصاحب، وسلَكنا الطريق غير اللاحب، وقد طبّق ضباب، له على الأرض إكباب حَجْبَ الجهات، ولابَسَ بين الأمهات[20]، فضَلَلنا، لولا أن الله هدانا، وسرنا وقد ألحفنا السحاب ورِدَانا، والنبتُ قد أطلع ولِدانا، ونواحل الطلول قد عادت بدانا، ثم إن مرآة الأفق جلّت الشمسُ (٣٩) صداها، وأتت كل نفس هداها، "فحَمَدت السُّراة مَغْداها [21]"، واقتحمنا الرّمل الذي أخرج الله مرعاه، وحَشَرَ البَهم فحضرت مدعاه، ما بين خيام، ورعاة غير لئام، وبيوت شَعَر، ومعاطن وبعر (٤٠)، وغَنَم قَمِلَت[22] بها الأرض، وبَقَر ضاق بها الطول والعرض، وعجائز يَسْنُنَ من المحيض، مُهْدِيةٍ قُرَبَ المخيض، وقد اضطربت في الفحص الأفيح محلة الساعي، ناجحةً منه المساعي، فالأنواد تعدُّ، والقطائعُ تمتدُّ، والعاملون عليهم حُجَتُهُمْ لا تُرَدُّ ، ولم تكد الشمسُ تقتعد سنام خط الزوال، وتسدل من رؤوس القوائم [نوائبَ الظِّلال، حتى نزلنا بعين الشُّعراء، وانتبذْنا عنْ] (٤١) حصنه إلى العَراء، / حصْنٌ مثلوم (٤٢) مهدوم، موجود الأنس به معدوم، إلا أنه كثير الوقود، ومناخ مقصود، ومعدن الحديد، وباب الوطن العريض المديد، خيمنا بظاهره خيفة برغوثه، ولم نخف من سباعه التي تزأر حولنا وليوثه، فكانت الوقاية النادرة، وأمنت - والمنّ لله - البادرة، وبلونا من وليه مبرة، وما فقدنا من اللطف مثقال ذرّة. / 47/

وعند الصباح شرعنا في الارتحال، وعَيْنُ الشمس بِمَرَه [23] الضباب مفتقرة إلى الاكتحال، فسلكنا (٤٣) خندق هارون، فحص خراز، ومأزق براز ومظانّ احتراز، إلى دشار مَكُول[24]، وهو إلى الفناء مَوْكول، وبرجل الخراب من الأعراب مَركول، ولما رأينا جنابه غير مأنوس، وقد امتاز بلبوس البوس، جُزْناه إلى "ماغوس" [25]، دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازية (٤٤)، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة "تامسنا"، حيث مجلس قاضيها، وتشاجر ساخطها وراضيها، وحمام متوضّيها، دشار كبير، "يأكل من هُرْيٍ ويشرَب من بير[26]"، فَقَدَ النَّضارة، وعدم مرافق الحضارة، إلا أنه على الإختزان (٤٥) أمين، ولحفظ الحبوب ضمين، ما لم تَعِثْ شمال للفساد ويمين، فاتخذ (٤٦) به مسجد، شأن النقص من مناره، لقصور [درهمه و] (٤٧) ديناره، فمنظره شنيع (٤٨)، وحماه غير منيع، بتنا في كَنَفِ شاهده العدل، فصم عن العَذْل، وترفّع عن خَلْق البدل، إلى خلق أُولي البَذْل.

وأنشدته من الغد :

(بسيط)

ماذا لقينـا "بماغـوسَ" مـنَ اللّغَـط	ليلاً ومنْ هرَجِ (٤٩) الأحراسِ والشُّرَط
ومِنْ رداءة مـاءٍ لا يسـوغُ لنـا	شـرابُ جُرْعَتِـه إلا علـى شطـطَ
ومِـنْ لغـاتٍ حوالَينـا مُبَرْبـرَة	كأننا فـي بـلاد (٥٠) الزِّنْجِ والنَّبَـطَ
جـرداءُ لا شجـرات يُستظـلُّ بهـا	ولا أنيسٌ يريـحُ النفْـسَ مـنْ قَنَـطَ
/48/ منارُهـا قَعَـدَ البائـسي بنصبتِـه	فـلا تشيـرُ إليـه عَيْنُ (٥١) مغتبـطَ
كأنّـهُ فيشـةٌ جـاؤوا لقُلْفتـهـا	بخاتِنٍ قَطُّ منْها النّصفَ عـن غلـطَ
لكنّ فاضلَ كُتّـاب الشّروطِ بِـها	يَحْيـى أبرُّ فتـىً للفضْلِ مُشْتَـرِطَ
أحْيا بها الأنسَ يحيى بعْدَ وحشَتـها	ونابَ عن جُمْلَة (٥٢) من ذلـكَ النَّمَـطَ

ورحلنا من الغد عن شكر لقراه، وصرَفَ الركبُ إلى محلة "سفيان" سُراه، فسرنا نَؤُمُّ حلّةَ سفيان [27]، ونترك الخبر إلى العيان ونجوسُ خلال البُهم وملاعب الرعيان، بين خيام قد استدارت كالوذائل، واشتملت على الولائد والعقائل، ودُثُر ركبت الهضاب بأخصاصها (٥٣)، وملأت الوهادَ ببُهمها وقلاصها، يَسْمَح أهلُها باللّبن الحامض بعدما نُزِع جُبْنُه وزُبْدُه، وترجّح للراغب فيه زهدُه، ووجدْنا الطاعون في بيوتهم قد نزل، واحتجزَ منهم الكثير إلى القبور واعتزَل، وبقر وبزل، واحتجز واختزل، فلا تَبْصُر إلا ميتا يخْرُج، وكُميْتاً إلى جنازة يُسْرج، وصراخا يُرفع، وعويلا بحيث لا ينفع، فعفنا الهجوم، وألفنا الوجوم، وتراوغنا عن العمران، وسألنا الله السلامة من مَعَرّةَ ذلك القران، وركضنا نَبْغي اللّحاق "بالبروج" [28] حيث مخيم شيخ تلك القبيلة، ونروم المبيت بالمنزلة غير الوبيلة، وقلتُ :

(سريع)

تُرى لهـذا السَّيْرِ مِـنْ مُنْتَهـى	بنـاءُ أعْضائـي بِـه قـدْ وَهَـى
قالوا : نُريدُ البرْج (٥٤) قُلْتُ : ارْجِعـوا	عَنْ سهْوِكُمْ قـد جُزْتُ بُرْجَ السُّهـا

فزالت الشمس ومالت، ثم انهالت (٥٥) وانهارت، في حجْر المغرب وانهالت، وبعد لأي ما بلغنا، ومن الكل فرغنا، ومنحة الراحة تسوّغنا، ونزلنا بإزاء خيام،
/49/ استدارت في سنام (٥٦)، قد اشتبكت حبالها / وتراصّت جبالها، مدائنٌ دورها شَعَرٌ، ووقودها بَعَر، وسورها سِدْر، وبقلُها لا يخلو منه قدر، قد جاورت بِرَكا ريّانة، ومنازل بالأمم ملآنة، ومروجا مرقومة الطرر، وبطاحا مفضوضة الصرر، وبادر الشيخ فرحب، وتبسّط وتسحب، رجل قد اكتمل، وعلى الوخط قد اشتمل، تدل منه المنايشة على نبل تحت جهامة، وتنشق منه كمامةُ الفهاهة (٥٧) [29] عن فهامة، ولم يقصر عن طعام نظيف، واحتفال مضيف، وركب لوداعنا في مركب لجب (٥٨)،

وبر غير مُحتَجِز ولا مُحتجب، وسأل (٥٩) عن الطَّيَّة، ومناخ المطيّة، قلنا : المنزل الأثير، من حلة (٦٠) أبي كثير، فهو من محركات الرحلة، وأصح مذاهب تلك النحلة، فوكل بلحظنا عينه، وقسم المرحلة بيننا وبينه، ونزلنا مرحلة مهدي بن موسى، وقد امتدّت إليها أنامل البوسى، فانتبذْنا عن جوارها، وأصْحَرْنا عن قورة دوّارها، ولم يجد صاحبها فينا (٦١) مرغوبا لجوده الذي بذله، ولا قَبولا لقِراه الذي عجله، واجتنبناه اجتنابا ما أخجله، وبِتْنا في وقاية ضفا جناحها، إلى أن اشتعل في فحمة الليل صباحها، فركضنا تحت رواق ضباب ساتر، ورذاذ له مستأثر (٦٢)، لم تزل الشمس ترشفه، والرياح تستكشفه، حتى تقشّع، وبان الأهلُ من البلقع، فتعرفنا في بعض طريقنا أن أبا مثوانا، ومأم (٦٣) نوانا (٦٤) يجمع بيننا وبينه الطريقُ، ويلتقي بالفريق الفريقُ، لمجمع بين العرب معقود، ورأي مشهود، فقلنا : تعجيل اجتماع، وحظ أبصار بعد أسماع، ومزيد استكثار بأبي كثير واستمتاع، وعلى بريد [30] تراءت الخيل تسيل الأباطح بأعرافها، وتأخذ الأجواء (٦٥) بأطرافها، وخالفت بيننا بنيات الطرق باشتباهها، فنزلنا ببعض تلك الجهات على مياهها.

وخاطبته بما نصه (٦٦) :

(طويل)

مُبـارَكُ مـا قدَّمْـتُ سُفْيـانَ رغبـةً ... ولا خَوْفَ تقصيـرٍ ولا سـوءَ سيـرَهْ
ومـا نظـرةٌ منّي إليـكَ أعُدُّهـا ... سـوى منّة للّـه فـيَّ كبيـرَهْ
وإن كـانَ مَنْ لاقيْتُ دونَـكَ أنْجُمـاً ... فأنْتَ علـى التَّحْقيقِ شَمْـسٌ مُنيـرَهْ
[ورُبَّ صـلاةٍ قُـدِّمَ النَّفْـلُ قبلَهـا ... وتُشْرَبُ قبـلَ الثَّريدِ حـريرَهْ (٦٧)]

ثم كان النزول بالزاوية، حيث قبر زمام، وأبي ذمام، ورعي واهتمام، دشار وجدناه - والحمد لله - مختوما على صحة، محجوبا عن خطوب حواليه ملحة، رحب بنا أهله، وأسهل إلينا رحبه وسهله، واقتدى فينا بمذهب الشيخ فتاه وكهله، ولما أصبحنا (٦٨) بكرنا محلّته الآهلة، وذكرنا والشيخ يذكر بأهله (٦٩)، ونظرنا إلى خيام وحلل، وجديد وطلل (٧٠)، ومَبارِك ومَعاطِن، ومعاهد ومواطن، ومسكن يعرف إصابة (٧١) قاطن، "تيط أفوران [31]، وما أدراك ما تيط، حيث الجناب الغبيط، والنشر (٧٢) والبسيط، والبحر المحيط، تفجرت للزلال بها عين، كما سال لُجَين، أو صَقَلَ صفحة السيف قيْنٌ، وتسنّم ذروه البيوت منها قصرٌ مشيد، أتلع منه جيد، وأُغْرِي به تحكيم وتنجيد، ودارت البيوت، كما نسج العنكبوت، واتجهت إليه الطرق والسموت، وعجّ بإزائه السوق، وبان من فخر ساكنه البسوق. وقلت :

(وافر)

نَزَلْنا حلَّةَ الخُلَّطِ الكرام … بأخْتِ الركْنِ والبلَدِ الحَرامِ
ومَنْ يكُ منْ ضيوفِ أبي كثيرٍ … غَنيٌّ بالفعالِ عنِ الكلامِ
وإنَّ بيوتَهُ لكَما سمعْنا … بيوتُ الخيلِ والنَّعمِ الجِسامِ
تُظلِّلُها الفوارسُ بالعَوالي … وتفرشُها الولائدُ بالطَّعامِ (٧٣)

ونظمت أثناء هذه المراحل كلمة في مخاطبة عامر بن محمد بن علي لتكون
/ 51/ تحفة / قدومي عليه، وهي (٧٤):

(طويل)

أهاجَتْكَ (٧٥) ذكْرى منْ خليطٍ ومعهدِ … سَمَحْتَ لها بالدَّمْعِ في كلِّ مشْهدِ
وعادكَ عيدٌ منْ تذكُّرِ جيرةٍ … نأَوْا بالذي أسأَرْتَهُ منْ تَجَلُّدِ (٧٦)
حَنانَيْكَ في نَفْسٍ شَعاعٍ ومُهْجَةٍ … إذا لَمْ تَحِنْ (٧٧) منْ بُعْدهم فكَأنْ قَدِ
فَكَمْ دونهمْ منْ مَهْمَهٍ ومفازةٍ … وأثباجِ بحرٍ زاخرِ اللُّجِّ مُزْبِدِ
كأنْ لمْ يكُنْ منْ قبلِ يومِكَ عاشقٌ … ولا واقفٌ بالربْعِ وقْفَةَ مُكْمَدِ
ولا سائلٌ الأطلالَ بَعْدَ قطينِها … فعيَّتْ جوابًا بعْدَ طولِ تَرَدُّدِ
ومُسْتنصرٍ منْ دَمْعهِ غيرُ ناصرٍ … ومُسْتَنْجِدٍ منْ صَبْرِهِ غيرَ مُنْجِدِ
سوَى عبرةٍ تحْدو ثِقالَ سحابِها … إذا ما وَنَتْ ريحُ الزفيرِ المُصَعَّدِ
أسى النفسِ لا يقْوى على ردِّ فائتٍ … فإنْ شئتَ فلْتُقْلِلْ وإن شئتَ فازْدَدِ
وما رجلُ الدنيا سوى مُتَفَطِّنٍ … لنكرائها ماضٍ مضاءَ المُهَنَّدِ
إذا أقبلتْ بالخيرِ لَمْ تستفِزَّهُ … وإنْ هيَ ضلَّتْ لَمْ يَقُدْها بمقْوَدِ
فلا تَقْنَ ما يجْني عليكَ ذهابَهُ … وإنْ كانَ مُعْتدًا بهِ ضرُّ مُعْتدي
وخُذْ ما به جادَ الزمانُ مُسامحًا … ولا تتركَنْ يومَ السرورِ إلى غَدِ
وسِرْ في مَراحِ اللهِ مُقْتَصِرَ الخُطَى … وكُنْ لنوالِ اللهِ مُنْبَسِطَ اليَدِ
وإنْ راعَ دَهْرٌ أو تَنَكَّرَ حادثٌ … فلُذْ بحمىً منْ عامرِ بنِ محمَّدِ
فتى الحَيِّ منْ هنْتاتَةَ [32] جيرةِ الهُدى … وخيرةِ أصْحابِ الإمامِ المُوَحِّدِ
/52 / وكوكبُ أُفْقِ الغَرْبِ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ … وبَعْدَ ابْنِهِ منْ كَوْكَبٍ مُتَوَقِّدِ
رحيبُ (٧٨) مجالِ الفَضْلِ يَكْلَفُ بالعُلى … فما هو (٧٩) بالمُصْغي لقولِ المُفَنِّدِ
ويطوي بُرودَ المُلْكِ فَوْقَ خَلائقٍ … تُناسِبُ خُلْقَ الناسكِ المتعَبِّدِ (٨٠)
ومشْتَغِلٌ بالحَزْمِ يقدحُ زَنْدَهُ … إذا اشْتَغَلَ الأقوامُ (٨١) باللَّهْوِ والدَّدِ [33]

وضافي لباسِ المَجْدِ بالفضلِ مُكْتَسٍ ... وبالفخرِ معتمٌ وبالحَمْدِ مُرْتَدِ
وتحتملُ الركبانُ طيبَ حديثِه ... فيأتيك بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ [34]
ومُرتَقَبُ الإقبالِ في كلِّ وجهةٍ ... وأمرٍ وللصُّنْعِ الجميلِ مُعَوَّدِ
فواللهِ ما نَدْري أيُمْنُ نقيبةٍ ... تَرِفُ عليه أمْ سعادةُ مَوْلِدِ
تُسامُ (٨٢) به الأقطارُ بَعْدَ اضطرابها (٨٣) ... وتُدْنى به الأوطارُ (٨٤) بعْدَ تبعُّدِ
له جبل (٨٥) في ملتقى الماء (٨٦) عاصمٌ ... يناولُ مَنْ يحتلُّه النجمَ باليدِ
ورأيٌ إذا ما جهّزتْ عنه رايةً ... كفى سَعْدُها عن كلِّ جُنْدٍ مُجَنَّدِ
يرى الأمرَ في أعجازِه وصدورِه ... بعَيْنِ البَصيرِ الألمعيِّ المسَدَّدِ [35]
أليسَ منَ القومِ الذين علاهمُ ... مُخَلَّدَةٌ واستشْهِدِ الكُتُبَ تَشْهَدِ
مآثرُهُمْ في الدِّينِ غيرُ خفيّةٍ ... فَهُمْ كالنُّجومِ الزّاهراتِ لِمُهْتَدِ
خلائفُ عبدِ المؤمنِ الملكِ الذي ... بسرٍّ من المَهْدِيِّ قَدْ كانَ يَهْتَدي [36]
وسوّغَ أكنافَ البسيطةِ بَعْدَهُ ... وأعْلَنَ بالتوحيدِ في كلِّ مَسْجِدِ
وأبناؤهُ منْ بَعْدِه أعملوا الظُّبى ... وأمْضوا (٨٨) سيوفَ اللهِ في كلِّ مُلْحِدِ
فَسَلْ إنْ أرَدْتَ الأرْكَ إذْ غصّتْ الرُّبى ... بكلِّ عميدٍ بالرُّغامِ مُوَسَّدِ [37]
فمنْ ذا لهُ كالقومِ إنْ شئتَ في نَدىً ... وبأسٍ وفي فضلٍ وفي صدقِ مَشْهَدِ
لئن زيّنوا الدنيا بزهرِ وجوهِهم ... لقد زيّنوا بالذكرِ كلَّ مجلدِ
وأبقوا ثناءً عاطراً فكأنّما ... نسيمُ الصَّبا هَبَّتْ على الزهرِ النَّدي
أبا ثابتٍ لازالَ سعدُك ثابتاً ... وجودُك يروي وردُه غُلَّةَ الصَّدي
ولازلتَ قطباً تستديرُ به العلى ... كما دارت الأفلاكُ حولَ المُحَدَّدِ [38]
رفعتَ بناءَ المُلْكِ لما تمايلتْ ... دعائمُهُ فوقَ الأساسِ المُوَطَّدِ
وأصرخْتَه لما دعاكَ على النوى ... وواصلَ ترجيعَ النِّداءِ المُرَدَّدِ
بكلِّ صقيلِ المَتْنِ سالَ خليجُهُ ... ولكنْ حُكْمُ اللهِ (٨٩) قال له : اجْمُدِ (٩٠)
يري بنحولِ (٩١) الحدِّ شيمةَ عاشقٍ ... ويكذبُ دعواه (٩٢) بخدٍّ مُوَرَّدِ
وملتفتٍ عن أزرقِ (٩٣) اللّحظِ قد حكى ... به العلقُ المُحْمَرُّ مُقْلَةَ أرْمَدِ
شكا مَرَهَ الألحاظِ في حومةِ الوغى ... فوافاه ملتفُّ الغبارِ بإثْمِدِ
وكلِّ شهيرِ (٩٤) العتقِ أشرفَ جيدُهُ ... وقامَ على ملمومةٍ منْ زَبَرْجَدِ
تألّقَ عنْ بَرْقِ الدُّجُنَّةِ كلَّما ... تبسَّمَ في قطعٍ منَ الليلِ أرْبَدِ
إذا ما تغنّى بالصهيلِ مُرَجَّعاً (*) ... سَمِعْتَ به صوتَ الغريضِ ومَعْبَدِ [39]
وجدّدتَ نصرَ الجدِّ في ابنِ ابنِه الذي ... رَعَيْتَ له حقَّ الذِّمامِ المُؤكَّدِ
ولم تأتِ بِدْعاً في الوفاء (٩٥) وإنما ... شَفَعْتَ الذي أسلفْتَ في القومِ مِنْ يَدِ
ويأبى لكَ المجدُ الذي أنتَ أهلُهُ ... على الدهرِ إلا أنْ تُتَمِّمَ ما بَدي (٩٦)

وعُدتَ يجرُّ الملكُ خلفكَ ذيلَهُ ... وفي حكمكَ العليا تروحُ وتغتدي
ويَعْتَدُّ منكَ الملكُ والدِّينُ والدُّنا (٩٧) ... بكافي الدَّواهي الهُمامِ المؤيَّدِ
وسوَّغكَ العقدُ السعيدُ مسرَّةً ... وهناك (٩٨) الإملاكُ أعذبَ موردِ
شَدَدْتَ بصِهْرِ الملكِ أزْرَ مجادةٍ ... توارثتَها عنْ أوْحَدٍ بَعدَ أوحَدِ
ومثلُكَ منْ يَرْمي بهمَّتِهِ العُلى ... ويرفَعُ أعلامَ الثَّناءِ المجدَّدِ
ويُحْيي منَ التوحيدِ رَسْماً يُعيدهُ ... لخَيْرِ اجتماعِ الشَّمْلِ بَعْدَ تبدُّدِ
عقيلةُ مُلْكٍ فُزْتَ منْها بطائلٍ ... عزيزٍ على نَفْسِ الكريمِ المجَّدِ (٩٩)
يزرُّ عليها هودَجُ المُلْكِ هالَةً ... يدورُ عليها كلُّ غُفْرٍ وفرقَدِ [40]
فلو أنصفت فوقَ العيونِ ابتَغَوْا لها ... طريقاً فتَمْشي مثل (١٠٠) صرحٍ ممرَّدِ
وفي نسبَةِ الأشياءِ يظْهرُ حُسْنُها ... مُوَحَّدَةٌ زُفَّتْ لخَيْرِ مُوحَّدِ
فهنَّاكَ اللَّهُ الإيابَ ولا انْقَضَتْ ... سعودُكَ تَتْرَى بينَ مَثْنى ومَوْحَدِ
وقابِلْ صنيعَ اللهِ فيكَ بشكْرِهِ ... وراقِبْهُ حالَ السرِّ والجَهْرِ تُسْعَدِ (١٠١)
فيا هَضْبَةَ العَلْيا ويا مُزْنَةَ النَّدى ... ويا مفْخَرَ الدنيا ويا قمرَ النَّدي
ويا عُدَّةَ المُلْكِ المرينيِّ كلما استَجارَ به في الأمسِ واليومِ والغدِ
ركضْتُ إليكَ الجُرْدَ أفْلي بها الفلاَ ... وأذْرَعُ منها فدْفَداً بَعْدَ فدْفَدِ [41]
يطيرُ بها الشَّوْقُ الحثيثُ فينبري ... لمثواكَ منها كلُّ سَهْمٍ مُسَدَّدِ
ولو هاجَ عَزْمي من سواكَ وصاحَ بي ... لآثرتُ سيما العاجِزِ المتبلِّدِ /55/
وما كنتُ أرضى أنْ أنالَ ذريعةً ... أُكدُّ لها نفسي وأبعد (١٠٢) مقصدي
وأقْتَحمُ الأخطار (١٠٣) والأرضُ تَلْتَضي ... وألتهمُ الأقطار (١٠٤) والحُوصُ تعتَدي (١٠٥)
ولَوْ أنَّ شَمسَ الجَوِّ أوْ قَمَرَ الدُّجى ... يعودانِ لي هضْبى لُجَيْنٍ (١٠٦) وعَسْجَدِ
ولكنَّه ودٌّ وحُسْنُ تَخَيُّرٍ ... قَضى لكَ منِّي بالثناءِ المُخَلَّدِ
[جَعَلْتكَ بينَ الناسِ حظِّي الذي سَمَتْ ... لإحْرازِهِ نَفْسي وطَبْعي مُنْجِدي (١٠٧)]
وحرَّكَ عَزْمي أنْ أزورَكَ قاصداً (١٠٨) ... على فُرُشِ العِزِّ الأصيلِ المُجَدَّدِ
ليخلُصَ تأميلي إليكَ ووِجْهَتي ... ويبْرأَ عزْمي عن (١٠٩) سِواك ومقْصدي
فلا تَنْسَ لي هذا الذِّمامَ فإنَّه ... لَخَيْرُ ذمامٍ قدْ وصلْتُ به يدي
أجارَ (١١٠) علاك اللهُ من كلِّ حادثٍ ... ولا زلْتَ في سَعْدٍ على الدَّهْرِ مُسْعَدِ
وأحْيا أبا يَحْيى لعينكَ قُرَّةً ... قريعَكَ في حَزْمٍ وحلْمٍ (١١١) وسؤْدَدِ
مُؤَمِّلَ أبنائي ومُظْهِرَ دَعْوَتي ... ولَوْلا اتِّقائي عَتْبَهُ قُلتُ: سيِّدي
ولا زِلْتَ تَجْني كلما اشْتَجَرَ (١١٢) الوغى ... جنى النَّصْرِ منْ غَرْسِ القَنا المتقصِّدِ
وكثَّرَ منْ حسَّادِكِ اللهُ إنَّهُ ... إنِ اللَّهُ أنْمى خَيْرَهُ لكَ تُحْسَدِ

ومن المنظوم والمنثور الصادرين لهذا العهد وقد توسطت بحر "تامسنا" :

(طويل)

كأنّا بتامسنا نجوسُ خِلالَها ... وممدودُنا في سَيْرِه (١١٤) ليسَ يقصُرُ
مراكبُ في البحر المحيط تخبطت ... ولا جِهَةٌ تُدْرَى ولا بَرٌّ يُبْصرُ

وقولي وكان القصد أن تثبت في الرحلة عند اطلال المنار بالمرحلة القريبة من "مراكش" (١١٥) :

(بسيط)

ماذا أُحدّثُ عَنْ بَحْرٍ سَبَحْتُ بِهِ ... حدّثْ عنِ البَحْرِ لا إثْمٌ ولا حَرَجُ /56/
دحاهُ مُبْتَدِعُ الأشياءِ مُسْتَوِياً ... ما إنْ (١١٦) بهِ دركٌ كَلاّ ولا دَرَجُ
حتى إذا ما المَنار [42] الفردُ لاحَ لنا ... صحتُ : ابْشِري يا مطايا جاءكِ الفرَجُ
قَرُبْتِ مِنْ عامِرٍ داراً ومنزلةً ... والشاهدُ العَدْلُ هذا الطّيبُ والأرَجُ

وقلت في وصف بيوت الشعر :

(طويل)

تَرى حِلَلَ الأعْراب في رُؤْيَةِ العَيْنِ ... إذا ما لتَشْبيه جَنَحْتَ بِلا مَيْنِ
نسيجَ شِباكِ العنْكبوتِ بمَطْبَغٍ ... وإلا فكالخُفّاشِ مدَّ الجناحَيْنِ

وقلت في بعض الليالي عندما اشتد القحط (١١٧) :

(بسيط)

بتنا نناقل (١١٨) همَّ القحطِ ليلَتَنا ... وأيّدَ المَهْد (١١٩) والكرْبُ البراغيثا
وكانَ يُحْمَلُ ما بتْنا نكابِدُهُ ... مِنَ المشقّة لَوْ أنّ البراغيثا [43]

وقلت قبل ذلك في قريب من المعنى (١٢٠) :

(طويل)

وقالوا : بَدَتْ منكُمْ على الجلد حُمْرةٌ ... فقلْنا : براغيثٌ لكُمْ رقّطونَا
غدَتْ نحْونا ليلاً ومن بَعْدُ ذا اغْتَدَتْ (١٢١) ... كما رَقَصتْ في القَلْوِ بَزْرُ قَطونَا [44]

وقلت وقد نظرت إلى خمول أسوار "مكناسة" وكثرة قذر سِككها، وكلا الأمرين لا شيء فوقه :

(منسرح)

أسْوارُ مكناسةٍ مُرقّعةٌ كأنها مِنْ ثيابِ أهْليها
نورٌ خرابٌ على بحارٍ خَرا تناسَبتْ حَالُها بِمَنْ فيها

/ 57/ وحضرني شيء من ريحان أرض "سلا"، وهو ريحان بوجه، فقلت (١٢٢) :

(سريع)

أهْلَ سلا صاحَتْ بكُمْ صائحَهْ غاديةٌ ما بينكُمْ رائحَهْ
كفاكُمْ يا عُورُ أنَّكُمْ ريحانُكُمْ ليْسَتْ لَهُ رائحَهْ

وتعرفت في العشر الوسط لجمادى من هذا العام "بسلا" أن الوزير مدبِّر الدولة [45] تُلوعِبَ بين يديه بنارنْج، فأصابت وجهه منها واحدة أثَّرت فيما حول عينيه، فخاطبتُه بما نصُّه (١٢٣) :

(طويل)

أيا عُمَرَ العَدْلِ الذي مَطَلَ المدَى بوَعْدِ الهُدى حتّى وفَيْتَ بدَيْنِه
ويا صارِمَ المُلْكِ الذي يستَعِدُّهُ لدَفْعِ عِداهُ أوْ لمَجْلِسِ زَيْنِه
هَنَتْ عَيْنَكَ اليَقْظى مِنَ اللهِ عصْمَةٌ كَفَتْ وَجْهَ دينِ اللهِ موقِعَ شَيْنِه
وهلْ أنْتَ إلا المُلْكُ والدِّينُ والدُّنا ولا يلْبِسُ الحقُّ المبينُ بمينِه
إذا نالَ مِنْكَ العينَ ضُرٌّ فإنَّما أصيبَ بِهِ الإسْلامُ في عَيْنِ عيْنِه

الوزير الذي هو للدِّين الوَزَرُ الواقي، والعَلَمُ السامي المراقب والمراقي، والحُلى المقلد فوق الترائب والتراقي، والكنز المؤمل والذُخر الباقي، حجب الله العيون عن عين كمالك، وصير الفلك الدوار مطيةَ آمالك، وجعل اتفاق (١٢٤) اليمن مقرونا بيمينك وانتظام الشمل معقودا بشمالك.

اعلَمْ أنَّ المُعَظِّمَ لسانَ الثناء على مجدك، والمستضيء على البعد بنور سعدك، والمعقود (١٢٦) الرجاء بعروة وعدك، لا يزال في كل ساعة يسحب الفلك

/ 58/ [فيه] ذيلها، / ويعاقب يومها وليلها، مصغي الأذن إلى نبإ يُهدي عنك لله دفاعا، أو يمدّ في ميدان سعدك باعاً، فأنت اليوم النصير على الدهر الظلوم، وأسي الكلوم، وذو المقام المعلوم، فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين يدي السادة والخدام، وتتفكه به المثاقفةُ والأقدام (١٣٠)[46]، من كرة مُرسلَة الشُهاب، أو نارَنْجة ظهر عليها من اسمها صبغة الالتهاب، حوّمت حول عينِك لاكُدِّر صفاؤها، ولا عُدِم (١٣١)

فوق مهاد الدَّعة والأمن إغفاؤها، فرعَتْ حول حماها، ورامت أن تُصيبَ فخَيَّبَ اللهُ مرماها.

(طويل)

نرى السوءَ ممـــا نتـقّي فنـهابــــهُ   ومـا لا نـرى ممـا يَقي اللهُ أكثـرُ [47]

فقلت : مكروه أخطأ سهمه (١٣٢)، وتنبيه من الله لمن نبَّهَ عقلَه وفَهْمَه، ودفاع قام دليلُه، وسعْدٌ أشرفَ تليلُه (١٣٣)، وأيامٌ أعربَتْ عنْ إقبالها، وعصمةٌ غطَّتْ بسِرْبالها، وجوارحُ جعل الله الملائكة تحرُسُها، فلا تغتالُها الحَوادثُ، ولا تفترِسها، والفَطِنُ يشعُر بالشيءِ وإن جهِلَ أسبابه، والصوفيُّ يسمع من الكون جوابَه، فبادرتُ [أُهَنِّئُه] (١٣٤) تهنئة مَنْ يرى تلك الجوارح الكريمة أعزَّ عليه من جوارحه، ويرسل طير الشكر لله في مساقط اللطف [الخفيِّ] (١٣٥) ومسارحه، وسألته - سبحانه - أن يجعلك عن النوائب حجرا لا يُقْرَبُ، وربْعَك ربعا لا يُخْرب، ما سبحت الحوت ودبَّت (١٣٦) العقرب، ثم إنني شفعت الهناء وترته، وأظهرْتُ السُّرور فما سترته، بما سنَّاه الله لتدبيرك من مسالمة تُكذِّب الإرجاف، [وتغني عن الإيجاف] (١٣٧)، وتخصب (١٣٨) الآمال العجاف، وتزيح الكيد (١٣٩)، وتفرغ إلى محاولة (١٤٠) عمْرو وزيد، وكان بسعدك قد سُدِل الأمان، وعدل الزمان، وأصلح الفاسد، ونفق الكاسد، وقهر الروع المستاسدُ، وسُرَّ الحبيبُ وساءَ الحاسدُ. والسلام.

وصدر لهذا العهد عني موضوعٌ سميتُه : "الإشارة إلى أدبِ الوزارة [48]" مُقَوِّل لألسنة (١٤١) الحيوان، ككتاب "دمنة وكليلة"، / صغير الحجم، كثير الفائدة، / 59/
غريب المأخذ، حرك إليه المجلس في هذا المعنى، والحمد لله.

هوامش الفصل الثالث

(١) م : غبولا وصحته غبولا أو غبولة.
(٢) م : محيت نقطتا التاء من لفظة تنبي.
(٣) بياض بالأصل.
(٤) م : وامتطوا، وهو تحريف.
(٥) الأنسب قراءتها للائتدام.
(٦) م : ويحيلون.
(٧) م : الاتاوة، وهو تحريف.
(٨) م : الاتارة، صحته ما أثبتنا.
(٩) م : مفتراض.
(١٠) م : الحبلية، وهو تحريف، يمكن قراءتها الحبيية.
(١١) ثبتت هذه الرسالة في ريحانة الاسكوريال، ل ٢١٤، ٢١٥، وفي ط. القاهرة ٢/٢٢٤، ٢٢٥.
(١٢) ر ٢١٤ و : عباد.
ما بين (١٣ ـ ١٤) ساقط من ر.
(١٥) أنظر الأبيات في ديوان أبي نواس ص ٥٣٨.
(١٦) الديوان : أخذت.
(١٧) الديوان : نائب.
(١٨) م : تران، تصويبه من الديوان.
(١٩) م : مادرت، وهو تحريف.
(٢٠) م : عمرت، وهو تصحيف.
(٢١) زيادة من ر ٢١٥ ظ.
(٢٢) ر : لجلالتكم.
(٢٣) ورد في ريحانة الاسكوريال : ٢٢٧ ـ ٢٢٩، وفي ط. القاهرة ٢/٢٦٤ ـ ٢٧٠.
(٢٤) م : منصابه، والأصح ما أثبتناه من ر ٢٢٧ ظ.
(٢٥) م : الفرض.
(٢٦) ر ٢٢٧ و : ما يبدى لمن ناب.
(٢٧) م : يدور، وهو تحريف.
(٢٨) ر : المترفعة.
(٢٩) ثبت البيتان في معيار الإختيار ص ٤٧.
(٣٠) م : الملت، وهو تحريف.
(٣١) م : المستكات، تصويبه من ر ٢٢٧ و.
(٣٢) وردت الأبيات في الكتيبة الكامنة ص ١٢٧.
(٣٣) الكتيبة : فاترك التوديع عمدا لكي أعلل النفس ببعض الخداع.
(٣٤) م : لما بها، تصويبه من الكتيبة.
(٣٥) م : نسفت، وهو تصحيف.

(٣٦) ر ٢٢٧ و : المورود.
(٣٧) م : تملق، تصويبه من ر.
(٣٨) ر : تجلو.
(٣٩) ر : الغزالة.
(٤٠) ر : ويقر.
(٤١) زيادة من ر ٢٢٨ ظ.
(٤٢) ر : ملثوم، والمتن أصح.
(٤٣) م : فملكنا، وهو تحريف.
(٤٤) ر : المتساوية.
(٤٥) م : الاخترار، تصويبه من ر ٢٢٨ ظ.
(٤٦) ر : قد اتخذ.
(٤٧) زيادة من ر .
(٤٨) م : سنيع.
(٤٩) ر : حرس.
(٥٠) ر : ببلاد.
(٥١) ر : كف.
(٥٢) ر : جلة.
(٥٣) م : أخصامها، تصويبه من ر ٢٢٨ ظ.
(٥٤) م : البروج، وما أثبتناه من ر ٢٢٨ وهو أنسب للوزن.
(٥٥) ر : وسالت.
(٥٦) م : منام، والأنسب ما ورد في ر.
(٥٧) ر ٢٢٨ و : الفهامة.
(٥٨) م : لحب، وهو تصحيف.
(٥٩) م : وحمال، تصويبه من ر.
(٦٠) م : مرحلة، والأصح ما أثبتناه من ر.
(٦١) ر : وصاحبنا فيها.
(٦٢) ر : متناثر.
(٦٣) ر ٢٢٨ و : مؤم.
(٦٤) ر : وقرانا.
(٦٥) م : الاحوا، وهو تحريف.
(٦٦) ثبتت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٥٠٧.
(٦٧) زيادة من ر، د.
(٦٨) ر ٢٢٩ ظ : ولما أصبح.
(٦٩) ر ٢٢٩ ظ : والشيء يذكر بضده ناهله.
(٧٠) من ر.
(٧١) ر : بأصالة.
(٧٢) ر : والنشير.

(٧٣) إلى هنا ينتهي ما ورد في الريحانة.
(٧٤) وردت القصيدة في ديوان الصيب والجهام ص ٤٣٨ ـ ٤٤٥.
(٧٥) م : اهجتك، وهو تحريف.
(٧٦) م : مجلد، تصويبه من د ٤٣٨.
(٧٧) د : يحن.
(٧٨) م : حبيب، والأنسب ما أثبتناه من د ٤٣٩.
(٧٩) من د.
(٨٠) د ٤٤٠ : المتزهد.
(٨١) د : الأملاك.
(٨٢) د : تسام.
(٨٣) د : ارتجاجها.
(٨٤) د : وتدنو به الأقطار، ولعلها الأوطان.
(٨٥) م : حميل.
(٨٦) د ٤٤٠ : الهول.
(٨٧) م : البصيرة، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه من د ٤٤٠.
(٨٨) م : مضوا، تصويبه من د.
(٨٩) د ٤٤١ : القين.
(٩٠) م : أحمد، تصويبه من د.
(٩١) م : محيت نقطتا هذه اللفظة.
(٩٢) د ٤٤٢ : خداه.
(٩٣) م : أوراق، تصويبه من د.
(٩٤) د : شهيد.
(٩٥) د : بالوفاء.
(٩٦) د : مابد.
(٩٧) د : والورى.
(٩٨) م : وهنالك، وهو تحريف.
(٩٩) د ٤٤٣ : المجد.
(١٠٠) د : فوق.
(١٠١) د : تحمد.
(١٠٢) د ٤٤٤ : واكذب.
(١٠٣) م : الاقطار، والأنسب ما أثبتناه من د.
(١٠٤) م : الأخطار.
(١٠٥) د : والهول يفتدى.
(١٠٦) د : نضار.
(١٠٧) زيادة من د ٤٤٥.
(١٠٨) د : قاعدا.
(١٠٩) د : من.

(١١٠) م : أحار، وهو تصحيف.
(١١١) د : وعزم.
(١١٢) م : استبحر، تصويبه من د.
(١١٣) ثبت في النفاضة ٢/٤٨١.
(١١٤) ن ٦/٤٨١ : وممدودها في سيرنا.
(١١٥) وردت هذه الأبيات في النفاضة ٢/٣٨٠، ديوان الصيب والجهام ص ٣٥١، الاعلام للمراكشي ١/٦٥، النفح ٦/٣٨١، الازهار ١/٢٦٥.
(١١٦) م : ان، تحريف.
(١١٧) ثبت البيتان في النفح ٦/٤٧٤، الأزهار ١/٣٠٩.
(١١٨) ن ٦/٤٧٤، الأزهار ١/٣٠٩. : نكابد.
(١١٩) ن : الهم.
(١٢٠) ورد البيتان في النفح ٦/٤٧٤.
(١٢١) م : اعتدت، والانسب ما أثبتناه من ن.
(١٢٢) ورد البيتان في النفح ٦/٢٧٨ على هذه الصورة :

أهل سلا صاحت بهم صائحه　　　غادية في دورهم رائحـه
يكفيهم من عور أنهـــــم　　　ريحانهم ليست له رائحه

(١٢٣) ثبتت هذه الرسالة في ريحانة الاسكوريال، ١٨٠، ط. القاهرة ٢/١٠٥ ـ ١٠٦. وفي النفح ٦/٤١٢ ـ ٤١٤.
(١٢٤) م : التفاق، وهو تحريف.
(١٢٥) ر ١٨٠ ظ، ن ٦/٤١٣ : المطلق.
(١٢٦) ن : ومعقود.
(١٢٧) من ر، ن.
(١٢٨) ن : وأنت.
(١٢٩) م : المظلوم، وهو تحريف.
(١٣٠) م : المشاقفة، وهو تحريف، وفي ن : المثاقفة والاقدام.
(١٣١) ن : هدم.
(١٣٢) م : أسهمه، وهو تحريف.
(١٣٣) ن ٦/٤١٣ : أشرق جليله.
(١٣٤) من ر ١٨٠ ظ، ن.
(١٣٥) من ن.
(١٣٦) ر، ن، ٦/٤١٤ : ما سبحت الحوت ودبت.
(١٣٧) من ر، ن.
(١٣٨) م : تخصيب، وهو تحريف.
(١٣٩) ن : من كيد.
(١٤٠) ن : مجادلة.
(١٤١) م : محول الألسنة.

تعليقات الفصل الثالث

[1] السبت ٢٣ ربيع الثاني ٧٦٣ هـ = ١٩ فبراير ١٣٦٢م.

[2] غبولة : أو ايغبولة، وهي جمع تكسير للفظة اغبالو البربرية التي تعني عين الماء، وتوجد عدة عيون تسمى اغبالو، لكن هذه توجد في جنوب غرب الرباط بنحو تسعة عشر كيلو مترا، وقد أشار الدكالي محمد بن علي أنه في عهد الموحدين كان يجلب منها الماء لشالة.
أنظر (الدكالي : الاتحاف الوجيز، ص ٥١. ـ ابن صاحب الصلاة : المن بالأمامة ص ٢١٨ ـ ٤٤٨.
ـ محمد الفاسي : "الاعلام الجغرافية المغربية"، مجلة البينة، ع ١، مايو ١٩٦٢، ص ٤٣).

[3] خداجا : ناقصة.

[4] لا يعرف قائل هذا البيت، وقد قيل أنه أقدم بيت شعري قيل، بعض المصادر تنسبه إلى آدم، كما تنسبه أخرى إلى شيت بن آدم ضمن شعر رثى به أباه. أنظر (معجم الأدباء ١ / ٢٠١ .
ـ الهلالي : اضاءة الادموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس مخ. الخزانة العامة بالرباط، رقم ٢٦٩، لوحة ٦٥. ـ ابن عبد البر : القصد والأمم في التعريف بأصول انساب العرب ص ١٩).

[5] ارتاشوا : تحسنت أحوالهم المادية.

[6] الاثارة : الفلاحة.

[7] اقتباس من بيت المتنبي :

لا تشك إلى خلق فتشمته ... "شكوى الجريح إلى الغربان والرخم"

أنظر (العرف الطيب ص ٥٤٠).

[8] الزباد : نبات. ـ يتقصد : يتكسر.

[9] عرب الخلط : قبيل معدود من جُشم، وهم من بني عامر بن عقيل بن كعب، كانوا شيعة للقرامطة بالبحرين، ثم ارتحلوا إلى مصر فإفريقيا، حيث أسكنهم يعقوب المنصور بسيط تامسنا، وكانت لهم حروب مع الموحدين والمرينيين، لازالوا إلى الآن بالمغرب مستقرين ببسيط الغرب قرب القصر الكبير مع قبيلة طليق. أنظر (قبائل المغرب ص ٢٣٤. ـ معجم قبائل العرب ٣٥٤/٢).

[10] "اتخذ الليل جملا" : مثل يضرب لمن يهرب في الظلام. (فصل المقال ص ٣٣٣. ـ مجمع الأمثال ١٣٥/١ رقم ٦٧٠).

[11] سورة ٦ (الأنعام)، آية ١٢٢.

[12] أبونواس : هو الحسن بن هانيء الشاعر العباسي المشهور، (١٤٦ ـ ١٩٨هـ = ٧٦٣ ـ ٨١٤م). أنظر (الاعلام ٢٢٥/٢).

[13] تامسنا : كلمة بربرية معناها البسيط الخالي، وهي المنطقة الواقعة بين نهري أم الربيع وأبي رقراق وامتدت إلى تادلة، كانت عاصمتها شالة ثم أطلقت بعد ذلك على إقليم الدار البيضاء. أنظر (وصف إفريقيا ص ١٥٣. ـ الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ١٢٩. ـ بنعبد الله : بين أنفا والدار البيضاء، مجلة المناهل، ٣٠، (١٩٨٤) ص ٩٢).
- Marocco Oficial Standard names, p.804.

[14] يسدى : من السدى، وهي خيوط الثوب الممتدة طولا.
- يلحم : وهي الخيوط الممتدة عرضا، وتستعمل اللفظتان في النسيج، ويقصد بهما هنا أن يسري المرض في جسمه كله.
[15] هذا الولي : هو أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي كان مقيما بسلا، توفي سنة ٧٦٥ هـ = ١٣٦٣م. أنظر (الأعلام ١٨٠/١. - ابن زيدان : اتحاف أعلام الناس ٣٠٥/١. - تحفة الزائر في مناقب الحاج أحمد بن عاشر، مخ. خع، الرباط رقم ٢٢٦٩ د).
[16] الضريح : يقصد به ضريح المهدي بن تومرت.
[17] الجنود المرتزقة : يتكونون من الوصفان والاغزاز والروم القشتاليين. أنظر (ورقات المنوني ص ٧٠).
[18] هذا البيت للشاعر طفيل الغنوي. أنظر (ابن شريفة : أبو المطرف ابن عميرة ص ٥٧ حاشية ٤).
[19] أبو البركات (٦٨٠ - ٧٧١ هـ = ١٢٨١ - ١٣٧٠م) محمد بن ابراهيم بن الحاج البلفيقي، قاض، مؤرخ، أديب، من شيوخ ابن الخطيب، له عدة مؤلفات منها "تاريخ المرية"، وديوان شعر. أنظر (المرقبة العليا ص ١٦٤. - التعريف ص ٢٣. - الاعلام ٣٩/٧).
S. Gibert, "Abù l-Barakàt al-Balafīqī, Qàdi, historiador y poeta", Al - Andalùs XXVIII, (1963), pp. 381-424.
[20] الأمهات : الطرق الرئيسية.
[21] اقتباس من المثل : "عند الصباح يحمد القوم السرى، وقد أشير إليه سابقا.
[22] قملت : كثرت حتى أصبحت كالقمل.
[23] مره : بفتح الميم والراء، بياض ببواطن الأجفان لترك الكحل.
[24] فحص خراز : يقع قريبا من مكول، بين ابن سليمان وقرية الكارة، من بسيط تامسنا. أنظر (- نزهة المشتاق ص ٧١. - الإستقصا ٥٠/٢).
[25] ماغوس : منطقة قريبة من مكول في بسيط تامسنا.
[26] اقتباس من المثل : "يكل من جرف ويشرب من غدير". أنظر (أمثال العوام ٤٦٩/٢ رقم ٢٠٤٤).
[27] حلة : ج حلال، بيت.
- سفيان : بطن من جشم، وهم من بني هلال بن عامر من العدنانية، وقد هاجر بنو هلال وبنو سليم من مصر إلى المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري / منتصف الحادي عشر الميلادي، فاستوطنوا بسيط تامسنا. لأخبارهم بتفصيل أنظر (- قبائل المغرب ٤١٧/١ - ٤٢٣. - ابن عبد الله : معلمة الصحراء ٥٨/١. - راضي دغفوس : "العوامل الإقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر إلى إفريقيا"، أوراق، ٤، (١٩٨١) ص ١٤٧ - ١٦٣).
[28] البروج : قرية تابعة لإقليم سطات، تبعد عنه بمسافة ٧٣ كلم.
[29] الفهاهة : العي، وفعله فها.
[30] بريد : مسافة تقدر بإثني عشر ميلا. أنظر (التاج ٢٩٨/٢).
[31] تيط اقوران : تيط بالبربرية تعني العين في معنييها، وتوجد عدة مناطق في المغرب تسمى تيط، ولعل المنطقة المقصودة هي التي تدعى اليوم افورار، قرب سد بين الويدان. أنظر (- التقي

العلوي : "أصول المغاربة"، مجلة البحث العلمي، ٢٧، (١٩٧٧)، ص ٣٥٣).
- Les guides bleux, Maroc, p.27
هنتاتة : من أكبر قبائل مصمودة في العصر الوسيط، وقد كانت تستوطن جبل درن الذي أطلق عليه إسمها، لعبت دورا هاما في عهد الموحدين والمرينيين، لكن اسمها تضاءل الآن وحلت محله اسماء بطونها التي ارتفعت إلى قبائل. أنظر (- البيدق : المقتبس من كتاب الانساب ص ٤٤. - قبائل المغرب ٣٢٦/١. - العبر ٣٢٦/١.
- Pierre de Gineval ; "Les èmires de Hintata, rois de Marrakech", Hespéris, XXIV, (1937), pp. 245 -254).

[33] الدد : اللهو واللعب.

[34] عجز بيت شهير لطرفة.

ستبدي لك الأيام ما كانت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وهو مثل يقصد به أن الخبر ياتيك لا محالة. (مجمع الأمثال ٤٢٧/٢ رقم ٤٧٥٧).

[35] الألمعي : مشتق من اللمعان، كان الأمور تلمع وتبين له، ويضرب مثلا للرجل الذي يصيب بالظنون حتى كأن الظن عيانا. أنظر (فصل المقال ص ١٤٩).

[36] عبد المؤمن الكومي بن علي بن مخلوف (٤٨٧ - ٥٥٨هـ = ١٠٩٤ - ١١٦٢م)، وهو مؤسس الدولة الموحدية، أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ٣١٩/٤).

[37] اشارة إلى غزوة الأرك التي انتصر فيها الموحدون سنة ٥٩٠هـ = ١١٩٣م، لأخبارها راجع (الاستقصا ١٦٥/٢).

[38] المحدد : الفلك الأعظم (كشاف مصطلحات العلوم والفنون ٢٨٧/١).

[39] الغريض : هو عبد الملك أبو زيد، من اعلام الغناء في العصر الأموي، توفي سنة ٩٥ هـ = ٧١٣م. أنظر (الاعلام ٣٠٠/٤).

- معبد : معبد بن وهب، اشتهر بالغناء في العصر الأموي، توفي سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣م. أنظر (الاعلام١٧٧/٨).

[40] الغفر : ثلاث كواكب خفية، وسمي غفرا لأنه عند طلوعه تستتر نضارة الأرض وزينتها. أنظر (القزويني : عجائب المخلوقات ص ٨١). - فرقد : نجم قريب من القطب الشمالي.

[41] فدفد : م فدافد، وهو الفلاة.

[42] المنار : يقصد به منار الكتبية بمراكش.

[43] البرى : بفتح الباء والراء، تعني التراب.

- غيثا : فعله غيث، بكسر الغين، نزل به الغيث.

[44] القلو : فعله قلا، أي انضج في المقلى.

- بزر قطونا : نوع من التوابل.

[45] يقصد الوزير عمر بن عبد الله، سبق تعريفه.

[46] المثاقفة : فعله ثاقف، أي لاعب بالسلاح، محاولا إصابة الغرة في المسايفة أو نحوها.

- الاقدام : ج قدم بفتح القاف والدال، أي السابقة في الأمر، وبفتح القاف وكسر الدال : الكثير الاقدام. ومن معانيها : الارجل.

[47] نسب البعض هذا البيت إلى الأمير عبد الرحمان، بينما نسبه ابن قتيبة إلى أحد ولد عمر بن الخطاب، وأورده بالرواية التالية :

ترى السوء مما تتقي فتخافه   وما لا ترى مما يقي الله أكثر

أنظر (ـ النفح ٣/٥٣٩، ٦١٣. ـ عيون الاخبار ٣/٣٦٤).

[48] نشره محمد كمال شبانة تحت عنوان : الإشارة إلى أدب الوزارة تليها مقامة السياسة، الرباط ١٩٨٠.

الفصل الرابع

رجع التاريخ
<أحداث مغربية>

وارتحل الشيخ مبارك بنُ إبراهيم صبيحةَ يومئذ، على ميعاد ضربهُ وجيرانه من العرب الدّياشمة[1] في سبيل القُدوم (١) على منصور بن محمد بن عمر الهسكوري، شيخ الهساكرة[2]، ومزوارِ جبَلها، جنين مشيمةَ[3] السجون، وعَيْر وتد الاعتقال، وقد اتصل بهم بثُّ خلاف ونزوة وصفوة إلى ناحية الأمير عبد الحليم، المستقلِّ بوطن القبلة [4]، منافسةً لجاره المصاقبِ عامر بن محمد بن عليّ، إذ لم يَزَل ما بينهما خشنًا، ثم زادت الإحنة من لدن أوقع بجارهم، ابن سعد الله [5]، فرام هؤلاء العربُ الذاهبون في قطيعة الأمير المذكور كل مذهب، الرائشون جناح عامر بن محمد سدّ الخرْق، ورأب الثّأي، فقدموا عليه مَقْدَم وافد البراجمِ على النعمان في يوم بُؤسه[6]، وأسهل إليهم، ووقعت المفاوضةُ فيما وفدوا (٢) إليه من مرام استصلاحه، فأجلَت المحاورةُ عن نفرته وجماحه، ثم إنه انقاد لبعض ما ريم من صَغار، ما عدا لقاء عدوّه عامر بن محمد، فانصرفوا عنه وثنوا الأعنّة تعاليا ونبذا، ولم يبعد إلا وقد بدا لذلك الخبُّ[7] في أمرهم، لما تأذن الله به من إيقاع النِّقمة بهم، وشفاء صدور العباد المضطهدين ببغيهم وسوء ملكتهم، المخصوصين بجورهم (٣)، وعتوِّهم، فصاح في أعقابهم بما أوجب لَفْتَهم، واستمالهم بما أطمعهم، وتحرّج من إغضائهم في التماس مرضاتهم، فاستخفَّهم واستَهواهم، وزيَّنَ لهم الشيطان عودهم بجِحين بأتياده، وتأتّي الغرض منه، ونزع شجاه من نحر الدولة، فانعطفوا مختالين يحمدون فيئته، ويُزَخْرِفون معتبته، وسألهم إمهاله بُرهةً يأخذ فيها أهبة سفره في سوادهم، فأجابوه، ثم تطارح يناشدهم في ترفيعهم إيّاه / بمباشرة /60/ قِراه، وإجابة دعواه، فأعطوه من ذلك ما سأل، ذاهلين عما وراءهم، لبعدهم عن الحزم، وتخارقهم في النُّوك[8]، ومرانهم على الغفْلة، فأنزلهم من بيوت قومه المسهلين في سفح الجبل الشامخ إنزالا أغرى به من تحفّيه ما شاء، فضمّت نباءهم وعليتهم المضارب، ومن دونهم البيوت والكهوف والأنفاق، وعاثت للحين

في البهم (٤) المُدى، وسَمَتْ حول المنازل الجُزُرُ الحَرَّةُ الدُّماء، وعاثت الإبادة في كل بقرة أو معْزى، ونُصبت فوق الحبوب المفضلة رُعود الأرحى، وأتت قنافشُ السُّمْن تترى [9]، وجُنِبَتْ على الأقتاد أوعيةُ الطِّلاء (٥) والماء الرّوي، وانحدرت صقور المصامدة [10] من المصامِ الأعلى، من كل طاوي الكَشح، أَخْزَرَ العين، شديد العجمة، فعْم الساعد، وحيِّ الوثوب، بعيد الضُّفور، عريق السبعية والشَّرَه، متقلِّد سيفا هلاليا، عريض القفا، ماضي الظُّبا، صادعا صُمَّ الصفا، ممسك بكفه جملةً من قصر القَنا، وأقلام الوغى، لا يُخطئون بها المرمى، ولو في فحمة الدُّجى، تساتلوا من كلِّ أوب، ونسلوا من كلِّ حدْب، مُوَرِّين بالحراسة والسهر، وقد قرر بهم الوثوب، وقُدِّر بهم الفتك، وأخذت بهم المسالك والشِّعاب، ونَذَر أولئك النَّوْكى بعض مُلابسيهم وصنائعهم فاكذبوا الظِّنَّة، وعموا وصمّوا، "وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره.." الحديث [11].

فلما هدأت الأصوات، وسكنت الحركات، ثار الجميع بواحدة، لوعد مرقوب، ووقت محدود، فكبسوا القوم في مضاجعهم، فلم يُفْلت منهم أحد، وشمل النهب أسبابهم، ومزِّقت الأيدي مضاربهم، وقيد أولئك النوكى في الأوهاق عراةً حفاة، دامية كلومُهُم، بادية عوْراتهم، رابية أَخذَتُهم، فأُرْهِقوا صعودا في معارج ذلك الشاهق، تُحزِّبهم الأسنَّة، وتكتُّهم المدافعة، وأفْلَتَ شاكريٌّ [12] لهم، قَيُّومٌ بعُجْمَةِ (٦) المصامدة، فكان "النذير العُريان [13]" بخبرهم، وذاع النَّبأُ، فانكفأتْ خيام عرب الخلط وسفيان والعاصم والحارث [14] نواحا وعويلا وزفنا وصراخا وقطا وتلويثا وندبا، وانشرحت صدور جيرانهم، الأذلة بتعزيزهم فطووها / على سرور لا كفاء له. / 61/

(طويل)

"بذا قَضَتِ الأيامُ مــــا بيْنَ أهلِـــــها مصائبُ قَوْمٍ عِنْـــدَ قوْمٍ فوائـــدُ" [15]

وبادر وليُّهُم المستظهر بهم، عامر بن محمد مخاطبةَ السلطان بالحادثة عليهم، فوصل خطابه بتخفيض البَثِّ، وسدَّ مكانهم بأولي الترشيح لرتْبتهم، فشَعَبَ الثَّأْيَ (٧)، وحُسِبُوا في عداد الموتى، ووقع النفير والاستحشاد لغزو الجهة الهسكوريَّة، واجتثاتِ ما تناله الأيدي بالسهل من شجراتهم، ومستغلَّ زرعهم، ومكتنز خزينهم، وكان من الأمر ما يأتي به الذكر - إن شاء الله - .

وتم لهذا العهد عقد المهادنة مع الجهة الزيانية، ووصلت الرسل فألقت (٨) مالديها، وصدر العقد بإجراء ما أجراه سلفُهُم قبل تخارق الخطِّ (٩) [16]، وتعاظم الصنْع، من الإقصار والتَّجافي عن الحدود، والتزام المكارمة في المخاطبات والتبرِّي

عن أهل الخلاف، وكرُمت وِفادَةُ الوافدين بفك قوم من علية قبيلهم، زرْتُ أطواق السجون عليهم منذ سنين عديدة، فانصرفوا محبورين، وتُعَرِّفُتُ الآن عودَتهم [17] مُصْحَبين بمُلاطفة، فاستبشرَ الناس واستؤنس الصلاحُ.

واتصل ما انتهى إليه عمل عرب تامسنا، الموتورين بالهساكرة من العياث في أذيال ذلك الجبل، وهو الوطن الخصيب، الكثير السقي، الغزير الربيع، الجمُّ الفاكهة، الملتفُّ (١٠) الشجر، المستبحرُ الغلَل، فانتسفوه وأتوْا على راعيته، واحترشوا الأرض من خزينه، واجْتَثُّوا قائمَ شجرتَه، وارتعوْا مُدرَك زرعه، ولم يتركوا به "نافخَ ضرمَة" [18].

وفي أواسط جمادى الأخرى تحقق النبأ برجوع عامر بن محمد بن علي من منزله (١١) المشارف حدود هسكورة، بعد الاجتهاد والاحتشاد والاستظهار بأقصى ما لديه من القوة، لما كان من لحاق الأمير أبي محمد عبد المؤمن وعبد الرحمان ابن أخيه [19]، المستقرُّ قبل بمدينة / "مكناسة" في طائفة من الجيش المرينيِّ، الملْتَف 52 /
بهم بعد التمحيص ومِحَكِّ التشذيب، وإطلاله على البلاد المراكشية، وقد حلَّ عقال أشياخ العرب المناكيب، في سبيل تدميث الطاعة لأمر أخيه، وأركبوا للقائه، ونالوا حظا من أعتابه، وعرض عليهم استدعاء رهان من الأعزَّة عليهم، من أهليهم وشقاق (١٢) نفوسهم، توثِقةً بالركون إلى عهودهم، وأخذ طاعة سوادهم وجمهورهم، وجرت بين يديْ هذه الحال للهساكرة وضيوفهم المُصرخين وقيعةٌ على عرب الخُلْط، استلْحم السّيْفُ فيما جُملَةً.

فرجع عامر بن محمد، داهية الوقت، وعقد سفرته أدراجه مقهقرا قبل المواجهة، فاضطرب بظاهر مدينة "مراكش"، وأبرز للناس الأمير أبا الفضل [20]، الصبيَّ الغدورَ، كبير ولديْ السلطان أبي سالم، قتيلِ القوم بالأمس، فأخذ له البيعة مشروطةً بطاعة ابن عمِّه السلطان "بفاس" ورتَّبَ له ألقاب الملك، وأخذ ميثاق الجند، وتوثَّق بالرهان، وأفاض العطاء، وشهر آلات السلطان في الثامن عشر لجمادى الآخرة من عام التاريخ.

ثم تحقَّق خروج الوزير مسعود بن رحو بن علي، ثاني الوزيرين، في جيش كثيف يشتمل على من أثر (١٣) الجماعة، وناصح الدولة، من شيوخ بني مرين، وفرسان الدُّخلة، في سبيل تمهيد وطن تامسنا، فقد كان أهله طردوا السُّعاة، ومنعوا الجباية، وأخافوا السُّبُلَ، وليكون مددا لعامر بن محمد، فارتحل من "سلا" في الخامس والعشرين لجمادى الثانية، وعرض قرابة الأشياخ أولي الورْطة، أسارى الهساكرة، وكُتُبَ استدعائهم، فسدَّت السّبل، ووكل بهم الرقباء، وغُيِّرت

نِعَم أولئك الأسرى، وأُذهِبت رسومهم [21]، ومُحِيت بأعواضهم من المرشحين إلى مَحالهم، والمنهضين إلى وظائفهم، وكانت سنة وافقت (١٤) هوًى عند أرباب الدولة، لاستفاضة آرائهم في طلب الأمر لأنفسهم وطماحهم، وشموخ أنوفهم في هذا الهرج، والله يطّلع على ما فيه صلاح العباد والبلاد، بفضله.

هوامش الفصل الرابع

(١) م : القوم، ولعل الصواب ما أثبتنا.
(٢) م : نفدوا، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٣) م : محيت الحروف الثلاثة الأولى.
(٤) م : الهم، والسياق يقتضي ما اثبتنا.
(٥) م : الطلى، وهو تحريف.
(٦) م : بعجمعة، وهو تحريف واضح، صحته ما أثبتنا.
(٧) م : محيت نقط اللفظة.
(٨) م : فالفت، ولعلها ما أثبتنا.
(٩) م : الحط.
(١٠) م المتلتف، وهو تحريف.
(١١) م : منزلة، والأنسب ما أثبتنا.
(١٢) م : وشقات، ولعل المناسب ما أثبتنا.
(١٣) م : أثار، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(١٤) م : وافقة، وهو تحريف.

تعليقات الفصل الرابع

[1] الدياشمة : لعلها الجياشمة، نسبة إلى جشم من بني هلال. أنظر (معجم قبائل العرب ١٥٦/١).

[2] الهساكرة : أو هسكورة، بعض النسابين يعدهم من صنهاجة، وآخرون ينسبونهم إلى مصمودة للجوار، ومنهم بطون كثيرة بالمغرب، أشهرها قبيلة سكورة، وقد كانت تستوطن المنطقة الممتدة من درن إلى تادلا شرقا، وإلى وادي درعة جنوبا. أنظر (العبر ٥٥٢/٦ ـ ٥٥٦ ـ قبائل المغرب ٣٣٥/١. ـ التقي العلوي : "أصول المغاربة"، مجلة البحث العلمي، ٢٧، (١٩٧٧)، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

[3] مشيمة : م مشائم، الطبقة البرانية للغشاء الذي يكون فيه الجنين في البطن، واستعماله هنا مجازي.

[4]وطن القبلة : سجلماسة ونواحيها.

[5] ابن سعد الله : صهر محمد بن حسون بن أبي علي الذي كان واليا على مراكش، وقد انحازا إلى جهة الأمير عبد الحليم فاعتقلهما أبو ثابت عامر. أنظر (النفاضة ٣٢٠/٢).

[6] "وافد البراجم" : مثل يضرب لسوء الحظ. (فصل المقال ص ٤٠٤. ـ مجمع الأمثال ٩/١ رقم ٦).

[7]الخب : الخداع.

[8]النوك : الحمق.

[9] قنانش : وردت اللفظة في النفاضة ١٢٢/٢، قناقش، واحتمل د. العبادي أنها قلالش باللهجة المغربية التي تعني أواني السمن، وهو احتمال قريب إلى الصواب.

ـ تَتْرَى : متتابعة.

[10] المصامدة : من أكبر القبائل البربرية في المغرب، لتفصيل أخبارهم راجع (ـ العبر ٤٢٧/٦. ـ قبائل المغرب ٣٢١/١. ـ التقي العلوي : "شعب المصامدة"، مجلة البحث العلمي، ٢٨، (١٩٧٨)، ص ٢٠٩ـ٢٤٨).

[11] هذا الحديث لم يرد في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

[12]شاكري : صاحب حيل.

[13] "النذير العريان" : مثل يضرب للإنذار بالشر. أنظر (ـ زهر الأكم ٦٦/١. ـ مجمع الأمثال ٤٨/١ رقم ١٨٦).

[14]عرب سفيان والعاصم والحارث : بطون من بني هلال.

[15]هذا البيت للمتنبي. انظر (العرف الطيب ص ٣٣٠).

[16] تخارق الخط : يقصد عدم احترام كل من الدولتين حدود الأخرى.

[17] سجل أبو زكريا بن خلدون وصول هؤلاء السجناء إلى تلمسان بتاريخ ١٠ رجب ٧٦٣هـ = ٥ مايو ١٣٦٢م. (بغية الرواد ١٠١/٢).

[18] "نافخ ضرمة" : مثل يقصد به ما بقي أحد. أنظر (مجمع الأمثال ٢٧٨/٢ رقم ٣٨٤٨).

[19] عبد المؤمن بن عمر بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا محمد وهو أخو عبد الحليم، تولى حكم مكناسة مدة ثم تغلب على أخيه وانتزع منه سجلماسة، وأقام بها دولة إلى أن فتحها مسعود ابن عبد الرحمان بن ماساي وأضافها إلى مملكة فاس. أنظر (ابن ابراهيم : الاعلام ٤/٤١٧. - النفاضة ٢/٢٩٩ - ٣٠١).

- عبد الرحمان بن يفلوسن المريني، ابن أخ عبد المومن المذكور. لأخباره بتفصيل راجع (الاستقصا ٤/٦١، ٦٥. - ابن إبراهيم : الاعلام ٨/١٠٣ رقم ١٠٩٥. - النفح ٥/١٠٢ - ١٠٩).

[20] لأخبار تولية أبي الفضل راجع (- العبر ٧/ ٦٦٦. - الاستقصا ٤/٦٥).

[21] رسومهم : وظائفهم.

الفصل الخامس

/63 / # فصل رجع التاريخ

<احداث اندلسية>

ولما استقر بيد المُتَغلِّب على الأمر بغرناطة من استقرَّ من فرسان النصارى
(١)، ومنهم زعيمهم الميشر الكبير[1]، وقد أبلَى وصَدَقَ موقفه لما خُذل جيشه، فلم
يبرح يدافع عنه خالصته إلى أن كوثروا وأُثْخِنوا وتُقُبِّضَ عليه، كما تقدم من ذكر
الفتح الواقع للمسلمين بجهة وادي آش طلب الخلوة من المتغلب المذكور، وهذا
القومس في أمته خلوب عذب الحديث، بعيد الغور، فاستحضره وضمن له عقد
المهادنة مع الطاغية، وانحرافه عن جهة السلطان أبي عبد الله مطالبه، عند إطلاقه
والامتنان عليه، واتخاذ اليد عنده به، وهو المطلب الذي لا شيء وراءه، فتبرع بذلك
أن ابتدأه سلطان قشتالة بطلبه وسؤاله، وخلَّى بينه وبين المحاولة على نفسه،
فدسَّ المخاطبة إلى السلطان بما دار بينهما، وهذه الأمة النصرانية لا توثِرُ شيئا
على الوصول إلى أغراضها حتى إذا أمكنتها الفرص في ذلك، لا تزال تطرح في
أمثالها الحشمة، وتتنزل عن الترفع، حتى إذا فازت أيديها، عاودت التجنِّي،
وراجعَتِ التعزُّز، فاقتضى منهم الرأي أن تطلب المذكور بُنَيَّةُ السلطان من حظيته
ومحل هواه، العلجة أخت هذا المأسور، وهي بكرُ وُلْده، فتوجَّهت الرغبة من تلك
الوليدة، وخاطبت المتغلب في شأن خالها الميشر، ووصل عنها أحد الكفاة من
خدام السلطان، المتصرفين بينه وبين المسلمين في المهادنة، يطلب منه تسريح
خالها، وتعده بحسن المكافأة عليه، فقبل رغبتها، وأسعف طلبتها، وخلع عليه،
وبعث به في جملة من نبهاء الأسرى، رُزِئَ الإسلام بخلاصهم، لما فقده الكفر من
وقف بأسهم، ولاستنفاد الكثير من أمواله في سبيل فدائهم، ووجَّه رسولا <من قبله>
(٢) فألفاه بحصن "قاشُرَه"[2] من الحصون القرطبية متوفزا[3] (٣) على/ قصد / 64
بلاد المسلمين، وقد تألفت عليه حشود الرُّوم. ولما شافهه بالرسالة، شكر قصد
المذكور في إطلاق زعيمه (٤)، وأعرض عن المسالة ما لم تقع شروط منها : التجافي
للسلطان المستقر "برندة" عن "مالقة" وما إليها، ووعد في المكافأة بمثلها عند

ظهوره على المسلمين، وإيثاره المعتبرين من رؤسائهم. وتحرك في أواخر ربيع الآخر، فنزل حصن آشر[4]، المطلّ على الثّغر بضفّة وادي شنجل، وهو معقل كبير، وركاب للجهاد، وشجاً في نحْر العدو، يشتمل سورُه الأقصى على مدى بعيد من جبل موطا الأعلى، بمراح يسمى المائدة لا عُمرانَ به، والحصن منه في جوفه، وله من "لوشة" جوار، و"بأنتقيرة" و"أرْجذونة" [5] اتصال، وعلى الساحل إشراف (٥)، كان المسلمون قد أهملوا حراسته، لما حسبوه من سريع الطاغية عنه، وصمده إلى "أنتقيرة"، فكبسه، ودل على عورته من بعض حافاته، نازع إلى دين النصارى من خواصِّ المتغلب على الأمر، فتغلب على "المائدة" وتحصن (٦) بها الرجال، وسربت إليهم العُدَّة، ولجأ المسلمون إلى الحصن وليس بذي منعة، لاعتماده على ما وراءه.

وكان السلطان المستقرُّ "برندة" قد استدعاه سلطان قشتالة، فوصل إليه في شوكة حادة، تنيف على خمسمائة فارس، من الحماة نُقاوة ومضارب وعدَّة، فلما رأى تغلب النصارى على حوزة الحصن فاوضه في شرطه، وطلب منه أن يخلِّيَ بينه وبين من به من المسلمين، فاعتذر بكلب قومه عليه، وأنه لا يمكنه صرفهم (٧) عنه في ذلك الوقت، فأبى السلطان من إقراره وهوادته على هذه الحال، وأنف خبره بأنه لا يؤثر الدنيا بحذافيرها على أسر مسلم أو فوات حصن للمسلمين، وانصرف أدراجه إلى "رُندة"، طوع الدين المتين، والحرية البحتة، ولم ينشب الطاغية بعد مفارقته وانصرافه أن أقلع، بعد أن استولى على الحصن المذكور، وحصن "بني بشير" [6]، وحصني / "الصخرة" و"السَّهلة" [7]، وثقفها، ما عدا
/65 حصن "السّهلة" فإنه هدَّه ثم اغتبط به، ووفر بحصن "آشر" الحصة، ورتب به الحامية. وعلى تفيئة إقلاعه بادرَ الجيش الغرناطيُّ لنظر وزير الدولة محمد بن علي ابن مسعود [8]، وشيخ الجند المغربيين، ادريس بن عثمان بن أبي العلى [9]، حصن الصخرة منها، وقاتله وتغلب على من به، فاستنزل منه بحكم الأمان نيِّفا على الأربعين رجلا، وكرَّ الطاغيةُ عند تعرُّف النَّبأ، وأجفل المسلمون أمامه، فهَدَّ الحصن ونازل حصن "مُنْتَقْريد" [10]، وبلا منه منعة وعدة، فانصرف إلى الجهة الغربية من "مالقة" فاستولى على كثير منها.

وفي الخامس وعشرين من جمادى الثانية، طرق هذا البلد [11] النبأُ بالفتح على السلطان المعظم، مَلِك الأندلس، المكفور النعمة، المجحود الحقِّ، الموْكوس الوزان، المُمَحَّص بالحادثة عَلى ملكه، ابتلاءً من الله، خبرَ(٨) به صبره في الجلَّى (٩)، وثباته في الكائنة العُظمى، ورفع بسببه أكفُّ المؤمنين لاستْنزال غيث الرُّحمى، وخبره، لما ساءت به الظنون، وأطرقت العيون، وقد تقدم ما كَان من منابذَته ملك "قشتالة"، وانصرافه عنه، مغريا طوع الأنَفَة الدينية، والحرية والإباية، من أن

يجعله العدوُّ وليجةً إلى استباحة الحصون، وافتراع المعاقل، وإدالة الكفر من الإيمان.

ولما استقرَّ برندة قراره ثنى أعنَّته - كما ذكر - يجرُّ خلفه ذيل الخميس العرمرم، الذي عد (...) (١٠) ومئون من الأعلاج (١١) [12] تحمل السلاح وآلات الهدِّوالهدْم، والحصب (١٢) [13] والرجم، والنطاح والصدْم، والزلزال والرّجف، والتسوُّر من الأكبُش والمجانيق، والرعّادات والدبّابات، والستائر [14] والحبال. وقصد حصن "منتفريد"، جار "أليُره" [15]، المُطلّ على غربي مرج الحضرة - كما تقدم - ، وقد بودر إليه بالحماة، وهو ما هو من سموِّ الشاهق من / دونه مطار الفتح 6 /
ووكون (١٣) العُصم، وعجم عودَه، فبلا منه شوكة، وثنى عن مغمزِه (١٤)، وألفاه كورةَ دبْرٍ أصيب بظاهره قوم من الروم، ولو صابر حصاره أياما قليلة، لم يُعْيِ عليه أمره لعسرة الظَّما، وعدم الماء، فانثنى عنه مخفَقَ السعْي، يشتم ريح فرصته، ويحدو إلى معلق ظفره، ويجزم (١٥) إلى محطٍّ وثبته، والشقي الجاني على المؤمنين، والمشؤوم على الآباء والبنين، خرِّيجُ العُهر والفَحْشاء، الظاهر الفرْج، البادي العوْرة، الأشوَه الخلق، المستهينُ بحرمة الله المعتزُّ بالسُّفلة، سلطان الأوباش، وأمير السُّفهاء، وملكُ السُّوق، وحجَّة الله في احتقار عالم السياسة، قد بدا عليه خلافُ ما بجح به من الحماسة والسقارة (١٦) ووعد عن نفسه من الإقدام، فالتزم كسْر البيت، ومكسع الفسْق، والإطلال من كوى المراقي، فلم يبرُزْ قيدَ [16] شبر، ولا أصحرَ مقدار فتْر، بعد أن حشد أهل القطر الأندلسيّ، وأخذهم من كلّ صقْع عصيٍّ ذياده، وجأْجَأَ بالقاصي والدَّاني، حتى غصَّ منهم الفضاءُ بكل محرب، وعسكروا بظاهر الحضرة، يترشَّفون بُلالتها، ويَسُبُّون سُمُوَّ سعرها، ثُمَّ لمَّا احتلَّ جميعهم، وحضر "قضْهم وقضيضهم" [17]، صرفهم أحوجَ ما كانت الحال إليهم، وأيأسهم من ظهوره، فعلت الأصوات بسورِ القبلة، وتوجَّهتْ إلى تنقُّصه سهام الألسنة.

وفي أثناء هذه الحال، نازل الطاغية حصن قنْط [18]، فتيحة القائد المجاهد رضوان [19]، مولى آل نصر، فاستولى عليه، وانتقل إلى ثغر "الطورون"، شجا طيِّبَة ثُغَرِه، فأخذه، وله منعة، وبه شوكة، فخضَّد الشوكة، وذلَّل المنعَة، واستضاف إليه حصْن "فردالش" [20]، مسلحة الجهة المجاورة من كثبٍ، ثم نازل حصن "برْغه" [21]، السَّبب (١٧) الواصل بين "مالقة" و "رندة"، حصن نبيه خصيب، كثير الزياتين والأشجار به الدور الحافلة والوجوه، فأخذ بكظمه، وتغلب عليه / 67 /
بعد أن رمى عليه بنفسه السلطان، وطرح عليه في سبيل الشفاعة وجوه القرابة، فيئس منه، وشرع بعده في منازلة حصن قصر بنيرة [22]، وأشفق السلطان

لتلَفِ هذه الجهة، فألح عليه في طلب الإفراج عنه، والوفاء بالعهد، فأجابه إلى ذلكَ، وأعطى صفقة يمينه، على منازلة ما لا تشمله طاعة السلطان من البلاد لتمام أيام عشرة.

وتحرك السلطان في جملة معززا (١٨)، فتبادر الناس، وانقادت الحصون النبيهة، "كذكْوان" [23] و"قرطمة" [24] و"تُلُش" [25] ومجيش المنشاة [26]، بعد امتناع من قصبها يومين أو ثلاثة نالهم فيها الضيق المنجلي عن استنزالهم.

وتقدم إلى مالقة في السادس عشر من جمادى الثانية المذكورة، وبلغ "الوادي الكبير" من ظاهرها، على ثلث فرسخ، مقتحما أجمة ملك، وغاب جند، ومطلع ألوية، وبحر أسطول، ودار عدة وعدد، فسهل الله أمرها، وراض صعبها، وحين برزت الحامية إلى مدافعته، زاحمها الناس هاوين، إليه مستقدمين، فحثَّ ركابه يقدمه الطائر الميمون، والوعد المفعول، والأدلّة المكتبة، وتبادر الناس إلى فتح أبواب المدينة، فدخل إلى المسجد الأعظم، وانثال عليه الناس يقرضونه من البكاء والرقة والدعاء والتعلق به أعجب ما تمخض عنه دهر، فأغراهم بالقصبة [27]، وبها ابن وزير الدولة، فانقادت له بعد ممانعة، وتحصّل من بها في قبضة ثِقافِه، واستقر بها فكان أملك لها.

وورد الخبر بذلك مدينة "سلا"، مؤرخا بالسابع عشر من الشهر، عشي يوم الخميس السابع والعشرين منه أو الثامن، صحبة خطابه إلى ولده، الأمير المتخلف بمدينة "فاس"، بما نصُّهُ :

من الأمير عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين، أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين، أبي الوليد بن نصر، وصل الله سعده، ووالى (١٩) عضُدَه، إلى ولدنا / الأمير الأسعد، الأرضى الأرشد، الأهدى البرّ الأكمل، أبي الحجاج يوسف، وصل الله سعادته، ووالى هدايته. سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته. /68

أما بعد حمد الله الذي أقر بتأييد أوامرنا وتخليد مفاخرنا عين الإيمان، ومد على المسلمين بإعلاء دعوتنا وتمهيد دولتنا ظلال الدّعة والأمان، والصلاة على سيدنا محمد نخبة الأكوان، وحبيب الرحمان، وعلى آله وصحبه شموس المحاسن وغيوث الإحسان، وصلة الدعاء لأمرنا العليّ باتِّصال العز المديد الميدان، والنصر الرائق الخبر والعيان.

فإنا كتبناه إليكم من حضرتنا العلية بقصبة "مالقة" المحروسة، وعناية الله - سبحانه - تعذب لنا موارد الصنع الجميل، وتعرفنا عوارف التسيير والتسهيل،

وإلى هذا فإنا نقص عليكم أنباء الفتح المبين، ونطالعكم بما منحنا الله من النصر والتمكين، وذلك أننا لما استخرنا الله تعالى وأسلمنا نفسنا في صلاح المسلمين، وخرجنا لقرية "مالقة" فيسّر الله - تعالى - وتلقانا جميع من بها على أميال من البلد مستبشرين بدعوتنا، وراغبين في طاعتنا، وكان يوما مشهودا، وميقاتا اتخذه الناس عيدا، وتمنّعت القصبة ساعةً من النهار، ثم فتحناها وأمّنّا جميع من كان بها وبغيرها من القصب، وعفونا عن جميعهم، ثم وردت علينا بيعات "بلش" [28] و "الحمّة" [29] و"أنتقيرة"، وعن قريب - إن شاء الله - يصلكم فتح "غرناطة" فقد صدّق الله ظننا في "مالقة"، فمازلنا نقول لكم : لمالقة يكون قدومكم، وكذلك - إن شاء الله - يصدّقُ ظنّنا، ويقر عيننا، وتردون غرناطة على ما فيه قرّة العين للجميع، فهو - سبحانه - لا يخيِّبُ من توكّل عليه، وفوض الأمور إليه، وأعلمناكم بهذا الفتح الجسيم، واليسر الوسيم، لتأخذوا بحظّكم من السرور، وتحمدوا الله على تيسير الأمور، والله يصل سعادتكم، ويسنّي من نصر لوائنا وقهر أعدائنا / إرادتكم. 69/
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في السابع عشر لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة.

ثم ردفه تعريف بما كان من التشريد بعدو الله وعدوه (٢١)، وأنه لما تحقق خروج "مالقة" عن يده، وانتثار عقد طاعته، بنى على الفرار، وأحكم حيلته، فتمّتْ له إملاء من الله - عز وجل - ومحنة لم يتأذن بعد في اجتثاث شجرتها، فلفّ ما بدار الملك من مال عين، وآنية وماعون، نبيه السِّنخ، شريف العنصر، وثياب ديباج ووشي والذّخيرة التي لم تشتمل قصور دولة بني أمية وبني العباس على مثلها، فضلا عن دول هذه التخوم المغربية، استخلصتها (٢٢) الدولة النصرية من أيدي جالية الأمهات، من بلاد الإسلام، كقرطبة و"إشبيلية" و"جيان" و"مرسية"، وسواها عندما قدفت أمواج المحنة بأشرافها إلى ساحل عمالتها (٢٣)، ثم بما استأثرت أيدي الأمراء "بسبتة"، محطاً من عبر البحر منهم، صارت إلى الخزائن النصرية عند التغلب عليها، وقد طمى البحر، وعظم الخطر، و"لا ينبئُك مثل خبير" [30]، فقد ناشرت أشخاص عقودها النفيسة (٢٤)، المنتهي لؤلؤُها الجديد السليم، البراق السطوح، المحكم الدّحداح، المتضايق خُروتِ السلوك، إلى ما فوق أشكال الكبير من حبِّ البندق، البالغ ياقوتها الشفاف المائيُّ، العظيم الشعشعانية، المُهراقُ، اللألاءُ، الرُّوماني[31] المجاجة، السليم من الاستئناس، والغليان والضباب، البديع الشكل، إلى أشكال ثمر الجوز بين مفرطح وملّملم، الدائرُ قصبها، العجيب اللّون، الذبابيُّ [32]، مضنّةُ الخواصِّ، المنحولةُ حجر الزُّمُرُّد والاطراء بالأفعال العجيبة اللألائية (٢٥)، على قدر البنان، إلى عصائب تضمنت من نفيس الأحجار بين

زرق وحمر، ورمانيّة وقانيّة وصفر، ومن اللؤلؤ النفيس، الراجح الوزن، والقصب الزُمردي، والزَبَرْجَد، ودوائر الأشكال المدعوة بالمزمّة [33]، حليّ الصدور، وقُرَص
70/ النحور، رأيت ببعضها حجرا من بلخش[34] الياقوت في شكل حبيل / تصطف فيه حدبات ثلاثٌ، يبلغ جرم عصفور، أعيا الناظم، وبتر السلك. فاضطر إلى استعماله قارا، والتّزين به ساكنا، فأرسيَ في قرصة العسْجَد المرقوم بالفصوص الشريفة، واللآلئ النفيسة، ليقرَّ بها قراره، ما من هذه العقود إلا من اختص بتسميته، وأفرد بلقب لفشوٌ الشُهرة، وذَياعِ الصّيت، كاليتيم والصحيح والقوي، وغير ذلك، يتبعها من أجناسها المقصّرة عن هذه الدرجات العلى - أعداد تجاوزت العشرات إلى المئين، إلى الأحجار المحيطة بها اللآلىءُ، المحيطة دوائرها في قواعد الحرير والجلد، ذوات الأذناب والتعاقيف، المكلل بها ما فوق الآذان، المدعوّة بالزرائف[35]، إلى التيجان والعصائب والقلائد، المتعدِّدَة القرص الذهبية، فوق صحونها صنائع الزجاج والأسورة (٣٦) والأقراط المتخذة تراريات مضاعَفَة، ذوات أخراص (٣٧)، يتعلّق بها بنون، وتنساب منها جداول الجوهر في شباك، وسلاليم ونسائج وضفيرات وحلّقان، تفوت العدَّ، وتُعْيي الوزّان، إلى حقاق اشتملت على نثر بين محول وهمل، تكال بالأصُع كثرةً، إلى الدمالج والوذائل، وقلائد العراقيب، والأزرّة بين مكلّل ومجزّع وساذج، تبهت العين، وتستولي <على> (٣٨) الفكر، وتستدعي الذهول، وتحيّر اللُبَّ، جلّى على جميعه السلطان المقدّسُ أبو الحجّاج مرشحي، والمنوّهُ بي، بعد وعد متكرر، ليقر عيني بغنى خبئه، ونجح خزائنه، واستحضر أمين الصوّاغ[36]، ونحرير الجوهريين، روميا كان ببابه، من كفار تجّار "جنوة"، "فبُهِتَ الذي كفرَ"[37]، وحوقلَ الشيخ واسترجع، واستفهم الجنوي عن ثمن بعضه، فنفر من الجرأة والإقدام (٣٩)، وقال ما معناه : "إنما يُعَيَّنُ أثمان الأشياء المعهود وجودها وجريانها بين الخلق، وانتقالها في الأيدي، وأما ما لم يُرَ له ندٌ ولا عُلِمَ له نظيرٌ، فلا". واستحنْفَر[38] الكل في الدعاء بصون تلك الذخيرة
71/ في كَنف عزه، وصوان حجابه، وأبقى الله إياها في عقبه / فاستولى هذا الفسْل [39]، بُختنصر[40] الوقت عليها، واستضاف فيما نقل لنا عند استيحاشه ما يختص بجدّة السلطان، أم أبيه، الحرّة الخيِّرة، بهار من الحلي المتجافي لها أول الدولة عنه، طمعا في تصيره إلى يده، بأجل تدنيه الكبرة، فانتزعه - زعموا - وهو من ذلك القبيل، ولاحق ببعض عيونه، واهتبل الغرّة، وورى بالمدافعة، ومطل الجند بالأعطيات، وعللهم بمنتجع الجباية، وقاتهم بحيوان مسارح السلطان، وتوفر على ما تحصل ببيت ماله، فشال جميعه، والتفَّ بخاصته، أعداء الدين، وأضداد المؤمنين، من الحراب والسرّاق والمهاجرة والشرار المعدودين من السباع العادية،

والشياطين الغاوية، "فاتخذ - زعموا - الليل جملا" [41]، وقصد عدوّ الدين، ونجا منجى الطيف، وقد رزا الإسلام رُزْءً فادحا، ونقل ذخيرته إلى بلاد الكفر، كأنه استردّها من يد موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وصرفها على أربابها، والله من ورائه، أهانه وأساء ميتتَه، وأخذه من كلّ جانب يطمئنُّ إليه، فبئس الفسْل المشئوم على بلاد الله وعباده.

وكان بالباب المريني، وزير هذا الأمر، الممنوح الإدالة، الشيخ علي بن كماشة، أشعب الطمع [42]، قد احتال في الوصول، موريّا بخدمة السلطان، هاويا إلى استنجاز ما أخذه على السلطان أبي زيان من الشروط الّتي تشطّط فيها عدم الحياء، وزمانة المروّة، حين تردّد في أمره، من مال وأقفزة [43] برّ وأشخاص بلاد ومجال إثارة، فأقرض ما يليق بذوي الأطماع الجامحة، المستعيذ منها سيد البشر، صلوات الله عليه وسلامه، في داعيته، وأقطع الرفض والنكير إصماتا للسان استنْجازه، وإقناعا له بالسلامة، والشّيخ الظاهر التديّن والحسب، المستعدّ للرسالة والحمل، القديم التعيّن، المحمود السير، الكثير المعاناة للأثقال، أبو الحسن بن / الحسن، فانصرفا، وقد فاتهما مباشرة ريّق الإقبال، ووليمة مراجعة الدولة المباينة، واتّفق الألباءُ، وشاركهم الأغمار (٣٠) في كون غيبةِ هذا الرجل المشتقّ من الانكماش، المتكرر في توصياته (٣١) عدم النجح، السبب القوي في الفتح. /72/

ولقد قال صاحب الدولة [44] - أعانه الله - لمن يعاوضه عند صرفه : دفع الله عنا معرّة هذا الشيخ، فإني أتطيّرُ به، وأخافُ على الوقت عدوى عُرّه، فانصرف محموما لما كان من رجوع مضايقه ابن السرّاج [45]، الرّاسب بالمغرب، عند سفر السلطان إلى الأندلس، مرشّحا للوزارة، كرسيّ الأقدام في الوقت، وانصرف الشيخُ، صاحب الكتابة ابن الحسن [46] مقتصرا معه على شطر ما عين لرفيقه من الزّاد، لنفور القوم عنه وعجِل الكور الفقيه الكاتب أبو القاسم محمد بن محمد بن قطبة [47]، وولْدُه الثلاثة، فحيُّوا بسلاح وآلة، أعلق بها سُؤْلَه، ووقف عليها طلبته، لكلفه بالاتصاف بالإقدام، وترامیه إلى الانخراط في حملة (٣٢) السلاح، فانصرفوا تطيرُ بهم أجنحة العزم، أجار الله لنا ولهم، واستعملنا في أكرم مسعى وأقرب رُحْمى (٣٣)، لا إله إلا هو.

رجع التاريخ

ولما "صرّح المخضُ (٣٤) عن الزبْدة" [48]، وظهر من طاغية "قشتالة" الجبن، وأكذب فيه الظن، وطالبه السلطان بالإفراج عن حصن "برغُه" استنجازا لوعده،

وتمسكا بجديلة عهده، فصمّ صداه، وأثر هواه، واستقر في الثغور المخترمة دينه، وثبتت فيها قدمه، وظهر أن قصده استئصال الإسلام، واتخاذه للسلطان علة لذلك وسببا، وفاوض السلطان من لديه، فاتفقوا على اقتحام الخطر، وتسور الهول، واستعجال الموت، والنبو عن هفوة الضيم، فنهضوا مستميتين، يعذلهم الطاغية، ويناشدهم في الاستهداف، فلم يرُعهم ذلك، لما تأذن الله به من إتاحة الكرّة، وإدالة
/73 الدولة / فارتحلوا خالصة جماعتهم، متحدةً نياتهم، فكان ما مرّ به الذكر من افتتاح الحصون الغربية، ودخول مالقة في الطاعة، لخلوها من الجيش والطعمة، فلقد حدّثني بعض من موّه بالاحتجار والانحصار بقصبتها ريثما استُنزل من بها، أنها لم تكن بها نغبةُ ماء، ولا سدُّ جوعَة، ولا حبّةُ علفة، فلو قصدها الطاغية لم تصابرْه يومين مضيعة وخذلانا وفشلا، وعدوُّ الله، المتوثّب على الأمر، الحليق الهمة، الغليظُ القفا، البائس (٣٥)، المجنون، قد ذهل وأخذته الصيحة، فاتخذ بدار الملك أسرابا لفراره، وأنفاقا لانسلاله، وجرابا من جلود بعض الأخشاف محكما، يشتمل على ماعون صنعته الأصلية، المتوارث عتادها عن أبيه، من نعال الحلْفاء، الملحمة بالقنّب، وشريط التسوّر، ومخاطيف الانشاب والاختلاس، وفرّ - والليل عدّة الخلفاء الراشدين، وأئمة الهدى من المؤمنين - .

فاستقلّ السلطان قصبتها، وهي العقيلة على الإدقاع والكبرة، حاضرةُ البحر والبرّ، ودار الملك، ومعدن الصنائع، وينبوع الحضارة، ومثوى الظرف، أمسك الله رمقها، وأحيا شأوها، وأعاد نعمتها.

وفرّ يومئذ رئيس [الجند](٣٦) الغربيّ، محمد بن عثمان بن أبي العلى، "ناجيا برأس طمرّة ولجام" [49]، فأهدى القفر، وخرج عن الجلية، واهتز الأفق المتبرّم بالإيالة (٣٧) المحروبة، والدعوة المشئومة، فاختبل (٣٨) الخائن واستُطير فرقا، فلم يلبثْ أن ركب الليل جملا ليلتئذ في جملة تناهز ثلاثمائة فارس، من شوكة حادة تشتمل على رؤوس الجند الغربي، إدريس بن أبي العلى، وأخيه، المشرد بهما من المغرب، المعتسفيْن المفاوز والبحر إلى عدوة "برجلونة"، ثم اللاحقين بهذه الإيالة، والملتقفين للكرة القلقة تحت هوى الصولجان، والوزير المرور، الأقبل، حليف الجنون والتهور، والوكيل القهرمان، عبد الرحمان بن هذيل، حمار القوم المترامي
/74 في تيار أصحاب المشأمة وغيرهم من غاشية وأتباع نفروا / في ساعة واحدة، قد حسبوا كل صيحة عليهم، وتوقعوا ثورة الناس بهم، فخرجوا لا يلوون على شيء بعد رفع الكثير من المتاع والسلاح والذخيرة جمعاء، إلا ما شذّ بيد من أخلد إلى الأرض وتَخَطّف منهم، واجتمعوا بخارج السبيكة [50] من الحمراء وقد أوسع كل منهم مستقرّة من الحمراء تشعيثا وتغييرا، بما يدل على سوء العهد، ولُؤْم (٣٩)

النفس، وخلق الشر، ثم انسابوا في غير حفظ الله ولا رعايته، فركبوا الوادي، وانضاف إليهم إدريس بن عثمان بمن لفَّ لفُّه من شرذمة الشؤم، وركبوا طريق القلعة، كما يقصد الرجل مثوى أبيه، من غير عهد معقود، ولا وعد مضروب، ولا وِدٍّ محفوظ، ولا جوار مبرور، إلا ما سوَّلت لهم أهواؤهم من التنفق عن عدو الدين باستئصال الشأفة، وتحويل الملة، وتمكينه من الجملة، توعَّدوا بذلك من مرُّوا به من ذوي البيوت المُصحرة، والقرى الماثلة، ووعد الله قد سبق وصدق بتخييب قصودهم، وتتبيب [51] كيدهم، وإخزاء مرادهم، سبحانه وليّ المؤمنين، ومحيط النقمة بالظالمين.

ولما وصلوا إلى القلعة، طير من بها من النصارى إلى سلطانهم بالنبإ، واستحثوهم في القدوم عليه، فتعدَّوها متوغلين في البلاد، ملججين في وَحَل الورطة، يقدُمُهم الدّم، ويبدو لهم سيِّئاتِ ما كسبوا، ويزجُرُهم الطائر المشئوم، ويذّخرهم قِرى وافد البراجمة، ولحين تعرُّف الطاغية الخبر، أخرج من وزرائه من يتلقى قدومهم، في لُمّة خشنة، تَلُفُّ طائفتهم، مورية باستصحابهم، ومتولية لمؤنهم، حتى قدموا على حضرته "باشبيلية"، وقد عجب منهم النصارى، لكونهم نقاوة ولبابا، قد حملوا خلاصة ما انتهى إليه الاستظهار، من الملك وزينته وعدّته، من التجافيف والدّروع، ومذهبة الحليّ وفُرْه الخيل وعتق الشفّار ورائق البزّ، وقد تمنطق كلُّ واحد منهم بما انتهت إليه جِدَّته / [52] من ذهب أو حجر أو خرزة، 75 /
غنيمة باردة نفلها الله ملك الروم، لم يوجفْ [53] عليها رِكابا، ولا جمع لها جيشا، ولا قَدَحَ حربا، فأمر بإنزالهم، وجعل المسلحة، ووكَّل بهم وفرَّق أماكن أعلامهم، وكان من الأمر ما يأتي به الذكر - إن شاء الله - .

رجع التاريخ

ولما أطلَّ صباح فرار الخائن، صاح الناس ووقع نفيرهم إلى سلطانهم المستقل بمالقة، يتبارَوْن في السابقة، ويتناغوْن في نيل المزية، فاتصلوا به ليومه، وتساتلوا بفيئه (٤٠) وليله، وضبط قلعة الحمراء المشيخةُ وبعض المتثاقلين، منهم الحاج سهل بن محمد بن سهل من وجوه الحضرة، والشيخ الأشوهُ ذو الشُّتَرَة، أحمد القرطبي، المثلُ البعيد في عدم الصُّلوح لغير الإخطار بدمه، والإنخراط في أحزاب الثورة، مع السُّوء وقصر الخطو وضعف البصر وعدم الإبانة ومقاربة العَمَى، قبّح الله وجهه، وجعل الخُرُوءَ وضوءَهُ، ومطرح الزبل قبلته، وسُمُوُّ السعْر جنته، وخضراء الدِّمَن إلهه، "أولى ثم أوْلى له، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون [54]"، ومعهم أوباش (٤٢) من منتجعي المدر، وتُيوس الفلاحة، وشرار الشرَط، لم يُقَصِّروا في تسكين السّواد وبثِّ البريح [56]، فعصم الله الأموال، وحاط النِّعَم، وسدل الوقاية على يهود الذّمة.

وتحرك السلطان من مالقة فطوى المراحل إلى <غرناطة> (٤٣) تاسع عشر الشهر، والأمداد تتساتل والوفود تترادف، والحضرة تقذف بمن فيها، ومن الغد كان قدومه عليها في الحفل الذي قَدُمَ به العهد، وأزرى على خبره الخُبرُ، ولم يأت به الدهر، ولا أدركه الوصف، تهافت الناس عليه تهافت الفراش، والتفّوا به التفاف النّحل، لا يقنعون من ركابه بغير الاستلام، والتعلّق، يزدحمون أفواجا،
/76/ ويذهبون ذهاب الموج قد علت أصواتهم بالتفدية والتهنئة والدعاء، / واجهاش الرقة، وظللهم الغبار بين يديه، ومن خلفه، يرجع لفيفهم وأرباب الصنائع منهم إلى ألوية كثيرة، لا تعدّ (٤٤) أصنافهم، ويعلو حول موكبه الذكر من خيارهم، وهو على شكله من التبذّل وعدم الزينة، مشرق القسام، ظاهر الاستعبار، سرورا بنعمة الله، قرير العين بانجاز وعد الله، مبذول البشر، حسن الرد.

ولما سما إلى الجبل، جبل الحمراء، كادت السماء تخرّ على الأرض، لعلو أصوات النساء المُصحِرات (٤٥) من المدينة إلى رؤيته، وقد ملأن الفضاء (٤٦) الأفْيَح كأنما تراكم الثلج، به بياض شارة، واحتفال بروز، وقد جعل الله له في القلوب من الرحمة والامتعاض والرقة، ما لم يجعله لأحد قبله. ولما بلغ باب الحمراء وقف به مليا، مكاسا ممن بها وتحجّبا، وحفظا وتوقيا، ثم افتتحت له أبوابها فدخلها قبل الزوال من يوم السبت الموفي عشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وبطالع [المشترى] (٤٧)، وكون المشتري في الطالع والشمس في العاشر [56]، اتفاق سعادة لو خير أبو معشر - رحمه الله - ما تعدّاه اختياره. وبادر السلطان يوم دخوله بالقصد دار جدّته، فقضى الحق، وبث لوعة (٤٨) الفراق عقب صدره عن قبر والدته، ثم انصرف إلى قبة الحائر (٤٩) الريان، فنزل بها، وقد جاء بها غريبة لم تنسج على منوال، فسبحان مديل الدول، ومصرف الأيام، لا إله إلا هو.

وبادر الطاغية تعريف السلطان باستقرار ضدّه لديه، وتحصّله في قبضته، وأوعز بتعجيل صكّ بغدره (٥٠)، وثبت من أهل الملة بجرأته، فتوجّه أحد الرؤساء من خلصان السلطان بعقد ضاق بياضه عن الشهادات المتبادرة، ووقع الاستقلال، واستصحب مُزَوَّدَ الآلة الشاهدة (٥١) بتجلّته، وصدق حقه، وأصيل استبصاره، ولحين وصوله شرع في قتل أولئك الغدرة، بعد تقرير الطاغية إياهم، ومواجهته بالتأنيب لعميد فسقهم وتقرّعه بما كان من اغتراره، وتعاطيه إياهم وطماحه وجرأته
/77/ على مولى نعمته، ومنوّه صهره، وعاقد ولايته، وكافل يتمه، ومعتمد / عمره، ثم طيف به على أتان (٥٢) هجين، وحوله شيعة مكره، وظهراء غدره، وأخدانُ جهله، وأبناء جنسه، فتنخّل منهم متسوّرو السور، وتناول السلطان قتل ذلك الخبيث، أثبتها في صدره فسقط لحينه، وأجهز عليه وزعة السلطان، وعاثت في الطائفة

المُشَهَّرَة السيوف والحراب، ثم جُزَّتْ رؤوسهم وعولج منها رأس الخائن، فَغُشِّيَ وجْهُهُ طبقا من الشمع حفظ شكله، وطير بها، وعددها أربعة وأربعون رأسا، فورد بها على السلطان أحد قضاة الروم، فكان دخولهم بتلك الرؤوس فوق الأعواد والقنا عبرة برز الناس إلى مشاهدتها، معروفة أعيانها، مثبتة صوَرُها، مرسلة شعورها، اتخذت (٥٣) لها بمتسور الغدر الذي افترعته خُشُبٌ مدرجةٌ، نصبت بها عن يسار المارِّ إلى القلعة، وصفَّتْ به مثبتةً بدُسُر وأسباب لا يمكن معها سقوطها، يعلوها رأس رئيسها الشقي عبرة لأولي الألباب، وذكرى لأولي الاستبصار، ودفع الله الشرَّ، وأسكن الذُّعر، وأمن الخوف، وصرخ (٥٤) العارُ، وتدارك الفلتة، سبحانه لا إله إلا هو.

وأنشد السلطان - أسعده الله - إلى هذه الغاية، في هذه الأحوال، من الشعراء من يذكر، فمن ذلك ما رفع به إليه " بمالقة"، الشيخ، الصدر، الفقيه، كاتب جده، الشهير في العلم والأدب، أبو جعفر بن صفوان [58]، وعلى تفيئه ذلك كان مهلكُه، ولله درُّ القائل : "والزهر يسقط نفسه إذ يثمر"، تجاوز الله عنا وعنه :

(كامل)

أنوار سَعْدِكَ بالمُنى تتألّقُ — وبما يُخَلَّدُ أمرَ مُلْكِكَ تُشْرِقُ
هِيَ دَوْلَةُ العِزِّ المَديدُ لِواؤُها — بالنَّصْرِ والتأييدِ فَوْقَكَ يَخْفِقُ
يا أيُّها المَلِكُ الذي لِبَهائِهِ — وكمالِهِ سِيما سُمُوٌّ تَنطِقُ
شَهِدَتْ مَخايِلُها وقالَ لِسانُها : — مَلِكٌ سَعيدٌ في المُلوك (٥٥) مُوَفَّقُ
78 / أيامُهُ عَدْلٌ يفيضُ ونائلٌ — غَمْرٌ وشأوٌ في العُلى لا يُلْحَقُ (٥٦)
وبشائرٌ مَوْصولةٌ يَسْري بها — في الخافِقَيْنِ مُغَرِّبٌ ومُشَرِّقُ
جَمَعَتْ شَمْلَ المُلْكِ فاعْتَزَّ الوَرى — لَمّا تَنَظَّمَ شَمْلُهُ المُتَفَرِّقُ
وخَلَفْتَ أسلافاً كِراماً كُلُّهُمْ — باهى بتاجِ العِزِّ مِنْهُ المَفْرِقُ
شادوا مَباني المَجْدِ في أيامِهِمْ — وتَحَكَّموا في وَصْفِها وتأنَّقوا (٥٧)
وأتَيْتَ مُقْتَفِياً قَويمَ سَبيلِهِمْ — فيما لَهُ مِن صالِحٍ قَدْ وُفِّقوا (٥٨)
فَعَمَرْتَ مِنْ بُنْيانِهِمْ ما شَيَّدوا — وفَتَحْتَ باباً للنَّدى لا يُغْلَقُ
فَلَهُمْ بِكَ الخَلَفُ الذي وَرِثَ العُلى — وبِهِمْ لَكَ السَّلَفُ الكَريمُ الأسْبَقُ
وافَيْتَ "ريَّةَ" فاحْتَلَلْتَ بأفْقِها — بدراً وأضْحَتْ هالَةً بِكَ تُحْدِقُ
ألْقى عليها السَّعْدُ مِنْكَ شُعاعَهُ — فَلَها بِكَ المَرْأى البَهيجُ المُونِقُ
وزَهَتْ وحُقَّ لها بأنْ تَزْهى كما — بِشُروقِ نورِ الشَّمْسِ يَزْهو المَشْرِقُ
أجْرَيْتَ بَحْراً مِنْ نَداكَ زُلالُهُ — وأجاجُ (٥٩) بَحْرٍ جاوَرَتْهُ مُغْرِقُ
فلأهْلِها ولها بِكَ الفَخْرُ الذي — قَدْ قُلِّدوا أسْنى حُلاهُ وطُوِّقوا

مَوْلايَ عَبْدُكَ للمحبَّة مُخْلِصٌ ... تحبير (٦٠) أمداحي لذاكَ مُصدِّقُ
لَمْ يثْنني (٦١) عَنْ نَظْمِها الهَرَمُ الذي ... عجزتْ لَهُ مِنِّي القُوى والمَنطقُ
وبخدْمَةِ السَّلَفِ الكريمِ وسائلي ... حُمِدَتْ مساعيها فما إنْ تُخْفِقُ
يَرْعى أذمّتها الكرامُ وحقُّها ... عنْدَ الأكابرِ ثابتٌ ومُحَقَّقُ
/79/ ومقامُكَ الأعلى برَعْيِ ذمامها ... وأكيد حُرْمَتِها أحقُّ وأخلَقُ
لازلْتَ محروساً تحوطُكَ عصْمَةٌ ... مِنْ ذي الجلالِ جديدُها لا يخلقُ
تضْفو (٦٢) لديْكَ دُروعُها فَهْيَ التي ... ما تنْتَهي أبدا ولا تتمزّقُ
وعلى مقامِكَ مِنْ سلامي عاطرٌ ... أذكى من المِسْكِ الفتيقِ وأعبقُ

وأنشد الفقيه الصدر، بطل هذا الشأن، وفارس الميدان، والبعيد الشأو، البارع الخصل، الحائز قصب الشهرة، المتوقّل قُنَّة الإجادة، الفائز من الملوك بقداح الحظوة، أبو إسحاق بن الحاج [59]، قوله :

(طويل)

نَأيْتَ فَعطْفُ الغُصْنِ لم يتأوَّدِ ... بنَجْدٍ وخدُّ الوَرْدِ لَمْ يتوَرَّدِ
ولا التَفَتَتْ في الروضِ مُقْلَةُ نَرْجِسٍ ... ولا اكتَحَلَتْ مِنْ عينه (٦٣) بإثْمدِ
ولا ابتسَمَتْ للزَّهْرِ فيه مباسمٌ ... لها شنبٌ مِنْ طلِّها المتزيِّدِ (٦٤)
ولا جرَّ ذيلُ الآسِ في ملعَبِ الصَّبا ... على شبْهِ دُرٍّ بيْنَ شبْهِ زَبَرْجَدِ
ولا زُرَّ جَيْبُ الغيمِ فوْقَ حديقةٍ ... يصوغُ النَّدى من تربِها العطرَ النَّدى
ولا انفضَّ مَجْرى النَّهْرِ عن ذوْبِ فضَّةٍ ... تُمَوِّهُها كَفُّ الأصيلِ بعَسْجدِ
عَسَى زَوْرَةٌ يا ساكني الجزْعِ إنَّ لي ... إلى الجزْعِ أشواقا (٦٥) تروحُ وتغتَدي
ولي زَفْرةٌ لولا دوامُ انبساطِها ... لَقُلْت وميضُ البارِقِ المتوَقِّدِ
وطائرُ قلبي لاصْطباري مُغَرِّبٌ ... بطائرِ غُصْنٍ لاصطباحي مُغرِّدُ
ولَفْحُ غرامٍ في صفاءِ مدامعٍ ... كما انطبَعَتْ شمسٌ بصَفْحِ مُهَنَّدِ
/80/ نسيتُ ولا أنْسى العُذَيْبَ وناهداً ... تُصيخُ أمامَ الحيِّ للمُتَنَهِّدِ
ليالِيَ جاذَبْتُ الشبابَ أراكةً ... تظلُّ مِنَ اللذّاتِ أعْذَبَ موْرِدِ
وإذْ أنا (٦٧) في نُعْمٍ أطيلُ صَبابتي ... وأعْصي عَذولي في الهَوى ومُفَنِّدي (٦٨)
وكَمْ لَيْلَةٍ حلَّيْتُ عاطلَ جيدها ... بدُرَّيْنِ مِنْ شعرٍ وثَغْرٍ مُنَضَّدِ
وفي كبِدِ (٦٩) الظلماءِ قَدْحٌ يفتُّها ... بنارَيْنِ مِنْ شمعٍ ووجْدٍ مُكَمَّدِ
إلى أنْ شَدَتْ وُرْقُ الحمامِ فنبَّهتْ ... بما أسْمَعَتْ من شدْوِها كُلَّ مُنْشِدِ
ومالت كؤوس الشهب حتى حسبتها ... مسائلةً عن خمْرِها المُتَبَدِّدِ

وأرعَفَ أنْفَ الصبْحِ كَثْرةُ شمِّه ... لمِسْكِ الدُّجَى حتّى رمى المِسْكَ مِنْ يَدِ
وقَدْ هَمِلَتْ سُحْبُ السماءِ كأنّها ... مدامعُ عيْني أوْ نوالُ محمدِ
سَمِيُّ رسولِ اللهِ والمَلْكُ الذي ... لَهُ شادتِ الأنصارُ أشرَفَ مَحْتِدِ
إمامُ الهُدى المنصورُ والملكُ الذي ... بهِ الأُسْدُ أُسْدُ الغابِ في الوَثْبِ تقْتَدي (٧٠) 1 /
سليلُ أبي الحجّاجِ أكرمُ مُسْعِفٍ ... بأكرمِ ما يُرْجَى وأعظمِ مُسْعِدِ
منَ الراكظينَ الخيلَ تزْحفُ للوغَى ... سِراعاً كأمثالِ النّعامِ المُشرَّدِ
ذُؤابةُ مَجْدٍ في الصَّريحِ تأثّلُوا ... فروعُ المعالي بَيْنَ مثْنى ومَوْحَدِ
سُراةُ بني كُهْلانَ قرّتْ كُهولُهُمْ ... وشبّانُهُمْ والشِّيبُ في خيرِ مَصْعَدِ
هُمُ القوْمُ أمّا مَنْ حَمَوْا فهْوَ غالبٌ ... عداهُ وأمّا مَنْ هَدَوْهُ فَمُهتَدِ
وهُمْ ما هُمْ والخيْلُ ترْدي كأنها ... سَفائنُ في بحْرٍ مِنَ مُزْبِدِ
إمامٌ حوى المُلْكَ الرفيعَ ودُونَهُ ... مقامٌ لهُ الحرْبُ العَوانُ بمرصَدِ
فبأسٌ كسفْحِ البَرْقِ في قَلْبِ مُبْغِضٍ ... وجودٌ كسَحِّ الغَيْثِ في كفِّ مُجْتَدِ
وما كلُّ مَنْ سلَّ (٧١) السيوفَ بضاربٍ ... وما كُلُّ مَنْ هزَّ الرماحَ بمُقْصِدِ
حياةٌ لمظلومٍ ومَوْتٌ لظالمٍ ... وبُشْرى لمُعْتَدٍ وويْلٌ لمُعْتَدِ
يلذُّ نداهُ بَعْدَ إرْهابِ بأسِهِ ... كما لذَّ جَمْعُ الشَّمْلِ بَعْدَ تبدُّدِ
ويرْضي رماحَ الخطِّ حطْمُ قدُودِها ... إذا هزَّها للطَّعْنِ في كلِّ مَشْهَدِ
ويحسُنُ في سَمْعِ الحُسامِ ضرابُهُ ... كما تَحْسُنُ الأمْداحُ في سمْعِ سيِّدِ
نَماهُ لنصْرِ الدِّينِ نصرٌ وقدْ حوى ... عَنِ الجدِّ سَعْداً أيَّ سَعْدٍ مُجدَّدِ
لكَ اللهُ ما أزْكى مَناسبَكَ (٧٢) التي ... تبوأتَ منها في الجنابِ المُمَهَّدِ
وما الفضْلُ إلا ما ورثْتَ وإنَّهُ ... لعَنْ أمْجَدٍ سامي العلاءِ فأمْجَدِ
صَدَعْتَ بشمسِ العدْلِ في مشرقِ الهدى ... وأرشَدْتَ مِنّا للتُّقى كلَّ مرشَدِ
وقُمْتَ بأمْرٍ كان فرضاً عليْكَ أنْ ... تقومَ بِهِ رُحْمَى بكُلِّ موَحِّدِ
وأذْهَبْتَ عنّا فتْنَةً جاهليّةً ... لها في حَشَا الإسْلامِ أيُّ توَقُّدِ
وقد كُنْتَ أوْحَشْتَ البلادَ وأهْلَها ... وأذكرتَ حُسْنَ العهْدِ في كلِّ معْهَدِ
وأظلَمَتِ الدنيا لبُعْدِكَ واغْتَدَتْ ... مُرَدَّدَةً ذكْرَ الحنينِ المُرَدَّدِ
إلى أن أرانا اللّهُ غُرَّتَكَ التي ... جلَتْ كلَّ بُشْرى في مطالعِ أسْعُدِ
وكُنْتَ كمثْلِ الرُّوحِ عادَ لجسْمِهِ ... وكالنَّوْمِ وافى (٧٣) العَيْنَ بَعْدَ تسهُّدِ
هنيئاً لهَذا القُطْرِ مقْدَمُكَ الذي ... بهِ نلْتُ آمالي وبلَّغْتُ مَقْصَدي 2 /
وبُشْرى الورى طُراً بِبَيْعَتكَ التي ... غَدَتْ رِفْقَ مولىً للجميلِ ومَشْهَدِ
وقدْ رُعْتَ أهلَ البغْيِ منْكَ بعزْمَةٍ ... ستودِعُ ألحادَ الرَّدى كُلَّ مُلْحِدِ
وَجُدْتَ بما عوَّدْتَ لا الجودُ موكَسٌ ... ولا النيلُ بَعْدَ العوْدِ يوماً بِمُبْعَدِ

وما أصلح العلياء والمجد مصلح   لأمواله يوم الندى غير مفسد
أقول لحادي العير (٧٤) والليل ضارب   بأكوارها في كل قفر وفدفد
وقد أجهدت عوج الركاب لباتها (٧٥)   ثنت كل صبر دونها وتجلد
وراءك عن كل الملوك وعج بها   لأحمد ملك ساس أمة أحمد
وأمل أمير المسلمين محمداً   تجد خير مأمول وأكرم منجد
أمولاي حبي ما علمت وإنه   لأكرم حب في الخلوص مؤكد
وأما مديحي في علاك فأوحد   يقدمه صدق الرجاء لأوحد
فعد لي بما عودت قبل مواصلاً   رضاك وأحمد سعي عبدك تحمد
ودع عنك ما قال العدو فإنه   بفاس أتى بالزور فعل تعمد
رماني بداء هو والله داؤه   وإن يسأل الحق الذي بان يشهد
وكل الذي زكاه في الغرب حاسد   متى نلت خيراً منك مولاي يكمد (٧٦)
وإني لراج أن يخيب احتيالهم   فعادة ربي أن يخيب حسدي
بقيت بقاء الدهر في خير دولة   يقصر منها اليوم في النصر عن غد   / 83 /
ولازلت في عز وفتح مواصل   وسعد وإسعاد وملك مؤيد

ثم أنشد بعد ذلك :

(كامل)

وافتك بالخير المطيب المبهج   بشرى كإقبال الصباح الأبلج
ردت بها الدنيا نضارة حسنها   وغدت تفتح كل باب مرتج
الله أكبر هذه البشرى التي   أهدتك كل مفرح ومفرج
خاب البغاة الغادرون وقد أتى   رأس الشقي الخائن المستدرج (٧٧)
وأتت رؤوس القائمين بأمره   تشكو لحر الشمس أي توهج
فقدت قويم جسومها ثم انثنت   وجسومها من كل رمح أعوج
حتى إذا بلغت إلى السور الذي   طلعت به في جنح ليل مدلج
نصبت به مسودة عبراً لمن   قد جاء معتبراً هناك ومن يجي (٧٩)
وكأنها قطع من الليل (٨٠) الذي   غدروا به الحمراء بعد تلجلج
ما ثم إلا الله قاهر من بغى   ومفرج الكربات للقلب الشجي
هذي عناية ربنا بمعاشر   أفضالهم لسؤالهم لم يحوج
خرجوا عن الأوطان قبل وحبهم   عن كل قلب عندها لم يخرج
ولقد رأيت وما رأيت كخابط   في البيد يطويها كطي المدرج

مُتَطَلِّعٍ مِنْ كُلِّ نَجْدٍ قَاذِفٍ   بأغَرَّ نَهْدٍ مِنْ سُلالَةِ أعْوَجِ
لَوْ سَامَ فِي طَلْقٍ لأصْبَحَ ذارِياً   تُرْبَ العِرَاقِ على أباطِحِ مَنْبِجِ
أدّى البِشارَةَ وَهْيَ خَيْرُ بِشارَةٍ   وافَتْ بِخَيْرِ مُعَمَّمٍ ومُتَوَّجِ '84 /
ملكٌ وأشياعٌ لَهُ وقَرابَةٌ   آلَتْ شَدائِدُ دَهْرِهِمْ لَتَفَرُّجِ
قَدِمَ الجميعُ وكانَ يومُ قدومِهِمْ   لا يرتَجِيهِ كَما رآهُ المُرْتَجِي
فالزَّهْرُ بينَ مُفَضَّضٍ ومُذَهَّبٍ   والرَّوْضُ بَيْنَ مُوَشَّحٍ ومُدَبَّجِ
والقُضْبُ تَرْقُصُ والغَدِيرُ مُصَفِّقٌ   والوُرْقُ قَدْ غَنَّتْ ولَمْ تَتَلَجْلَجِ
والرِّيحُ قَدْ فَهِمَتْ حديثَ قدومِهِمْ   فَحَبَتْ بِكُلِّ مُعَطَّرٍ ومُؤَرَّجِ
والأرْضُ هَذِي (٨١) الأرْضُ تَبْسُطُ خَدَّها   لِلضَّارِبِينَ قِبابَهُمْ بالمُدْرَجِ
أهْلاً بِمَلْكٍ مِنْ مُلوكٍ سادَةٍ   بِسِواهُمُ صَدْرُ العُلى لَمْ يَثْلُجِ
يَعْفُونَ إنْ قَدَرُوا ويُولُونَ الرِّضى   ويَقِلُّ عِنْدَهُمُ الكَثِيرُ لِمُلْتَجِ
فَهُمُ الغُيُوثُ إذا المُحُولُ تَواتَرَتْ   وهُمُ اللُّيوثُ غَداةَ يَوْمٍ تَوَلُّجِ
المُوقِدونَ النارَ فَوْقَ شَواهِقٍ   كادَتْ تَذوبُ (٨٢) بِجاحِمٍ مُتَأجِّجِ
والضارِبُو (٨٣) طُولِ الكُماةِ بِمارِقٍ   إنْ يُدْعَ لِلْمَوْتِ الزُّؤامِ يُعَرِّجِ
والطّاعِنُو (٨٤) كُلَّ الفَوارِسِ في الوَغى   بِشَبِيهِ أرْشِيَةٍ (٨٥) يَلوحُ بِمُدْلِجِ
مَرَجَتْ عُهودُ الدِّرْعِ يَوْمَ ضِرابِهِمْ   وعُهودُ فَتْكِ سُيوفِهِمْ لَمْ تَمْرَجِ
مِنْ ضِئْضِئِي المَجْدِ الذينَ (٨٦) طِلابُهُ   دَرَجُوا وطِيبُ ثَنائِهِمْ لَمْ يَدْرُجِ
في سِرِّ قَحْطانٍ قَدِ اتَّسَقَتْ لَهُمْ   سَرَواتُ أرْحامٍ كِرامٍ وُشَّجِ
شَرَفٌ إذا كأسُ المَعارِفِ شَعْشَعَتْ   فَبِغَيْرِ طِيبِ حَدِيثِهِمْ لَمْ تُمْزَجِ
مِنْ عِلْيَةِ الأنْصارِ في البَيْتِ الذي   قَدْ شادَهُ سَعْدٌ كَبِيرُ الخَزْرَجِ '85 /
وتَلاهُ قَيْسٌ وهْوَ أكْرَمُ ماجِدٍ   نَدْبٍ بِغَيْرِ فَضائِلٍ لَمْ يَلْهَجِ
قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ذو الجَلالَةِ والعُلى   والحَمْدُ باسِمٌ بالشَّذا المُتَأرِّجِ
ولَقَدْ نَمى نَصْراً مُحَيّاً كاسْمِهِ   فالحَقُّ لَوْلا نَصْرُهُ لَمْ يَعْرُجِ
وأتى الأئِمَّةُ مِنْ أبْنائِهِ   كُلٌّ لَهُ شَرَفٌ كَرِيمُ المُنْتَجِ
خُلَفاءُ أُمَّةِ أحْمَدٍ وغِياثُهُمْ   إذْ لا مُغِيثَ غَداةَ خَطْبٍ قَدْ يَجِي
كالنُّجومِ بَدَتْ لنا ومُحَمَّدٌ   شَمْسٌ بِأُفْقِ عُلاهُمُ المُتَبَرِّجِ
مَلِكُ المُلوكِ وخَيْرُ مَنْ قَهَرَ العِدى   مِنْهُمْ وأكْرَمُ مُلْجِمٍ أوْ مُسْرِجِ
يا راكِباً يَطْوِي الفَلاةَ بِجَسْرَةٍ   كالقِدْحِ تَبْصُرُهُ بِكَفِّ مُعَوَّجِ
مِنْ نَسْلِ شَدْقَمٍ لا تَمَلُّ مِنَ السُّرى   أوْ تَصْدَعُ البَيْداءَ صَدْعَ الدُّمْلُجِ
تَشْدو إذا جَنَّ الدُّجى بِقَصائِدٍ   الأداةِ (٨٧) في حِفْظِها لَمْ تُحْوِجِ
اقْصِدْ بِأنْدَلُسٍ أعَزَّ خَليفَةٍ   في عَصْرِهِ وأجَلَّ مَلْكٍ قَدْ رُجِي

واخْصُصْ بما نظَمْتَ مَوْلىً مُنْعِماً | لسوى علاهُ النظمُ لَمْ يتحوّجِ
أضْحَتْ مدائحُنا خداجاً كلُّها | فإذا خصصناها به لم تُخْدَجِ
ما الأرضُ في الزَّمَنِ (٨٨) الجديبِ إلى الحيا | منّا إلى جدوَى يديه بأحْوجِ
يا مَنْ يفاخِرُهُ وراءكَ ليْسَ ذا | يوماً بعشكِ في المفاخرِ فادْرُجي [60]
/86/ مَلِكٌ لهُ خضعَتْ تبابعُ حميرٍ [61] | وبنو(٨٩) الأعاظمِ منْ قبائلِ مذحجِ
لَوْ كانَ عندَ البدرِ بعضُ جمالهِ | عندَ انخسافِ كمالهِ لَمْ يَبْهَجِ
أوْ كانَ عندَ البحرِ بعضُ وقارهِ | عندَ اشتدادِ الرِّيحِ لَمْ يتموّجِ
أوْ جازتِ الظلماءُ نورَ جبينهِ | لَمْ تَبْغِ صدْعَ صباحِها المُتبلّجِ
أغناهُ شربُ دمِ العدى، ولواؤهُ | عنْ موردٍ عذْبٍ وظلٍّ سجسجِ
للهِ في يومِ الحروبِ محمَّدٌ | والأرضُ تشرقُ بالقنا المتوشّجِ
والخيلُ تزحفُ بالكماةِ كأنها | بحرٌ وبيضُ الهندِ طامي الأموجِ (٩٠)
من أشهبٍ كالطِّرسِ لاحَ الطعنُ في | لبّاتهِ كسطورِ خطٍّ مُدْمجِ
أوْ أشقرٍ كالبرقِ أوْمَضَ في دُجى | نقعٍ بكرّاتِ الخيولِ مُهَيَّجِ
أوْ أحمرٍ عرقتْ نواصعُ نحرهِ | فغدَتْ كمثلِ الخمرِ مهما تمزجِ
أوْ أصفرٍ لبسَ الأصيلَ وعرفُهُ | كالليلِ فاضَ على الأصيلِ المبهجِ
أوْ أدهمٍ كسوادِ عينٍ فتّحتْ | وحجولُهُ كبياضِها المتمزّجِ
أو أشعلٍ كضرامِ نارٍ إنْ يطُلْ | في الحربِ هائلُ نفخهِ يتأجّجِ
منْ خيرِ انتاجِ الوجيهِ ولاحقٍ [62] | قبُّ الأياطلِ مثلُها لَمْ يُنتَجِ
تنقضُّ عقباناً وفوقَ ظهورِها | أُسْدٌ متى دُعيتْ نزالِ تهيَّجِ
أقسمتُ ما حسناءُ طرةُ (٩١) دميةٌ | ترنو إليكَ بطرفِ أحورَ أدعجِ (٩٢)
منْ عَفْرِ آرامِ الكناسِ بوجرةٍ | مُنيتْ بأيّ مُجلّي ومُهجهجِ
/87/ مضعوفةً مجرى الوشاحِ تخالها | بدْرًا على غُصْنٍ بدعصٍ رجرجِ
معشوقةُ اللحظاتِ طيبةُ الشذا | تفترُّ عنْ ألمى أغرَّ مفلّجِ
كأقاحةٍ سُقيتْ بماءِ غمامةٍ | في روضةٍ بالزّهرذاتِ تأرّجِ
يوما بأشهى عندهُ منْ مشهدٍ | بسوى الحسامِ بكفّهِ لَمْ يفرجِ
ولقدْ حلفتُ بربِّ مكةَ والألى (٩٣) | بسوى مواقفِ قومهم لم يحججِ
ما الزهرُ مُتّسكاً بأذيالِ الصبا | في إثرِ وبلٍ للبطاحِ مُدبّجِ
أوْفى لديهِ محاسناً منْ رايةٍ | منْ فوقِ رمحٍ بالدماءِ مضرّجِ
شهمٌ أخو حزمٍ سليمٌ رأيُهُ | لَمْ ترمِ كفُّ النقدِ منهُ ببهرجِ
لَوْ كنتَ (٩٤) تشهدهُ أمامَ بلادهِ | أيا م لَمْ تمنحهُ وشكَ تولّجِ
وإذا المنايا تلتظي بجهاتها | كالنارِ تُشعلُ في الغضا والعرفجِ

لرأيتَ ليثاً والفوارسُ دونَهُ   مُنْقَضَّةً مثلَ النعامِ الهُدَّجِ
حتى إذا ظفرتْ يداه بفتحِها   وغَدَتْ نفوسُ الخَلْقِ ذاتَ تَحشرُجِ
وأذلَّ صائلَ فتنةٍ خَبَطتْ إلى   أعطانها خَبْطَ البعيرِ الأعْرجِ
وأتى إلى غرناطةٍ في طالعٍ   للسَّعْدِ هادٍ نحوَ أكْرمِ مَنْهَجِ
فبدتْ لهُ مثلَ العروسِ وإنها   بسوى نُجومِ الأفْقِ لَمْ تتمَوَّجِ (٩٥)
أضْفى على أعطافِها حُلَلَ الرِّضى   فَهَفَتْ إلى ذكْرى الحبيبِ لها الشَّجي
وحوى بها المُلْكَ الذي هُوَ أهلُهُ   وبكلِّ مَدْحٍ يرْتَضى قَمِنٌ حَجِ
وتزيَّنَتْ مِنْ وَجْهِهِ آفاقُها   بأجلَّ مِنْ قَمَرِ السماءِ وأبْهَجِ '88 /
فاسْمَعْ مُحَمَّدُ حَمْدَها فقياسُهُ   لسوى مقامكَ شَكْلُهُ لَمْ يُنْتَجِ
وإليكَها منّي مدائحَ أُنْهِجَتْ   بُرْدَ الزمانِ وبُردها لم يُنْهَجِ
ولو انني أعطيتُ كلَّ بليغةٍ   وبكلِّ ما يَهْوَى البيانُ إليَّ جي
لأتيتُ بالتقصيرِ مُعْتَرِفاً ولَمْ   أبْسُطْ سوى كَفِّ الفقيرِ المُحْوِجِ
فاشْرُفْ وسُدْ واسْعَدْ وعِزَّ وَجُدْ وصِلْ   والْتَذَّ واصْعَدْ واسْمُ وانْعَمْ وابْهَجِ
واللهُ يمنَحُكَ الأمانيَ كلَّها   ما احْتَلَّ بَدْرٌ في ثواني الأبْرُجِ

ورفع بعد ذلك متوسلا بقوله :

(طويل)

حَظيتَ بعزِّ المُلْكِ والشَّرَفِ المَحْضِ   ومكَّنَكَ الرَّبُّ المُهَيْمِنُ في الأرْضِ
وفضَّلَكَ الرحمانُ بالعلمِ والتُّقى   فَقُمْتَ بما يرضيهِ في النَّفْلِ والفرْضِ
وأصبَحْتَ في الأملاكِ أمْجَدَ واحدٍ (٩٦)   تَحُضُّ على دينِ النَّدى أيما حضٍّ
نماكَ إلى العَلْياءِ كلُّ خليفةٍ   بأمرِ إله العَرْشِ تَصْدَعُ أو تَقْضي (٩٧)
ويالك مِن ذرِّيةٍ (٩٨) ظلَّ بعضُها   كما شاءَهُ المجدُ المؤثَّلُ مِنْ بَعْضِ
عدوُّكَ أضْحى بالرماحِ مُجَدَّلاً   وذاقَ مِنَ الإذلالِ مضاً على مضٍّ
وقد كان يشقى بالنَّدامةِ قبلها   فمهما خَلا أدْمى الأنامِلَ بالعَضِّ
يميناً لَهذا العَصْرُ نحوَكَ قد أتى   بنَصْرٍ لأبكارِ البشائرِ مُفْتَضٍّ
ومُلْكٍ (٩٩) طاهرٍ ومُطَهَّرٍ   نَقيِّ ثيابِ المَجْدِ مُسْتَصْوَنِ العِرْضِ 89 /
قَدِمْتَ علينا بالجيوشِ وإنما   قَدِمْتَ بأُسْدٍ سُرَّعِ الوَثْبِ والرَّبْضِ
على كلِّ طِرْفٍ سابغِ الذيلِ سابقٍ   يكادُ يذيبُ اللُّجْمَ باللَّوْكِ والرَّضِّ
جيادٌ تملُّ العينُ من طولِ شأوِها   ولكنَّها ما إنْ تَمَلُّ مِنَ الرَّكْضِ
شَهِدتُ لقدْ أطلعْتَ غُرَّ كتائبٍ   إذا عَرَضَتْ أذكرتنا موقفَ العَرْضِ

تُرِي النَّقْعَ سُحْباً أثقلتْ بدَمِ العِدى   فبرقُ الظُّبا ما بينها صادقُ الوَمْضِ
إذا خفقتْ أعلامُها فرماحُها   كأنمل آسٍ في الحنُوِّ على النَّبْضِ
حَمَيْتَ حمى الإسلام فاللهُ ربُّنا   يضاعفُ ما قدَّمْتَ من أحْسَنِ القرضِ
إذاما دنَا من أُفقِ مُلكك ماردٌ   رماهُ بنَجْمٍ من سنانك مُنْقضٍّ (١٠٠)
لكَ اللهُ منْ مَلْكٍ لسيفكَ مُنْتَضٍ   وللطرف في يوْمِ الوَغى أبداً مُنْضٍ
تنامُ الرعايا تَحْتَ ظلِّ أمانه   وأجفانُه لم تكْتحلْ سِنَةَ الغمْضِ
همامٌ إذا ما همَّ أمضى عزيمةً   هيَ السيفُ بلْ بالسيفِ تُزْري إذا تَمْضي
تُثيرُ أحمَّ النقعِ كُحْلا جيادُهُ   إذا الشَّمْسُ في الهيجاءِ بالأعْيُنِ المُرْضِ
نُهوضٌ إلى الأعداء لا فعلَ بأسه   تَزِلْ ولا مَمْشاهُ (١٠٢) للحربِ بالدَّحْضِ
يميضُ عجاجُ الليلِ أسْوَدَ حالكاً   فيكْشفُ عن وجْهٍ منَ النَّصْرِ مُبْيَضِّ
مُحَمَّدٌ المَحبوبُ بنَ يوسفَ الرضى   بأيِّ رضى بالسَّعْدِ أحكامُه تَقْضي
أخو الرشْدِ للعلْيا ولكنْ حُسامُهُ   يدينُ مع الآجالِ في الحرْبِ بالرفضِ
وطبَّقَ آفاقَ البسيطةِ مدْحُهُ   فسار مسيرَ الشمسِ في الطُّولِ والعرضِ
كريمٌ على التعْذالِ للمالِ مُسْخطٌ   ولكنَّهُ سُخْطٌ لكلِّ الورى مُرْضِ   / 90 /
إذا ما شكا قبضاً أخو الفقْرِ عندهُ   ثناهُ ولا قبْضٌ وللمالِ ذا (١٠٣) قبضٌ
وأفعالُهُ تَخْتصُّ بالخفْضِ والغنى   فأعجب للأفعالِ تَخْتَصُّ بالخفْضِ
دَرِيٌّ بكَسْبِ المدْحِ يُغْني نظيمَهُ   بمالٍ شتيتٍ بالنَّدى جدُّ مُنْفَضِّ
إذا ما حدا الركبانُ في السيْرِ باسْمه   طوتْ عيسُهم ما للفلاةِ منَ العرْضِ
ولا عيبَ في عليائه غيرَ أنَّها   تَرى مالَها طولَ العداوةِ والبُغْضِ
أمولايَ جاءَ العيدُ وهْو مُذَكِّرٌ   لأحواله يا خيْرَ منْ عيدُهُ يُرْضي
بقيتَ عزيزَ المُلْكِ ما هبَّتِ الصَّبا   ومالَتْ قدودُ القُضْبِ في رَوْضها الغضِّ

وأنشد الفقيه العدل، المترقي بعد إلى تعليم الأمير ولده، أبو عبد الله محمد الشريشي [64]، قوله :

(طويل)

أبى اللهُ إلا أن يكونَ لكَ المُلْكُ   فكُنْ كيفَ تَهْوى فالزمانُ لَكُمْ مِلْكُ
وكلُّ البرايا في يمينكَ ألْقيَتْ   مقاليدُها والبَرُّ والبَحْرُ والفُلْكُ
فما جرتِ الفلْكُ المواخرُ أو رَسَتْ   سوى لتنالَ المُلْكَ يا أيها المَلْكُ
وما عدتِ الجُرْدُ السوابقُ إذ عَدَتْ   طِلابَ تراثٍ في مداكَ لها دَرْكُ
ولا أعملَتْ سُمْرُ العواملِ والقنا   ولا لبسَتْ إلا إلى نَصْرِكَ التَّرْكُ
ولا جرَتِ الأفلاكُ إلا بسعْدكم   فجرٌ على أعدائكم سيْفَةُ الهَلْكُ

فيا مالكَ الأملاكِ غيرَ مدافعٍ ... ووُسْطاهُمُ إما يُنَظِّمهم سلْكُ
ويا وارثَ العلْياءِ عن خَيْرِ والدٍ ... به في سماءِ المَجْدِ قد رفع السَّمْكُ / 91 /
من الغالِبيِّين الذين لدى الوغى ... لسُمْرِ العوالي فوْقَهُمْ شُهُبٌ تذكو (١٠٤)
بني نَصْرِ الأعلَيْنَ أنصارِ أحْمَدٍ ... ومنْ في فَمِ الأيامِ ذِكْرُهُمُ ضَحْكُ
هُمُ نَصَروا المُخْتارَ في كلِّ مَشْهَدٍ ... وهُمْ آثروا إذ (١٠٥) كان من غيرهم مَسْكُ
وشَدُّوا عُرى الإسلامِ بَعْدَ انْفصامِها ... فأصبحَ دينُ الحقِّ لم يَعْرُهُ إفْكُ
وهَلْ مِثْلُهُم إلا سلالةُ مَجْدِهم ... محمدٌ الأرْضى الذي حُبُّهُ نُسْكُ
فيا أيُّها المنصورُ والمَلِكُ الذي ... محبَّتُهُ دينٌ وبُغْضَتُهُ شِرْكُ
لَكَ اللهُ ما أخْفَى لطائفَ قدْ بَدَتْ ... لَدَيْكَ منَ الرحمانِ لم يُخْفِها شَكُّ
سلَكْتَ سبيلا أعْجَزَ الخلْقَ كُنْهُها ... فَهَلْ مَلَكٌ في طيِّ أثوابِه مَلْكُ
خلَعْتَ ولا شَيْنٌ وحَسْبُكَ إسْوَةً ... بمُلْك الذي لا يُبْتَغَى مثْلَهُ مُلْكُ
وفارقْتَ دارَ المُلْكِ لا عَنْ قِلىً لَها ... ولا عَنْ مَلالٍ كان منها ولا فَرْكُ
ولكنْ قضاءُ اللهِ يَجْري وحُكْمُهُ ... وهَلْ أحدٌ عما قضى اللهُ يَنْفَكُّ
وكنتَ كما الياقوتُ قُلِّبَ في عَي (١٠٦) ... وكالذَّهَبِ الإبريزِ خلَّصَهُ السَّكُّ
ولُحْتَ كَبدْرِ التِّمِّ إذْ نالَ شَخْصَهُ ... خسوفٌ ومن بعْدُ استَبانَتْ به الحُبْكُ
أعَدْتَ ضيا الإسلام منْ بَعْد ظلمةٍ ... وجمَّعْتَ شَمْلَ الدِّين وافْترقَ الشِّرْكُ
وفُزْتَ بأجْرِ الصبْرِ والظَّفَرِ الذي ... قَدْ أعْقبهُ يا حُسْنَهُ عملٌ يَزْكُو
لذاكَ بدا ثغْرُ الهُدى وهْوَ ضاحكٌ ... وحقٌّ لأربابِ الضَّلالةِ أنْ يَبْكُوا
فَهُنِّيتَ يا مولايَ أرْغدَ عيشَةٍ ... وإنَّ الذي ناواكَ عيشَتُهُ ضَنْكُ / 92 /
قَدمْتَ على "غرناطةَ" وعُروضُها ... توالى على أجزائها الجزْءُ والنَّهْكُ
وأوْلَيْتها بعد الزِّحافِ سلامةً ... وإنَّ الخليل [65] يرتضي ذاكَ لا شكُّ
وأبرمْتَ عقدَ السِّلْمِ بعد انتقاضه ... بِكَفِّ بُغاةٍ في الجهالة ما انْفَكُّوا
فأهْدَتْكَ بُشْرى منْ رُباها لَنَشْرِها ... بنودُ شقيقٍ منذُ بُعْدكُم حلْكُ
وثغْرُ الأقاحي افْتَرَّ منْ جذَلٍ بِكُمْ ... كما زَهَرُ الرَّوْضِ الأنيقِ لهُ ضَحْكُ
وورْدُ الرِّياض احْمَرَّ مِنْ خَجَلٍ به ... وعرْفُ الرُّبى يَحْكي شذاك له المسْكُ
فهُنِّيتها مولايَ عَوْدَ خلافةٍ ... أُعيدَ لها الإسلامُ والدينُ والنُّسْكُ
وإنَّا لَنَرْجو أن تعودَ كَبْدْئها ... بِعَدْلِكُمُ والظلمُ يُرفعُ والفَتْكُ
فحِلْمُكُمُ والصفحُ منكمْ وراثةً ... وحاشاكُم من أن يكونَ لذا تَرْكُ
فنُوِّلَ المُسيءَ منهُمُ فَضْلَ حِلْمِكُمْ ... لتلقاهُ عبداً يشكُرُ الحِلْمَ لا يشْكو
و هُنِّيتَ ما خُوِّلْتَ من هَلْكِ غادرٍ ... وأشياعه والغدْرُ يَتْبَعُهُ الهَلْكُ
جزاءً فاقاً من حكيمٍ مُهَيْمِنٍ ... له البطْشُ والإمْهالُ والأخْذُ والتَّرْكُ

/ 93/ لقد ركبوها فـــي الزمـــان عظيمـــةً ... لوَقْعَتها قد كـــادت الأرضُ تَنْـــدَكُّ
وراموا لدى الروم النجـــاةَ سَفاهـــةً ... وأنّى لهم مـن أخْـــذَةِ اللـــه مُنْفَـــكُّ
فقد أصبحوا ما بَيْنَ عـــانٍ مُقَيَّـــدٍ ... بقَيْـدِ هـــوانٍ مالَـــهُ أبَـــداً فـــكُّ
وبينَ قتيلٍ فـــي الجحيـــمِ مُخَلَّـــدٍ ... وفوقَ أديم الأرْضِ مِـــنْ دَمِـه سَفْـــكُ
لَقَدْ سوَّلَتْ نَفْسُ الشقيِّ لـــهُ مُنَـــى ... أتَتْهُ المنايا قبـــلُ وانْتَشـــرَ السِّلْـــكُ
ونَظَّمَت الأسيافُ جَوْهَرَ عُمْرِهـــمْ ... بسلْكِ الردى أنّى يُرى مثلَـهُ سلـــكُ
تحلَّى به جيدُ الزمـــانِ وأطْلَعَـــتْ ... علَى شُرُفاتِ النَّصْرِ أصدافها السُّـكُّ
وقد كَحَلَـــتْ ألوانُهـــا فكأنهـــا ... لياليهمُ اللاتي غدرْنَ بـــها الحُلْـــكُ
وقدْ خُطَّ بالهِنْديِّ فـــي صفحاتهـــا ... خطوطاً لذي ذكْـــرى ومُعْتَبِرٌ يَزْكُـــو
فهنَّأكَ الرحمـــانُ يـــا خيرَ مـــالِكٍ ... عوارفَ رُحْمَى مِـــنْ إلهٍ لَهُ المُلْـــكُ
ولازلْتَ منْصـــورَ اللـــواءِ مؤيَّـــداً ... وسيفُكَ في صـدرِ العـــدُوِّ له فَتْـــكُ
وعِشْتَ رفيعَ القدْرِ في ظـــلِّ غِبْطـــةٍ ... عبيدُ نَداكَ العُرْبُ والـــروم والتُّـــرْكُ

وأنشد الفقيه الأديب، أبو بكر بن الفقيه الكاتب أبي القاسم بن قطبة [66] قوله :

(كامل)

وَجْه الزمـانِ بَـدا لَــهُ اسْتبشـارُ ... فاشْرَبْ فكـاساتُ السـرورِ تُـدارُ
انظُرْ إلـى الدنيـا يروقُـكَ حُسْنُهـا ... مِنْ بَعْدما ريعَـتْ بهـا النُّظّـارُ
لَبِسَتْ مـلابِـسَ سُنْدُسٍ أعـلامُهـا ... مِـنْ ذي الأزاهـرِ فضّـةٌ ونُضـارُ
وتَفَتَّحَ الـوَرْدُ النضيـرُ بِرَوْضَـةٍ ... فاصْفَرَّ مِنْ خَجَـلٍ هنـاكَ بَهـارُ
وتـأرَّجَتْ نفحـاتُـهُ فكـأنّمـا ... قامـتْ بشُكْـرِ نَسيمِهـا الأطْيـارُ
وكأنّما عشقَ الحيـا زَهْـرَ الرُّبَـى ... فلـذاكَ تَبسـمُ أن بَكَـى الأزْهـارُ
/ 94/ وكأنمــا زار الحبيـبُ مُحِبَّـهُ ... سِرّاً فرامَـتْ سَتْـرَه الأشجـارُ
وكأنما خَشِيَ الرقيـبَ فجـرَّدَتْ ... أسيافَها تَحْمـي الحمـى الأنهـارُ
وكأنَّ حرَّ الشَّمْسِ خيفَ فـأسْدلَـتْ ... للسُّحْـبِ فـوقَ رؤوسنـا أسْتـارُ
وكأنّما سَجَعَـتْ بجـودِ مُحَمَّـدٍ ... فبدا علـى عَجَـلٍ لهـا استعبـارُ
مَلِكٌ يُعَـزُّ المسلمـونَ بِمُلْكِـهِ ... ويُـذَلُّ مِـنْ سَطَواتِـهِ الكُفّـارُ
إنْ سادَ أحْجَمَتِ الأسـودُ ضَراعَـةً ... أو جـادَ ودَّتْ جـودَه الأمْطـارُ
أو لاحَ فـي نـادي المكـارمِ وجْهُـهُ ... خَجِلَـتْ بنـورِ جبينـه الأقمـارُ
لا تَحْسبـوه كالضّراغـمِ ربّمـا ... عندَ الضراغـمِ يُستَضـامُ الجـارُ
مَنْ قاسَ بالأنـواءِ جـودَ بَنانِـهِ ... فلَقـدْ تَضِـدُ، وَجـودُهُ مِـدْرارُ

أحمد لَمَّا قَدِمْتَ تَيَمَّنَتْ … هِمَمُ الرِّجالِ وصَحَّتِ الأخْبارُ
عَهْدي بأندلُسٍ وقد فارقْتَها … ثَكْلَى فليْسَ لعَقْلِها اسْتِقْرارُ
والأرضُ راجفةٌ تمورُ وأهْلُها … حزْنٌ وألبابُ الرجالِ تَخارُ
والمُلْكُ يَلْطِمُ خَدَّهُ مِنْ حَسْرَةٍ … واللُّوْمُ قَدْ غَصَّتْ بِهِ ذي الدارُ
والغادرونَ بها مُلوكٌ إسْوَةٌ … يُدْعَى إمامُهُم بها الغدّارُ
قد ألْبِسوا حُلَلَ الملوكِ وطالَما … كانَتْ تَعِزُّ عليهِمُ الأمطارُ
وتَوَهَّموا أنْ لا زوالَ لأمرِهِمْ … ما لاحَ نَجْمٌ واسْتَضاءَ نَهارُ
ولَجوا على رِضْوانَ ليلاً دارَهُ … غَدْراً كأنَّ الغَدْرَ ما هو عارُ
قَتَلوهُ ما بينَ البنينَ ومَثَّلوا … ظُلْماً بِهِ أنَّى يُقالُ عِثارُ
ما كانَ قَصْدُهُمُ سِواكَ وإنَّما … كانَ الفداءُ وساعدَ المِقْدارُ 5 /
وقَضَوْا على أخَوَيْكَ وهْيَ مصيبةٌ … دَمْعُ الهُدَى مِنْ بَهْرِها مِدْرارُ
هَبْ أنَّ إسماعيلَ أذْنَبَ <أ> وأتَى … ذنباً فإنَّ عِقابَهُ اسْتِغْفارُ
أغْرَوْهُ مع زَمَنِ الصِّبا فأجابَهُمْ … إنَّ الشبابَ بمِثْلِها أمّارُ
فاذْكُرْ أباكَ ولَوْ رآهُ مُجَدَّلاً … لَغَدا عليْهِ العقلُ وهْوَ مُطارُ
ما كانَ يَصْنَعُ إذْ رَأى قَيْساً وقَدْ … عَبَثَ الحسامُ بحُسْنِهِ البَتّارُ
أعْزِزْ عَلَيَّ بأنْ أرَى الرُّوطِي بها … حيّاً وللصِّيدِ الكِرامِ بَوارُ
ما زالَ كَيْدُهُمُ يَزيدُ نُمُوُّهُ … حتَّى أتاهُمْ جَيْشُكَ الجرّارُ
فمَلَكْتَ مُلْكَ أبيكَ دونَ مُنازِعٍ … وعَنا المعانِدُ واسْتَقَرَّ الدارُ
مذ عادَ مَوْلانا الإمامُ بمُلْكِهِ … سَمَحَ الزمانُ فمالَهُ أعْذارُ
أوَ ما تَرَى الأيامَ كيفَ تَبَسَّمَتْ … والدهرُ كيفَ بَدا لهُ اسْتِبْشارُ
مولايَ لما غِبْتَ غابَ سُرورُنا (١٠٧) … وعَلا لغَيْبَتِكَ البدورَ سِرارُ
وتَحَكَّمَ الغدّارُ فينا ظالِماً … وتَجَدَّلَتْ بحُسامِهِ الأحرارُ
ونَفَى وطَرَّدَ واسْتَطالَ بغَدْرِهِ … وارتجَّتِ الأوطانَ والأمصارَ
لكِنْ بعَوْدَةِ مُلْكِكُم عُدْنا لها … فرَحاً وهانَتْ أبْحُرٌ وقِفارُ
كَمْ مُبْغِضٍ في أرْضِ فاسٍ لم تَزَلْ … تُقْضَى لنا في كُتْبِهِ الأوْطارُ
سَلْ هؤلاءِ كيفَ كُنَّا بعْدَهُمْ … هَلْ ضلَّ منَّا للهُدَى اسْتِبْصارُ
لَوْ كُنْتَ تَبْصُرُنا لَراقَكَ فِعْلُنا … ولِسِرِّكَ الإيرادُ والإصْدارُ 6 /
فانْصُرْ عَلَيْهِمْ ولْتُخَيِّبْ كَيْدَهُمْ … يامَنْ نَمَتْهُ إلى العُلَى الأنْصارُ
وأحْسِنْ ونَبِّهْ قَدْرَنا بَيْنَ الوَرَى … حَكَمَتْ برِفْعَةِ قَدْرِكَ الأقْدارُ

وأنشد كذلك جملةً، حجر الله على جميعهم الإجادة يومئذ على اتساع مجال القول، والنِّعم تبهر، والمكيفات المتعالية عن الوصف تبهت وتقطع.

وهذا ما تحصَّل باليد بعد اللحاق بالحضرة لاستيلاء الضياع على هذه الأغراض، وعدم العناية بها اليوم، حتى كاد يُطمس الرسم، ويُغلق الرّهن.

هوامش الفصل الخامس

(١) م : النصرى، تصويبه ما أثبتنا.
(٢) بياض بالأصل.
(٣) م : متوفرا، وهو تصحيف.
(٤) م : محيت نقط الشين.
(٥) م : الشراف. تصويبه ما أثبتنا.
(٦) م : تحصل.
(٧) م : صرفه عنهم، والأنسب ما أثبتنا.
(٨) م : محيت نقط اللفظة.
(٩) م : الجلا.
(١٠) بياض بالأصل.
(١١) م : الأعبال، وهو تحريف.
(١٢) م : الحطب، صحته ما أثبتنا.
(١٣) م : مطار الفتح وزكون، تصويبه ما أثبتنا.
(١٤) م : معمره، وهو تصحيف.
(١٥) م ويجزيم.
(١٦) م : السقارة، ولعلها الستارة.
(١٧) م : السب، وهو تحريف.
(١٨) م : معزرا، وهو تصحيف.
(١٩) م : وولى، تصويبه ما أثبتنا.
(٢٠) م : وتحمد، وهو تحريف.
(٢١) م : وعده، وهو تحريف.
(٢٢) م : استخلصها، صحته ما أثبتنا.
(٢٣) م : عمالته، وهو تحريف.
(٢٤) كتبت في الهامش.
(٢٥) م : الإلاهية، وهو تحريف.
(٢٦) م : الأسررة، وهو تحريف.
(٢٧) م : اخراس.
(٢٨) ساقطة في المتن.
(٢٩) م : والاقام، صحته ما أثبتنا.
(٣٠) م : الأعمار، وهو تصحيف.
(٣١) م : توضياته، صحته ما أثبتنا.
(٣٢) م : جملة، وهو تصحيف.
(٣٣) م : رحما.
(٣٤) م : المخص وهو تصحيف.
(٣٥) م : الباس، وهو تحريف.

(٣٦) بياض بالأصل قدرناه بما أثبت.
(٣٧) م : الايلة، صحته ما أثبتنا.
(٣٨) م : فاحتبل، وهو تصحيف.
(٣٩) م : والوم، وهو تحريف.
(٤٠) م : بفيئة، تصويبه ما أثبتنا.
(٤١) م : الذي جعل الخرو.
(٤٢) م : أو شاب وهو تحريف.
(٤٣) بياض في الاصل.
(٤٤) م : التعديد، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٤٥) م : المصجرات، وهو تصحيف.
(٤٦) م : الأرض، مع إشارة إلى استبدالها بلفظة الفضاء التي كتبها الناسخ في الهامش.
(٤٧) بياض بالأصل قدرناه بما أثبتنا.
(٤٨) م : الوعة وهو تحريف.
(٤٩) م : الحار، ولعلها الحائر.
(٥٠) م : بغدر.
(٥١) م : الشاهد.
(٥٢) م : أتار، تصويبه ما أثبتنا.
(٥٣) م : اتخذ.
(٥٤) م : صرح، وهو تصحيف.
(٥٥) م : الملك، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٥٦) م : ورد الشطر كما يلي : "عمر وشاي في العلى يلحق"، ولعل الأنسب للوزن والمعنى ما أثبتنا.
(٥٧) م : وتانق.
(٥٨) م : وفق.
(٥٩) م : وجاج، وسياق المعنى والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٦٠) م : تخير، لا يستقيم بها الوزن.
(٦١) م : لم يثني، تحريف واضح.
(٦٢) م : تصفو، وهو تصحيف.
(٦٣) م : قينه، ولعلها ما أثبتنا.
(٦٤) م : محيت نقطتا الياء، ولعلها ما أثبتنا.
(٦٥) م : الند.
(٦٦) م : أشواق.
(٦٧) هذا الشطر مكسور.
(٦٨) م : مفند.
(٦٩) م : أكباد، ويستقيم الوزن بما أثبتناه.
(٧٠) م : تقتد.
(٧١) م : مرسل، وهو تحريف.

(٧٢) م : مناسبك، غير منقطة النون.
(٧٣) م : وفي، تحريف مخل بالوزن، صوابه ما أثبتنا.
(٧٤) م : العين، وهو تحريف.
(٧٥) م : لبانه، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه.
(٧٦) م : مكمد، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٧٧) م : حسد.
(٧٨) م : كتب البيت في الهامش.
(٧٩) م : م : يج، وقد أضفنا الياء في بعض قواقي ما يأتي من القصيدة استيفاء للمعنى.
(٨٠) م : اليل، سهو من الناسخ.
(٨١) م : هاذى، والوزن يقتضي قراءتها بدون مد.
(٨٢) م : ينوب.
(٨٣) م : والضاربون، الوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٨٤) م : والطاعنون.
(٨٥) م : أرشبة، ولا معنى لها، ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(٨٦) الأنسب للوزن قراءته : من ضنضيء المجد الذي.
(٨٧) كذا في الأصل ولا يستقيم بها الوزن.
(٨٨) م : الزمان، والأنسب للوزن قراءتها الزمن.
(٨٩) م : بنوا، تحريف مخل بالوزن والمعنى، صوابه ما أثبتنا.
(٩٠) يعني بها الأمواج، وحذف الألف لضرورة الوزن.
(٩١) م : ما حسنا، زدنا الهمزة ليستقيم الوزن.
(٩٢) محيت اللفظة ولم يبق منها إلا الجيم، فقدرناها بما أثبت.
(٩٣) م : الأولى، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
(٩٤) م : كانت، ولا يستقيم بها الوزن.
(٩٥) هكذا في الأصل والأنسب قراءتها تتزوج.
(٩٦) م : واحدا، سهو من الناسخ.
(٩٧) م : وتنقض، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
(٩٨) م : درية، وهو تصحيف.
(٩٩) يبدو أن الناسخ سها عن لفظة مما أدى إلى كسر الشطر.
(١٠٠) م : بمنقض، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(١٠١) م : تمض، وقد زدنا الياء لسياق المعنى، كما زدناها في أواخر بعض القوافي إذا اقتضاها السياق.
(١٠٢) م : ممستاه.
(١٠٣) م : إذا، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه ما أثبتنا.
(١٠٤) م : تذك، وقد زدنا الواو في أواخر بعض القوافي إذا استلزمته المعنى.
(١٠٥) م : إذا، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(١٠٦) كذا في الأصل، ولعلها غضى.
(١٠٧) م : سرونا.

تعليقات الفصل الخامس

[1] الميشر : يقصد به أخا زوجة Pedro el Cruel الذي كان أسيرا لدى أبي سعيد البرميخو محمد السادس.

[2] قشره : (Castro) يقع جنوب غرب مارتش اتجاه قرطبة. أنظر (- لمحة ص ١١٤. - الاحاطة ٥٣٥/١).

[3] متوفز : فعله توفز، أي تهيأ.

[4] اشر : (Iznàjar) يقع بين مالقة وقرطبة، وقد كان من الحصون المهمة. أنظر (- نزهة المشتاق ص ٢٠٤. - الاحاطة ٥٢/٢).

- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 124.

[5] لوشة : (Loja) تقع غرب غرناطة على ضفتي نهر شنجل، وقد كانت من أهم المدن الأندلسية. أنظر (- معيار الاختيار

- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 95.
- W. Hoenerbach, "Loja en la època nasri", Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos, III, (1954), pp. 55-69).

أنتقيرة : (Antequera) تعتبر من المدن الأندلسية القديمة، وتقع بين مالقة وغرناطة. انظر (معجم البلدان ٢٤٣/١).

- L. Torres Balbás, "Antequera islámica", Al Andalus, XVI, (1951), pp. 427-454.
- Josè Luis Ortega, Así es Antequera, Málaga 1955).

- أرجدونة : (Archidona) أو أرشدونة، وهي تقع شمال غرب مالقة على نهر شنجل. انظر (الروض المعطار، نشر ليفي بروفنسال ص ١٢. - معيار الاختيار ص ٦٦).

- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 38.
- F. Requena, "El castillo de Archidona o fortaleza de Raya", Boletín Asociacón Española Amigos Castillos, (1965), pp. 191-204).

[6] حصن بني بشير : (Benameji) يقع على ضفة نهر شنجل ناحية المنكب. أنظر (- المقتبس ١٤٨/٥).

- Madoz, Diccionario geográfico, IV, p. 177).

[7] حصن الصخرة : يقع بين انتقيرة ورندة، وقد اندثر الآن. أنظر (- الإحاطة ٧٨/٢. - الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ٣٥٥.

- Simonet, Descripcón del reino de Granada, p. 128).

- السهلة : هناك منطقتان تحملان هذا الإسم، الأولى : منطقة سهلية تقع إلى الغرب من تيرول الحالية بمسافة ٣٠ كلم، وتسمى بسهلة بني رزين، أما الثانية : وهي المقصودة، فحسب وصف ابن الخطيب، حصن قريب من لوشة، وقد اندثر الآن. أنظر (- حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون ص ١٠٤.

- J. Bosh Vilà, Historia de Albarracín y su sierra, t . II, p. 79).

[8] محمد بن علي بن مسعود، كان وزيرا لأبي سعيد البرميخو محمد السادس. لتفصيل أخباره أنظر (- النفاضة ١١٢/٢ - ١٣. - النفح ١٤٣/٥).

[9] إدريس بن عثمان بن أبي العلى بن عبد الحق المريني، ولاه أبو سعيد البرميخو إمارة الجند

المغربي بدل يحيى بن عمر بن رحو، قتله عبد العزيز المريني سنة ٧٧٧هـ / ١٣٦٨م. أنظر (النفاضة ١١٥/٢. - الاحاطة ٥٢٩/١. - العبر ٧٨١/٧).

[10] حصن منتفريد (Montefrio): يقع شمال غرب غرناطة بين لوشة وجيان. أنظر (معيار الاختيار ص ٦٥. - عنان: نهاية الأندلس ص ٥٠).

[11] هذا البلد: المغرب.

[12] الاعلاج: مماليك مسلمون من الفرسان الرماة. أنظر (- ورقات المنوني ص ٧١).

[13] الحصب: ج حصباء، وهي الحجارة.

[14] الأكبش: ج كبش، وهي آلة حربية تستعمل لهدم الأسوار، أنظر (دوزي ٤٤٠/٢).

- المجانيق: ج منجنيق بفتح الميم وكسرها، وهي آلة حربية تقذف بها الحجارة.

- الرعادات: أو العرادات، ج رعادة أو عرادة، وهي آلة حربية لرمي الحجارة.

- الدبابات: دبابة، وهي آلة تتخذ في الحصار، كانوا يدخلون في جوفها، تدفع في أصل الحصن لينقبوه.

- الستائر: ج ستارة، وهو حاجز خشبي يحتمي به الجنود. أنظر (دوزي ٦٣٢/١).

[15] اليرة (Illora): قرية تابعة لغرناطة، تقع شمال مدينة لوشة، أنظر (- حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٥٨٤.

- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 51.
- L. Seco de Lucena, Tóponimos árabes identificados, p.5).

[16] قيد: مسافة.

[17] "حضر قضهم وقضيضهم": مثل يضرب إذا جاء القوم كبيرهم وصغيرهم. أنظر (فصل المقال ص ١٩٨).

[18] حصن قنيط (Canete la Real): يقع بين قرطبه وجيان. أنظر (البكري: معجم ما استعجم ص ١٧٠).

[19] أبو النعيم رضوان: مولى آل نصر، تولى عدة مهام، وقد كان حاجبا للغني بالله، قتل في ثورة إسماعيل ضد أخيه الغني بالله سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨م. أنظر (- الاحاطة ٥٠٦/١ - ٥١٣. - المقري: أزهار الرياض ٢٠٢/١.

- J.M. Casciaro, "El visirato en el reino nazarí de Granada", Anuario de Historia del Derecho Español, XVIII, (1947), pp. 233-58).

[20] حصن فردالش (Ardales): يقع شمال أنتقيرة على بعد ٢٢ كلم (Campillos) وهو تابع لمالقة.

- Madoz, Diccionario geográfico, II, 496.

[21] حصن برغه (Burgo): يقع بين مالقة ورندة. أنظر (- الاحاطة ٥٧٥/٤. - جغرافية الأندلس وأوربا ص ٧٣).

[22] حصن قصر بنيرة (Casarabonela)، وفي معجم البلدان: قصر بليرة، وهو يقع شمال مالقة. أنظر (- معجم البلدان ٤٩٣/١.

- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 128.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 57.
- R. Berjano Pérez, El repartimiento de Casarabonela, Málaga, 1974).

[23] ذكوان : (Coín) يقع غرب مالقة على النهر الكبير. انظر (- تحفة النظار ١٨٩/٢. - البيان المغرب ١٨٩/٢.
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 122.
- F. Bejarano Robles, "El repartimiento de Coín", Gibralfaro, XVI - XVII, (1965) pp. 108-139).

[24] حصن قرطمة : (Cártama) يقع شمال غرب مالقة، وقد كان من حصونها المنيعة. انظر - نزهة المشتاق ص ٢٠٦.
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 121.
- R. Berajano Pérez, Los repartimientos de Alora y Cártama, Málaga, 1971).

[25] حصن تلش : (Tolox) يقع شمال ذكوان.
- V. (- Simonet, Descripción del reino de Gránada, p. 123).

[26] حصن ميجش : (Mijas) يقع بين مالقة ومربلة.
- V. (- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 122.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 100).

[27] القصبة : قصبة مالقة الإسلامية، وتقع على منحدر صخري قريب من البحر، يشرف على منتزه مالقة الكبير، الواقع قريبا من الميناء.
- V. (- L. Torres Balbás, "Excavaciones y obras en la Alcazaba de Málaga (1934-1943)", Al Andalus IX (1944), pp. 173-190).

[28] بلش (Vélez Málaga)، وهي تقع غرب مالقة بمسافة ٢٤ كلم. أنظر (معيار الاختيار ص ٥٣.
- J. E. Lopez, "El repartimicto de Velez Málaga", Cuadenos de Historia, VII, (1977), pp. 357 -440).

[29] الحمة أو الحامة : (Alhama) وهي مدينة وحصن من أعمال المرية، وقد سميت الحامة نسبة إلى العين الحارة الموجودة بها التي يقصدها المرضى للاستشفاء. انظر (- الروض المعطار، تح - إحسان عباس ص ٨٠. - تحفة النظار ١٨٧/٢.
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 146.
- L. Seco de Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 12.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 29).

[30] سورة ٣٥ (فاطر)، آية ١٤.

[31] الرماني : من أنفس أنواع الياقوت الأحمر. أنظر (صبح الأعشى ٥٧/١).

[32] الذبابية : نسبة إلى الذبابي، وهو زمرد أخضر اللون. أنظر (صبح الأعشى ١٠١/٢).

[33] المزمة : م مزمات أو مزام، وهو نوع من القلائد.

[34] بلخش : نوع من الياقوت الأصفر. أنظر (صبح الأعشى ٥٧/١).

[35] الزرائف : ج زروف، وهو حرير أو جلد يزين بأحجار كريمة تحلي به المرأة شعرها. أنظر (دوزي ٥٨٩/١). ولا زال الزروف يستعمل في المغرب لكنه من ذهب.

[36] أمين الصواغ : خبير بالمجوهرات، ومهمة أمين معروفة في الأسواق المغربية إلى الآن.

[37] سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٥٨.

[38] اسحنفر : توسع.

[39] الفسل : النذل.

[40] بختنصر : ملك بابل يضرب به المثل في القسوة والعنف.
[41] "اتخذ الليل جملا" : مثل أشير إليه سابقا.
[42] "أشعب" : شخص يضرب به المثل في الطمع فيقال : اطمع من أشعب". أنظر (مجمع الأمثال ٤٣٩/١ رقم ٢٣٣٣).
[43] اقفزة : ج قفيز، وهو مكيال توزن به الحبوب.
[44] صاحب الدولة : الغني بالله.
[45] ابن السراج : يرجح أنه من أسرة بني السراج التي تنتسب إلى قضاعة اليمنية. أنظر (النفاضة ١١٨/٢ - العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، مجلة المعهد الإسلامي ٨، ١٩٦٠.)، ص ٤٩.
- L. Seco de Lucena Paredes, Los Abencerrajes. Leyenda e Historia, Granada, 1960).
[46] ابن الحسن : أبو الحسن النباهي، سبق تعريفه.
[47] أبو القاسم محمد بن قطبة، سبق تعريفه.
[48] "صرح المخض عن الزبد" : مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين. (مجمع الأمثال ٤٠٥/١ رقم ٢١٤٤).
[49] اقتباس من بيت حسان بن ثابت :
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجـــام
(ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٦٩/١. - اليوسي : المحاضرات ص ٢٤٧).
[50] السبيكة : بسيط يقع جنوب شرقي الحمراء. أنظر (الاحاطة ١١٦/١).
[51] تتبيب : خسران.
[52] جدة : بكسر الجيم وفتح الدال، رخاء العيش.
[53] يوجف : يحث.
[54] سورة ٥٨ (المجادلة)، آية ١٩.
[55] البريح : بضم الباء وفتح الراء، تعني الصريخ وإعلان الحرب والهتاف بالتعبئة. (دوزي ٦٦/١).
[56] الطالع : البرج الذي على الأفق الشرقي.
- العاشر : البرج الذي يقع فوق سمت الراس.
[57] أبو معشر الفلكي : جعفر بن محمد بن عمر البلخي (... - ٢٧٢هـ = ... - ٨٨٦م)، وهو عالم فلكي مشهور. أنظر (الاعلام ١٢٧/٢).
[58] أبو جعفر بن صفوان : (٦٧٥ - ٧٦٣هـ = ١٢٧٦ - ١٣٦٢م) هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي، أبو جعفر، من مالقة، له شعر وتآليف، كما كان من شيوخ ابن الخطيب. أنظر (الكتيبة الكامنة ص ٢٩٣. - النفح ٤٦٦/٣. - الاعلام ٨٧/١).
[59] أبو إسحاق بن الحاج : (٧١٣ - ٧٦٨ هـ = ١٣١٣ - ١٣٦٧م) هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج، من غرناطة، خدم بعض ملوك تونس والمغرب الأقصى، ثم رجع إلى الأندلس، من مؤلفاته رحلة سماها : "فيض العباب، وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسطنطينة والزاب، حققه د. ابن شقرون. أنظر (الاعلام ٤٩/١).
- A. L. de Premare, Maghreb et Andalusie aux XIVe siècle, les notes de voyage d'un andalou au Maroc, 1344-1345, Lyon,1981).

[60] اقتباس من المثل "ليس هذا بعشك فادرجي"، ويضرب فيمن يرفع نفسه فوق قدرها. أنظر (فصل المقال ص ٤٠٣. ـ مجمع الأمثال ١/١٨١ رقم ٣٢٦٢).

[61] تبابع : أو التبابعة، وهم ملوك اليمن الحميريين. أنظر (العبر ٢/٩٢ ـ ١١٣).

[62] الوجيه : فرس لغني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو من أجود أفراس العرب (تاج وجه. ـ مخصص ٦/١٩٥).

ـ لاحق : عرفت أفراس كثيرة باسم لاحق، لكن أشهرها فرس غني بن أعصر الجاهلي. أنظر (المخصص ٦/١٩٤. ـ التاج، لحق).

[63] إشارة إلى قوله تعالى : "وإن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم"، سورة ٦٤ (التغابن)، آية ١٧.

[64] محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني، أبو عبد الله الشريشي، أحد تلامذة ابن الخطيب، وهو الذي جمع الاحاطة، كان حيا سنة ٧٧٤ هـ = ١٣٧٥م. أنظر (الكتيبة ص ٢١٤. ـ جذوة الاقتباس ١/٣١٧. ـ النفح ٧/٢٨٢).

[65] يقصد الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض.

[66] أبو بكر بن قطبة : سبق تعريفه.

الفصل السادس

رجع التاريخ

<عودة ابن الخطيب الي غرناطة صحبة اسرة الغني بالله>

وتحركت دفائن الحقود، وأغرى السلطان أغماره (١) [1]، والإغراء من فسل السياسة، على التتبع والمؤاخذة والمطالبة بالمال، وجرت في ذلك خطوب. وشرع في عرض الجيش فنال فيه الإسقاط والحطيطة، وارتابت النفوس، وأشعرت الخيفة، ومرج الأمر، واختلت السياسة، وكثر الفرار، ووغرت (٢) الصدور، وكان من الأمر ما يذكر، إن شاء الله.

فصل:

ولما اتسق الأمر، وتدمثت الطاعة، وقعت بيني وبين الوزير، قطب (٣) رحى الملك بالمغرب، ومديل دوله، ومصابر هوله، ومكفي سمائه على أرضه، أبي علي عمر بن عبد الله المكاتبة في القدوم بولد السلطان، المخلف في جوارهم، وتحت حجورهم، وجمع شمله بأبيه، وهو غليم (٤)، حسن الشكل والفهم، ظاهر الحركة والنبل، اسمه يوسف، اسم جده، فاستحثني لهذه الطِّلْبة، وقد يسرها رأيه، ووقف عليها عزمه، وتسنى بُعَيْدها صنُع الله لأبيه وفضله.

فكان الخروج من مدينة سلا في خف من الرحل، وعلى قدم تجريد / ونية عودة، يوم السبت الرابع عشر من شهر رجب عام ثلاثة وستين وسبعمائة. /97/

ولما وردتُ الباب السلطاني المريني، جرى الرسم من العز، والمنةُ لله، ومقتضب الخلع المفضلة، والمراكب الفارهة، شرعت في الارتحال بالأمير ومن تعلق به من ذيل وحرمة.

«رسالة من أبي زيان الى الغني بالله»

وصدرت المخاطبة بما نصه :

من عبد الله المتوكل على الله، محمد، أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين. [ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي عبد الرحمان] (٥)، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده الله بنصره، وأمده بمعونته ويسره، الى السلطان الأجل الأسمى الأعز والأرفع، الأمجد الأصيل، الأزكى الطاهر الأفضل، الأسعد، الأصعد، الهمام، الأعلى، الأحفل، الأود، الأخلص، الأصفى، الأكمل، أبي عبد الله ابن السلطان الأجل الأعز الأسنى، الأنوه الأنزه الأحفل، الأفضل الأطهر، الأظهر، الأشهر، الأخطر، الهمام الأمضى، الماجد الأرضى، الطاهر الأزكى، الأكمل ، المقدس، المرحوم، أبي الحجاج ابن السلطان، المعظم الكبير الشهير، الخطير المثيل، الأوحد الأفضل، المجاهد، الأزكى الأرضى الأكمل، المقدس، المرحوم أبي الوليد بن أبي سعيد بن نصر - وصل الله سعده، ووالى تأييده وعضده، وبلغه في كل مرام صالح قصده.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله، مبدي النعم ومعيدها، ومخول المواهب الجليلة ومفيدها، ومهلك الطائفة المعاندة (٦) ومبيدها، ومهنيء أسباب الصنع الجميل لمن (٧) توكل عليه ومريدها، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة وعمودها، وسيد العوالم الذي كان وجوده سبب وجودها، وصاحب الشفاعة المنقذة من النار ووقودها، / وعلى آله وصحبه، الذين ثابروا على إظهار ملته وتمهيدها، وحافظوا /98 على اقتفاء سنته وسلكوا طرائقه بما أتاهم من قويمها وسديدها، وصلة الدعاء لهذه الدولة العلنية الإمامية المجاهدية المتوكلية باتصال عزها وسعودها، وتوالي النصر الكفيل بتمكينها وتوطيدها، وتعاقب الفتوحات في صدورها وورودها، فإننا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عزا مقيما، وسعدا قويما، وسعيا في مرضاة الله كريما، من حضرتنا العلية، المدينة البيضاء، مهدها الله تعالى، والصنع الجميل يروق العيون ويفوت الظنون، ويهيّيء الفتح المذخور والنصر المضمون، والحمد لله على ذلكم، وسلطانكم معتمد بالتكريم والثناء المقيم، والاهتمام بأموركم الحرية بالتقديم.

والى هذا، أعز الله سلطانكم، فإنا لما عندنا من حسن العهد وجميل الود، والاتحاد في الصدر والوِرْد، ننظر (٨) في أموركم كما ننظر في أمورنا، وننزل من لكم من الأولياء والأبناء النجباء منزلة أعز أبنائنا وأوليائنا، فنوسع لهم جناب التكريم، ونوثر لهم مهاد الاعتناءالعميم، ونرعى أحوال الظاعن منهم والمقيم ونتحرى مقاصدكم فيه فنعتمدها، ونخص أغراضكم بالتكميل ونقصدها.

ولما عزمنا على توجيه ولدكم، الأمير الأسعد، الأهدى الأحب محل ولدنا أبي الحجاج، أسعده الله وأرشده، من بابنا الكريم الى بابكم، رأينا أن من أقرب الناس اليه، وأخصّهم به، وأولاهم بتأنيسه، حظيكم الشيخ الفقيه، الأعز الأسنى، الأمجد، الأنوه الأنزه، الوزير المكرم الأفضل الأكمل، أبا عبد الله بن الشيخ الوزير الجليل المكرم المبروم، الأفضل الأكرم المرحوم، أبي محمد بن الخطيب، أعزه الله، علما بما له عندكم وعند سلفكم من المحل الكبير، والقدر الخطير، / والمكان / 99/ الشهير، وعملا على ما أشركم إليه في خطابكم إلينا بالإيصاء به من منزلته لديكم، وأثرته عندكم، واختصاصه بكم، فرأينا من ذلك أنه له الأنيس، والمراكب والجليس، والذخر من أولياء دولتكم النفيس، فأصحبناه إياه ملبسا أثواب الاعتناء، مجزلة لديه مواهب النعماء، موفى الحظ من الاحتفاء، وعرفناكم بذلك لتعلموا ما اعتمدناه في ذلك القصد الجميل، والنظر الكفيل، والله يصل عزتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كُتب في الثاني والعشرين لرجب الفرد، عام ثلاثة وستين وسبعمائة. وكتب في التاريخ.

وكان السفرُ يوم الأربعاء الموفي عشرين منه [2]، في زينة وعدَّة وركب نبيه، وعلى مرحلتين من الطريق وردت علينا مخاطبة السلطان ظانا إياي قاعدا عنه بمدينة «سلا» حسبما كان عليه عقدي، لولا أن العبد مسلوب الاختيار، مصرف بأيدي الأقدار بما نصه (٩):

من الأمير (١٠) عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أيد الله أوامرهم، ونصر أجنادهم المظفرة وعساكرهم، وخلد مفاخرهم الكريمة ومآثرهم الى ولينا في الله تعالى الذي نعلم ماله في الإخلاص لجانبنا، (والموالاة لمقامنا) (١١) من حسن المذاهب، وخلاصتنا الذي نثني على مجده البعيد الغايات في الشاهد والغائب، ونعتد به اعتدادا يتكفل بنجاح المقاصد وتمام المآرب، الفقيه الوزير، الجليل، الصدر الأوحد المثيل، الكبير الرفيع الشهير، الأصيل الماجد الخطير، الخطيب البليغ الحافل، الفاضل الكامل،

إمام البلغاء، وصدر الخطباء، وعلم العلماء، وكبير الرؤساء، الحبيب المخلص، الأود الأصفى، أبي عبد الله ابن الوزير الجليل الأعز الأرفع، الماجد الأسمى، الصدر الحافل الفاضل، / الأعلى، الخطير الشهير الكبير الأرضى، المعظم الموقر المبرور، /100/
المقدس المرحوم الشهيد، أبي محمد بن الخطيب وصل الله سعده، وحرس مجده ـ.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله، وناصر الحق ومطلع أنواره، من آفاق رحمته وفضله، قاهر كل باغ وخاذله ومذله، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد صفوة أنبيائه وخاتم رسله، المبعث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، نبي الرحمة الذي ببركة محبته نلنا أقصى الأمنية في جمع الدين ونظم شمله، وبفضيلة جاهه عدنا الى أرفع رتبة ملكنا وأعلى محله، والرضى عن آله وصحبه، المقتدين بهديه في أمرهم (١٢) كله. فكتبناه اليكم كتب الله لكم عزا لا يبلى جديده، وسعدا لا ينقطع مزيده (١٣)، من حمرائنا بغرناطة ـ حرسها الله تعالى ومهدها ـ ولا متعرف بفضل الله سبحانه إلا ما عود من ألطافه الخفية، وأبدى (١٤) من صنائعه السنية، وعنايته التي تكفلت ببلوغ الأمنية، والحمد لله كثيرا كما ينبغي لجلاله، ويليق بصفات كماله، وعندنا من إجلالكم ما يليق بكمالكم، ومن المعرفة بمقداركم ما يعرب عن حسن اعتقادنا في كريم نجاركم، ومن قدر مقدار أحسابكم ما نلتزم بسببه تعظيم جنابكم، والى هذا ـ وصل الله سعودكم (١٥)، وحفظ وجودكم ـ فإننا بحسب الود الذي نصله لكم (١٦)، والحب الذي نضاعفه فيكم، (وكرم معتقدنا في فضل معاليكم (١٧)، خاطبناكم بهذا المكتوب نشرح لكم ما من الله به علينا من الفتح العظيم الذي أشرقت له الأقطار بهذه البلاد، وما من به من العودة الى ملكنا المتوارث عن الآباء (١٨) والأجداد، وما أنعم به من قهر ذوي الشقاق والعناد، وذلك أنا ـ أعزكم الله ـ أطال علينا المقام « برندة»، ولم نزل نوجه الى أهل الحصون التي بغربي «مالقة» وغيرهم، / نقص عليهم ما ألزمهم الله من الوفاء ببيعتنا ونحذرهم /101/
عاقبة النكث لطاعتنا، الى أن آن أوان الفرج، ونفذ قضاء الله وقدره بالعودة الى ما كنا تغلبنا عليه، فاقتضى نظرنا أن خرجنا الى «مالقة» في مائتي فارس، فما ان وصلنا واديها وعلم بنا أهلها إلا وخرج إلينا جميعهم، ملبين بالبيعة، فرحين بقدومنا وفي الحين بادروا (١٩) لقتال القصبة حتى استخلصوا واستنزلوا (٢٠) من فيها، وحللنا بنواحيها، وليوم آخر وصلتنا بيعات أهل الجهات التي تواليها، من «أنتقيرة» و«لوشة» و«بلش» و«صالحة» [3] وملتماس [4] و«الحمة»، وسائر الحصون الغربية، فلما بلغ (٢١) الخبر الى الغادر الخاسر، خاف وذعر، ورأى أن لا نجاة له، إلا أن يفر، فجمع شرذمته، [وألف حاشيته] (٢٢)، وخرج عن الحمراء ليلة

الخميس الماضي [قريبا] (٢٣) من التاريخ الى أرض الكفار، وفي صبيحة الليلة وجه إلينا أهل حضرتنا، وتوجهت الأجناد الى بيعتنا، وانصرفنا الى دار مملكتنا، وحللناها يوم السبت الماضي من غير حرب ولا قتال، بل بفضل الله تعالى ذي العظمة والجلال، وعرفناكم بذلك لتأخذوا بحظكم من هذه المسرة العظمى، إذ أنتم الحبيب الذي لا شك (٢٤) فيه، والخالص الذي نعلم خلوصه (٢٥) وتصافيه، والله يصل سعدكم (٢٦)، ويحفظ وجودكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب في يوم الأربعاء الرابع والعشرين لجمادى الثانية عام ثلاثة وستين وسبعمائة. (صح هذا) (٢٧).

وأدرج في الكتاب ما نصه :

وصل الله لجلالكم العلمي، وكمالكم العلي الرياسي، ومجدكم الطاهر الديني الحسيبي عوارف السعادة، وجمع لكم من خيرٍ الدارين بين الحسنى والزيادة، وأطلع لدى نفسكم الكريمة الطيبة وجوه المسارٍّ المبدأة المعادة، مما نعرفكم به بحسب الود فيكم، والعلم بتصافيكم، ما أنعم الله به على العباد والبلاد، من الصنع الكريم الذي تجلى نوره ملء السمع والبصر والفؤاد، تفتحت به أبواب النصر تشرع الى انتظام شمل الإسلام، / واتساق هذا الملك الرفيع المقام، / 102
وذلك أن الشقي الغادر الخائن، لما فر بنفسه وشرذمته الغادرة الخاسرة حذار المنون، ولحق بالأرض التي حل بها محل الخزي والهون، قدم على السلطان المعظم صاحب قشتالة - أسعده الله بطاعته - شر مقدم، وحصل من الحسرة والندامة على ما لم يكن يعلم، فهوت به جرائمه في مصرع الحتوف، ودنت اليه المنايا من حيث لمع بها بريق السيوف، ولما مثل بين يديه قرره على ما صدر عنه من الغدر، ووقفه من موبق ذنبه على أحر من الجمر، وأمر به للحين وبثلاثة وأربعين من شرذمته الغادرين، فضربت أعناقهم، وسلبت بالعذاب عنهم أطواقهم، وعجل بتوجيه رؤوسهم إلينا، وفي غرة شهر التاريخ، قدم بها رسوله علينا مرفوعة في العصي، حتى تكون عبرة للاعتبار، وعظة لأولى الاستبصار وردعا للفجار والأشرار، وعرفنا القاضي المذكور ان الباقين ممن فر مع الشقي في حكم الاعتقال وهم بدار صنعة اشبيلية في الحديد والنكال، وأمرهم موقوف (٢٨) على ما رأينا فيهم، من المؤاخذة لهم أو الصفح عنهم والإجمال، وفاء منه معنا بالعهد، وعملا بحسب ما بيننا وبينه من المحافظة على الود.

وإن هذه النعمة جل موقعها في الصنائع الكرام، وعظم قدرها في اثار الإسلام، وأوزعنا الله شكرها بواجب الشكر، وسلك بنا مرضاته على سنن البر،

فعرفناكم بهذه النعمة لتأخذوا بحظكم من المسرة بها والابتهاج بسببها، فأنتم الولي الذي له في الخلوص راسخ القدم، والوفي المعهود الوفاء على القدم، وعين الكمال الرياسي الذي عدم نظيره في الأمم، ونحن نعرفكم - أعزكم الله - أننا بما عندنا من الاعتداد بودكم، والحفظ لكرم عهدكم، لما حللنا مقعد ملكنا، وانتظمت
/103 بلادنا النصرية في سلكنا، أمرنا للحين بضم جميع ما يعلم / لجنابكم المعظم بالحضرة وسواها من الأملاك على اختلافها، وشتى أصنافها، واستحضرنا مفاتيح الدور منها، فدفعت لصهركم الوزير الحاج المعظم أبي الحسن - أعزه الله - لينتظر من يتولى مباشرة الحال فيها عنكم، وصرفنا جميع ذلك عليكم صرف العناية والإنعام، واللحظ والاهتمام، حتى ييسر الله قدومكم على أفضل حال، وإن ظهر لكم توجيه من يشاركه من قبلكم في هذا الغرض، خلال ما يسني الله مقدمكم في كنف العافية المقترنة ببلوغ الآمال، فعلتم فاعلموا ذلكم، والله يصل سعادتكم ويحرس مجادتكم. والسلام.

وصحبت العناية من الله والستر، فكان المحمل سهلا، والمنزل خصبا ودفئا، والهواء ظلا، والمورد نهلا وعلا، «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» [5]، ووردنا «سبتة»، فكان بها التربص ريثما تلاحقت أساطيل الأندلس، وبها ظهيرالدولة، ويعسوب [6] الكتيبة (٢٩) الزيانية، الشيخ الشهير بموالاة الأمر ومظاهرة الدولة المستولي، على الخلال الكريمة من مشهور المجاولة (٣٠) و إحكام الثقافة، الى الخط والرجاحة وحسن المجلس، والكلف بالأدب وذكاء الطبع، تبرع بخوض البحر، ومباشرة إجازة الإمارة، فهيأ الله ذلك على أتم الأحوال التي تقر العين، وتشرح الصدر، وتري من الله العناية، ورام الأسطول قصد مالقة، فاضطره البحر الى النزول «بجبل الفتح» يوم الثلاثاء الحادي عشر لشعبان، ثم كان النزول «بمالقة» إثر صلاة الجمعة الرابع عشر منه، فنشف القوم نسيم الإيالة التي أزعجهم عنها التمحيص والابتلاء، واجتلوا محاسن البلاد التي عرفوا بها العز، وصحبوا الملك، فنعم المتاع لو أطرد البقاء، وحصل الخلود، «ولكن الدنيا دار الغرور» [7] والآخرة خير لو كانوا يعلمون.

وصدرت المراجعات السلطانية بالمكث ليتم الاستعداد، فتأتى من ذلك لأيام
/104 قليلة / ما يدل على فضل القطر، وإن تعرقته النوائب، وضخامة الملك وان ترشفت بلالته (٣١) المصائب، ووصلت لإقلال (٣٢) الأمير ومن معه دواب الظهر، تحمل من الكساء والخلع والفرش والوطاء والآلة والمضارب والقباب والهوادج ما لا شيء فوقه، أخذ ذلك كله الإبداع بجميع (٣٣) احتفاله، فما شئت من نسج ذهبي، وديباج خسرواني واشكال بديعة، وفرش موضوعة، وحلي لصدور الظهر ورؤوسها (٣٤) رفيعة.

وكان دخول «الحضرة» يوم السبت الموفي عشرين من شعبان، من المنزل المعروف «بإغرم [8] من «قنب قيس» [9]، في يوم مشهود، خرج عن حد الوصف، وترفع عن الذكر، وشذت محاسنه عن العبارة، لما اشتمل عليه من حسن الترتيب، ووفور العدة، وظهور الزينة، وكثرة البنود، وتعدد الطبول، وسبوغ الدروع، استحكمت التعبئة بين يدي السلطان، في السهل المدحو المنبت للشيح (٣٥) المعروف «بالقنب جاغر» [10]، محل الكائنة المستفتح بها على العدو والحدثان، الجاري على الألسنة.

ولما تلاقى ركب الأمير بالموكب السلطاني، احتمل الولد الى تأدية حق أبيه، وتحرك طراد الزينة بين يديه، ولقبل ما تقدم لقائي بالمولى السلطان، واقتضائي عادة شفقته من الهشة والاستعبار والتمايل والاستلزام، والأمر بالموازاة والمراكبة، وغير ذلك من الألطاف التي أذهلني إجهاش الرقة، وعدم التماسك عن ملاحظة أجزائها العريقة المترامية الى أقصى حدود المروة، وصرفت الأعنة الى دار الملك عن حفل أربى على كل ما تقدمه في قديم الزمان وحديثه.

ولحين الاستقرار بالشمل المجموع، والعز الجديد، والدنيا المستأنفة، أنشدته القصيدة التي تقدم نظمها «بسلا» كأنما كوشفت بالغيب أو أطلعت على العقبى، وهي المسماة «بالمنح (٣٦) الغريب في الفتح القريب»، وهي التي مطلعها (٣٧) :

(كامل)

الحــقُّ يَعلُو والأبــاطــلُ تَسْــفُلُ   واللّــهُ عَــنْ أحْكــامــهِ لا يُسْــألُ 105 /

وقد كنت عجلت له كلمة تنوب عن اللقاء، قبل إزماع الحركة من «سلا» وهي:

(طويل)

هنيئاً بِمَا خُوِّلتَ مِنْ رِفْعةِ الشأنِ   وإنْ كَرِهَ الباغي وإنْ رَغِمَ الشّاني
وأنْ خَصَّكَ الرّحمانُ جلَّ جلالُهُ   بِمُعْجِزَةٍ مَنْسوبَةٍ لسُلَيْمانِ
أغارَ على كُرسيهِ بَعْضُ جِنِّهِ   فألْقَتْ لَهُ الدّنيا مَقادَةَ (٣٩) إذْعانِ
فلما رآها فتنةً خرَّ ساجداً   وقالَ إلهي امْنُنْ عليَّ بغُفْرانِ
وَهَبْ لي مُلْكا بَعْدَها لَيسَ يَنْبَغي   تَقَلُّدُهُ بَعْدي لإنْسٍ ولا جانِ
فأتاهُ لما أنْ أجابَ دُعاءَهُ   منَ العزِّ ما لَمْ يؤْتَ يوماً لإنْسانِ
وإن كانَ هذا الأمر في الدَّهرِ مُفْردا   فأنْتَ لَهُ لما اقْتَدَيْتَ بهِ الثّاني
فقابِلْ صنيعَ اللهِ بالشُّكْرِ واستعِنْ   بهِ واجْزِ إحْسانَ الإلهِ بإحسانِ

وحقُّ الذي سمَّاكَ باسمِ مُحَمَّـدٍ لو انَّ الصِّبا قد عادَ منهُ بَرَيْعانِ
لمَّا بلغَ النُّعمى عليكَ سرورُهُ أليَّةَ وافٍ لا أليَّةَ خوّانِ
فإنِّي أنا العَبْدُ الصريحُ انتسابُهُ كمَا أنتَ مولايَ العزيزُ وسلطاني
إذا كُنْتَ في عزٍّ ومُلْكٍ وغِبْطةٍ فقدْ نلتُ أوطاري وراجَعْتُ أوطاني

مولاي الذي شأنه عجب، والإيمان بعناية الله به قد وجب، وعزه أظهره من برداء العزة احتجب، [اذا كانت] (٤٠) الغاية لا تدرك، فالأولى أن تسلم وتترك، ومنة الله [عليك] (٤١) ليس مما يشرح، قد عقل العقل فما يبرح (٤٢) وقيد اللسان فما
/106/ يرتعي في مجال العبارة ولا يسْرح، اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكرا ترضاه / وإمدادا من لدنك نتقاضاه، يا الله، يا الله، سعود أنارت بعد أفول شهابها، وحياة كرت بعد ذهابها، وأحباب اجتمعت بعد فراقها، وأوطان دنت بَعْد بُعْد شامها من عراقها، وأعداء أذهب الله رسم بغيهم ومحاه، وبغاة أدار عليهم الدهر رحاه، وعباد أعطوا من كشف الغم ما سألوه ، ونازحون لو سئلوا في إتاحة (٤٣) القرب بما في أرماقهم لبذلوه وسبحان من يقول : «ولو أنا كتبنا عليهم (٤٤) أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه» [11]، فليهن الاسلام بياض وجهه بعد اسوداده، وتغلب إيالة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر على بلاده، وعودة الملك المظلوم الى معتاده، واستواء الحق النائم جفنه (٤٥) فوق مهاده، ورد الإرث المغصوب الى مستحقه (٤٦) من ابائه وأجداده، والحمد لله الذي غسل عن وجه الملة المحمدية العار، وأنقذ عهدتها وقد ملكها الدعار، فرد المعار، وأعيد الشعار، نحمدك اللهم حمدا يليق بقدسك، لا بل لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والعبد يا مولاي قد بهرت عقله (٤٨) الاء الله قبلك، فالفكر جائل واللسان ساكت، والعقل ذاهل والطرف باهت. فإن أقام رسما للمخاطبة، فقلم مرح وركض، وطرس هز جناح الارتياح ونفض، ليس هذا المرام مما يرام، ولا هذه العناية التي تحار فيها الأفهام (٤٩)، مما تصمي غرضها (٥٠) السهام، نسأل الله أن يجعل مولاي من الشاكرين، وبأحكام (٥١) تقلبات الأيام من المعتبرين، حتى لا يغره السراب الخادع، والدهر المرغم لأنوف الجادع، ولا يرى في الوجود غير الله من صانع، ولا معطف (٥٢) ولا مانع، ويمتعه بالعز الجديد ويوفقه للنظر السديد، ويلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد. والسلام.

وأنشد يومئذ القاضي الكاتب الشهير أبو إسحاق بن الحاج المتقدم الذكر قوله : /
107/

(طويل)

ألا ارتقبوا هذا الهلالَ الذي بَدَا ... منَ الغربِ مرفوعاً على أُفُقِ الهُدَى
وبُشراكُمُ بالعيد عيد مسرَّةٍ ... بمقْدَمِهِ (٥٣) السَّعْدُ المقيمُ تَجَدَّدَا
ولله شبلٌ قدْ دعَوْهُ بيوسفٍ ... شبيهٌ بلَيْثٍ قد دعَوْهُ مُحَمَّدَا
وبحْرٌ أتاهُ النَّهْرُ لَكِنْ ذا أبٌ ... وذاكَ لَهُ ابنٌ راحَ في البِرِّ واغتدَى (٥٤)
وفرْعٌ أتى أصلا يُسَمَّى بوالدٍ ... شبيه بذاك الأصل في البأسِ والنَّدى
وقرَّةُ عينٍ فرَّقَ الدهرُ بيْنَهُ ... وبينَ الذي أبكَى العيونَ وسَهَّدَا
إلى أنْ أتانا اللَّهُ بالفَرَجِ الذي ... أفاض على الدنيا جمالاً وأسعَدَا
فعادَ إلى غُصنِ الخلافةِ زَهْرُهُ ... ليَجْمَعَ (٥٥) منْ أنداثه ما تَبَدَّدَا
وعاوَدَ جيدَ المُلْكِ أكرمُ زينةٍ ... بأكرم سلْكٍ بعدَ حينٍ تَقَدَّدَا
وقدْ عضَدَ السيفَ المُحَلَّى (٥٦) بمثلهِ ... منَ الغرب سيفٌ لم يزَلْ يُرْهِبُ العدا
وقالوا : وليُّ العَهْدِ يَقْدُم عاجلاً ... فقلتُ : نعَمْ يَهْنَأْ أباهُ المؤيَّدَا
وما هُوَ إلا الغَيْثُ سوفَ يجودُنا ... بأكرَمَ منْ غَيْثِ السماءِ وأجْوَدَا
أميرٌ كأنَّ الشمسَ والبَدْرَ كاملاً ... هُما ولَداهُ بالمحاسنِ مُفْرَدَا
وما ظلَمَ ابنٌ مُشْبِهٌ خيرَ والدٍ ... غدا لملوك الأرضِ أجْمَعَ سيِّدَا
ليَهْنِئْ (٥٧) جيادَ الخيلِ أنَّ ركوبَهُ ... ليُكْسِبُها المَجْدَ الرفيعَ المُخَلَّدَا
ويَهْنِئْ سيوفَ الهندِ أنَّ ضرابَهُ ... لَيُبْقِي لها الفخرَ الصريحَ المؤكَّدَا
ويَهْنِئْ رماحَ الخطِّ أنَّ طعانَهُ ... لَيورِثُها العِزَّ المَشيدَ المُشيَّدَا
وقُلْ للربوعِ الآهلات بسَبْتَةٍ ... حَوَيْتِ أجلَّ الناسِ قَدْراً ومحتِدَا
ويا بحرَها بُشرى بريَّعِ حمَلْتَهُ ... ولكنَّهُ بالملحِ يَعْذُبُ مَوْرِدَا
وإنْ تَكُ حبقا قد جُنِنْتَ بحُبِّهِ ... فأصبحْتَ مرتَجَّ (٥٨) الجوانبِ مُزْبِدَا
فما واجبُ الإنصافِ ذاكَ وإنَّما ... سكونُكَ أوْلَى إنْ أردْتَ تَوَدُّدَا
وكُنْ باسطاً خدّاً له في طريقهِ ... وأقسِمْ على الأمواجِ تَلْقاهُ سُجَّدَا
ودونَكَ فالْثَمْ كُلَّ جَفْنٍ أتى بهِ ... إذا أنتَ لم تَلْثَمْ لَهُ الرِّجْلَ واليَدَا
ويا نسماتِ الريحِ هُبِّي وحَيِّهِ ... برَوْحٍ وريحانٍ غدا حلْيُهُ النَّدَى
ورفقا بأُسْطولٍ يلَذُّ له السُّرى ... بأمضَى بَني الأملاك سيفاً وأحمَدَا
ولا تبرحي تُهدي له عاطرَ الشذا ... وتَروي له حديثَ "والنُّور" مُسْنَدَا
وحفظا لها حفْظًا لها مِنْ وديعةٍ ... أبَى اللهُ إلا أنْ يُعَزَّ ويَسْعَدَا
كأنّي وقدْ وافَى الأميرُ وأقبلَتْ ... عساكره مثْنَى، تروقُ، ومَوْحدا
كبدرِ الدُّجى حفَّتْ به الشُّهْبُ وانبرَتْ ... لتُحْرِقَ في الآفاقِ مَنْ جارَ واعتَدَى
خُذِ الروحَ منّي يا بشيرُ بُشارةٌ ... ونَفْسي منْ رَيْبِ الزمانِ لَكَ الفدا
وعندي هناءٌ للإمامِ محمدٍ ... سيَحْمَدُ لي سَعْيًا ويَنْجحُ مَقْصِدَا

/108/

خليفةُ رَبِّ العَرْش والمُلْكِ الذي ... تعوَّدَ منْهُ الجودُ ما قَدْ تَعَوَّدَا
كريمٌ لَهُ في آل نَصرٍ فضائلٌ ... بِرَوْضَتِها غُصْنُ المُنى قَدْ تأوَّدا
أجلُّ ملوكِ الأرض ذاتاً ومنصباً ... وأملاهُمُ في رُتْبةِ المُلْكِ مَصْعَدا
/10 وأكْرَمُ مَنْ قادَ الجوادَ إلى الوَغَى ... وسقّى عداهُ (٥٩) أيَّ كأسٍ منَ الرَّدَى
أمَوْلايَ حالي ما علمتَ وإنّني ... لأرجوكَ بَعْدَ اللهِ غيباً ومشْهَدا
فَكُنْ مُظْهِراً للعَبْدِ ما أنتَ أهلُهُ ... وأنْجِزْ لَهُ يا أكرمَ النّاسِ مَوْعِدا
وعُدْ للذي عَوَّدْتَ يا خَيْرَ مُنْعِمٍ ... وأفْضَلَ مَنْ في فَضْلِهِ جاوَزَ المَدَى
بَقِيتَ قريرَ العَيْنِ في عِزِّ دَوْلَةٍ ... تَسُرُّكَ ما غنّى الحَمامُ وغَرَّدا

وتقررت الحال على ما يذكر،

وورد مع ركاب الأمير في غرض التقرير للود والإعلام بمتزيدات الأحوال، صاحبنا الفقيه أبو يحيى بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين[12]، فبولغ في إكرامه، والتحفي بوجهته، (...) (٦٠) لأنسه، وانصرف بمراجعة نصها : (٦١)

المقام الذي تقلد نافلة الفضل شفعا، وجوّد أفراد (٦٢) الكمال إفرادا وجمعا (٦٣) واستولى ملكه الرفيع العمد على الفخر البعيد الأمد عقلا وسمعاء (٦٤)، وجمع بين المنح، والتهنئة بالفتح، فأحرز الكمال أصلا وفرعا، واستحق الشكر عقلا وشرعا، وأغرى أيدي جوده، بالقصد الذي هو حق وليه من جوده (٦٥)، فأثار من جيش اللقاء نقعا (٦٦) ووسط به جمعا، مقام محل أخينا، الذي أقلام مقاصده درية (٦٧) بحسن التوقيع، وعيون فضله مزكاة (٦٨) الأحكام الصنيع، وعذبات فخره تهفو بذروة العَلَم المنيع، ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع، أبقاه الله، وألسن فضله ناطقة، وأقيسة سعده صادقة، وألويته بالنصر العزيز خافقة (٦٩)، وبضائع مكارمه في أسواق البر نافقة، وعصائب التوفيق لركائب أغراضه موافقة، السلطان الكذا، ابن الأمير الكذا بن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا. سلام كريم / طيب بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، [وطريقتكم المثلى] (٧٠)، وأخوتكم الفضلى، ورحمة الله وبركاته، مجل قدركم، وملتزم بركم، وموجب حمدكم وشكركم، فلان.

أما بعد حمد الله الذي جعل الشكر على المكرمات وقفا، ونهج منه بإزائها سبيلا لا تلتبس ولا تخفى، وعقد بينه وبين المزيد سببا وحلفا، وجعل المودة في ذاته مما يقرب إليه زلفى، مربح تجارة من قصد وجهه بعمله (٧١) حتى يرى الشيء ضعفا، وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة بمن يوسعها فضلا وعطفا، ويدني (٧٢) ثمار الآمال فتتمتع (٧٣) بها اجتناء وقطفا، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي مد على الأمة من الرحمة سجفا، [وملأ قلوبها تعاطفا وتعارفا ولطفا، القائل] (٧٤) «من أيقن بالخلف جاد بالعطية

[13]»، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السنية، وعدا لا تجد (٧٥) فيه خلفا، والرضى عن آله وأصحابه الذين كانوا من بعده للإسلام كهفا، وعلى أهله في الهواجر ظلا ملتفا (٧٦)، غيوث الندى كلما شاموا سماحا، وليوث العدى كلما شهدوا زحفا، والدعاء لمقام أخوتكم الأسعد بالنصر الذي يكف من عدوان الكفر كفا، والمجد الذي لا يغادر [كتابه] (٧٧) من المفاخر الذي ترك الاول للآخر حرفا،

ومنه :

والى هذا ـ أيدكم الله بنصر من عنده، وحكم لسلطانكم (٧٨) الأسمى باتصال سعده، وأنجز في ظهوره (٧٩) على من عاند أمره، سابق وعده ـ فإننا نقرر لدى مقامكم، وإن كان الغني بأصالة عقله، عن اجتلاب (٨٠) الشاهد ونقله، وجلاء البيان وصقله، أن الهدايا وإن لم تحل العين بها كلما حلت، أو تناولها الاستنزار فما نبهت في لحظ الاعتبار ولا جلت، أو كانت زيفا كلما أغري بها الإختبار قلت، لا بد أن تترك في النفوس ميلا، وأن تستدعي من حسن الجزاء كيلا، وأن تنال من جانب / التراحم والتعاطف نيلا، وأي دليل أوضح محجة [وأبين حجة] (٨١)، من قوله صلى الله عليه وسلم : «تهادوا تحابوا» [14]، من غير تبيين مقدار، ولا اعمال اعتبار، ولا تفرقة بين لجين ونضار، فكيف إذا كانت الهدية فلذة الكبد التي لا يلذ العيش مع (٨٢) مع فراقها، ولا تضيء ظلم الجوانح إلا بطلوع شمسها وإشراقها، وجمع الشمل الذي هو أقصى آمال النفوس الآلفة، والبواطن المصاحبة للحنين المحالفة، لا سيما اذا اقتعدت محمل (٨٣) الهناء بالفتح الرائق السناء، وحفت بها من خلفها وأمامها صنائع البر وقومه الاعتناء فهناك تعجز ألسن الثناء، وتطابق (٨٥) أعلام الشكر السامية البناء.

وإننا ورد علينا كتابكم الذي سطره البر وأملاه وكنفه اللحظ وتولاه، ووشحه البيان وحلاه، مهنئا بما منح الله ـ جل جلاله ـ من رد الحق، وتحقيق الحق (٨٦)، وتعيين الجمع ورفع الفرق، وتطويق الأمان وأمان الطوق (٨٧)، وإسعاد السعد، وبلوغ القصد، وقطع دابر من جحد نعمة الأب والجد، وسل سيف البغي دامي الحد، فالحمد لله حمدا يلهمه ويبيحه (٨٨) ونسأله إمدادا يسوغه ويتيحه (٨٩) على أحسن العقبى، وأعقب الحسنى، وأرى النعم بين فرادى ومثنى، وجمع الشمل وقد تبدد (٩٠) وجدد رسم السعادة لهذا القطر فتجدد، وأخذ الظالم فلم يجد من محيص، وجمع لنا الأجر والفخر بين تخصيص وتمحيص، وقلد (٩١) برؤوس أولئك الفجرة الغدرة (٩٢) الفرصة التي فرعوها، وأطفأ بمهراق (٩٣) دمائهم نار الضلالة التي شرعوها، وكتب لقبيلكم الفضل الذي يحمد ويشكر، والحق الذي لا يجحد ولا ينكر، فلقد أوى لما تبرأت الخلصان، وتحفى عندما تنكر الزمان، وسبب الإذالة،

وطاوع الأصالة والجلالة، حتى فرج الله الكربة، وأنس الغربة، وأقال العثرة، وتقبل القربة، له الحمد على آلائه، وصلة نعمائه، ملء أرضه وسمائه.

/11: ووصل الولد صحبته مكنوفا / بجناح اللطف، ممهدا له ببركتكم مهاد العطف، فبرزنا الى تلقيه تنويها بهديتكم وإشادة، وبدء (٩٤) في بركم وإعادة، وأركبنا الجيش الذي آثرنا لحين استقلالنا عرضه، وقررنا بموجب الاستحقاق فرضه، فبرز (٩٥) الى الفضاء الأفيح حسب الترتيب، سافرا عن المرأى العجيب، لولا الحنان الذي تجده النفوس للأبناء وتستشعره، والتشوق الى اللقاء الذي لا يجحده (٩٦) منصف ولا ينكره، لما شق علينا طول مقامه في حجركم، ولا ثواؤه لصق أريكة أمركم، فجواركم محل لاستفادة رسوم الإمارة، وتعلم السياسة والإدارة، حتى يرد علينا يقدم كتيبة جهادكم، ويقود علينا طليعة نصركم إيانا وإمدادكم، فنحن الآن نشكر مقاصدكم التي اقتضى الكمال سياقها، وزين المجد افاقها وقدرها فأحكم طباقها، ونقرر لديكم أن حظنا من ودكم، ومحلنا من جميل اعتقادكم، حظ بان رجحانه وفضله، ولم يتأت بين [من] (٩٧) سلف من السلف مثله، من الصحبة في المنزل الخشن وهي الوسيلة، وفي رعيها تظهر الفضيلة، والاشتراك في جامع (٩٨) لازم الوصول الى الحق، وضم أشتات الخلق، والمودة الواضحة الطرق، الى ما بين السلف، من الود الآمن بدره من الكلف، المذخورة (٩٩) أذمته للخلف. فإذا كانت المعاملات (١٠٠) جارية على حسبه، وشعبها راجعة الى مذهبه، جنى الإسلام [ثمرة] (١٠١) حافلة، واستكفى الدين إيالة كافلة، فالله - عز وجل - يمهد البلاد بيمن تدبيركم،ويجري على مهيع السداد جميع أموركم، ويجعلكم ممن زين الجهاد عواتق أعماله، وكان رضى الله أقصى آماله،حتى تربو مآثركم على مآثر سلفكم الذي عرف هذا الوطن الجهادي أمدادهم، وشكر جهادهم، وقبل الله فيه أموالهم وأولادهم،وحسن من أجله معادهم.

وقد حضر بين أيدينا رسولكم الذي وجهتم [الولد - أسعده الله - لنظره، وتخيرتموه لصحبة سفره، فلان، وهو من الأمانة والفضل، والرجاحة والعقل] (١٠٢)، بحيث طابق اختياركم (١٠٤) واستحق ايثاركم، فأطنب في تقرير ما لديكم من عناية

/113 بهذه الأوطان، عينت الرفد، وضربت / الوعد، وأخلصت في سبيل الله القصد، وغير ذلك مما يؤكد المودة المستقرة الأركان، المؤسسة على التقوى والرضوان، فأجبناه بأضعاف ذلك مما لدينا لكم، وقابلنا بالثناء الجميل أقوالكم وأعمالكم (١٠٥)، والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم - والسلام - (١٠٦).

هوامش الفصل السادس

(١) م : أعماره، وهو تصحيف.
(٢) م : وغرت، زدنا واو العطف للسياق.
(٣) م : قبط، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
(٤) م : عليم، وهو تصحيف.
(٥) زيادة لتصحيح النسب.
(٦) م : المعاند، وهو تحريف.
(٧) م : لم، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٨) م : نظير، والأصح قراءتها ننظر.
(٩) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ. الأسكوريال، السفر ١ لوحة ٤٢٨. وفي ط. القاهرة ج ٤ ص ٤٤٧ ـ ٤٥٠.
(١٠) ح س : من أمير المسلمين.
(١١) ساقطة في ح س.
(١٢) م : امره، صحته ما اثبتنا من ح س.
(١٣) ح س ٤٢٩ : مديده.
(١٤) ح س : واسدى.
(١٥) ح س : سعدكم.
(١٦) ح س : لمعاليكم.
(١٧) ساقط في ح س.
(١٨) ح س ٤٢٩ : كرام الآباء.
(١٩) ح س : بادرنا.
(٢٠) ح س : استخلصت وانزل.
(٢١) ح س : وصل.
(٢٢) من ح س.
(٢٣) من ح س.
(٢٤) ح س ٤٢٩ : لا يشك.
(٢٥) ح س : والخلاصة الذي يعلم صدق خلوصه.
(٢٦) ح س : سعودكم.
(٢٧) ساقط من ح س.
(٢٨) م : موقوف، والأنسب للمعنى ما أثبتنا.
(٢٩) م : الكتيبة، صوابه ما أثبتنا.
(٣٠) م : المحاولة، وهو تصحيف.
(٣١) م : بلالتها، تصويبه ما أثبتنا.
(٣٢) م : الإقلال.
(٣٣) محي حرفا الميم والياء من اللفظة.
(٣٤) م : ورئيسها، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٣٥) م : للشيخ، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٣٦) م : بالفتح، تصحيحه من المراجع الآتية.
(٣٧) وردت القصيدة كاملة في النفاضة ٢/٢٨٧ ـ ٢٩٧، و٣٤ بيتا في النفح ٦/٤٧٨ ـ ٤٨٠، انظر تعليق د. العبادي، النفاضة ٢/٢٨٧ حاشية ٣.
(٣٨) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ١٧٨، ط. القاهرة ٢/٩٨ ـ ٩٩، وفي النفح ٦/٣٥٢ـ٣٥٣.
(٣٩) م : مقالة، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٧٨ ظ، ن ٦/٣٥٢.
(٤٠) زيادة من المرجعين.
(٤١) من المرجعين.
(٤٢) م : فيما، والأنسب ما أثبتناه من المرجعين.
(٤٣) م : اناحة، وهو تصحيف.
(٤٤) م : عليكم، وهو تحريف.
(٤٥) ر ١٧٨ ظ ن ٦/٣٥٣ : النائي جنبه.
(٤٦) م : أهله مع الإشارة الى استبدالها بما أثبتنا.
(٤٧) ر، ن : الحنيفية.
(٤٨) ر : بهرته.
(٤٩) ر ١٧٨ و : الأقلام.
(٥٠) ن ٦ / ٣٥٣ : غرضه.
(٥١) م : وبأحلام، الأنسب ما أثبتنا من «ن».
(٥٢) المرجعان : ولا معط.
(٥٣) م : بمقدمها، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
(٥٤) م : اعتدا ، وهو تصحيف.
(٥٥) م : وجمع، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٥٦) م : المحل، وهو تحريف مخل بالوزن.
(٥٧) م : يهن، وكذا في البيتين التاليين، وما اثبتناه يقتضيه الوزن.
(٥٨) م : مرتح، وهو تصحيف.
(٥٩) م : عدآء.
(٦٠) بياض بالأصل.
(٦١) وردت هذه الرسالة في الريحانة، مخ، الأسكوريال، ل ١٢٩ ـ ١٣٠، وفي ط . القاهرة ١/٤٨٦ ـ ٤٨٩، وفي النفح ٦/٢٤٠ ـ ٢٤٣.
(٦٢) ر ١٢٩ ظ. ٦/٢٤٠ : سورة ما بين (٦٣ ـ ٦٤) ساقط من ر ١٢٩ ون.
(٦٥) ن : حظ وليه من وجوده.
(٦٦) م : فاثر من جيش اللقاء نفعا، تصويبه ما اثبتنا من المرجعين.
(٦٧) ر ١٢٩ و، ن ٦/٢٤٠ : دربه.
(٦٨) ن : مذكاة.
(٦٩) م : خافية، صوابه من ر، ن.
(٧٠) زيادة من «ن».

(٧١) م : بعلمه، تصحيحه من ر، ن.
(٧٢) ن : ومدني.
(٧٣) م : فتمتع، تصويبه من ر، ن.
(٧٤) زيادة من ر ١٢٩ و، ن ٦/٣٤١.
(٧٥) ن : لا يجد.
(٧٦) م : ملتقا، صوابه من ر، ن.
(٧٧) من ر، ن يقتضيها السياق.
(٧٨) ر، ن : للككم.
(٧٩) م : ظهره، وهو تحريف.
(٨٠) ر : عن اختلاف، ن : واجتلاء.
(٨١) زيادة من ر ١٢٩ و، ن ٦/٣٤١.
(٨٢) ر، ن : بعد.
(٨٣) ن : محل.
(٨٤) ن : تفخر.
(٨٥) م : وتناطم من من، تصحيحه من ر، ن.
(٨٦) ساقطة من «ن».
(٨٧) م : وتطريق الأمان وأمان الطرق.
(٨٨) ن : ويتيحه.
(٨٩) ن : ويبيحه.
(٩٠) ن : ٦/٣٤٢ : الذي قد.
(٩١) م : وتلذ.
(٩٢) ساقط من «ن».
(٩٣) ن : بمراق.
(٩٤) ن : ابداء.
(٩٥) م : وبرزنا، تصويبه من ر، ن.
(٩٦) م : لا يجده، تصحيحه من ر، ن.
(٩٧) زيادة من ر ١٣٠ ظ، ن ٦/٣٤٢.
(٩٨) «جامع» : ساقطة من ن ٦/٣٤٣.
(٩٩) م : المذخور، وهو تحريف.
(١٠٠) ن : المعاملة.
(١٠١) من ر، ن .
(١٠٢) ن : اسلافكم الذين.
(١٠٣) زيادة من المرجعين المذكورين يقتضيها السياق.
(١٠٤) م : أخباركم، تصويبه من ر، ن.
(١٠٥) ن : ٦/٣٤٣ : قولكم وعملكم.
(١٠٦) ن : والسلام الكريم يخصكم، ورحمته الله تعالى وبركاته.

تعليقات الفصل السادس

[1] اغمار : م غمر، الجاهل بالأمور الذي لا تجربة له
[2] أشار ابن الخطيب سابقا الى خروجه من سلا يوم السبت ١٤ رجب.

[3] صالحة : (Zalia) حصن بين الحمة وبلش مالقة، وقد كان يكتسي بعض الأهمية آنذاك لقربه من الميناء. انظر (- معيار الإختيار ص ٦٥ - نزهة المشتاق ص ٩٩.
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p 98).
[4] ملتماس : أو منتماس (Bentomiz) يقع شرقي مالقة، وقد كان من أهم حصونها آنذاك. انظر (- النفح ٦/ ١٢٠)
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p 47.
[5] سورة ١٦ (النحل)، اية ١٨.
[6] يعسوب : ذكر النحل وأميرها، ويقصد به هنا، الرئيس.
[7] اشارة الى قوله تعالى : «وما الحياة الدنيا إلا متاع وغرور». سورة ٣ (آل عمران)، (آية ١٨٥).
[8] إغرم : (Agrón) ثبت في الإحاطة ط. القاهرة : الغروم، ولعل الأصح ما أثبتناه لأن إغرم : لفظة بربرية تعني حصن، وهي قرية تابعة لغرناطة تقع جنوب غربها على مقربة من الحامة. انظر (- الإحاطة، مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٩٨، ط القاهرة ١/١٢٨.
- Madoz, Diccionario geográfico, I 119).
[9] قنب قيس : (Quempe) وهي قرية تابعة لغرناطة، وتتركب اللفظة من قسمين، قنب ذات الأصل الاتيني "Campo" بالإسبانية التي تعني حقل، ثم لفظة قيس، اسم لجد قبيلة. انظر (اللمحة ص ٢٩).
- L. Seco de Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 70)
[10] القنب جاغر : (Campojagal) وهي تتركب من لفظتين : قنب المشار اليها سابقا، وجاغر لعلها لفظة بربرية، أصلها (ازاغار) وتعني الحقل الذي ليس فيه نبات، وهي قرية تابعة لغرناطة.
V. (I. Secode Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 26
[11] سورة ٤ (النساء)، اية ٦٦.
[12] أبو يحيى محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين، تولى الكتابة في عهد عبد العزيز المريني، وقد أوفده سفيرا الى الأندلس لاستقدام أسرة ابن الخطيب لما فر الى المغرب سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١م. انظر (- روضة النسرين ص ٣٧ - الإستقصا ٤/٦٩٥- العبر ٧/٦٩٥).
[13] «من أيقن بالخلف جاد بالعطية» : انظر شرح المثل في (مجمع الأمثال ٢/٣٢٠.
[14] اشارة الى الحديث النبوي : تهادوا تحابوا» . انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧/٧٤).

الفصل السابع

رجع التاريخ
< نفي ابن كماشة >

وفي أوائل رمضان من العام المذكور تُقُبِّض على الشيخ القائد المقيم كان لرسم الوزارة علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي [1] المتفق منه على الخلال الذميمة، وأشهرها الشؤم، تحرك مصاحبا لركاب السلطان، مقيما(١) رسم وزارته بتعيين ملك المغرب استراحة من إلحاحه ومزاحمته مجتمعات الفضول، ونفرة عن الطيرة، فانصرف قطب منحسه، وفروقة (٢) عوده، شديد الشُّح، كثير النجَه[2]، عظيم التبرم، قليل الرضى، مُفرط الحركة، لا يسخو بالفتاتة، ولا يبين عن الغرض، ولا يضطلع بالفيء، ولا يتلطف في السؤال، ولا يتأتّى بذوي الشورى، "وجدتْ خُرقاؤه صوفا" [3]، من مداخلة الروم أيام المجاورة مع صاحب قشتالة، فبلغ أمنيته القصوى من اقتناء عهد، وضرب وعد، واتخاذ مراد، وابتناء دار قرار، موهما نفسه البقاء والتملؤ وانفساح المدى وقيادة الدُّجن عند تحول الوطن داركفر، والعياذ بالله من نقمته، يتبجح بذلك لنقصان عقله، وقلة حيائه، وضعف غيرته، وسقوط دينه وحشمته، وعظم ذلك على السلطان فقصّر من خطوه (٣)، وعض من شكيمه، لما استقرّ برندة، فعيّنه للسفارة إلى باب ملك المغرب، لمحاولة جلب ولده وحرمته، والقصد الأول تهنّي الوقت دونه، والراحة من شغبه، فتحرك، وراية الإخفاق خافقة على رأسه، وطبول الخيبة تقرع عند جمجمته، من شيخ حشيَ لُؤما، وفمه نهما وخُبثا، ولسانه هجرا، وحركاته نكاثا، فأضرب عن الكلام في معنى وجهته / ومقصد رسالته، وتشطط في اقتضاء شروط حمّلها السلطان أيام كونه /114/ رهينةً ببلد الروم، يُصانع على نفسه بكل قول وعمل، فضايقه وقد تولى دارا من أمره، في شروط ثقيلة، ومطامع باهظة، أقطع لجراها جانب الرفض، فقام سَدُّ الوحشة بين اسعاف السلطان وبين غرض الرسالة، وطال مكثه، وتعذّر وصول الولد بسوء تصريفه، إلى أن فتح الله للسلطان، مرسله، الفتح الهنيّ بخلو موكبه من شؤمه، عادته سبحانه، المقترنةُ بطلعته، المتاحَةُ من نُصبته، فاستعجل

الانصراف، وترك الولد، ولا همَّ ‹له› إلا الولوغُ في عرس الدولة، والخوض في ريِّق (٤) انتقامها، فطوى المراحل رقيص حمَّى تزلزل لها فكّاه (٥)، أصلها الحسرةُ، وانتدامُ الخبائث، لاقتياته بثمن القِرى، وإسهامه نُدمانه وخدمتَه البلغة المقصَّرة عن إمساك الرَّمَق، واقتصاره البُرَّ المهروسَ والفول المدبوغ والحريرة الملفوفة في يسير الغبار.

ولما استقرَّ بسبتة اختار ركوب البحر في أجفان النصارى التي كانت بمرساها، ولامه العِلْية الأعيان على التغرير، فأشهد بتفضيل ملَّتهم على الحنيفية السمحة، واختارهم على أهل القِبْلة تهاويا في مطارح الضَّجر، وخلْعا لرسن التُّقية، واطِّراحا للحشمة، وعرقا نزل إليه من أبيه خديم الروم بجملة من الحصون المسلمة، المتوفى في ظل طاعتهم، الموارى بين مدافنهم على رسمهم حسبما ينطق صكٌّ قد صانه (٦) بالسرق، وأكنه إكنان الذخيرة، يفخر به على قرأة الخطِّ الأعجمي على الأيام.

ولما اتصل بمالقة، لحق به إيعاز (٧) السلطان إليه بالإقامة بها وقد اتصل به سوء تصريفه، وأبرمه مشهور شؤمه، ونغَّص عليه الفتح النظر إلى وجهه، ثم استقدمه حياءً وطوقه معتبة، وصرفه إلى مقر سكناه نافضا يده عنه في طي ترفيهه، والنظر في علاج مرضه، ولما أفاق أوقفه دون حده، ولم يجعل له شيئا من /115/ أمره / فوقف وقفة العير بين الوِرْد والصدر، وشرع في ديدنه من الفساد عليه، وتمرَّس بسلطان قشتالة، وشكا إليه بثه، وأصحر يسكن قريته بظاهر لوشة، وراب السلطان أمره، وأهمه شأنه، وخاف انبثاق الشرِّ من تلقائه، ورفع المهادنة بسعيه، وإخراب الدولة بكدحه، فتقبَّض عليه ليلا، هو وولده العرة المنتسخة من أصله، والعصيَّة المنتجة من عصاه[4]، إلى وادي آش، ثم إلى المرية، وصرفا في جملة من القرابة، ودابرة السوء ممن ثقلت وطأته، فغربوا إلى تونس، وكفى الله الشر، وأذهب العرَّ.

‹رسالة من الغني بالله إلى ابن تافراجين›

وصدرت المخاطبة إلى القائم بأمر الموحدين من آل حفص [5] بها، بما نصُّه من إنشائي (٨):

من الأمير (٩) فلان أيده الله ونصره، وأعلى أمره وأظهره، إلى ولينا في الله الذي له القدر (١٠) الرفيع المناصب، والمجد السامي الذوائب، والسياسة التي أخبرها سمرُ المشاهد وحدوُ الركائب، الشيخ الجليل الكبير، الشهير الخطير، الهمام الأمضى، الرفيع الأعلى، الأمجد الأوحد، الأسعد الأصعد، الأرقى الطاهر

الظاهر الفاضل الكامل، الباسل، الأرضى، الأتقى، المعظم الموقر المبرور، عَلَمُ الأعلام، سلالة أكابر أصحاب الإمام، معيد دعوة (١١) التوحيد إلى الانتظام، أبي [محمد] (١٢) عبد الله بن الشيخ الجليل الكبير، الماجد الخطير، الرفيع الأسعد الحسيب، الأصيل، (الطاهر الظاهر) (١٣)، الأرضى الأمضى، الأفضل الأكمل، المعظم المقدّس، المرحوم أبي العبّاس بن تافراجين، وصل الله له عزّةً تناسب شُهرة فضله، وسعادةً تتكفل له في الدارين برفعة محلّه.

سلام كريم [طيِّب برٌّ عميم] (١٤)، يخص مجادتكم الفاضلة، ورتبتكم الحافلة، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي يمحص ليثيب، ويأمر بالإستقالة ليجيب، ويعقب ليلة (١٥) الشدّة بصبح الفرج القريب، ويجني من شجر التوكل عليه والتسليم إليه ثمر الصنع العجيب، ويظهر العبر (١٦) مهما كسّر ثم جبر لكل ذي قلب منيب، والصلاة على سيدنا ومولانا / محمد رسول الله الذي نلجأ إلى ظل شفاعته في اليوم العصيب، ونستظهر بجاهه على عَبَدَة (١٧) الصليب، ونستكثر بمدد بركاته في هذا الثّغر الغريب، ونصول منه على العدو بالحبيب، والرضى عن آله وصحبه، نجوم الهداية من بعده، الآمنة من الأفول والمغيب. فإنا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عزّةً متصلة، وعصمةً بالأمان من نوَب الزمان متكفّلة من حمراء غرناطة، حرسها الله، ولا زائد بفضل الله الذي لطف وجبر، وأظهر في الإقالة وحسن الإدالة العبر، وجعلنا (١٨) ممن كتب له العقبى لما صبر، إلا الخير (١٩) الذي كسا الأعطاف الحبر، والصنع الذي صدق خبره الخبر، والحمد لله [كثيرا] (٢٠) كما هو أهله، فلا فضل إلا فضله، ولمكانتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة فضلكم قواعده، وأعلت مصاعده، وأثبت التواتُرُ شواهده، إذ لا نزال نتحف بسيركم التي هي في التدبير (٢١) أثر يُقْتفى، [وعلم يسترشد به] (٢٢) إذا العلم اختفى، والسبيل عفا، وإن تلكم الدولة بكم استقام أودها، وقامت، والحمد لله، عمدُها (٢٣)، وإنكم رعيتم في البنين حقوق آبائها، وحفظتم عليها ميراث عليائها، ولو لم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة، وآراؤكم السديدة، بما يفيد العلم بفضل ذاتكم، ويغري قوى الاستحسان بصفاتكم، لغبطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل إليكم طبعا وجبلّة، من غير أن نعتبر سببا أو علة، "فالتقارب (٢٤) بين الأرواح" لا ينكر، والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل ويذكر [6]، وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر، وحيث بلغ الوِرْد وكيف كان الصدر، وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذيا، ولا برح في جوانب إحسانها رائحا وغاديا، يتيم حجرها الكافل، ورضيع درها الحافل، الشقي الخاسر، الخائن الغادر، محمد

/116/

117/ ابن إسماعيل بن محمد، المستجير نسبنا (٢٥) من لُؤم غدره، الخفية عنا حيل مكره/
لخمول قدره إذ دعاه محتوم الشقاء (٢٦) ليهلك ثم (٢٧) يهتك، وسوّلت له نفسه الأمارة
بالسوء أن يُملّك أخانا الخاسر ثم يملك، وسبحان الذي قال : "يا نوح إنه ليس من
أهلك" [7]، وكيف تمّ له ما أبرمه من تسوّر الأسوار، واقتحام البوار، وتملك الدار،
والاستيلاء على قطب المدار، وإننا كنفتنا عصمة الله بمتحولنا الذي كان ليلتئذ
محل ثوائنا، وكفت القدرة الإلهية أكُف أعدائنا، وخلصنا غلابا بحال انفراد إلا من
عناية الله ونعم الرفيق، وصدق الرجاء (٢٨) برحمته التي ساحتها عن مثلنا لا
تضيق، مهما تنكر الزمان وتفرق الفريق، وشرذمة الغدار تأخذ علينا كل فجّ وشعْب
عميق (٢٩)، وتنضي كل ذلول وصعب حتى أوينا من مدينة وادي آش إلى الجَبل
العاصم، من الحادث القاصم، والحجّة المرغمة لأنف الخاصم، ثم أجزنا البحر بعد
معاناة خطوب، وتجهُّم من الدهر وقطوب، وبلا الله هذا الوطن بمن لا يرجو لله
وقارا، ولا يألو شعائره المعظمة احتقارا، فأضرمه نارا، وجلّل وجوه وجوهه خزيا
وعارا، حتى انتهك (٣٠) الباطل حماه، وغير اسمه ومسمّاه، وبدّد حاميته المتخيّرة
وشذّبها، وسخم دواوينه التي محصها الترتيب والتجريب وهذّبها، وأهلك نفوسها
وأموالها، وأساء - لولا تدارك الله - أحوالها، ولما تأذن الله جلّ جلاله في إقالة
العثار، ودرك الثأر، وأنشأت نواسم رضاه إدامة الاستغفار، ورأينا أن قلادة
الإسلام قد آن (٣١) انتثارها، والملّة الحنيفة كادت تذهب آثارها، ومسائل الخلاف
يتعدد مثارها، وجعلت الملة (٣٢) إلى نحونا تشير، والملك يأمل أن يوافيه بقدومنا
البشير، تحركنا حركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح، ونهضنا نبتدر ما كتب الله
من المنح، وقد امتعض الكون بما حمل، واستخدم الفلك نفسه بمشيئة الله واعتمل
(٣٣)، وكاد يقرب لقرى طريقنا (٣٤) الثور والحمل [8]، وظاهرنا محلّ أخينا السلطان
118/ الكبير، الرفيع المعظم / أبو سالم، الذي كان وطنه مأوى الجنوح، ومهبّ المنوح،
رحمة الله عليه، مظاهرة مثله من الملوك الأعاظم، وختم الجميل بالجميل "والأعمال
بالخواتم" [9]، وأنف حتى عدُوّ الدين لنعمتنا المكفورة، وحقوقنا المحجوبة
المستورة، فأصبح وإن كان (٣٥) العدو حبيبا، وعاد بعد (٣٦) الاباية منيبا، وشحن (٣٧)
أساطيله تحضيضا على الإجازة وترغيبا، واستقبلنا البلاد وبحر الشر يزخر
موجه، وملك (٣٨) الإسلام قد خر على الحضيض أوجه، والروم مستولية على الثغور،
وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى ولله عاقبة الأمور، والخبيث الغادر الذي كان
يُموّه بالإقدام قد ظهر كذب دعواه، وجحد نعمة مولاه، فلولا أن الله - عز وجل -
تدارك جزيرة الأندلس بركابنا، وعاجل أوارها بانسكابنا، لكانت القاضية، ولم نر
لها بعد (٣٩) تلك الريح العقيم (٤٠) من باقية لكنا - والحمد (٤١) لله - رفعنا عنها

وطأة العدو "وقد ناء (٤٢) بكَلْكَلٍ [10] "، وابتززناه منها أي مشرب ومأكل، واعتززنا عليه بالله الذي يُعِزُّ ويُذِلّ، ويهدي ويضل، فلم نسامحه في شرط يجرّ غضاضة، أو يخلف (٤٣) في القلب مضاضة، وخضنا بحر الهول، وبرئنا إلى الله بارينا (٤٤) من القوّة والحول، وظهرت للمسلمين ثمرةُ سريرتنا وما بذلنا في مصانعة العدو عن الإجهاز عليهم من حسن سريرتنا، فقويت فينا أطماعهم، وانعقد على التخوّم (٤٥) بنا إجماعهم، وقصدنا مالقة بعد أن انثالت الجهة الغربية، وأذعنت المعاقل الأبية، فيسر الله لنا فتحها، وهنأ (٤٦) منحها، ثم توالت البيعات، وصرخت بمأذن البلاد الدّعاة، واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف إليه، وحسب كل صيحة عليه، فاقتضت "نعامته الشائلة" [11]، ودولة بغيه الزائلة، وآراؤه الفائلة، أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة، وآلة للملوك (٤٧) مصونة، واستركب أوباشه، / الذين / 119
استباح الحق دماءهم، وعرف الخلق اعتزاءهم، للغدر وانتماءهم، وقصد سلطان قشتالة عن (٤٨) غير عهد ولا وثيقة، ولا مثلى طريقة، ولا شيمة بالرعي خليقة، لكن الله - عز وجل حمله على قدمه، لإراقة دمه، وزين الوجود بعدمه، فلحين قدومه عليه راجيا أن يستفزه بغرض، أو يحيل صحة عقده المبرم إلى مرض، ومؤملا هو وشيعته الغادرة كرّةً على الإسلام مجهزة، ومضرة (٤٩) لمواعيد الشيطان مستنجزة، تُقُبِّض عليه وعلى شيعته، وصمّ عن سماع خديعته، وأفحش بهم المثلة، وساء بحسن رأيه فيهم القتلة، فأراح الله بابادتهم نفوس العباد، وأحيا بهلاكهم أرماق البلاد.

وحثثنا السير إلى دار ملكنا، فدخلناها في اليوم الأغر المحجل، وحصلنا منها على الفتح الهني (٥٠) المعجل، وعدنا إلى الأريكة التي نأى (٥١) بنا عنها التمحيص، ثم أعادنا إليها التخليص (٥٢)، فما حسبناه إلا سرارا (٥٣) أعقبه الكمال، ومرضا عالجه الإبلال، فثابت (٥٤) للدين الآمال، ونجحت الأعمال، وبذلنا في الناس من العفو ما تغمد الذنوب، وجبر القلوب، وأشعنا العفو في القريب والقصيّ، وألبسنا المثيب (٥٥) ثوب البري، وتألفنا الشارد، وأعذبنا الموارد، وأجرينا العوائد، وأسنينا الفوائد، إلا ما كان من شرذمة عظمت جرائرهم، وخبثت في معاملة الله سرائرهم، وعرف شؤمهم، فأقصيناهم وشردناهم، وأجليناهم عن هذا الوطن الجهاديّ وأبعدناهم.

ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا، واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا، بادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الغدر، وأخدان (٥٦) الخديعة والمكر، وبعث إلينا برؤوسهم، ما بين رئيسهم الشقي ومرؤوسهم، وقد طفا على جداول السيوف حبابها، وراق بحناء الدماء خضابها، وبرز الناس إلى مشاهدتها

/ معتبرين، وفي قدرة الله مستبصرين، / "ولدفاع الله الناس بعضهم ببعض شاكرين" [13]، "وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين" [14]. فأمرنا بنصب تلك الرؤوس بمتسور (٥٧) الغدر الذي فرعته، وجعلناها علما على عاتق العمل السيء الذي اخترعته، وشرعنا في معالجة الكلم (٥٨)، وأفضنا على العباد والبلاد حكم السلم، فاجتمع الشمل كأحسن أحواله، وسكن هذا الوطن بعد زلزاله، وأفاق من أهواله. ولعلمنا بفضلكم الذي قضاياه (٥٩) شائعة، ومقدماته ذائعة، أخبرناكم به على اختصار، واجتزاء واقتصار، ليسر دينكم المتين بتماسك هذا الثغر الأقصى بعد استرساله، وإشرافه على سوء مآله، وكنا نخاطب محل أخينا، السلطان الجليل، المعظم الأسعد الأوحد، الخليفة أمير المؤمنين أبا اسحاق [15] ابن الخليفة الامام المعظم المقدس أبي يحيى بن أبي بكر، ابن الأئمة المهتدين، والخلفاء الراشدين، وصل الله أسباب سعده، وحرس أكناف مجده، لولا أننا تعرفنا كونه في هذه المدّة مقيما بغير تلكم الحضرة التونسية، فاجتزأنا (٦٠) بمخاطبة جهتكم السنية (٦١)، لتنوبوا عنا في إنبائه بهذا التكليف وإخباره، كما نبتم عنه في حفظ ملكه وعمارة داره (٦٢)، وبين سلفنا وسلفكم الكريم (٦٣) من الود الراسخ البنيان، والخلوص (٦٤) الكريم الأثر والعيان، ما يدعو إلى أن يكون سبب المخاطبة موصولا، وآخرة الود خيرا من الأولى لكن الطريق جم العوائق، والبحر معروف (٦٥) البوائق ؛ وقبول العذر بشواغل هذا القطر بالفضل لائق، ومرادنا أن يتصل الود، ويتجدد العهد، والله - عز وجل - يتولى المسلمين بمتعود (٦٦) إحسانه، ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله ورضوانه، وهو سبحانه يصل (٦٧) سعادتكم، ويحرس مجادتكم، وينجح إدارتكم (٦٨)، ويسني إرادتكم، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته. (كتب في الثالث لذي قعدة عام ثلاثة وستين وسبعمائة) (٦٩).

/12

رجع التاريخ

<أحداث أندلسية>

واشتدت معتبة طاغية قشتالة بما كان من القبض على هذا الشيخ طويس الشؤم، لتعلق أمله به، ورجائه الظهور على الأمة بسببه، فأجيب ببعض المقنعات ومضى لشأنه من غير حفظ الله ولا كرامته.

وتخلف كثيرا من اللغب [16] والأمثال بطرف شكله، ومغريات لؤمه (٧٠)، وسوء سيرته، وقد تعلق بالألسن كثير من المنظوم، فمن ذلك :

(خفيف)

هَدَمَ السَدُّ وَهْوَ مَا هُوَ فَارٌ (٧١) … كَيْفَ شَيْخٌ مُكَايِدٌ غَدَّارُ

إنَّمَا المُلْكُ نَاقَةٌ وَهْوَ وَاللَّـ … ـهِ إذا لَمْ تُعَاجِلُوهُ قُدَارُ [17]

مِرْجَلٌ فَوْقَ مجمر (٧٢) الغَدْرِ يَغْلِي … أُضْرِمَتْ تَحْتَهُ مِنَ الشَّرِّ نَارُ

ظَاهِرُ الشُّؤْمِ فِي جَمِيعِ المَنَاحِي … خَبَرٌ لَمْ يُغَصْ مِنْهُ اخْتِبَارُ

ورَسُولُ النُّحُوسِ تَنْكَمِشُ الأَوْ … جُهُ مِنْ فَأْلِهِ ويُخْشَى البَوَارُ

لَوْ سَمَا لِلْبُدُورِ حَالَ كَمَالٍ … نَالَهَا الخَسْفُ عَاجِلاً والسِّرَارُ

أَوْ أَتَى لِلْبِحَارِ يَجْلُبُ مَاءً … يَبِسَتْ كُلَّمَا أَتَاهَا البِحَارُ

لا تَهُلْكَ الثِّيَابُ إنْ كَانَ فِيهَا … إنَّمَا فِي الثِّيَابِ لُؤْمٌ (٧٣) وعَارُ

إنْ سَرَى فِي رِسَالَةٍ قُرِنَتْ بِالنَّـ … ـحْسِ مِنْهَا الأَعْمَالُ والأَسْفَارُ

جَاءَ فِيهَا الأَمِيرَ يَوْمَ طَرِيفٍ … فَاسْتُبِيحَتْ حَرِيمَةُ الكُفَّارُ

ثُمَّ فِي القَيْرَوَانِ عَادَ فَكَانَ الشُّـ … ـؤْمُ مُسْتَصْحَباً لَهُ والفِرَارُ

ولَقَدْ ضَاقَتِ الأُمُورُ عَلَى المَوْ … لَى وخَابَتْ بِرُنْدَةَ الأَوْطَارُ [18]

وتَوَلَّى عَنْهَا فَكَانَ لَهُ الفَتْـ … ـحُ وطَابَتْ فِي إثْرِهِ الأَخْبَارُ

وجَلالِ الإِلهِ لَوْ كَانَ فِيهَا … حَاضِرا مَا زَهَتْ بِخَيْرٍ دَارُ /122/

حَكَمَ اللَّهُ أنَّهُ يَابِسُ السَّا … قِ [19] كَذَا الحُكْمُ لَيْسَ فِيهِ اخْتِيَارُ

وأظهر البحث عن الأعمال المالية طعاما يبلغ عدده آلافا مستقرا بيد كاتب الدولة الغادرة، وظهير الرئاسة الخاملة، المستبصر في ضلالها كرها وطواعية، المستقل بعبثها سرا وعلانية، المغتر ببوارقها الكاذبة، النّاحلها الألقاب المهدية في الدنيا والآخرة، عبد الحق بن عطية[20]، ظالم نفسه بمصاحبة أئمة البغي الذين لا إيمان لهم، ولا شبهة في أمرهم، المستبعد الوسع في تنفيق بهرجهم، وإلقاء الزّخرف على حبهم، صدعا على المنابر وخطّا في الرقوق وصراخا في المجتمعات الدنية، طولب بذلك مطالبة مغلمة الظّفر منحازة (٧٥) إلى فئة العافيّة، أدت إلى سجنه، ثم توقى بالمال، فتمشت حاله، والله مقرض السيئة بالحسنة والمال بحسن العقبى والمغبّة، فلقد استظهر السلطان ببيعة أخيه مكتتبة بخطه، قد جلب بهوره فيها فصلا يقتضي مضايقة أخيه المختار لعقدها، وتسوره على عهد أبيه، فوقع من تسكين اشتطاطه، والإبقاء على جوارحه، ما الله المجازي على السعي فيه.

رجع

«زهد ابن الخطيب»

واستمرت الأحوال "هدنة على دخن" [21]، لخلو الدولة عن المدبر، وفقدان دستها مباشرة السائس، وكان السلطان يذخرني لشعب ثأيها (٧٦)، ورم صدعها، وإجالة قداحها [22]، فورد مني على سراب خابت فيه آماله، وانخنس استشرابه، إذ ترشف الدهر بلالتي واستنزف مائيتي، وقصر من خطوي، وأخمل العرض الأدنى في عيني، وجعل العبرة نصب بصري، والموعظة أمام بصيرتي، فتبرأت من
12/ الخلط [23]، وخلعت لباس الطماعة، وعاهدت الله على رفض / التسبب، وهجر التكسّب، وترفّعت عن مزاحمة الوزراء، ولبست أثواب الصوفية والفقراء، ووقفت العقار الثمين على زاوية (٧٧) أقمتها، وملت بكليتي إلى فئة الله، وتحيّزت (٧٨) إلى مطاف العزلة، فعلقت في يد السلطان، وقنع مني بالمساكنة والمجالسة، فسوّغته في جانب النصيحة التي تحجم عنها الأبوة، وتلع عن اقتحام حماها الصداقة، معاملة خالصة لله وللمسلمين، وقربة أستقبل بها وجه رب العالمين، ولم أذخر عنه نهيا عن منكر ولا أمرا بمعروف، أو مجاولة (٧٩) عدوّ، أو رفع ظلامة تعود على الدين بنفع، أو ترجع على الأمّة بحسن مآب.

«ثورة ضد الغني بالله بتاريخ ذي الحجة ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م»

وفي غرة شهر ذي حجة كانت الثورة الشنعاء (٨٠)، والرّجة التي خاب عنها المسعى، وقد كان السلطان [أنذرّ] (٨١) بطائفة تداخل علي بن محمد (٨٢) بن نصر [24] من قرابته حلف الطرش (٨٣) والشقاء، ورُواء من دون ثمر، قبلة من سلبه الله التمييز، وطوقه سوء الاختيار، وحاد به عن جادة الصلوح (٨٤)، فعوجل بالقبض عليه بمحل ولايته "برجه"، يريش [25] ويبرى فكبسه الوزعة ورجال الدولة، واحتمل لحينه على الظهر إلى قصبة المرية، فأودع قعر الطبق بها ثقيل القيد، شديد الأرقاب، مطبق الغلق، مظنونة به الظنون، فخاف أرباب المكيدة افتضاح الأمر، ووقوع التّنبغ (٨٥)، فعجلوا إبراز الكامن وإظهار الخبيء، وتولّى كبر ذلك الكياد الدليل البركي [26]، وهو في الوقت من الناس "جلدة بين العين (٨٦) والأنف [27]"، لما تقدم من هزيمة النصارى بوادي آش على يده، وتظاهره بالاستقامة، وتمويهه بالمدافعة، ولما فشا في اللفيف من ضيق صدر الطاغية به، وصرفه الوكد إلى إعدام مكانه، وله شوكة من فرسان الثغر، ومكان في صدور العامة، والجزاء

من بني عزون [28] الموتورين بجلاء عمهم المنبز بالقار (٨٧)، عدوّ الله، المستنفد عمره للكيد (٨٨) في حط الأقدام بسبب النميمة، المتنفق / وسيلة (...) (٨٩) وإهداء العورة المقتات من أكل اللحوم البشرية، المؤتدم بالدماء المحرمة، قصده مولاه والمنوه به «و» بولايته عدة الإسلام، قصبة المرية، ليلة الحادثة به وخاطبه من وادي آش، وقد حال بينه وبين أولياء الدولة الغادرة، واستصرخه على كث الجوار، فصم عن ندائه، وأساء صرف رسوله ودفع الأمانة إلى عدوه، وأحمد بن بطرون سمسار هذه الفتنة، وجرد الحيلة، الصبي الحدث لغة وعرفا، الموُّوف، آية (٩٠) الله في التباغض والتبارد والتقاعس (٩١) وقلة الإدراك، ابن الشيخ الزمن، أبي الحسن التلمساني قيضه جرما وهيئة واحتقارا وجناية، تولج الأنفاق، وطرق الأبواب، وزين الواقعة، وسهل الأمر، وتحمل المواعيد، وداخل (٩٢) النساء، وأحكم نسيج المكيدة، وتردد بين أقطاب هذا الكياد، وهم العدد الجم وفيهم النبهاء والسفلة، وأبناء الدولة، ولفيف السوق، ومنكرو السيرة، ومذيعو التصاريف غير الحميدة، وأولو الأهواء وأذيال الأشقياء، وغثاء سيل النكبة، ومطيعو داعي المروق، قيومهم الدليل البركي، قريع الخزي ومحلل الأدبار، وكان قد أزمع المبيت بالمدينة ليتم المبرم تحت خفارة الغلس الذي يستر الوجوه ويعين على الحيل، ويهدىء هول اللغط، فأزعجه توقع المعاجلة، واستبرأ لنفسه لبعض امتاع اليوم، فارتاب المتواعدون، وخذل المتناصرون، واقتحم البلد، وقد ركض من بين جنابته يهتف بالناس : أن قد غدرتم، وولي عليكم العدو، وقد وصل لاستباحتكم. / 124 /

ودخل البلد، وخلفه شرذمة من جفاة الثغر، فهاجوا في سككه، وقصدوا دار الشيخ علي بن علي بن نصر، وقد جمعهم الوعد ببابه، فاستركبوه وتقدم بين يديه الدليل، فصعدوا إلى باب البنود المفضي إلى ربض البيازين، بحر الشر ومعدن الهرج ومتوعد السلطان، فاستندوا إليه يقرعون طبولا / من طبول الأعراس، أغاروا عليها من دكان عرضها، ونشروا راية من سلاح بني عزون (٩٣) أيام قيادتهم على جند الرجل، وانبث في المدينة نداؤهم، والدعاء لأميرهم، فتواكل أولياؤهم وارتابوا، وسبروا [29] فقيه (٩٤) الربض ومتبوع جملته، فتبرأ منهم، وسد بابه في وجوههم، فخابت آمالهم، وأسلمهم مغويهم (٩٥)، وقد كان السلطان جلس للناس ضحوتئذ، فطرقه الخبر بأريكة مجلسه، ومنتصب تحيته، فقمنا به من فوره، ودخل داره ناظرا فيما يليق بأمره، والمرج والنداء بالبلد غير غائب عن عينه، ولا محتجب عن سمعه، لإطلال القبة على الكثير من ساحة بلده، فأسبغ الوضوء وانشمر [30]، واستدعى الرأي، فتقرر العمل على مثوله بالدخول ببعض الأبراج المشرفة، مواجها لمصاف العدو، لا يحمل إلا لباب الخالصة، وتفريق ما بالخزائن من / 125 /

الأسلحة، واستدعيت طبول الملك فقرعت يرتج لها الأفق، ونشرت راية السلطان، وأشيع خبر العطاء، واستركب الجيش بنفير الجهاد، وضبطت الأبواب بالرجال، وعمرت الأبراج بالحامية، وأقبل الناس لما استفاض ظهور السلطان وإخفاق السعي في مناصبته، يغشون مثوى الملك مستميتين مستمسكين بحبل الطاعة، وتوفر عدد المسلمين بإزاء القلعة، وكلما شره إلى مدافعة من يليه أشير بسكونه وحفظ تعبئته استبراء لأهواء اللفيف، واستجلاء لعزيمة أهل الربض، وتربصا بالعدو القلق المكان، الموهم بالصبر (٩٦) والمواقفة إلى أن يجيره الليل. فلما كمل الغرض توجه الجيش فأحاط بالربض واقتحمه، وحمل بعضه على موقف الشيخ المنصوب للفتنة، فأدبر أمامه، ودخل الربض يستصرخ أهله، وفر الدليل البركي لأول وهلة فيمن لف لفه، فلحق بحصن اللقون [31] فامتنع به وتقبض على الشيخ البائس فسيق إلى السلطان متلولا، فتقرع بين يديه وهو يقسم على براءته من

12/ الدخلة، ثم جر إلى المطبق، / وطير إلى البلاد بما انجلى عنه الصنع.

فكان مما أمليته يومئذ من الكلام المرسل الذي حركته في هذه الأصقاع المغربية لهذا العهد جواره، ما نصه بعد صدرة وتحميد (٩٧) :

وإلى هذا فإن مما أفادته الفطر السليمة، والحلوم الرضية والقضايا الشائعة (٩٨)، والنقل الشرعي، والسنن المرعي، أن مغالب الحق مغلوب، ومزاحف (٩٩) الله مهزوم، ومكابر البرهان بالجهل موسوم، ومربع (١٠٠) البغي مهجور، وسيف (١٠١) العدوان مفلول، وحظ الشيطان موكوس، وحزب الله (١٠٢) منصور، ولا خفاء بنعمة الله التي اطرادها في المواطن العديدة، والهفوات البعيدة، والمشتبهات (١٠٣) غير المبينة، والظلمات الكثيفة، معلن بوفور الحظ من رحمته، وفوز (١٠٤) القداح في مجال كرامته، والاختصاص بسيما اختياره، فجعل العصمة ليلة الحادث علينا من دون مضجع أمامنا (١٠٥)، ونهج لنا سبيل النجاقبين يدي كبسه علينا، وسخر لنا ظهري الطرف والطريق، بعد أن فرق لنا بحر الليل، وأوضح لنا خفي المسلك، وعبد لنا العاصي (١٠٦) الحزن [32]، ودمث خمر (١٠٧) الشعراء [33]، وأوطأنا صهوة المنعة، وضرب وجوه الشرذمة المتبعة، بعد أن ركضوا خلفنا (١٠٨) البراذين (١٠٩) البادنة، خزين إهدائنا المجلة (١١٠) بحلي ركابنا، وتحملوا السلاح والرياش المختار من أثير (١١١) صلاتنا، وأبهروا الأنفاس التي طالما رفهها إيناسنا، وأبلعها الريق تأميننا، وصببوا العرق الذي أفضله طعامنا، شرهين إلى دمنا المحظور بالكتاب والسنة، المحوط بسياج البيعة، المحصن عنهم بقديم (١١٢) النعمة، وحرمة الأب ومتعدد الأذمة، فجعل الله بيننا وبينهم حاجزا، وسد ياجوجهم المردة مانعا (١١٣)، وانقلبوا يعضون الأنامل الغضة (١١٤) من سريط [34] جفاننا، ويقلبون الأكف

التي أخذ بها الدهر ترفيعا من المهن إلى رتبة خدمتنا، قد جللهم صغار القدر وذل الخيبة، وكبح الله جماحهم (١١٥) عن التنفق بتلك الوسيلة. واحتللنا وادي آش (١١٦) لا نملك إلا نفسا لم يشبها غش الملة، ولا كياد / الأمة، ولا دنسها، والفضل (١١٧) لله، عار الفاحشة، ولا وسمها الشؤم في الولاية، ولا أحبط عمل نجاحها (١١٨) دخل[35] العقيدة، ولا مرض السريرة، قد سلمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب، وصير لنا ملك أبينا من غير حول ولا حيلة، نرى أنه أملك لذمتنا (١١٩)، وأعلم بمآلنا، وأرحم بنا، فتبثت (١٢٠) بها القدم، وحميت لنا من أهلها رعاهم (١٢١) الله الهمم، وصدقت في الذب عنا العزائم، وحاصرنا جيش الغدر (١٢٢) وأولياء الشيطان وظهراء الباطل فبان الصبر والاستقلال (١٢٣)، "وظهرت الفئة القليلة، والله مع الصابرين" [36]، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، ومع ما نالنا من الضيق وأهمنا من الأمر، فلم نطلق يد غارة، ولا شرهنا إلى تغيير نعمة، ولا سرحنا عنان (١٢٤) اكتساح على هجمة، ولا شعلنا قبسا (١٢٥) في بيت ولا حلة، وأمسكنا الأرماق بيسير الحلال الذي اشتملته خزائننا من أعشار وزكاة (١٢٦)، وحظوظ مزارعات، وارتقبنا الفرج ممن محّص بالشدة، والإقالة ممن نبّه من الغفلة، وألهم للإقلاع والتوبة، ثم وفقنا سبحانه "وهيأ (١٢٧) لنا من أمرنا رشدا" [37]، وسلك بنا طريقا في بحر الفتنة يَبَسا فدناه بحقن الدماء، وتأمين الأرجاء، [وشكرناه على البلاء، كشكرنا إياه على الآلاء] (١٢٨)، وخرجنا عن الأندلس وقد كاد لولا عصمة الله أن تذهب مذاهب تذمّت الذروة، وتستأصل الشأفة (١٢٩)، وتسيح الفرضة [38]، سبحانه ما أكمل لنا صنعه، وأجمل علينا ستره، إلى أن جزنا البحر، ولحقنا بجوار السلطان بالعدوة (١٣٠)، لم تنب عنا عين، ولا شمخ علينا أنف، ولا حمل علينا مركب، ولا خفقت (١٣١) حولنا غاشية، ولا نزع عنا للتقوى والعفاف ستر، بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذي أغفله الأوغاد من أبناء دولتنا، والضفادع ببرك نعمتنا، حتى إذا الناس عافوا الطخمة (١٣٢)، وتملّوا الحسرة، وسيموا الخسارة والخيبة، وساسهم الطغام [39] الذين لا يرجون لله وقارا، ولا يألون شعائره المعظمة احتقارا، كلاب الأطماع، وعبدة الطاغوت ومربو حجور الجهل، ومياسير (١٣٣) أسواق / البعد عن الرب، وعرائس محرم الزينة ودود القز، وثعابين النهم، وأعداء الله الأعزة على المومنين بالباطل، الأذلة في نفوسهم (١٣٤) بالحق، ممن لا يحسن المجاولة (١٣٥)، ولا يحمل السلاح ولا ينزه مجمع الحشمة عن الفحشاء، ولا يطعم المسكين، ولا يشعر بوجود الله، داروا من شقيهم المحروم على مضعوف ملفف في الحرير المصور (١٣٦)، متحف بلطف العهر، معلل بالخداع، مسلوب الجدة بأيدي انتهابهم، شؤم على الإسلام، ومعرة في وجه الدين، أخذ الله منهم حق

الشريعة، وأنصف أئمة الملة، ولم ينشبوا أن تهارشوا فعض بعضهم بعضا، واستأصلهم البغي وألحم السيف، وتفنن القتل، من بين مجدل يوارى بأحلاس النواب الدبرة، وغريق يقذف به إلى سوء الميتة، واستهينت حرمة الله، واهتضم (١٣٧) الدين، واستبيحت المحرمات، واستبضعت الفروج في غير الرشدة، وساءت في عدو الله الحيلة، فتحركنا عن اتفاق من أرباب الفتيا، وعزم من أولي الحرية، وتحريض من ذوي الحفيظة (١٣٨) والهمة، وتذامر من الشوكة، وتحريك ممن وراء البحر من الأمة.

فكان ما (١٣٩) علمتم من تسكين الثائرة، وإشكاء الغريم، وإصمات الصارخ وشعب الثاي، ومعالجة (١٤٠) البلوى، وتدارك القطر، وقد أشفى وكشف الضر والبأساء، أما الحبوب فانتهبها رجل [40] الدبا(١٤١)، واستشاط عليها جو السماء وأما مرافق البحر ومرافد البر فسدت طرقها أساطيل الأعداء، وأما الحامية فشذ بها فساد السيرة وغمط الحق وتفضيل الأذى، وأما المال فاصطلم السفاه (١٤٢) والأدبار بيضاه وصفراه، وكبس خزائنه حتى وقع الإدقاع والإعدام، وأقوى العامر، وأقفرت المخابيء (١٤٣) والمغابن، فأعريت جفون السيوف من حلاها، وجرد تمويه (١٤٤) الآلات الذي علاها، وغاض المؤمنين النفاق والبحث والدغل المستبطن، تمحض الحين الفاضح، وسلمت للعدو والعرصة وتخرمت الثغور من غير مدافعة،
12/ / واكتسحت الجهات فلم يترك بها نافخ ضرمة [41]، وحق القول ووقع (١٤٥) البهت وخذل الناصر، [وتبرأت الأواصر] (١٤٦)، فحاكمنا العدو إلى النصفة ولم نقره على الدنية، وبايناه أحوج ما كنا إليه (١٤٧)، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرته على الكفار مثله اعتزازا بالله وثقة به، ولجأ إليه وتوكلا عليه، سبحانه ما أبهر قدرته، وأسرع نصرته، وأوحى أمره، وأشد قهره. وركبنا بحر الخطر بجيش نحاربه(١٤٨)، ونهدنا قدما لا نرهب الهول ولا نراقبه، وأطللنا على أحواز ربّه (١٤٩) في الجمع القليل إلا من مدد الصبر، المفرد إلا من مظاهرة الله، الغفل إلا من زينة الحق المظلل جناح عقابه بجناح (١٥٠) الروح، المفتقة جيادُه بصهيل العز، الطالعة غرره بطليعة النصر. فلما أحس بنا المؤمنون المضطهدون بساحتهم، انتثروا من عقال الإيالة الظالمة، والدعوة الفاجرة، وتبرأوا من الشرذمة الغاوية، والطائفة المناصبة لله المحاربة، وأقبلوا ثناتا (١٥١) وأفرادا، وزرافات ووحدانا، ينظرون بعين لم ترو (١٥٢) في غيبتنا من محيا رحمة، ولا اكتحلت بمنظر رأفة، ووجوه عليها قمرة [42] الخسف، وأبشار عليها بؤس الجهد، يتعلقون بأذيالنا تعلق الغرقي (١٥٣)، ويئنون لإلحاح الجوع أنين المرضى، ويجهشون بالبكاء ويعلنون لله ولنا بالشكوى، فعرفناهم الأمان من العدو أول عارفة جلونا (١٥٤) عليهم وصرفنا وجه [التأمين]

(١٠٥) والتأنيس وجميل الود إليهم، وقارضناهم (١٠٦) الاجهاش والرقة، ورتبنا (١٠٧) لهم من الذلة، واستولينا على دار الملك ببلدهم، فأنزلنا أخابيث كان الأشقياء تخلفوهم بها من أخلاف لا تزال تطأ أبشارهم الحدود، وتأنف من استكفائهم اليهود، وانثالت علينا البلاد، وشمر الطاغية ذيله عن الجهات، وراجع الإسلام رمق الحياة، وحثثنا السير إلى دار الملك، وقد فر عنها الشقي (١٠٨) بشوكة بغيه التي أمدته في الغي وجرأته على حرمة الله، وقصد دار قشتالة بكل ما صانت الحقاق
/130/ من ذخيرة، وحجبت / الأبهاء من خرزة ثمينة، يتوعدون المسلمين بإدالة الكفر من الإيمان، واقتياد جيوش الصلبان، وشد الحيازم إلى تبديل الأرض غير الأرض، ومحو رسوم الدين، وطمس معالم الحق كيادا لرسول الله في أمته، ومناصبته لله في حبيبه (١٥٩)، وتبديلا لنعمة الله كفرا، ولمعروف الحق نكرا، أصبح له الناس على مثل الرضف [43] يرتقبون إطلال الكريهة، وسقوط الظلة، وعودة الكرة، وعقبى المعرة، والله من ورائهم محيط، وبما يعلمون بصير [44]، ولدعاء المستضعفين من المؤمنين مجيب، ومنهم وإن بعدوا (١٦٠) في أقصى الأرض قريب. ولم نقدم لما حللنا بدار الملك شيئا على مراسلة صاحب قشتالة في أمره نناشده العهد، ونطري له الوفاء، وننافره إلى الحق، ونقوده إلى حسن التلطف، إلى الذي نشاء من الأمر، فحسم الداء، واجتث الأعداء، وناصح الإسلام وهو أعدى عدوه، وخدم الدين وهو المعضل من أدوائه، وصارت صغرى عناية الله بنا التي كانت العظمى، واندرجت أولاها في الأخرى، وأتت ركائب [الأمن و] (١٦١) اليمن تترى، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصقع (١٦٢) سدى ولا هيأه عبثا، وأن له فينا خبيئة غيب وسر عناية يبلغنا إياها، ويطوقنا طوقها، لا مانع لعطائه، ولا مصرد لآلائه، له الحمد ملء أرضه وسمائه، فمن اطردت له هذه العجائب محملة عوائق الاستقامة، مزينة (١٦٣) جيوب التقوى، كيف لا يتيمن بعهده، ويدان (١٦٤) الله بمناصحته، ويحذر عناد القدر بمخالفته، وتخشى عاقبة محادته (١٦٥)، "انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [45]، فقلمنا أظفار المطالبة، وغضضنا طرف التبعة (١٦٦)، وسوغنا من كشف وجهه في حربنا نعمة الإبقاء وأقطعنا من قطع رحم طاعتنا جانب الصفح، وأدررنا (١٦٧) لكثير ممن شح عنا ولو بالكلمة الطيبة جرية الرزق، ووهبنا لله ما وجب لنا من الحق، وَدِنَّا له بكظم الغيظ، وعمرنا الرتب بأربابها،
/131/ وجردنا الألقاب بعد خرابها، / وقبضنا الجباية محملة كتد العادة، مقودة بزمام الرفق، ممسوحا عطفها بكف الطواعية، فبللنا صدى الجيش المطول بالأماني الكذاب، المستخدم في الذب عن الفحشاء ومراقد العهر، ودارينا الأعداء، وحسمنا الداء، "وظهر أمر الله وهم كارهون" [46]، إلا أن تلك الشرذمة الخبيثة أبقت

جرائيم نفاق أكنتها أحجار الغدر، وبذرتها حصائد الشر، وأخلصوا الحقايب اللعنة ممن ساء ظنه، وخبث فكره، وظن أن العقاب لا يفلته، والحق لا يذره، والسياسة لا تخفره، فدبت عقاربهم، وتزاورت (١٦٨) طوافاتهم، وتباث (١٦٩) فساقهم، فدبروا أمرا تبره الله تتبيرا، وأوسعه خزيا وبيلا، وجعلوا يرتادون من أذيال القرابة من استخلصه الشيطان، وصحبه الخذلان، ومن لا يصلح لشيء من الوظائف، ولا يستقل ببعض الكلف، فحركوا بوا [47] منهم رهن زمانة (١٧٠) من شر الذواب الذين لا يسمعون فأجرهم رسنه، ووقف وقفة العير بين الورد والصدر، بخلال ما أطلعنا الله طلع نثه، فعاجلناه بالقبض عليه، واستودعناه مصفدا ببعض الأطباق البعيدة والأجبال العميقة، فمرج (١٧١) أمرهم، وخافوا أن تحترش السعايات ضباب مكرهم، وتتبع نفاقهم، فأقدموا اقدام العير على الأسد استعجالا للحين ورجعا (١٧٢) لحكم الخيار، وإقداما مع الذي تولى (١٧٣) كبرها [48]، وكشف وجهه في معصيتها، الخبيث البركي[49]، حلف التهور والخرق، والموه بالبسالة وهو الكذوب الفلول النكوث، تحملنا هفوته، وتغمدنا بالعفو قديما وحديثا زلته، وأعرضنا فيه عن النصيحة وأبقينا له حكم الولاية (١٧٤)، وأنسنا من نفرته، وتغابينا عن عرته، وسوغناه الجرائم التي سلفت (١٧٥)، والجرائر التي سبقت (١٧٦)، من إفساد العهد وأسر المسلمين، والافتيات على الشرع، والصدوع بدعوى الجاهلية، فلم يفده إلا بطرا، ولم يزده إلا مكرا، "والخير في غير أهله يستحيل شرا"، والنفع ينقلب ضرا، والتفت عليه طائفة من الأخلاف، (١٧٧) بني عزون، / 132/ قرعاء الجهل والمشأمة، وأذناب بيت الأدبار، ونفاية[50] الشرار، حرك حرابتهم (١٧٨) مكان صهرهم البائس ابن بطرون الضعيف المنة، الساقط (١٧٩) الهمة، الخامل التفصيل والجملة، وغيرهم ممن تأذن الله بتضليل (١٨٠) كيدهم، وتخييب سعيهم، فاقتحموا البلد صبيحة كذا يهتفون بالناس أن قد طرق حماهم، وأن العدو قد دهمهم، ملتفتين يرون أنهم في أذيالهم، وأن رماحهم تنوشهم (١٨١)، وسرعانهم ترهقهم، كأنهم سقطوا من السماء، أو ثاروا من بين الحصباء، ثم جالوا في أزقة البلد يقدحون في الصفاح نار الحباحب[51] ركضا فوق الصخر المرصوف، وخوضا في الماء غير المصروف، ثم قصدوا دار الشيخ البائس على بن علي (١٨٢) بن نصر، من نفاية البيت، ودردي القوم، من شيخ قميء الشكل، قبيح اللثغ، طاهر الكزاز لإدمان المعاقرة، مزنون بالريب على الكبرة[52]، ساقط الهمة، عديم الدين والحشمة، منته في البخل والهلع إلى أقصى دركات الخسة، مثل في الكذب والنميمة، معيب المثانة، لا يرقأ بوله، ولا يجف سلسه، فاستخرجوه مبايعا له بالخلافة، منصوبا على كرسي الإمامة، مدعوما بالأيدي لكونه قلقا (١٨٣) لا يثبت على

الصهوة، مختارا لحماية .البيضة والعدل في الأمة، معتاما للذب عن الحنيفية السمحة، وصعدوا به إلى الربوة بإزاء قلعتنا مستدبرا (١٨٤) إلى الربض، مطلا على دار الملك، قد أقام له رسم الوزارة نكله بن بطرون (١٨٥)، الطاوي الكشح، الدرب (١٨٦) بركض المسومة، الجرد، المبين الحجة، بغل طاحونه الغدر وغذي السرق [و] الخيانة، واليهودي الشكل والنحلة (١٨٧)، وقرعت حوله طبول الأعراس، إشادة بخمول أمره، واستهجان آلته، ونشرت عليه راية فال رأيها، وخاب سعيها، وطافت (١٨٨) به زعنفة من طغام ممن يحلى في الكريهة (١٨٩)، ولا يزيد على المكاء والصفير من حيله، وانبث في سكك البلد مناديه وهتف أولياء باطله باسمه، واستنجزوا (١٩٠)
مواعيد الشيطان فاختلفت / (١٩١) ودعوا بسماسير الغدر فصمت، وقدحوا نار (١٩٢) /133/
الفتنة فصلدت وما أورت.

ولحين شعرنا بالحادثة، ونظرنا إلى مرج الناس، واتصل بنا ريح الخلاف، وجهير الخلعان (١٩٣)، استعنا بالله وتوكلنا عليه، وفوضنا أمرنا إليه، وهو خير الناصرين، وقلنا : "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" [53]، واستركبنا الجند، وأذعنا خبر العطاء، واطلعنا بريح الجهاد، ونفير الجلاد، وملأنا الأكف بالسلاح، وعمرنا الأبراج بالرجال، وقرعنا طبول الملك، ونشرنا راية (١٩٤) الحق، واستظهرنا بخلاصة الأمر وأولياء الدعوة، وخاطبنا فقيه الربض نخبر خبره، ونسبر غوره، فألفيناه متواريا في كسره (١٩٥)، مرعيا على دينه، مشفقا من الأخطار بدمه، مشيرا إلينا بكمه، وتفقدنا البلد فلم نرتب بأحد من أهله.

فلما كملت التعبئة، وصحت الجملة، أنهدنا بالجيش ولي أمرنا الذي اتخذناه ظهيرا، واستبطناه مشيرا، والتزمناه جليسا وسميرا، ولم نذخر عنه محلا أثيرا، الشيخ الأجل أبا سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو [54]، فنهد والرعب يقدمه، والسعد في خدمتنا يخدمه، في جيش كثيف الجملة، سابغ العدة، مزاح العلة، وافر الناشبة، آخذا نقاب الربض وشعابه، ولف عليه أطنابه، وشرع إليه أسله، ولم يكن إلا كلا ولا، حتى داسه بالسابك، وخلفه مجر العوالي ومجرى السوابق، وهو الحمى الذي لا يتوعد، والحجر الذي لا يقرب فلولا تظاهر مشيخته بشعار السلم، واستظلالهم بظلال العافية، لحلت الفاقرة، ووقعت بهم الدبرة (١٩٦)، وفر الأعداء لأول وهلة (١٩٧)، وأسلموا شقيهم أذل من وتد في قاع [55]، وسلحفاة بأعلى (١٩٨) يفاع، فتقبض عليه، وأخذت الخيل أعقاب الغدرة أشياعه، وقيد إلينا يرسف قبل القيد في قيد الهرم، ثعلبان مكيدة، وسكيت ضلال،
ومظنة فضيحة، وأضحوكة سمر، فتقرع بين يدينا / (١٩٩)، وأخذته الملامة، وجلله 134 /
الخزي، وتل إلى الطبق [56] حتى يستدعى (٢٠٠) حكم الله في جرمه، ونقتضي

الفتيا في جريرته، ونختار من أقسام ما عرضه الوحي من قتلته، وهدات الثائرة من يومها، واجتث شجرة الفساد (٢٠١) من أصلها، فالحمد لله الذي أتم نوره وإن كره الكافرون، "إن هؤلاء متبر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون[57]"، وماذا رابهم منا، أصغر الله منقلبهم، وأخزى مردهم، واستأصل [ملكهم، أو لا يتبنى] (٢٠٢) الأمر وارثه، ثم عوده إلينا طواعية، ثم رفعنا وطأة العدو ضربة، ومددنا (٢٠٣) ظلال الأمن دفعة، وابقاؤنا (٢٠٤) رمق الثغور حين لم يجدوا حيلة إلى ما عرفوا في مدتنا من أمنة، وبلوا من حيطة وتسوغوا (٢٠٥) من هدنة، وانسحب فوق أموالهم وحريمهم من عفة، وظهر لله علينا من نعمة، "ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء [58]". اللهم ألبسنا سريرتنا لهم (٢٠٦)، وعاملنا بدخلتنا فيهم، وإن كنا أردنا بجماعتهم شرا، وفي دينهم إغماضا، أو عن العدل فيهم عدولا، فعاملنا بحسب ما تبلوه من عقدنا، وتستكشفه من خبيئتنا، وإن كنت تعلم مناصحتنا لسوادهم، واستنفادنا (٢٠٧) الجهد في إتاحة عافيتهم، ورعي صلاحهم، وتكيف آمالهم، فصل لنا عادة صنعك فيهم، وملكنا طاعتهم، واهدبنا جماعتهم، وارفع بنظرنا إطاعتهم (٢٠٨)، يا أرحم الراحمين.

ولما أسفر صبح هذا الصنع عن حسن العقبى، واستقر على التي هي أزكى، وظهر أن دولتنا لا تخاف بالله دركا ولا تخشى، وأن السبيل (٢٠٩) الحق أنجى، ومحجته أحجى، [خاطبناكم نجلو نعم الله قبلنا عليكم، ونشيد بتقوى الله بناديكم، و] (٢١٠) بتوالي عنايته بنا فيكم، (٢١١) ونهدي طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم، ليكسبكم اعتبارا فترجوا لله وقارا، وتزيدوا يقينا واستبصارا، ولا تصرفوا لغير من اختار الله لكم اختيارا (٢١٢)، وهو سبحانه نعم الوكيل.

واستدعيت الفتيا ثاني يوم الثورة، فأطبق الفقهاء على وجوب قتل الرئيس، ثم / خطبوا السلطان العفو عن جريرته، والتزي بحلي الحلم عن زلته، لمكان ذياع /135
الشبهة في أكنافه، وعدم صلوحه لمكان الخوف الذي أفسد ذكره، ومنع من العقد له، واضطرب منهم قوم عرفوا في انتكاث العزيمة، عادتهم في فضح الله إياهم عند محاك الأهواء، فأبقي في حكم الثقاف، إلى أن هلك حتف أنفه لزمن قريب، وتقول باغتياله.

وخوطب السلطان في هذا الغرض بكثير من المنظوم، فمن ذلك قول الشيخ القاضي المفلق الشهير أبي إسحاق بن الحاج [59]:

(طويل)

هَنيئاً كمـا حيّى الحيـا أوجهَ الزهـر — وبُشْرى كما جلّى الدُّجَى وَضَحُ الفَجْر
ونُعْمى أتَتْ تترى كما وافت الصَّبـا — فجرَّتْ ذيولَ الـروض عاطـرةَ النَّشْر
وحُسْنى أتَتْ في إثْرِ حُسْنى كمـا أتى — إلى الروض إثْرَ الغيث مُنْسكِبُ النهر
وإقبـالُ ملْـك راقَ بالعـزِّ تـاجـهُ — كما راق تـاجُ الأفق بالأنجـم الـزُّهر
وعَصْرٌ غـدا يَفْتَرُّ بالـسعْد ثغْـرُهُ — كما افترَّ ثَغْرُ الكأس عن حَبَبِ الخَمْر
وأيام أُنْسٍ قـد مَحَتْ كـلَّ وَحْشـةٍ — كما قَدْ محا صُبْحُ الرِّضى ليلةَ الهجْر
وإدراكُ آمـالٍ مَلَكْـتَ قيـادَهـا — كما مَلَكَ الساقي قِيادَ أخي السُّكْر
سَمَتْ بك أفـلاكُ الخـلافـة راقيـاً — كما قَدْ سَما في أوْجِه طائرُ النَّسْر
وواقعْتَ (٢١٣) بالحرب الشقيَّ الذي بغى — كما قد بَغى شرُّ البُغاةِ على الصـقْر
وضمَّكَ بيْتُ المُلْـك أبْلَجَ ازهـراً — كما ضمَّت الأصدافُ كَشحاً على الدُّرّ
وسُرَّتْ بـك الدنيا وراق جمالُهـا — كما راق مُنْسوقُ الحليِّ على النحْر
وجالَ إليكَ النصرُ في حُلَل الرضى — كما جال غُصْنُ الروضِ في الورق الخُضْر
/136/ ويَهْنيكَ عيدٌ بالسعادة والمُنى — كما عادَ بُرْدُ العَصْبِ للطيِّ والنشْر
وجاءك للأعياد في الفضل سابقاً — كما سبقَ الأملاكَ يومـا بنو النصر
وقد ذهبَتْ بالأمْنِ كلَّ مساءةٍ — كما ذهبَتْ شيْمَا [60] الإمارة(٢١٤) بالبِشْر
ولله فتْحٌ قـد طربْتُ لوقتـهُ — كما طربَتْ نفسُ الجواد إلى الشكْر
هَزَزْتَ بها الدنيا فدلَّ على العُلى — كما دلَّ مرقوبُ الهلال على الشهْر
وأصْبَحْتَ في الحمراء تسكُن ربْعَها — كما سكَنَ القلْبُ المؤمَّنُ في الصدْر
حريصاً على الجُودِ المواصل والندى — كما حَرَصَتْ نفسُ البخيل على الوَفْر
فلا شَخْصَ إلا وَهْوَ جذْلانُ فارحٌ — كماخرجَ الحجّاجُ في ليلة النفْر [61]
ويا ابنَ أبي الحجاج للسعْد يهتدي — كما يَهْتَدي الضُّلالُ(٢١٥) بالكوكب الدُّرّي
إمامٌ رَضيٌّ قد جاءَ في الفضل أوّلاً — كما جاءَ بسْم الله في أول السطْر
ببذْل الندى والبأس يُعْرفُ دائماً — كما تُعْرَفُ الأنهارُ بالمدِّ والجزْر
هُمامٌ يزينُ الأرضَ نَقْعُ جيادِه — كما زُيِّنَتْ بيضُ القراطيس بالحبْر
يحومُ على فَيْض النجيع حُسامُهُ — كما حامَ ظمآنٌ على مَوْرِدٍ غَمْر
إليكَ أبا عبدَ الإلهِ أتى الملا (٢١٦) — كما قد أتى الحجاجُ شوقاً إلى الحِجْر
وحنَّتْ لرؤياكَ القلوبُ محبَّةً — كما حنَّت الورقاءُ ليلاً إلى الوَكْر
وعادتْ بكَ الدنيا إلى الخَفْض (٢١٧) والغنى — كما عادَ سرُّ العاشقين إلى الجهْر
37 / وكنتَ لفيض الجود أصلاً وللعُلى — كما كان ضوْءُ الشمس أصلَ سنا البدْر
وإنّي بالأمداح فيكَ لَمُولَعٌ — كما ولِعَ الأبطالُ بالكرِّ والفرّ
وإنّي بالأشعار قد جئتُ مُتْحفاً — كما أتْحفَ الجمّالُ يثربَ بالتمْر

بمقدامك الميمونِ أرّخْتُ أسْعُدِي ... كما أرّخَ الرومُ التواريخَ بالصفْرِ
وأنتَ الذي صنْتَ الورى وحميْتَهم ... كما قد حمَى ربُّ التقَى جانبَ الصبْرِ
وأصبحتَ بالسيْفِ المطاولِ غالباً ... كما يغلِبُ اليُسْرانِ بالشرْعِ للعُسْرِ [62]
ولكنْ على عفوٍ جُبِلْتَ تكرُّماً ... كما جُبِلَتْ نفسُ الجبانِ على الذُّعْرِ
فلا زِلْتَ في بُرْدِ السعادةِ رافلاً ... كما ترفلُ الحسناءُ في حُلَلِ الخُمْرِ (٢١٨)
ودامَ لكَ العزُّ المجدَّدُ والعُلَى ... كما دامَ حُبُّ العُرْبِ للنظمِ والنثْرِ

‹القبض على الدليل البركي›

واستقر الدليل البركي في الشرذمة الخاسئة بحصن اللقون من الحصون
الملجة في جوار العدو، وكان لنظره، وقد أعده للثورة منذ أزيد من عشرين سنة،
فلم يدع فيه خلة إلا سدها، ولا عورة إلا حصنها، واختزن به الآلة والطعمة،
واستجرى الماء، فلما أخفق سعيه، وتبر كيده، صرف إليه وجهه على جبال الفخار،
شرقي المدينة، وسبق إليه التدبير، فدخله في سريع من ليلة يوم الكائنة، طوى في
برهة اليوم إليه سبعين ميلا، ودخله، ولم يستقر به حتى غشيته الخيل المتبعة،
فألفته أمنع من عقاب الجو، قد استقل بمصام منقطع السبب، مختزل من الأرض،
منسوب للسحاب، فنكا القرح، وأثار الغمة، ورجم الظنون، واستدعيت الجهات
إلى منازلته، واتخذت المجانيق، فلم يغن ذلك شيئا، وأهم المسلمين أمره، وتوقع أن
تغلظ شوكته، ويتصل به أولو الفساد، وينخرق من جهته عقد السلم، ويسلك
مسلكه بعض المجاورة من الحصون، فداخلته أدعوه إلى النزول، وأضمن له عفو
السلطان، / وأطري له التوبة، وأحذره سوء العاقبة، فراجعني مستقيما إلي، 138/
باخعا (٢١٩)، إلا أنه لا يقنع بأحد من المسلمين في رم أمره، ومباشرة إنزاله من
منتزاه وعقد وثيقة أمانه غيري. فكان ذلك، وتوجهت إليه تاسع عشر ذي الحجة من
العام ‹٧٦٣هـ › وصعدت إلى باب الحصن مشاهدا كرك [63] الأندلس سنموا
ومنعه، فنزل إلي بعد أن أشرت بإفراج المحلات عنه، وسمحت في ذات الله بنفسي
إلى توقع مكيدته، واستنزلته ومن معه، وقبضت الحصن بما فيه، فثقفته بمن يضبطه
للسلطان، واستقته وجملته سالكا طريق الثغر من البر حيلة إلى أنتقيرة، وأوصلته
إلى مأمنه من العمالة المرينية المشاركة لهذه الحدود، فاستقر بجبل الفتح، إلى أن
كان من سآمته للمطاولة به ما أوجب صرف وجهه إلى جهة السلطان المتجافي عن
جريمته، موهما التطارح عليه في قبول الفيئة (٢٢٠) فصاحت به الجهات، ووقع
التحذير، واستركب الجند، وأخذت عليه الثنايا والفجاج، وغار جملة من خيله،
وتقبض على طائفة من قومه، ولجأ إلى أنتقيرة ركضا، فتقبض بها عليه، وتوجه من
باب السلطان في صفده في الحديد، واحتمله إلى مالقة، فاستودع بمطبق القصبة
منها إلى هذا العهد.

ولما عدت من استنزال هذه الشرذمة الثائرة، وتسكين النائرة، وسد حرب الفتنة، أشرت على السلطان باستيلاف النفوس، وتسكين نفرتها لاشتراك الجمهور في لازم الذنب، وضم النشر، وإصلاح فساد السيرة، والتجافي عن الناس، والسلوك على نهج السنة، فانقاد رضي الله عنه لذلك انقياد مثله من الملوك أولي العقول الرضية، والنفوس الزكية، والأخلاق الرضية.

فصدر عني منثور من إنشائي علوت به ذروة المنبر الأعظم من حضرته عقب الفراغ من صلاة يوم الجمعة القريب اتصاله بيوم الإياب، خاطبت به الجم الغفير بعد التسليم عليهم من أعلى القمة والإجهاش في / سبيل العطف عليهم والرحمة نصه (٢٢١). /139/

هذا كتاب كريم أصدرناه، بتوفيق من الله، شارحا للصدور، ومصلحا بعناية الله للأمور، ملحفا جناح الأمان والعدل والإحسان للخاصة والجمهور، يعلم من يسمعه أو يقف عليه ومن يقرأه (٢٢٢) ويتدبر ما لديه ما أعاننا (٢٢٣) عليه الله من تأمين النفوسّ وحقن الدماء، والسير في التجافي عنها على سنن (٢٢٤) السواء، ورفع التثريب عن البعيد فيها والقريب، والمساواة في العفو عنها والغفران بين البريء والمريب، وحمل من يظن أنه ينظر بعين العداوة في باطن الأمر وظاهره محمل الحبيب، وترك ما يتوجه بها من المطالبات، ورفض التباعات (٢٢٥)، مما لا يعارض حكما شرعيا، ولا يناقض سننا (٢٢٦) من الدين مرعيا، فمن كان رهن تبعة، أو طريد تهمة، أو منبزا (٢٢٧) في الطاعة بريبة، فقد سحبنا عليه ظلال الأمان، وألحفناه أثواب العفو والغفران، ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق [و] الإحسان، حكما عاما، وعفوا تاما، فاشيا في جميع الطبقات، منسحبا على الأصناف المختلفات، عاملنا في ذلك من يتقبل الأعمال، ولا يضيع السؤال، واستغفرنا الله عن نفسنا وعمن أخطأ علينا من رعيتنا، ممن يدرأ الشرع غلطته، ويقبل الحق فيئته، "ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما" [64] لما رأينا من وجوب اتفاق الأهواء والضمائر، وخلوص القلوب والسرائر، في هذا الوطن الذي أحاط به العدو والبحر، ومسه بمتقدم الفتنة الضر، وصلة لما أجراه الله على يدينا، وهيأه بنا، فلم يخف ما سكن بنا من نار فتنة، ورفع من بأس وإحنة، وكشف من ظلمة، وأسدل من نعمة، وأصفى من مورد عافية، وأولى من نعمة (٢٢٨) كافية، بعدما تخرمت الثغور، وفسدت الأمور، واهتضم الدين، واشتد على العباد والبلاد كلب الكافرين، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائبا، والشكر واصبا (٢٢٩)، ومن الله أسأل أن "يتم نعمته علينا، كما أتمها على أبائنا، من قبل، إن ربنا (٢٣٠) / حكيم عليم" [65]، ونحن قد شرعنا في تعيين من ينوب عنا من أهل العلم والعدالة، والدين /140/

والجلالة، للتطوف بالبلاد الأندلسية، ومباشرة الأمور بالإيالة النصرية، ينهون إلينا ما سيتطلعونه، ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه، ويقيدون ما تحتاج إليه الثغور، وتستدعيه (٣٣١) المصلحة الجهادية من الأمور، ونحن نستعين بفضلاء رعيتنا وخيارهم، والمراقبين الله (٣٣٢) منهم في إيرادهم وإصدارهم، على إنهاء ما يخفى (٣٣٣) عنا من ظلامة تقع، أو حادث يبتدع، ومن اتخذت بجواره خصر فاشية، أو نشأت في جهته للمنكر ناشية، فنحن نقلده العهدة، ونطوقه القلادة، ووراء تنبيهنا على ما خفي عنا من الشكر لمن أهداه، وإحماد سعي من أبلغه وأداه، ما نرجو ثواب الله عليه، والتقرب به إليه، فمن أهدى لنا شيئا من ذلك فهو شريك في أجره، ومقاسم في مثوبته، حسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب عن الأمر الكذا في الكذا.

فلم نر بالأندلس يوما أعلى نداء، ولا أذيع دعاء، ولا أعظم بكاء، من ذلك اليوم، ثم ظهر مصداقه عامة اليوم وما بعده من إطلاق عقال الجناة، ورفع الجناح، وتسريح الآمال، وإنزال الوهم من منصة الشهرة ومواراتها بالتراب حكم السنة، وإفشاء الصدقة، وإذاعة العفو، والأخذ على أيدي الظلمة، وتغيير المنكرات، فسكن الناس وأنسوا بجناب العافية، واستروحوا ريح الأمنة، وأخلصوا للسلطان الدعاء وأمحضوا الطاعة، وسكن لهذا العهد الزلزال.

واستقر رجال البيت النصري من وراء البحر، وبريء مرض القلوب، واقصرت في الفساد الآمال، وبدا للناس في أمر السلطان ووزنوه بميزان النصفة، ونظروا إليه بعيون البصيرة، وثنوا الأعنة إلى حسن الطاعة وسؤال الامتاع به، من
141/ ملك مصنوع له / مكيف الغرائب لدولته، حسن الخلق والشكل، قد امتاز بذلك ما بين الأمة، لطيف الشمائل، خفر الوجنة، بري عن الشر والموجدة، نساء للأحقاد (٣٣٤)، معتدل الأحوال، مغمد السيف إلا بحقه، كثير الهوينا، سريع الدمعة، متحمل النصيحة، صبور على الموعظة مبسوط الكنف، داع بالكنى والألقاب المحبوبة، كثير الهوى للصالحين، مواصل للصدقة، ثاقب الفهم، صادع اليدين، شجاع مقدم على الهول، قلما يأتي الزمان بمثله، أو يجود بشبهه، من غير التماس لرفده، ولا تمهيد لصلته، ولا خوف من جوره، تولاه الله بما تولى به أهل العناية منه، ورده الرد الجميل إليه بعد الوفاء بحق قلادته، ومناصحته في عهدته.

هوامش الفصل السابع

(١) م : مقيم.
(٢) م : وفرية، ولعل المناسب للسياق ما أثبتنا.
(٣) م : حظوة.
(٤) م : ربق.
(٥) م : تولول لها فكاهة، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٦) م : هانة، تصوبيه ما أثبتنا.
(٧) م : إيعان، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٨) وردت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٣٤ ـ ١٣٦، وفي ط. القاهرة ١/٥٠١ ـ ٥٠٧. وفي النفح ٦/٣٣٢ ـ ٣٣٩.
(٩) ن ٦/٣٣٣ : من أمير المسلمين.
(١٠) ن : القدم.
(١١) ن ٦/٣٣٣ : دولة.
(١٢) من ر ١٣٤ ط، ن.
(١٣) اللفظتان ساقطتان من ر، ن ٦/٣٣٤.
(١٤) من ر، ن.
(١٥) ر، ن : ليل.
(١٦) م : المعبر، تصحيحه من ر، ن.
(١٧) ر، ن : على جهاد عبدة.
(١٨) ساقطة من ن ٦/٣٣٤.
(١٩) ن : الخبر.
(٢٠) من ر ١٣٤ و، ن.
(٢١) ن : التدبيرات.
(٢٢) من ر، ن.
(٢٣) م : عمومها، تصوبيه من المرجعين.
(٢٤) ر ١٣٤ و، ن ٦/٣٣٥ : فالتعارف.
(٢٥) ن : بنسبنا.
(٢٦) ن : الحين.
(٢٧) ن : إلى أن .
(٢٨) ن : اللجأ إلى رحمة الله تعالى.
(٢٩) من ر ١٣٤ و، ن ٦/٣٣٦.
(٣٠) ن : هتك.
(٣١) م : دان، تصوبيه من ن.
(٣٢) ن : الملتان.

(٣٣) ر ١٣٥ ظ، ن : اكتمل.
(٣٤) ن : لقرى ضيفنا.
(٣٥) ن ٦/٣٣٦ : بعد.
(٣٦) من ر ١٣٥ ظ، ن.
(٣٧) ر، ن وسخر.
(٣٨)م : فلك، تصويبه من ن.
(٣٩) ر، ن : من بعد.
(٤٠) م : العظيم، تصويبه من ر، ن.
(٤١) ر، ن : والفضل.
(٤٢) م : نثا، تصويبه من ر، ن.
(٤٣) م : ولا يخلف.
(٤٤) ر ١٣٥ ظ : ربنا.
(٤٥) ن ٦/٣٣٧ : التحرم.
(٤٦) ر، ن : هيأ.
(٤٧) ن : للملك.
(٤٨) ن : من.
(٤٩) ر، ن : نصرة.
(٥٠) ن ٦/٣٣٧ : الإلهي.
(٥١) ر ١٣٥ و، ن : نبأ.
(٥٢) هذه الجملة ساقطة من "ن" .
(٥٣) م : سرا، تصويبه من ر، ن.
(٥٤) م : فثاب.
(٥٥) ر، ن : المريب.
(٥٦) ر ١٣٥ و، ن ٦/١٣٨ : وإخوان.
(٥٧) ن : بمسور.
(٥٨) ن : العلم.
(٥٩) م : قصاياه، وهو تصحيف.
(٦٠) م : فاجتزنا، تصويبه من ر ١٣٥ و، ن ٦/١٣٨.
(٦١ - ٦٢) ساقط من "ن".
(٦٣) ساقط من "ن".
(٦٤) ساقط من "ن".
(٦٥) ن : مفروق.
(٦٦) ن ٦/٣٣٩ : بمتوارد.
(٦٧) ن : يطيل.
(٦٨) م : أردادتكم، تصويبه من ر ن.

(٦٩) ساقط من "ن".
(٧٠) م : لومه.
(٧١) م : عار، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٧٢) م : بياض.
(٧٣) م : لوم.
(٧٤) م : الأمير فيها، والأنسب للوزن ما أثبتنا.
(٧٥) م : منجازة، وهو تصحيف.
(٧٦) م : ثاها، وهو تحريف.
(٧٧) م: زاوية.
(٧٨) م : تحيرت.
(٧٩) م : محاولة.
(٨٠) وردت الإشارة إلى هذا الحدث في الاحاطة مخ. الأكاديمية التاريخية ل ١٧٠، ١٧١ في تسعة أسطر، وفي المطبوع ٦٥/٢. وفي اللمحة ص ١٢٩ في سطر ونصف.
(٨١) من ح ١٧٠و، ل ١٢٩.
(٨٢) ح ١٧٠، ل ١٢٩ : علي بن علي.
(٨٣) م : الطرس.
(٨٤) م : حادة الصلوع، ولعل المناسب ما أثبتناه لأن الصلوح تعني الصلاح.
(٨٥) م : التنبع، وهو تصحيف.
(٨٦) م : العنف، وهو تحريف.
(٨٧) م : الفارى، ويمكن قراءتها الفار.
(٨٨) م : الكيد، والسياق يقتضي قراءتها للكيد أو في الكيد.
(٨٩) بياض بالأصل.
(٩٠) م : آيات.
(٩١) م : التعاصص.
(٩٢) م : ودخل، والأنسب ما أثبتنا.
(٩٣) م : بنو غرون، يراجع التعليق السابق.
(٩٤) م : فغية، ولعل المناسب ما أثبتناه.
(٩٥) م : مفويهم، وهو تحرف.
(٩٦) م : للصبر.
(٩٧) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأكاديمة التاريخية ورقة ١٧١ ـ ١٧٥، وفي المطبوع ٦٦/٢ـ٧٧.
(٩٨) ح ١٧١ : والقضا بالشريعة.
(٩٩) ح : مزاحم.
(١٠٠) ح : ومرتع.
(١٠١) ح : وسيوف.

(١٠٢) ح : السلطان.
(١٠٣) ح : والشبهات.
(١٠٤) ح : وبراز.
(١٠٥) ح : وإمانا.
(١٠٦) ح ١٧١ : عاصي.
(١٠٧) ح : غمر.
(١٠٨) ح : قليبا.
(١٠٩) م : الباردين، تصويبه من ح.
(١١٠) ح : المتجملة.
(١١١) م : اثر، والسياق يقتضي ما أثبتناه من "ح".
(١١٢) ح : بتقديم.
(١١٣) م : وسد الباب اجوجهم المردة مالعا.
(١١٤) م : العضة.
(١١٥) ح : جماعتهم.
(١١٦) ح : قصبة وادي آش.
(١١٧) ح : والحمد.
(١١٨) م : دحل.
(١١٩) ح : لرمتنا، وفي ط. القاهرة ٦٧/٢ : لحرمتنا.
(١٢٠) ح : فتشبثت.
(١٢١) ح : رحمهم الله.
(١٢٢) ح : العدو.
(١٢٣) ح : الظفر والاستقبال.
(١٢٤) ح : عنا.
(١٢٥) ط. القاهرة : ولاشعنا لبسا، وهو تحريف واضح.
(١٢٦) ح : وزكوات.
(١٢٨) ح : والهمنا.
(١٢٨) من "ح".
(١٢٩) ح : العرصة.
(١٣٠) ح : سلطان المغرب.
(١٣١) ح ١٧١ : خفت، وفي ط. القاهرة : هتفت.
(١٣٢) ح : الصيحة.
(١٣٣) ح ١٧٢ : ومياسيس.
(١٣٤) ح : أنفسهم.
(١٣٥) وردت الجملة الآتية زيادة في "ح" وهي : "ولا يلازم الصهوة".
(١٣٦) ح : الحرم المحصور.

(١٣٧) ح ١٧٢ : واستضيم.
(١٣٨) م : الحفظة، تصويبه من "ح".
(١٣٩) ح : ما قد.
(١٤٠) ح : ومعاجلة.
(١٤١) ح : فالتمسها وجل الرب.
(١٤٢) ح : السفه.
(١٤٣) ح : المجابي.
(١٤٤) ح : تموه.
(١٤٥) ح ١٧٢ : ووقع القول وحق.
(١٤٦) غير واضح في المتن، تصويبه من "ح".
(١٤٧) ح : ما كنا إلى كدحه.
(١٤٨) م : غواربه، والأرجح ما أثبتنا.
(١٤٩) م : أحوازية، وهو تحريف تصويبه من "ح".
(١٥٠) ط. القاهرة : يجتاح، والأنسب ما ورد في المتن وفي "ح".
(١٥١) م : تباتا، تصويبه من ح.
(١٥٢) م : تسر، وهو تحريف.
(١٥٣) ح ١٧٢: الفريق.
(١٥٤) من "ح".
(١٥٥) ح : جعلونا.
(١٥٦) ح : وخارطناهم.
(١٥٧) ط. القاهرة ٧١/٢ : ووثبنا بتشديد الثاء بمعنى أقلنا من الذلة، وهو أرجح.
(١٥٨) ح : الشقي الغاضب.
(١٥٩) ح : حنيفيته.
(١٦٠) م : وان بعدن، وفي ح ١٧٣ : وان قعدوا، والأرجح ما أثبتنا.
(١٦١) من "ح".
(١٦٢) م : الصنع.
(١٦٣) ح : فحمله عوائق الاستقامة مزية.
(١٦٤) ح : لا يتمنى بعهده ويدين الله.
(١٦٥) ح : وتخشى عاقبة أمره.
(١٦٦) ح : التبعية.
(١٦٧) م : وارددنا، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ح ١٧٣.
(١٦٨) ح : وتدارت.
(١٦٩) ح : وتبات فسادهم، وفي م : وتبات، ولعل الأصح ما أثبتناه، لأن تبات بمعنى تبادلوا الأسرار فيما بينهم.
(١٧٠) ح : زهق زمانه.

(١٧١) ح ١٧٣ : فخرج.
(١٧٢) م : وربعا، تصويبه من "ح".
(١٧٣) ح : واقداما على التي هي أشبه وتولى.
(١٧٤) م : وألفينا حكم الزالية، وما أثبتناه من "ح" يتفق مع ط. القاهرة ٢/٧٠.
(١٧٥) ح : سبقت.
(١٧٦) ح : سلفت.
(١٧٧) ح : الخلاف.
(١٧٨) ح : عرك جراتهم.
(١٧٩) ح : السقيط.
(١٨٠) ح : يأذن الله بضلال.
(١٨١) ح ١٧٣ : تنهشهم وتنوشهم.
(١٨٢) ح : أحمد.
(١٨٣) م :قلعا، تصويبه من ح.
(١٨٤) ح : مستترا.
(١٨٥) ط. القاهرة ٢/٧٥ : مطرون، وفي "ح" : بكرون صححها الناسخ في الهامش "بطرون" وهو يتفق مع ما ورد في "م".
(١٨٦) ح : الدروب.
(١٨٧) ح ١٧٤ : والنحل.
(١٨٨) ح : ودارت.
(١٨٩) ح : من لا يملى.
(١٩٠) ح : وانتجزوا.
(١٩١) ح : فاخلفت.
(١٩٢) ح : زناد.
(١٩٣) م : الجعلان، تصويبه من "ح".
(١٩٤) ح : الوية.
(١٩٥) م : كسره، ولعل الصواب ما أثبتناه من ح ١٧٤.
(١٩٦) ح : ووقعت به الرزية.
(١٩٧) م : الوهلة.
(١٩٨) ح : في أعلى.
(١٩٩) ح ١٧٤ : أيدينا.
(٢٠٠) نستدعي.
(٢٠١) ح : الخلاف.
(٢٠٢) بياض بالأصل، تصويبه من "ح".
(٢٠٣) م : ومدنا.
(٢٠٤) كذا بالأصل ويمكن قراءتها وأبقينا.

(٢٠٥) ح : وتسوغا.
(٢٠٦) ساقطة في "ح".
(٢٠٧) م : واستفادنا، تصحيحه من ح ١٧٤.
(٢٠٨) م : اضاعة، والأنسب ما أثبتناه من "ح".
(٢٠٩) ح ١٧٥ : سبيل.
(٢١٠) زيادة من ح.
(٢١١) ح : وعنايته لدينا ولديكم.
(٢١٢) ح : وتصفو العين من اختار لكم اختيارا.
(٢١٣) م : واقعت، وهو تحريف مخل بالوزن.
(٢١٤) م : زيادة لاستقامة الوزن.
(٢١٥) م : سيما الأمرة، وما أثبتناه يقتضيه الوزن والمعنى.
(٢١٦) م : الله، وما أثبتناه لملاءمة الوزن.
(٢١٧) م : الحفض.
(٢١٨) م : الحمر، ولا معنى لها هنا، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٢١٩) م : باجعا، والأنسب ما أثبتناه لأن بخع معناها : بالغ في الطاعة (لع).
(٢٢٠) م : الفئة، والأنسب ما أثبتنا.
(٢٢١) وردت هذه الخطبة في الريحانة مخ. الاسكوريال، لوحة ١٦٤، وفي ط. القاهرة ٢/٥٧.
(٢٢٢) ر ١٦٤ و : أو يقرأه.
(٢٢٣) ر ١٦٤ و: ما عاهدنا.
(٢٢٤) ر : السنن.
(٢٢٥) ر : التبعات.
(٢٢٦) ر : سببا.
(٢٢٧) م : منبرا، وهو تصحيف.
(٢٢٨) ر ١٦٤ و : عصمة.
(٢٢٩) ر : واجبا.
(٢٣٠) ر : ربك.
(٢٣١) ر : وتستوجبه.
(٢٣٢) ر : والمرافقين لله.
(٢٣٣) ر : ما تخفي.
(٢٣٤) م : للاحناد، والسياق يقتضي ما أثبتنا.

تعليقات الفصل السابع

[1] يوسف بن كماشة.

[2] النجه : الصد والنهر.

[3] "وجدت خرقاؤه صوفا" : مثل يضرب للحمق. أنظر (مجمع الأمثال ١/٥٥ رقم ١٣٥٩).

[4] اقتباس من المثل : "العصا من العصية"، وعند العوام " "العصا من العصي". أنظر (مجمع الأمثال ١/١٥ رقم ٣٢. ـ أمثال العوام ١/١٧٥ رقم ١١).

[5] يقصد بالقائم بأمر الموحدين، محمدا بن عبد الله بن تافراجين، وفي الإحاطة، ابن تافراقين، بينما ابن خلدون أورده : ابن تافراكين، وقد كان حاجبا، ثم استبد بأمر الدولة فانتزعها من أبي حفص عمر الثاني بن أبي بكر (٧٤٧ ـ ٧٧٠ هـ / ١٣٥٠ ـ ١٣٦٨م)، توفي سنة ٧٧٦هـ / ١٣٦٤م. أنظر (ـ الاحاطة ٢/٢٢. ـ العبر ٦/٥٢٣).

ـ آل حفص : نسبة إلى حفص بن عمر الهنتاتي. أنظر أخبارهم بتفصيل في (ـ ابن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان) ـ العبر ٦/٥٧٧).

[6] إشارة إلى الحديث : "الأرواح جنود مجندة..." أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١/٣٥٨).

[7] سورة ١١ (هود)، آية ٤٦.

[8] الثور والحمل : برجان من البروج الإثني عشر. انظر وصفهما في (عجائب المخلوقات ص ٦٧).

[9] تضمين للحديث "إنما الأعمال بالخواتيم"، أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢/١٠).

[10] اقتباس من بيت معلقة أمرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازا وناء بكلكل

[11] من المثل "شالت نعامتهم" أي تفرقوا. (مجمع الأمثال ١/٢٢٩ رقم ١٢٦٧. ـ زهر الأكم ٣/٢٤٠).

[12] السرار : آخر ليلة من الشهر.

[13] إشارة إلى قوله تعالى : "ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٥١.

[14] اقتباس من قوله تعالى : ويريد الله أن يحق الحق ويقطع دابر الكافرين، سورة ٨ (الانفال)، آية ٧.

[15] السلطان أبو إسحاق إبراهيم (... ـ ٧٧٧هـ = ... ـ ١٣٦٩م)، من ملوك الحفصيين، تولى الملك سنة ٧٥١هـ = ١٣٥٠م، وهو غلام، فقام بأمره ابن تافرجين الذي كان حاجبا لوالده، أنظر حياته ومصادرها في (الاعلام ١/٢٤).

[16] اللغب : الكلام الفاسد.

[17] يقصد قدار بن سالف عاقر ناقة صالح عليه السلام، أهلك الله بفعله ثمود، ويضرب به المثل في الشؤم. (مجمع الأمثال ١/٣٧٩ رقم ٢٠٣١).

[18] إشارة إلى فشل الغني بالله في رندة محملا تبعة ذلك إلى شؤم ابن كماشة لأنه كان وزيره آنذاك.

[19] يابس الساق : أي قليل الخير.
[20] أبو محمد بن عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية المحاربي ولد بوادي آش سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، كان شاعرا، كاتبا، تولى القضاء بوادي آش في سلطنة الغني بالله الأولى، كما تولى الكتابة ورئاسة بيت المال في فترة إسماعيل ومحمد السادس. أنظر (اللمحة ص ١٢٧. الاحاطة ٥٥٥/٣-٥٥٩).
[21] "هدنة على دخن"، مثل يضرب فيمن يضمر الأذى ويظهر الصفاء، وهو مأخوذ من قول الرسول (صلعم). أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧٠/٧. - مجمع الأمثال ١٦١/١ رقم ٨٣٦).
[22] اجالة قداحها : إدارة القدح في الميسر، وهو مأخوذ من المثل : "مجيل القدح والجزور ترثغ". (- مجمع الأمثال ٣١٦/٢ رقم ٤٠١٤).
[23] الخلط : الإختلاط بالناس.
[24] أورده ابن الخطيب في اللمحة تحت إسم علي بن علي بن أحمد بن نصر، وفي الاحاطة مرة باسم علي بن علي ومرة بإسم علي بن أحمد، وفي المتن علي بن علي، وأيضا علي بن محمد، وهو من قرابة الغني بالله، بويع بالخلافة ليحتل مكانه في ثورة منيت بالفشل بتاريخ ذي الحجة ٧٦٣هـ / أكتوبر ١٣٦٢م. أنظر (- اللمحة ص ١٢٩ - الإحاطة، مخطوطة الاسكوريال، رقم ٦٠ لوحة ١٧٠، ط. القاهرة ٦٥/٢).
[25] برجه : قرية تابعة لالمرية تقع غربيها بحوالي ١٠٠ كلم. أنظر (- معجم البلدان ١١٣/٢). وقوله : لا يريش ولا يبرى : أي لا يضر ولا ينفع. أنظر (المخصص ٦٥/٢).
[26] الدليل البركي : وهو الذي ترأس ثورة ذي الحجة ٧٦٣هـ، وقد كان من أنصار إسماعيل أخي الغني بالله. أنظر (الإحاطة ٦٥/٢).
[27] اقتباس من بيت لعبد الله بن عمر قاله ردا على من لامه في حب ابنه سالم :

يديرونني عن سالم وأريغهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وسالم يكنى أبا عمر وأبا المنذر، كان فقيها، توفي سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤م.
وفي الحديث : "لا تؤذوا عمارا فإنما عمار جلدة ما بين عيني". أنظر ابن قتيبة : المعارف ص ٩٣).
[28] بنو عزون : اختلف في تسميتهم، بعض المؤرخين سماهم بني غزلون، والبعض أطلق عنهم بني غزون، والأرجح ما أورده ابن صاحب الصلاة "بنو عزون" وهم بيوتات من البربر ينتمون إلى قبيل زناتة، كانوا أمراء بتيروال، ولا زالت عائلات في المغرب تحمل هذا الإسم. أنظر (الجمهرة ص ٤٩٩. - ابن حيان : المقتبس ٣٥٩/٥. - ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٣، ٨١.
- Bosh Vilà, Historia de Albarracìn y su sierra, II, 169).
[29] سبروا : جربوا واختبروا.
[30] انشمر : تهيأ.
[31] حصن اللقون : (Alicùn) من المناطق الخصبة التابعة لالمرية.
- V. (Madoz, Diccionario geogràfico, II, 7).
[32] الحرن : الممتنع عن الإنقياد، وفعله حرن.
[33] دمث : سهل ولين.

ـ خمر : بفتح الخاء والميم، ما وارى من الشجر، وبكسر الميم، المكان الكثير الخَمَر.
ـ الشعراء : الأرض الكثيرة الشجر، ورمال شعراء : تنبت العصي وما شابهه.
[34] سريط : فعله سرط، أي سار سيرا سهلا في الحلق، ومنه المثل، الأخذ سريط والقضاء ضريط. (ـ مجمع الأمثال ١/١٤ رقم ١٥٧).
[35] دخل : فساد.
[36] اقتباس من قوله تعالى : "كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين"، سورة ٢ (البقرة) آية ٢٤٩.
[37] إشارة إلى قوله تعالى : "ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا"، سورة ١٨ (الكهف) آية ٢٤٩.
[38] الفرضة : من النهر، الثلمة التي ينحدر منها الماء، ويقصد بها هنا، تشتد خطورة الأمر.
[39] الطغام : أوغاد الناس.
[40] رجل الربا : بكسر الراء وتسكين الجيم، قطعة عظيمة من الجراد.
[41] "نافخ ضرمة" : مثل يقصد به ما في الدار أحد. (مجمع الأمثال ٢٧٨/٢ رقم ٣٨٤٨).
[42] قمرة : بياض يميل إلى الخضرة.
[43] الرضف : ج رضفة وهي الحجارة المحماة.
[44] إشارة إلى قوله تعالى : " إن الله بما تعملون بصير"، سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٣٧.
[45] سورة ٢٢ (الحج) آية ٢٣٧.
[46] سورة ٩ (التوبة) آية ٤٨.
[47] البو : ولد الناقة، ويطلق أيضا على جلد ولد الناقة يحشى تبنا أو غيره ويقرب من أم الفيصل، فتخدع وتعطف عليه فتدر، ومنه المثل : "اخدع من البو"، أنظر (لع).
[48] الكبر : بكسر الكاف وتسكين الباء، الاثم الكبير.
[49] الخبيث البركي : يقصد به الدليل البركي الذي سبقت الإشارة إليه.
[50] نفاية : بقية.
[51] الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة.
ـ الحباحب : ذباب ذو ألوان يطير في الليل وفي ذنبه شعاع كالسراج، ومنه نار الحباحب التي يضرب بها المثل في الضعف.
[52] الكبرة : بفتح الكاف وكسرها وتسكين الباء، الكبر في السن.
[53] سورة ٧ (الاعراف) آية ٨٩.
[54] أبو سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو، كان أبوه شيخا للغزاة المغاربة في السلطنة الأولى للغني بالله، وقد سجنهما السلطان المذكور في ١٣ رمضان ٧٦٤هـ = ١٣٦٢م. أنظر (اللمحة ص ١١٦ ـ ١٣٠).
[55] "وتد في قاع" : يوجد عند العامة بالصيغة "بحال وتد في نخال". أنظر (أمثال العوام ١٧٧/١ رقم ٩٤).
[56] تل : اقتيد وسيق.
ـ الطبق : أو المطبق، وهو السجن تحت الأرض.

[57] سورة ٧ (الأعراف)، آية ١٣٩.
[58] سورة ١٤ (إبراهيم) آية ٣٨.
[59] أبو إسحاق بن الحاج، سبق تعريفه.
[60] شيماء : علامة في الجلد.
[61] الحجاج الثقفي (٤٠ - ٩٥هـ = ٦٦٠ - ٧٠٤م) وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد، قائد داهية، ولد ونشأ في الطائف. أنظر (الاعلام ١٦٨/٢).
[62] إشارة إلى الحديث : «لن يغلب عسر يسرين».
[63] كرك : إسم لقلعة حصينة تقع في المملكة الأردنية الهاشمية على الشاطئ الشرقي للبحر الميت، أنظر (معجم البلدان٢٤٠/٧. - الروض المعطار، تح إحسان عباس ص ٢٠٢).
[64] إشارة إلى قوله تعالى : "واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما"، سورة ٤ (النساء) آية ١٠٦.
[65] إشارة إلى قوله تعالى : "ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم"، سورة ١٢ (يوسف) آية ٦.

الفصل الثامن

<بعض الرسائل والأشعار التي كتبها ابن الخطيب بعد عودته الى غرناطة>

وصدر عني إلى هذا العهد من المنظوم والمنثور ما يذكر :

فمن ذلك كتاب من إنشائي للسلطان بمصر [1]، نصه : (١)

«الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء، وتستدر (٢) من آفاقها سحاب النعماء، وتجلى بأنوار سعدها دياجي الظلماء، وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتماء على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الأسماء، ويجترأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالاتها (٣)، بالإيماء، وتحمل لها التحية ذات (٤) الدسر والألواح طاعنة نحر الصباح على كتد الماء(٥)، أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر الظاهر، الأوحد الأسعد، الأصعد الأمجد، الأعلى العادل، العالم (العلم العامل) (٦)، الفاضل الكامل، سلطان الإسلام والمسلمين، عماد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين، جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملك البرين والبحرين، إمام الحرمين، مؤمل الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتطار، الملك المنصور بن الأمير الرفيع المجادة (٧)، الكريم الولادة، الطاهر الظاهر، الكبير الشهير، المعظم المجد، الأسنى (٨) الموقر، الأعلى فخر الملة (٩)، سيف / الأمة، تاج /142/ الإمارة، عز الإسلام، مستظل الأنام (١٠) قمر الميدان ، أسد الحرب [العوان] (١١)، المقدس المطهر، أحمد ابن والد السلاطين، وملك المسلمين، وسيف خلافة الله (١٢) في العالمين، وولي المؤمنين، سلطان الجهاد والحج، ومقيم رسم العج والثج (١٣) [2]، ومحيي معالم (١٤) الدين، قامع المعتدين، قاهر الخوارج والمتمردين، ناصر السنة (١٥)، محيي الملة، ملك البرين والبحرين، سلطان الحرمين، الملك العادل، العالم العامل(١٦)، الطاهر الظاهر، الأصعد الأسعد الأوحد، الأعلى (١٧) المنصور المؤيد، المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل، المجاهد المرابط الغازي المكمل، المطهر الكبير الشهير المقدس، الملك الناصر، أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحي، جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح، وحركات عزمه مبنية على الفتح،

ومجمل سعادته غنيا عن الشرح، وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح، وزناده آرائه وارية عند القدح، موجب حقه وجوب الشعائر الخمس، المرحب لأجل أفقه الشرقي بوفادة الشمس، المجدد في اليوم حكم ما تقرر بين السلف، رحمه الله، في الأمس (١٨)، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله [الغني بالله] (١٩) الغالب به محمد بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر :

سلام كريم كما زحفت (٢٠) راية الصباح، تقدمها طلائع مبشرات الرياح، وتفاوح زهر الأدواح، وتحاسن (٢١) طرر الوجوه الملاح، يخص أبوابكم (٢٢) التي رتب العز فصولها، وعضدت نصوص النصر (٢٣) فصولها، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة القرآن، وخاتمة دعاء أهل الجنان، وشكره على ما أولى من مواهب الإحسان، حمدا وشكرا يستخدمان من الإنسان، ملكتي القلب واللسان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله، زهرة كمامه الأكوان، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان، الذي أذل بعزة الله
/143 انوف الطغيان / وغطى بدينه الحق على الأديان، وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما روي (٢٤) له فكان الخبر وفق العيان، والرضى عمن له من الأصحاب والأحباب والأعمام والإخوان صلاة يجددها الجديدان، ويمليها الملوان، وتتزاحم على تربتها (٢٥) المقدسة مع الأحيان، ما سجعت طيور البراعة من أعواد (٢٦) اليراعة على الأفنان، والتفتت عيون الالتفات من (٢٧) بين أجفان البيان، والدعاء لأبوابكم الشريفة (٢٨)، جعل الله عصمته تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستئذان، وضرب بدعوتها التي هي لذة الإقامة والأذان على الآذان، واستخدم بروج الفلك الدوار في مرضاة (٢٩) أمرها العزيز [استخدام] (٣٠) الأنصار والأعوان، حتى يعمل في (٣١) المدافعة عن حماها مخالب السرحان، وفي الإشادة بعدلها كفتي الميزان، ويهدي [لها] (٣٢) من الزهرة كرة الميدان، ومن الهلال عوض الصولجان، وأبقى في عواملها ضمير الأمر والشان، إلى يوم تعنو وجوه الملوك الى الملك الديان، فإنا كتبناه الى تلكم (٣٣) الأبواب كتب الله لعتبتها النصرة الداخلة، كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة، وجعل مفارق مناصلها الفاصلة (٣٤)، المختضبة من نجيع عداها غير الناصلة، وقرن بكل سبب من أضدادها فاصلة، من دار ملك الإسلام بالأندلس، حمراء غرناطة، وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها، وشد بأيدي اليقين عرى أملها في الله ورجائها، حيث المصاف المعقود، وثمن النفوس المنقود، ونار الحرب ذات الوقود، حيث الأفق قد تردى بالقتام وتعمم، والسيف قد تجرد وتيمم، وغبار الجهاد يقول : أنا الأمان من دخان نار جهنم، حيث الإسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير، والتمرة من أوسق العير، حيث المصارع تتزاحم الحور

على شهدائها، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع ندائها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة [3] قد زينتها الكلوم (٣٥)، وفر عن سماتها اللوم، ودارت بها الجوامع
/ 144 تواريها (٣٦)، وسلمت منها النفوس الى الله مشتريها، / حيث لا اله إلا الله قد اقتطعها عمن وراءها بحر يزخر، وكفر عن الإقدام عليها لا يتأخر، وكلمة بتثليث الله تفخر (٣٧) وأمة لا تصون نفسها عن الموت ولا تذخر، وعندنا من التعظيم لتلكم الأبواب ما لو اعتمدته (٣٨) الرياح لسكنت وقارا، والأفلاك ما ألفت مدارا، توسع عن أنبائكم مطالع الصبح استخبارا، وتستهدي لطائفها أنفاس الرياح أصائل وأسحارا، وتقنع بالقليل المحب اذا لم يجد مزارا، وتعد من الاستغراق، بجهاد المراق، عن مراسلة تلك الآفاق أعذارا، لا يوسعها الحق إلا قبولا وإيثارا، ولما ضاق نطاق الصبر من ذلك عما كان (٣٩) يواريه (٤٠)، وأصبح بين خجل يلقيه، وأمل يغريه، وبرى اليراع إلى بثه شوق(٤١) كاد يغنبه عمن يبريه، أصدرنا هذه المخاطبة الحمراء قد ورد خدها الخجل، وقصر عن القيام بعذرها المروي المرتجل، تنوب عن الكلام بالاشارة، وتخاف الرد لإغفال الزيارة، واقفة بباب الإيوان، متقاصرة بدارة الخوان، عن رتب الإخوان، قصاراها تحصيل الاغضاء عن قصورها، ورفع الإهمال عن سورها، والإرعاء على غربتها، وبعد تربتها، ورعي وسيلتها وقربتها، فلتنعم الأبواب الشريفة بالإصغاء ولتلغ (٤٢) عن باب الإلغاء، ولتعلم مجالسها الممهدة على التقوى المؤسسة، وعلومها المشرفة المقدسة (٤٣) أن هذا القطر الذي (٤٤) أفضت الينا رعاية رعاياه (٤٥)، ومهدت لسياستها أكوار مطاياه، وجعلت بيدنا، والمنة لله، عباب (٤٦) عطاياه، قطر مستقل بنفسه، مرب يومه في البر [على أمسه] (٤٧) زكي المنابت، عذب المشارب، متمم المآمل مكمل المآرب، فاره الحيوان، معتدل السحن والألوان، وسيط في الأقاليم السبعة، شاهد لله بإحكام الصنعة، أما خيله ففارهة، وإلى الركض شارهة. وأما سيوفه (٤٨) فلمواطن الغمود كارهة، وأما أسله
/ 145 (فحسن النعت / لين العطف، وأما أسنته) (٤٩) فمتداركة الخطف، وأما [عوامله] (٥٠) فبينة الحذف، أما نباله فمحذورة القذف، إلا أن الإسلام به في سفط مع الحيات[4]، وذريئة للمنيات الوحيات، وهدف للنبال وأكلة للصهب السبال (٥١)، تطأهم[5] الغارات المتعاقبة، وتتحيفهم (٥٢) الحدود المصاقبة، وتجوس خلالهم العيون المراقبة، وتريب من أشكال مختطهم الا بفضل الله العاقبة (٥٣) فليس الا الصبر، والضرب والهبر، والتغميز والبتر (٥٤)، والمقابلة والجبر، وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملتهم، وأساة علتهم، يقومون بهذا الفرض، عن أهل الأرض، ويقرضون ملك العرض أحسن القرض، فلولا بعد المدى، وغول الردى، ولغط العدى، «وما عدا مما بدا» [6]، لسمعتم تكبير الحملات، وزئير أسود تلك الفلاة،

ودوي الحوافر، وصليل السيوف من فوق المغافر، وصراخ الثكالى، وارتفاع الأصوات (٥٥) الى الله تعالى، ولو ارتفع قيد المكان، وهو للأولياء مثلكم من حيز الإمكان، لمقلتم مقل الأسنة الزرق، حالة من أطراف قضب الرماح محال الورق، وأبصرتم القنا الخطار وقد عاد أخلة، والسيوف قد صارت فوق الخدود (٥٦) أهلة، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة، وكان كما تحصره علومكم الشريفة، حدق سورة الفتح، وآخر دلاء ذلك المنح، عرض على (٥٧) الفاروق فاحتاط، وأغرى به من بعده، فاستشاط، واختط وخاط، وسرحت خيل ابن أبي سرح، في خبر يدعو الى شرح، حتى إذا ولدُ مروان تقلدوا كرتها التي هوت، وخضموا ما أنضجت ورثة الحق وشوت، وأيديهم على الأمر احتوت، وفازوا (٥٨) منه بما نوت، نفل ولائده الوليد، وجلب له الطارف والتليد، وطرقه طارق (٥٩)، وضاقت عن أخباره المهارق، وجلت الفائدة، وظهر على الذخيرة التي منها المائدة [7] ثم استرسل المهب، ونصر الرب، و«يكثر الطير / حيث ينتثر الحب» [8] وصرفت أشراف الشام أعنتها الى التماس خيره، وطارت أجنحة (٦٠) العزائم تيمنا بطيره، وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر [9] وغيره، ففتحت الأقفال، ونفلت الأنفال، ونجح الفال، ووسمت الأغفال، وافتتحت البلاد الشهيرة، وانتقيت العذارى الخيرة، واقتنيت الذخيرة، وتجاوز الإسلام الدروب وتخطى، وخضد الأرطى، وأركب وامطى ، واستوثق واستوطا، وتثاءب وتمطى، حتى تعددت مراحل البريد، وسخنت عين الشيطان المريد، واستوسق للإسلام ملك ضخم السرادق، مرهوب البوارق، رفيع العمد، بعيد الأمد تشهد بذلك الآثار والأخبار، والوقائع الكبار، والأوراق والأسطار، وهل يخفى النهار، ولكل هبوب ركود، والدهر حسود لمن يسود، فراجعت الفرنج كرتها، واستدركت معرتها، فدومت (٦١) جوارحها وحلقت، وأومضت بوارقها وتألقت، وتشبثت وتعلقت، وأرسلت الأعنة واطلقت، وراجعت العقائل التي طلقت، حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية، ولا من الليل إلا الناشية، وسقطت الغاشية، واخلدت (٦٢) الفئة المتلاشية، وتقلصت الظلال الفاشية، إلا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا «أثبتوا في مستنقع الموت (٦٣) أقدامهم [10]» وأخلصوا لله بأسهم وإقدامهم، ووصلوا سيوفهم الباترة بخطاهم، وأعطاهم منشور العز من اعطاهم، حتى (٦٤) تعين الدين وتحيز، واشتهر بالمدافعة (٦٥) وتميز، وعادت الحروب سجالا، وعلم الروم أن لله رجالا، وقد أوفد جدنا، رضي الله عنه، على أبواب سلفكم من وقائعه في العدو كل مبشرة، ووجودية منتشرة، ضحكت لها ثغور الثغور، وسرت في الأعطاف حميا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور، وتمائم في الدور (٦٦)، وخفرا في وجوه البدور، فإن ذمام الإسلام / موصول، وفروعه تجمعها

في الله أصول، وما اقرب «الحزن ممن داره صول» [11] والملة والمنة لله واحدة، والنفوس لا منكرة للحق ولا جاحدة، والأقدار معروفة، والآمال لما (٦٧) يوصل الى الله مصروفة، فإذا لم يكن الاستدعاء ، أمكن الدعاء، والخواطر فعالة، والكل على الله عالة، والدين غريب، والغريب يحن الى أهله. والمرء كثير بأخيه على بعد محله(٦٨).

ولما صير الله لنا تراثهم (٦٩) الهني، وأمرهم السني، وبناءهم العبادي (٧٠) وملكهم الجهادي، أجرانا، وله الطول، على سننهم، ورفع أعلامنا في هضابهم المشرفة وقننهم، وحملنا فيهم خير حمل، ونظم بنا لهم أي شمل، وألبس أيامنا سلما فسيح الإثارة (٧١)، وأحكم الادارة، وهنأ الإمارة، ومكن العمارة، وأمن في البحر والبر العبّارة والسيارة (٧٢)، لولا ما طرقهم فينا من تمحيص. أجلى عن تخصيص، وتمحض تبره بعد تخليص، ومرام عويص، نبثكم بثه، ونوالي (٧٣) لديكم حثه، ونجمع منبثه، فإن في قص الحوادث ذكرى [12]، ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود (٧٤) نكرا، وشر الوجود معاقب بخيره، والسعيد من اتعظ بغيره، والحزم أفضل ما إليه ينتسب وعقل التجربة بالمران (٧٥) يكتسب، وهو أن بعضا ممن ينتسب الى بيتنا بوشائج الأعراق، لا بمكارم الأخلاق، ويمت إلينا بالقرابة البعيدة لا بالنصبة السعيدة، ممن كفلناه يتيما، وصناه ذميما شتيما، وبوأناه مبوأ كريما، بعد أن نشأ حرفوشا ذميما لئيما، ونوهنا من خموله بالولاية، ونسخنا حكم تسحبه بآية العناية، داخل أخا لنا كنا ألزمناه الاقتصار على قصره، ولم نجعل أداة تدل على حصره، وسامحناه في كثير من أمره، ولم نرتب بزيده، ولا عمره، واغتررنا برماد على (٧٦) جمره، فاستدعى له من الصعاليك شيعته، كل دَرِب بفك الأغلاق، وتسرب أنفاق النفاق، / وخارق للاجماع والاصفاق، وخبير بمكائد (٧٧) الخراب ومذاهب الفساق، وتسور بهم القلعة من ثم شرع في سده بعد هده، ولم تكمل الأقدار المميزة في جده (٧٨)، في ليلة آثرنا بيتتنا (٧٩) فيها ببعض البساتين خارج قصورنا، واستنبنا من يضطلع بأمورنا، فاستتم الحيلة، التي شرعها، واقتحم القلعة وافترعها، وجدل حرس النوبة (٨٠) وصرعها، وكبس محل النائب [13] وجدله، ولم ينشب أن جدله، واستخرج الأخ البائس فنصبه، وشد به تاج الولاية وعصبه، وابتز أمرنا وغصبه، وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت، والدبرة (٨١) قد ألمت، ولقد همت، فخذل الناصر، وانقطعت الأواصر، وأقدم المتقاصر، واقتحمت الأبهاء والمقاصر، وتفرقت الأجزاء وتحللت العناصر، وفقد من عين الأعيان النور الباصر، فأعطوه طاعة معروفة، وأصبحت إليه الوجوه مصروفة وركضنا وسرعان الخيل تقفو أثر منجاتنا، والظلام يخفيها ، وتكفي علينا السماء

/ 48

والله يكفيها، الى أن خلصنا الى مدينة «وادي آش» خلوص القمر من السرار، لا نملك إلا نفسا مسلمة الى الأقدار (٨٢)، ملقية لله [مقادة] (٨٣) الإختيار، مسلوبة (٨٤) لحكم الملك والبلد، والأهل والولد والشعار والدثار، لا تعرف سببا لنكث العهد من بعد العمل بموجبه (٨٥) والاستقرار (٨٦)، وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار، واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار، ورضوا لبيوتهم المصحرة، وبساتينهم المستبحرة، بفساد الحديد وعياث النار، ولم يرضوا لجوارهم بالإخفاء، ولا لنفوسهم بالعار، إلى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الأقلام سبحا طويلا، وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا، ويلقي (٨٧) القصص منها على الآذان قولا ثقيلا، وجزنا البحر، وضلوع موجه إشفاقا علينا تخفق(٨٨)، وأكف رياحه
/14 حسرة تصفق / ونزلنا من جناب (٨٩) سلطان بني مرين على المثوى الذي رحب بنا ذرعه، ودل على كريم (٩٠) الأصول فرعه، والكريم الذي وهب وأجزل (٩١)، ونزل لنا عن الصهوة وتنزل، وتخير (٩٢) وحكم، ورد على الدهر الذي تهكم، واستعبر وتبسم، وآلى وأقسم، وبسمل وقدم، واستركب لنا واستخدم.

ولما بدا لمن وراءنا سيئات ما كسبوا، وحققوا ما حسبوا، وطفا الغثاء ورسبوا، ولم ينشب الشقي الجريء (٩٣) أن قتل البائس الذي موه بزيفه، وطوقه بسيفه، ودل ركب المخافة على خيفه، إذ أمن المضعوف من كيده، وجعل ضرغامه بازيا لصيده، واستقل على أريكته استقلال الظليم على تريكته، حاسر الهامة، متنفقا بالشجاعة والشهامة، مستظهرا بأولي الجهالة (٩٤) والجهامة، وساءت في محاولة عدو الدين سيرته، ولما حصحص الحق انتكثت مريرته، وخبثت سريرته (٩٥)، وارتابت بجنبه المستور جيرته، وفغر عليه طاغية الروم فمه فالتقمه، ومد عليه الصليب ذراعه فراعه وشد عليه الكفر يده فما عضده الله ولا ايده، وتخرمت ثغور الاسلام بعد انتظامها، وشكت الى الله (٩٦) باهتضامها، وغصت بأشلاء عباد الله وعظامها، وظهور أوضامها، وركلت السنة والجماعة، وانقطعت من النجع الطماعة، واشتدت المجاعة (٩٧) وطلعت دعوتنا من المغرب فقامت علينا الساعة، وأجزنا البحر تكاد جهتاه تتقاربان (٩٨) تيسيرا، ورياحه لا تعرف في غير وجهتنا مسيرا، وكأن ماءه ذوب لقي إكسيرا، ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتبعنا الدعاء (٩٩) وتجاجيء بنا الإشارة، ويحفزنا الإستدعاء.

وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة، والاخافة عليها
/1 محتومة، وطوالعها مفضوضة، وكانت قبل بنا مختومة / وأخذت الخائن الصيحة عن البلاد (١٠٠) فاختبل، وظهر تهوره الذي [عليه] (١٠١) جبل، فجمع أوباشه السفلة وأوشابه وطرقه (١٠٢) الذي غش به المحض وشابه، وعمد الى الذخيرة التي صانتها

الأغلاق الحريزة، والمعاقل العزيزة، فملأ بها المناطق، واستوعب الصامت والناطق، والوشح والقراطق، واحتمل عدد الحرب والزينة، وخرج ليلا عن المدينتي واقتضت آراؤه الفائلة، ونعامته الشائلة [14]، ودولة بغيه الزائلة، أن يقصد طاغية الروم بقضه وقضيضه [15]، وأوجه وحضيضه، وطويله وعريضه، من غير عهد اقتضى وثيقته، ولا أمر عرف حقيقته، الإ ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة، واستئصال الأمة المسلمة، فلم يكن تحصل في قبضته، ودنا من مضجع ربضته، واستشار نصحاءه في أمره، وحكم الحيلة في جناية غدره، وشهره ببلده، وتولى بعد قتله بيده، وألحق به جميع من أمده في غيه، وظاهره (١٠٣) على سوء سعيه، ووجه إلينا برؤوسهم فنصبت بمتسور (١٠٤) غدرها، وقلدت لبة تلك البنية (١٠٥) بشذرها، وأصبحت عبرة للمعتبرين، واية للمستبصرين، «وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين» [16].

وعدنا الى أريكة ملكنا كما عاد (١٠٦) القمر الى بيته، بعد كيته وكيته، أو العقد الى جيده، بعد انتثار فريده، أو الطير الى وكره، مفلتا من غول الشرك ومكره، ينظر إلينا الناس بعيون لم تَرْمَذْ غبْنا (١٠٧) محيا رحمة، ولا طشت (١٠٨) عليها بعدنا غمامة رحمة، ولا باتت للسياسة في ذمة، ولا ركبت لدين ولا همة، فطوينا بساط العتاب طي الكتاب، وعاجلنا (١٠٩) سطور المؤاخذة بالاضراب، وأنسنا نفوس أولى الأقتراف بالإقتراب، وسهلنا الوصول إلينا، واستغفرنا الله لنفسها ولمن جنى علينا، فلا تسألوا عما أثار ذلك من استدراك ندم، ورسوخ قدم / 151 / واستمتاع بوجود بعد عدم، فسبحان الذي يمحص ليثيب، ويأمر بالدعاء ليجيب، وينبه من الغفلة ويهيب، ويجتبي إليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب.

ورأينا أن نطالع علومكم المشرفة (١١٠) بهذا الواقع تسببيا للمفاتحة المعتمدة، وتمهيدا للموالاة المجددة، فأخبار الأقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها، وترقم ببدائعه هالات أقمارها، وتستفيد منه حسن السير، والأمان من الغير، وتستعين على الدهر بالتجارب، وتستدل بالشاهد على الغائب، وبلادكم ينبوع الخير وأهله، ورواق الإسلام الذي يأوي قريبه وبعيده الى ظله، ومطلع نور الرسالة، وأفق الرحمة المنثالة، منه تقدم علينا الكواكب تضرب أباط أفلاكها، وتتخلل مداريها (١١١) المذهبة غدائر أحلاكها، وتستعلي البدرو، ثم يدعوها الى المغرب الحدور، وتطلع الشمس متجردة من كمام ليلها، متهادية في دكان (١١٢) ميلها، ثم تسحب الى الغروب فضل ذيلها، ومن تلقائكم ورد العلم والعمل، وأرعي الهمل. فنحن نستوهب من مظان الإجابة لديكم يقوم لدينا مقام المدد، ويعدل منه الشيء بالمال والعدد، دعاء المؤمن يظهر الغيب ما فيه (١١٣)، والله يعلم ما يبديه العبد

ويخفيه، وإياه نسأل (١١٤) أن يدفع عنا وعنكم عوادي (١١٥) الفتن، وغوائل المحن، ويحملنا على سنن السنن، ويلبسنا من تقواه أوقى الجنن، وهو سبحانه وتعالى يصل لأبوابكم سعدا (١١٦) تستقل لدى قاضي القضاة رسومه، فتكتب حقوقه، وتكبت خصومه، ولا تكلفه الأيام فسخا ولا تسومه، بفضل الله وعونه وكرمه ومنه (١١٧). والسلام الكريم الطيب المبارك بدء بعد عود، وجودا إثر جود، ورحمة الله وبركاته. (في كذا، وبه أختم بخير) (١١٨).

152/ وقلت / في مخاطبة الأمير بغا الخاصكي[17] القائم بأمر سلطان مصر، المكتوب اليه الكتاب قبل (١١٩) :

إلى (١٢٠) الأمير كذا المؤتمن على أمر سلطان المسلمين، المقلد تدبيره السديد قلادة الدين، المثني على رسوم بره المقامة (١٢١) لسان الحرم الأمين، الآوي من مرضاة الله ورسوله الى الربوة ذات القرار والمعين، المستعين من الله على ما تحمله وأمله بالقوى المعين، سيف الدعوة، ركن الدولة، قوام الملة، مؤمل الأمة، تاج الخواص، أسد (١٢٢) الجيوش، كافي الكفاة، زين الأمراء علم الكبراء، عين الأعيان، حسنة الزمان، الأجل المرفع الأسنى، الكبير الشهير الأسمى، الحافل الفاضل، الكامل المعظم، الموقر الأمير، بغا (١٢٣) الخاصكي، وصل الله له سعادة تشرق غرتها، وصنائع تسح فلا تشح دِرتها، وأبقى تلك المثابة قلادة الله وهو دُرتها.

سلام كريم، طيب بر عميم، يخص إمارتكم التي جعل الله الفضل على سعادتها أمارة، واليسر لها شارة، فيساعد الفلك الدوار مهما أعملت إدارة وتمتثل الرسوم (١٢٤) كلما أشارت إشارة.

أما بعد حمد الله الذي هو بعلمه (١٢٥) في كل مكان، من قاص ودان، واليه توجه الوجوه، وان اختلفت السير وتباعدت البلدان، ومنه يلتمس الإحسان، وبذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد العظيم الشان، ونبيه الصادق الرسالة (١٢٦) الواضح البرهان، والرضى عن آله وأصحابه وأعمامه وأحزابه أحلاس الخيل، ورهبان الليل وأسود الميدان، والدعاء لامارتكم السعيدة بالعز الرائق الخبر والعيان، والتوفيق الوثيق البنيان، فإنا كتبناه اليكم ـ كتب الله لكم حظا من فضله وافرا، وصنعا من محيا السرور سافرا، وفي حق الإعلام بالنعم الجسام مسافرا، من حمراء غرناطة دار (١٢٧) ملك الأندلس،

153/ دافع الله عن حوزتها / كيد العداة، وأتحف نصلها ببواكر النصر المهداة، ولا رائد إلا تشوق الى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم، وبيت قصيدها (١٢٨) المنظوم، والتماس بركاتها الثابتة الرسوم، وتقرير المثول في

سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذرها بالجسوم، والى هذا فإننا كانت بين سلفنا تقبل الله جهادكم، وقدس نفوسهم، وأمن معادهم، وبين تلك الأبواب السلطانية (١٢٩)، أبقى الله على الإسلام والمسلمين ظلالها (١٣٠)، كما عرفهم (١٣١) عدلها وأفضالها، مراسلة ينم عرف الخلوص من خلالها، وتسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها، وتلتمح من أسطار طروسها محاسن تلك المعاهد، الزاكية المشاهد، وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد، واشتقنا الي أن نحددها بحسن منابكم، ونصلها (١٣٢) بمواصلة جنابكم، ونغتنم في عودها الحميد مكانكم، ونؤمل لها زمانكم، فخاطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير، وجلة من الناقد البصير، نؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض، والموارد التي لا تغيض، ومثلكم من لا تخيب المقاصد في شمائله، ولا تضحى المآمل في ظل خمائله، فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الافاق، وصحب الرفاق، واستلزم الإصفاق، وهذه البلاد مباركة، ما أسلف أحد فيها مشاركة، الا وجدها في نفسه وماله، ودينه ومآله (١٣٣)، والله أكرم من وفى لامرىء بمكياله، وهو جل جلاله، يجمع القلوب على طاعته، وينفع بوسيلة النبي الذي نعول على شفاعته، ويبقي تلك الأبواب ملجأ للإسلام والمسلمين، وظلا لله على العالمين، وإقامة لشعائر الحرم الأمين، ويتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين، ويجعلكم ممن أنعم عليه من المجاهدين، والسلام / الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته. في كذا.

154 /

وكتبت مخاطبا (١٣٤) لرئيس ديوان الإنشاء الشريف شمس الدين أبي عبد الله ابن أبي ركب :

أبقى الله أيام المجلس العالي ظلا على العشائر والفضائل، أجمة للأسد العز الصائل، مفضضة الغدوات مذهبة الأصائل، من أمثالهم التي كلفت بها الألسن، موثرة لما يحسن، «لولا الحمقى لخربت الدنيا»، والذي يشرح به هذا المضمر، أنها بهم تعمر، فيعمل الصائف للشاتي، ويخلف الذاهب للآتي، ومن الأدلة والبراهين المستقلة عند الجلة، مخاطبة المملوكِ (١٣٦) ذلك المجلس العلمي مع قصور النسب التي تدمث للعذر وتمهد، بل مع [وفور] (١٣٧) ما يرغب ويزهد، أما باعتبار [الأيالة، فالخلافة أصل، وما سواها فرع، يعضدها طبع وشرع، ولا يتسع في ردها ذرع، وأما باعتبار] (١٣٨) القطر فأين القدم من المفرق، وأين المغرب من المشرق، وتشهد بذلك الشعائر الخمس، واليوم والأمس، لا بل الشمس، فهذا تنصب فيه منصتها، تشهر قصتها، وهذا تبتلع فيه قرصتها، وتجترع غصّتها، وأما باعتبار الذوات، فلو لم يكن إلا النسب القريشي موجبا للتقديم، مسوغا بالحديث الصحيح مزية القديم (١٣٩)، فإلى أين يذهب مخاطب المجلس العلمي وقد سدت المذاهب، وتباينت الأنوار والغياهب، والله الواهب، ولقد أحس المملوك عند تعاطي

هذه الذريعة التي تزل فيها الأقدم، ويفتضح الإقدام، وتخل الدعوى بصاحبها كما يفعل المدام خورا في الطباع، وقصرا في الباع، وكلالا في الأداة، وسهوا في فريضة البيان المؤداة، أما الفكر [ففر] (١٤٠)، وأما اليراع فنحل واصفر، وأما الطرس فخفق فؤاده، وأما النفس فحال سواده، مهلا عليك، واليك عني إليك.
/155 والجهل لوم، وأوزان (١٤١) الأعيان حلوم، «وما منا إلا له مقام / معلوم» [18]، ومتعدي طوره ظلوم، «قد علم كل أناس مشربهم»،[18] فليعملوا الى الإنصاف مهربهم، «ولا تجود يد إلا بما تجد [19]» مثل معروف، «وإذا لم تكن إبل فمعزى» لمثل هذا الغرض مصروف، ورب حقيرة أجدت، ونفس حر الى الموقع اللطيف مهدت، وقد أهدت [القبرة] (١٤٢) الى سليمان جرادة فقبل ما أهدت، والمجلس العلمي تولى الله اطالة مدته، يجري الملوك في الإدلال على سدته مجرى العاطش، ورد الحوض فاقتحمه، غير مبال على جسده [بمن زحمه] (١٤٣)، والمسلت الذي سقط على الحميم [20] (١٤٤) فأسام، وما سأل ولا سام، ولا بالى ببني حام ولا سام، والمحب أمكنه الوصل، فما راعه النصل، وطالما قبض العنان، وزجر البنان، وعلل بالخدع الجنان، وأمل أن يكون اللقاء بالمشافهة الى لقاء، ويتأتى الى الأفق الأعلى ارتقاء، وتكبر عن أن تصاد العنقاء،[21] فعرج على طلل الصبر ويمم، ولم يجد إلا الصعيد فتيمم،[22] فأصدر هذه المفاتحة لتمثل بباب المجلس العلمي حاطة رأسها، رابطة بالفناء المقدس أفراسها، مصدقة افتراضها وافتراسها، جانية غراسها، لاثمة ركن المجد الذي يشهد بمجده الركن المستلم، والتقى والعلم، والسعي (١٤٥) والملتزم، والحطيم (١٤٦) [23] وزمزم، مؤدية من الشوق الذي شب عمره عن الطوق،[24] مالولا نداء المجلس العلمي لخيف تعديه، وظهور ما يكنه زنده الواري ويبديه، ومن الاعتداد أضفى من تأتزره الآمال (١٤٧) وترتديه، ومن التحية الطيبة والبركة الصيبة أطيب ما يتحفه النسيم اللدن ويهديه، ومقرره أنه بالنفس يفديه (١٤٨)، وعلى الشوق الحثيث يستعديه، وكان الأمل أن يشاهد غرة السيادة من المرقب القريب، ويقتني غوائب إفادته التي لا غرو أن تحن على الغريب، ويقضي الأمل بلقائه ممطول دينه، ويزيل المنافسة التي وقعت من جراء
/156 كماله بين اذن الملوك / وعينه، لكن الاختيار لمن بيده المقاد، ولا فعل لسواه هو الاعتقاد، [وغير ذلك حظه الانتقاد] (١٤٩)، وعسى ألا تخيب هذه السحاءة المستنابة من لثم يمينه واجتلاء نور جبينه، فأجدر بمن ركب الفلك، وخاض اللجج الحلك، الى باب من كرم انتماؤه، وزينت [بنجوم] (١٥٠) الحسب المنيف سماؤه، أن لا يعدم مشفقا، ولا يكون قصده مخفقا، وأقرأ على المجلس العلمي من طيب السلام ما يخجل روضة الحزن، عقب المزن، ورحمة الله وبركاته.

وكتبت عن السلطان للشيخ الأمير الزاهد الصالح وانزمار ابن الشيخ الوزير الأمير أبي زيان عريف بن يحيى العربي السويدي ما نصه (١٥١) :

من الأمير فلان الى الشيخ الكذا بن الشيخ الكذا، وصل الله سعادة تجذبه، وعناية اليه تقربه، وقبولا ممن (١٥٢) يدعوه الى خير ما عند الله ويندبه. سلام [كريم] عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله المرشد المثيب، السميع المجيب، معود اللطف الخفي والصنع العجيب، المتكفل بانجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب، الذي به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب، ونستظهر منه على العدو بالحبيب، ونعده عدة لليوم العصيب (١٥٣)، والرضى عن آله وصحبه الذين فازوا عن مشاهدته بأوفى النصيب، ورموا الى هدف مرضاته بالسهم المصيب، فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم عملا صالحا يختم الجهاد صحائف بره، وتتمحض لأن تكون كلمة الله هي (١٥٤) العليا جوامع أمره، وجعلكم ممن تهنى في الأرض التي فتح فيها أبواب الجنة حصة عمره - من حمراء غرناطة، حرسها الله، ولطف الله / [هامي 157 /
السحاب] (١٥٥)، وصنعه رائق الجناب، والله يصل لنا ولكم ما عود من صلة لطفه عند انبتات الأسباب، والى هذا أيها الولي في الله الذي هو بركة المغرب المشار اليها بالبنان، وواحده في رفعة الشان، المؤثر ما عند الله على الزخرف الفتان، المتقل من المتاع الفان، المستشرف الى مقام العرفان، من درج الإسلام والإيمان والإحسان، فإننا لما نؤثره من بركم الذي نعده من الأمر الأكيد، ونضمره من ودكم الذي نحله محل الكنز العتيد، ونلتمسه من دعائكم التماس العدة والعديد، لا [نزال] (١٥٦) . نسأل عن أحوالكم التي ترقت في أطوار السعادة ووصلت جناب الحق بهجر العادة، وألقت الى يد التسليم لله والتوكل عليه بالمقادة، فنسر بما هناه الله (١٥٧) لكم من القبول، وبلغكم من المأمول، وألهمكم من الكلف بالقرب إليه والوصول، [والفوز بما لديه والحصول] (١٥٨)، وعندما رد الله علينا ملكنا الرد الجميل، وأنالنا فضله الجزيل، وكان لعثارنا المقيل، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا، ومحلكم من حسن اعتقادنا، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا، والله ينفعنا بجميل الظن في دينكم المتين، وفضلكم المبين، ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين، وتعرفنا الآن ممن له بأنبائكم اعتناء، وعلى جلالكم حمد وثناء، ولجانب (١٥٩) ودكم اعتزاء وانتماء يتجاول عزمكم بين حج مبرور ترغبون من أجره في ازدياد، وتجددون العهد منه بأليف اعتياد، وبين رباط في سبيل الله وجهاد، وتوثير مهاد بين ربى أثيرة عند الله ووهاد، تحشر يوم القيامة شهداؤها «مع الذين

أنعم الله عليهم من النبيئين والصدقين»، فرحين بما آتاهم الله من فضله [25]
والله أصدق الصادقين، حيث لا غارة لغيره عدو الإسلام تتقى، ولا تقية الا لابتغاء
ما لدى الله ترتقى، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها، وحوار الجنان قد زينت
أترابها، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح، وفازوا بجميل (١٦٠) المنح، وخلدوا
/158/ الآثار/ وأرغموا الكفار، وأقالوا العثار، وأخذوا الثار، وأمنوا من لفح (١٦١) جهنم
بما علا وجوههم من ذلك الغبار، فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد
من العزمين، ونهيب بكم الى إحدى الحسنين، والصبح غير خاف عن (١٦٢) ذي
عينين، والفضل ظاهر لإحدى المنزلتين، فإنكم اذا حججتم أعدتم فرضا أديتموه
وفضلا ارتديتموه، فائدته عليكم مقصورة، وقضيته فيكم محصورة، وإذا أقمتم
الجهاد جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا، واستأنفتم سعيا من الله قريبا، وتعدت
المنفعة الى ألوف من النفوس، المستشعرة لبأس البؤس، ولو كان الجهاد بحيث
يخفى عليكم فضله لأطلنا (١٦٣) وأعنة الاستدلال أرسلنا، هذا لو قدمتم على هذا
الوطن وفضلكم غفل من الإشهار، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار، فكيف
وفضلكم أشهر من محيا النهار، ولقاؤكم أشهى الآمال وأثر الأوطان، فإن قوي
عزمكم [والله] (١٦٤) يقويه، ويعيننا من بركم على ما ننويه، فالبلاد بلادكم، وما فيها
طريفكم وتلادكم، وكهولها إخوانكم، وأحداثها أولادكم، ونرجو أن تجدوا لذكركم
الله في رباها حلاوة زائدة، ولا تعدموا فيها من روح الله فائدة، وتتكيف نفسكم
فيها بكيفيات (١٦٥) تقصر عنها خلوات السلوك، الى ملك الملوك حتى تغتبطوا
بفضل الله الذي يوليكم، وتروا أثر رحمته فيكم، وتخلفوا فخر هذا الانقطاع الى
الله في قبيلكم ونبيكم، وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذي يعليكم، ومن الله
يدنيكم، فنبيكم العربي صلوات الله عليه وسلامه، نبي الملاحم، ومعمل الصوارم،
وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده، و«الأعمال بالخواتم»، هذا على بعد بلادهم من
بلاده، وأنتم أحق باقتفاء جهاده، والاستباق الى آماده، هذا ما عندنا حثثناكم عليه،
/159/ وندبناكم إليه، وأنتم في إيثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدومكم على / بلادنا
من الاستبشار، بحسب ما يخلق عندكم (١٦٦) من بيده مقادة الاختيار، وتصريف
الليل والنهار، وتقليب القلوب وإجالة الأفكار (١٦٧) ، وإذا تعارضت الحظوظ «فما
عند الله خير للأبرار»، و«دار (١٦٨) الآخرة دار القرار» [26]، وخير الأعمال عمل
أوصل الى الجنة وباعد من النار، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والإطلاع، بهذه
الأرجاء والأصقاع، قد اتفقت (١٦٩) أخبارها، واتحدت أسرارها، على البشارة بفتح
قرب أوانه، وأظل زمانه، فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه، ويكرم فيه
مسعاه، ويسلف [فيه] (١٧٠) العمل الذي يشكره (١٧١) الله ويرضاه، والسلام الكريم

[يخصكم] (١٧٢) ورحمة الله تعالى وبركاته.

في كذا.

وخاطبت السلطان أيده الله على لسان الأمير السعيد ولده [27] من مالقة بما نصه : (١٧٣)

مولاي الذي رضى الله مقترن برضاه، والنجح مسبب عن نيته ودعاه، وطاعته مرتبطة بطاعة الله، أبقى الله علي بكم ظل رحماه، وغمام نعماه (١٧٤)، وزادني من مواهب هدايته (١٧٥) في توفية حقه الكبير فإن الهدى هدى الله، يقبل مواطيء رجلكم (١٧٦) التي ثراها شرف الخدود وفخر الجباه، ويقرر من عبوديته ما يسجل الحق مقتضاه، ويسلم على مثابة رحمتكم السلام الذي يحبه الله ويرضاه، ولدكم وعبدكم يوسف من منزل تأييدكم بظاهر مالقة - حرسها الله - والوجود (١٧٧) ألسن بالعز ناطقة، والأعلام والشجر بالسعد رائقة (١٧٨)، وأنواع التوفيق موافقة (١٧٩) وصنائع اللطيف الخبير مصاحبة مرافقة، وقد وصل يا مولاي لعبدكم المفتخر بالعبودية لكم ما بعث به علي مقامكم، وجادت به سحائب إنعامكم، ولمن تحت صحبة ستركم المسدول، وفي ظل اهتمامكم الموصول، ولمن ارتسم بخدمة أبوابكم الشريفة من الخدام، وأولي المراقبة والالتزام، ما يضيق عنه بيان العبارة، ويفتضح فيه لسان القول والإشارة، من عنايات سنية / ونعم باطنية (١٨١) وجلية، وملاحظة مولوية، ومقاصد ملكية، فما شئت من قباب مذهبة، وملابس منتخبة، وأسرة مرتبة، ومحاسن لا مستورة ولا محجبة، واللواء الذي نشرتم على عبدكم ظله الظليل، ومددتم عليه جناح العز الكفيل (١٨٢)، جعله الله أسعد لواء يسير في خدمتكم، ومد علي وعليه لواء حرمتكم، حتى يكون لجهادي بين يديكم شاهدا، وبالنصر العزيز والفتح المبين عليكم عائدا، ولطائفة الخلوص لأمركم قائدا، ولأولياء بابكم هاديا، ولأعدائكم كائدا. /160/

واتفق يا مولاي أن كان عبدكم قد ركب مفتتما أبرد (١٨٣) اليوم، ومؤثرا للرياضة في عقب النوم، فلما عدنا تعرضت لنا تلك العنايات المجلوة الصور، المتلوة السور، وقد حشر الناس، وحضرت منهم الأجناس، فعلا الدعاء وانتشر الثناء، وراقت الأبصار تلك الهمة (١٨٤) العليا، فنسأل الله يا مولاي أن يكافيء مقامكم بالعز الذي لا يتذل والنصر الذي يستأنف ويستقبل، والسعد الذي محكمه لا يتأول، والعبد ومن له على حال اشتياق للورود على بابكم الرفيع (١٨٥) المقدار، وارتياح لقرب المزار.

وأبرح ما يكونُ الشوق يوما   إذا دنـت الديـارُ من الديـار

والعمل على تيسير (آلات) (١٨٦) الحركة متصل، والدهر لأوامر سعدكم (١٨٧) محتفل، بفضل الله، والسلام على مقام مولاي ورحمة الله وبركاته مقام الشفقة والرحمة، والمنة والنعمة.

وخاطبت السلطان[28] المعظم ملك المغرب - أسعده الله - بما نصه (١٨٨) :

المولى (١٨٩) الذي طوق المنن، وأحيا السنن، وأنبت الله حبه في القلوب النبات الحسن، ناظم كلمة الدين بعد انتثارها (١٩٠)، ومقيل عثارها، والآخذ بثأرها،
161/ والمخلد لآثارها، / السلطان الكذا (١٩١)، أبقاكم الله عالي القدم، منصور العلم، ظاهرا على الأمم، مقصود الحمى كالركن والملتزم، عبد مقامكم الذي أويتموه غريبا، وأنستموه مريبا، وأنلتموه على عدو الدهر نصرا عزيزا، وفتحا قريبا، فلم يخش دركا ولا تثريبا ولا عدم حظوة وثيقة (١٩٢) وشفقة ونعمة وتقريبا (١٩٣)، فلان ابن كذا عن ثناء يعطر الآفاق، ويرقم الأوراق (١٩٤) ويخلق الجيوب والأطواق، وحب بهر وراق (١٩٥)، وجاس اشتهاره الشام والعراق، ويطالع العبد محل مولاه الذي خلف ببابه قلبه وولده، وصبره وجلده، وصير وطنه داره الحقيقي وبلده، أنه لما قدم على محل أخيه المعتد بما أودع الله من الخلال الشريفة فيه، مولاي ابن أبي عبد الله، كافأ (١٩٦) الله جميل رعيه، وكرم عهده، وحكم بإجلاء جده، ومضاء حده، ورعى الوسيلة، وصدق المخيلة، وجلا عند اجتلاء مخاطبتكم أسارير الفضيلة، فلم يدع حقا الا صرفه، ولا نكرة إلا [أظهر شأنها] (١٩٧) وعرفه، ولا نعمة إلا سكبها، ولا مزية إلا أوجبها، ولا رتبة إلا أعلاها، ولا نعمة الا أولاها ومن ذاك يا مولاي وإن تعددت الوسائل والأذمة، وادكرت القرب بعد أمة، إلا بوصاتكم التي لا تهمل، وحظوتكم[١٩٨] التي لا تجهل، وعطف مقامكم الذي اشتهر، واعتنائكم الذي راق وبهر، فالعبد عبدكم بكل اعتبار، وخديمكم بين يديكم وأن نأت الدار، ومحسوب على نعمة مقامكم الرفيع المقدار، والأمل في مقامكم غير منقطع السبب، والأهل والولد تحت كنف مقامكم الأصيل الحسب، حتى يمن الله بحج بيته وزيارة رسوله من بين يديكم (١٩٩)، ويكون قضاء هذا الوطر منسوبا اليكم، وبعده يستقر القرار، حيث يختاره من يخلق ما يشاء ويختار، بحول الله.

والعبد يذكر مولاه بما بشره به بين يدي وداعه، وبمرأى من وزيره السعيد /
162/ واستماعه، من انجلاء الحركة عن عزه وظهوره، ونجاح أحواله واستقامة أموره، ويهنيه بصدق الوعد وإمطار الرعد، وظهور السعد، وهي وسيلة اذا عدت الوسائل، وروعيت (٢٠٠) الذمم والجلائل، ومثل مولاي من رعى وأبقى، وسلك التي هي أبر وأتقى، وما قصر عنه القلم في حق مولاي فالرسول - أعزه الله - يتممه، وما قصر

عنه الرسول فالله يعلمه، وهو جل وعلا يديم أيام مولاي ويبقي سعده (٢٠١)، ويصل عزه وعضده. والسلام.

ومما خاطبت به أحد الجلة (٢٠٢) :

أبقى الله أيام المجلس العلمي العلي يانعة من الفضل أدواحه، مؤيدة بروح الله أرواحه، ولازال نور علمه مشرقا صباحه، ونسيم ثنائه شهرا غدوه وشهرا رواحه، وبماذا أثني على شمائله التي لو كانت [أقطارا لكانت حجازا] (٢٠٣)، أو كانت ألفاظا لكانت حقيقة لا مجازا، أو كانت مواعيد (٢٠٤) لكانت إنجازا، أو كانت ايات لكانت إعجازا، أو أكافيء بعض فضائله التي لو كانت غيثا ما خص بلدا، أو شفقة ما آثرت أهلا ولا ولدا، أو قوة نفسانية لشعرت النفوس بما تكسب غدا» [29] أو أراجع بيانه الذي امداده فلكي، وإلهامه ملكي، الا لو أني استعرت لمحة من بلاغته التي بحق ما كانت لها المنابر موضوعة، والخواطر «في بيوت أذن الله أن ترفع» [30] مجموعة، والمبادرة إلى التماس بركتها مشروعة، والأكف في أعقابها لاستسقاء سحابها (٢٠٥) مرفوعة، فلعمري لقد كنت أوفي حقا، وأشيم من أفق الرضى عن نفسي برقا، لكن حسبي «نية أبلغ من العمل». وعزم مول وجهه شطر بلوغ هذا الأمل، ولم تزل ترد من لدن المجلس العلمي نواسم قدس، وتحييني من تلقائه مباسم أنس، خطرت على ربوع الخواطر فعاشت، وتجلت لجبال الوجود / /163/ فتلاشت، وطش وبلها بساحات العقول فطاشت، ومن لخطاب المجلس العالي بمواد تليق بصوره (٢٠٦)، أو لبات تجمل بدرره، أو وجوه يرضاها الحق لغرره، أو أفهام تقبض أيديها قبضة من أثره، فلولا أن العدل من شيمه، والمجد من خيمه، والفضل من ديمه، ما كان من حقي أن الوذ بغير القصور، ومن لي (٢٠٧) بمساورة الأسد الهصور، ومقابلة العلم المنصور، غير أني أقف على شكر المجلس العلمي لسانا لو ملكت غيره لوقفته، وأنفق على حمده بيانا لو ظفرت يدي بأعلى منه لأنفقته، وأنفق في الثناء عليه سببا لولا الاعتماد على إغضائه ما لفقته، واذا [كان] (٢٠٨) العذر لا يلتبس طريقه، ظهر بالقبول فريقه، وساغ للخجل ريقه، وليعلم سيدي أن مشرقبة وجهها إلي الأمير أبو الحسن أثيره صحبة هدية تشتمل على فذلكة (٢٠٩) الطيب وفلذات من العود الرطيب، فعجبت من انتماء ذلك الأرج حسا ومعنى الى دارينه [31]، وتذكرت قولهم : «عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه» [32]، وقد كان عندي أثيرا فهو اليوم لوصاتكم به فلك أثير، ومحترما وإن رعيه اليوم لكثير، فمن أذاع (٢١٠) عني بعض بركم فكأنما حمل عني فرضا، وأحسن قرضا، وعرض على الآمال عرضا، وقال : خذ حتى ترضى، وسيدي يسمح فيما حمل عليه الإدلال في جوابه، ويجعل إغضاء مثابته حسب ما يلتمس من ثوابه، فلا يخفى عن

عين فضله ما بليت (٢١١) به من شغل متشعب، ومرام للخدمة متصعب، بحيث يشغلني عن شأني، ويضايق في خطرة الذكر (٢١٢) تامر جناني، فلولا أنني اختلست (٢١٣) هذه النفثة من كفه، وفسحت لمصليها موقفا في صفه، لما وجدت الى بعثها سبيلا، ولا ألقيت لأملي الصاحي في كنف المراجعة مقيلا (٢١٤)، والله تعالى ـ يصفي للمجلس العلمي مواد عرفانه، ويحفظ على هذا الوجود إنسان عينه وعين
/1 إنسانه. والسلام ./

وكتبت (٢١٥) :

سيدي شهاب الطلبة الثاقب، وفخر الكتيبة العظيم المناقب، أقسم بالحاشر العاقب و«الغاسق الواقب» [33]، لما زلت لنجائبكم (٢١٦) بحال المراقب، وصلني كتابكم الذي هنأ وبشر، وأحيا وأنشر، ناصحا هاديا، رائحا في الوفاء غاديا، فأردى صاديا، وأخذ (٢١٧) بحظ من فضيلة قوله : « ولا يقطعون واديا » [34]، فحبذا طعام اشتركناه زكا، وممات توسد واتكا، ووفاء وبالسموال (٢١٨) حكا [35]، وأنجد لما خذل الدهر الخؤون ولله المشتكى، وأنار الله مشكاة تلك الذات التي لطفت اسرارها، وتألقت أنوارها، وأعلقها بالعالم الأزلي وأنهلها في المورد المفيض على القطب [36] والولي فألفاني محترما، ولخدمة (٢١٩) المولى ملتزما، ومحل (٢٢٠) ودي في مثلها أن يذكر ، فهو أشهر من أن يشهر (٢٢١).

لا تدعُني إلا بيا عبدها (٢٢٢) فإنه أشْرفُ (٢٢٣) أسمائي

وأما ما أهديتم من نبإ بتسريح مكسوب، وملك لمككم مكسوب، فمن جاد بالنفس على أعدائه، كيف لا يجود بالعرض على أوليائه، والله الكفيل بحسن جزائه، ومن أياديكم لدي يا ولدي حبا وشفقة، ومحل أخي اعتدادا وثقة، أن تمرغوا عني خدكم في أخمص رجله العالية، وتقبلوا تراب بساطه (٢٢٤) قبلا متوالية، بخلاف ما يرتفع ـ إن شاء الله ـ بالحضور حكم النيابة، وييسر الله اللحاق بتلك المثابة، والسلام على سيدي وأخي ورحمة الله وبركاته.

ولما قدم على الحضرة الأندلسية الفقيه الصدر الأحفل، وجامع أشتات الفضائل الإنسانية، والشيم الحسبية، المتميز عن أبناء جنسه بالمزية غير الخفية، كاتب سر الخلافة المرينية، الفاضل العالم، الحسيب الماجد المعظم، أبو زيد عبد
/16 الرحمان بن أبي بكر بن خلدون [37] / خاطبته قبل لقائه ببعض الطريق بما نصه(٢٢٥) :

(طويل)

حَلَلتَ حلولَ الغيثِ في البلدِ المحْلِ | علي الطائرِ الميمونِ والرَّحْبِ والسَّهْلِ
يميناً بمنْ تَعْنو الوجوهُ لوجْهِهِ | منَ الشَّيْخِ والطِّفْلِ المعصبِ (٢٢٦) والكَهلِ
لقدْ نشأتْ عندي للُقَياكَ غِبْطةٌ | تنَسِّي اغْتباطي بالشَّبيبةِ والأهْلِ
وَوُدِّي لا يُحْتاجُ فيهِ لشاهدٍ | وتَقْريري المعْلُومُ ضربٌ منَ الجهلِ

يمينا (٢٢٧) برب حجت قريش لبيته، وقبر صرفت أزمة الأحياء لميته، ونور ضربت الأمثال بمشكاته وزيته[38] لو خيرت - أيها الحبيب الذي زيارته الأمنية السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة - بين رجع الشباب يقطر ماء ويرف نماء، ويغازل عيون الكواعب (٢٢٨) [فضلا عن الكواعب] (٢٢٨) إشارة وإيماء، بحيث لا الوخط يلم بسياج لمته، أو يقدح ذبالة في ظلمته، أو يقوم حواريه في ملته، من الأحابش وأمته، وزمانه روح وراح، ومغدى في النعيم ومراح، [وقصف صراح] (٢٢٩)، ورقى وجراح، وانتخاب واقتراح، وصدور ما بها الا انشراح، ومسرات تردفها أفراح، وبين قدومك خليع الرسن، ممتعا باليقظة والوسن، محكما في نسك الجنيد[39] أو فتك الحسن[40]، ممتعا بظرف المعارف، مالئا أكف الصيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف، لما اخترت الشباب، وإن شاقني (٢٣٠) زمنه، وأعياني ثمنه، وأجرت سحاب دمعي دمنه، فالحمد لله الذي رقى جنون اغترابي، وملكني أزمة آرابي، وغبطني بمائي وترابي، ومالف أترابي، وقد أغصني بلذيذ شرابي، ووقع على سطوره المعتبرة أضرابي، وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية، ومنتهى الطية، وملتقى السعود غير البطية، وتهني (٢٣١) الآمال الوثيرة الوطية، فما شئت من نفوس عاطشة الى ريك، متجملة (٢٣٢) بزيك، عاقلة خطى/ مهريك، /166/
ومولى مكارمه نشيدة أمثالك، ومطابق مثالك، وسيصدق [الخبر] (٢٣٣) ما هنالك، ويسعني (٢٣٤) فضل مجدك في التخلف عن الإصحار، بل اللقاء من وراء البحار. والسلام.

فراجعني من ظاهر الحضرة بما نصه : (٢٣٥)

سيدي وذخري (٢٣٦) ومالك أزمة أمري، أبقاك الله مأوى الغريب، وسرور الكئيب، وملجأ الآمال عند ازدحام الأهوال والخطوب، ولازال جنابك محط رحال الوفود، ومطمح الأمل البعيد، ما عسى أن أثني على كريم (٢٣٧) سجاياك، أو أشكر عظيم مزاياك، وهي صادرة عن الذات، التي لها الفضل بالذات، والبعد الذي [له] (٢٣٨) المجد من بعض الصفات، والكرم الذي لا يتخصص بالأشخاص والأوقات

(٢٣٩)، ولا يغفل المتات إليه بالبضاعة من الود والمزجاة (٢٤٠)، فلم يبق إلا الاعتراف بالقصور، والعجز [عن] (٢٤١) توفية حق المشكور، والإحالة على العليم القدير. وأعرف سيدي - أعزه الله - أن كتابه الكريم الذي أوسعني تشريعا، وجمع لي علمية وتعريفا، إنما وصلني بغوير دفعه إلي العدوي المتوجه بكتاب العناية المولوية التمسها لي فضلك الجزيل، ومجدك الأصيل، واستدعاها نظرك الجميل، وكمالك الذي عليه التعويل، فلا تسأل يا سيدي عن ذلك عندي من السرور، وإيناس النجع بما نؤمل، فالحمد لله الذي أنس في الغربة بمجدك، ووقف الأفعال والأقوال على شكرك وحمدك، وسيدي - أعزه الله - يتفضل بقبول عذري للإدلال على فضله بمثل هذا الهذر (٢٤٢) الذي أحاشيه عن الخطاب به.

وأما يا سيدي شكر النعم المولوية السلطانية فوالله لا أطيق القيام بها كتابا، ولا والله خطابا، لقصوري وجلالها (٢٤٣) سيدي - أعزه الله - على جميل عادته، وعظيم إفادته يقرر من ذلك بعض الواجب/ وإلا فاستيفاؤه عسير، والله /167/
المعين على ما يجب، وهوسبحانه يحفظ سيدي ويبقيه. والسلام الكريم يخص جلاله من المملوك المحب ابن خلدون.

‹رسالة من ابن الخطيب الى ابن خلدون بمناسبة زفافه بالجارية هند›

وخاطبته وقد اشترى بكرا من بنات الروم مولدة اسمهاهند وأعرس بها، بما نصه (٢٤٤) :

(سريع)

أوصيكَ بالشَّيْـــخِ أبـــي بكْــــرهْ   لا تــــأمنْ فــــي حـــالةٍ مكْـــــرَهْ
واجْتَنِبْ الشَّـــــكَ إذا جِئْتَـــــهُ   جَنَّبَـــــكَ الرَّحْمَــــــانُ مَـــا تكْـرَهْ

سيدي لازلت تتصف بالوالج ، بين الخلاخل والدمالج، وتركض فوقها ركض الهمالج [41] (٢٤٥)، أخبرني كيف كانت الحال، وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال، وأحكم بمرود المراودة الاكتحال، وارتفع بالسقيا الإمحال، وصح الانتحال، وحصحص الحق فذهب المحال، وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك الى بشر [42]، فلله من عشية، تمتعت من الربيع بفرش موشية، وابتذلت (٢٤٦) منها أي اوساد (٢٤٧) وحشية، وقد أقبل ظبي الكناس من الديماس [43]، ومطوق الحمَام من الحمَّام، وقد حسنت الوجه الجميل التطرية، وأزيلت عن الفرع الأثيث الابرية [44]،

وصقلت الخدود فهي كأنها الأمرية، وسلط (٢٤٨) الدّلك على الجلود، وأغريت النورة بالشعر المولود، وعادت الأعضاء يزل (٢٤٩) عنها اللمس، ولا تنالها البنان الخمس، والسحنة يجول في صفحتها الفضية ماء النعيم، والمسواك يلبي من ثنية التنعيم، والقلب يرمي من الكهف الرقيم، بالمقعد المقيم، وينظر الى نجوم الوشوم فيقول : إني سقيم، وقد تفتح ورد الخفر، وحكم لزنج (٢٥٠) الظفيرة بالظفر، واتصف أمير الحسن بالصدود المغتفر، ورش بماء الطيب، ثم أعلق بيله (٢٥١) دخان العود الرطيب. وأقبلت الغادة يهديها اليمن وتزفها السعادة، فهي تمشي على استحياء وقد ذاع طيب الريا، وراق / حسن المحيا حتى اذا نزع الخف، وقبلت الأكف، وصاح (٢٥٢) المزهر وتجاوب الصدف، وذاع الأرج، وارتفع الحرج، وتجوز (٢٥٣) اللوى والمنعرج [45]، ونزل على بشر بزيارة هند الفرج، اهتزت أرضه (٢٥٤) وربت، وعوصيت الطباع فأبت، ولله در القائل [46] : / 168

(متقارب)

ومرّتْ وقـــالتْ : متـــى نلْتقـــي فهشّ (٢٥٥) اشْتياقــاً اليْهـــا الخبـيثُ
وكـــادَ يُـــمَزِّقُ سـرْوالــــهُ (٢٥٦) فقلْتُ : إلَيْـــكَ يســـاقُ الحديثُ

فلما انسدل جنح الظلام، وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة الإسلام، وخاطت خيوط المنام عيون الأنام، تأتى دنو الجلسة، ومسارقة الخلسة، ثم عض النهد ، وقبلة الفم والخد، وإرسال اليد من النجد الى الوهد، ثم كانت الإمالة قليلا قبل المد، ثم الإفاضة فيما يغبط ويرغب، ثم الإماطة لما يشوش ويشغب، ثم إعمال المسير الى السرير.

(طويل)

وسِرْنــا- إلى الحُسْنـــى ورقّ كلامُنــــا ورُضْتُ فذلّــتْ صَعْبــةً أيَّ إذْلالِ [47] (٢٥٧)

فاستقرت (٢٥٨) على موطا مالكها، واصبهاني مسالكها، ومقتضى فذالكها (٢٥٩)، هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في حل التكة، ونزع الشكة [48]، وتهب (٢٦٠) الأرض العزاز عمل السكة، ثم وقع (٢٦١) الوحى والاستعجال، وحمي الوطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخصور الهيف، وتشاطر الطبع العفيف (٢٦٢)، ثم تواتر التقبيل، ثم كان الأخذ الوبيل، وامتاز الأنوك من النبيل، «ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل، فيالها من نعم متداركة، ونفوس في سبيل القحة متهالكة، ونفس يقطع حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق، وعظمت الممانعة، وكثرت باليد عن الموضع المعتمد

المصانعة، وطال التراوغ، والتزاور، وشكي التجاور، (٢٦٣) واشتد القلق والتضارر،
/169 فهناك تختلف الأحوال، / وتعظم الأهوال، وتخسر أو تربح الأموال، فمن عصا عسطوس [49] تنقلب ثعبانا مبينا، و[نونة] (٢٦٤) تصير تنينا، وبطل لم يهله المعترك الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قرنه قرته الحائل، فتعدى فتكة السليك [50] الى فتكة البراض [51] وتقلد مذهب الأزارقة من الخوارج في الاعتراض (٢٦٥) [52]، واتصف بصفة الساخط وهو الراضي، ولوح في ميدان السرير، بالحسام الطرير، ولعب في ملعب الأوطار، بالقنا الخطار(٢٦٦)، ثم شق الصف، وقد خضب السيف والكف، بعدما كاد يصيب البرىء بطعنته، ويبوء بمقت الله ولعنته.

(طويل)

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيْسِ طعْنةَ ثائـــــرٍ لها نَفَـذٌ لولاَ الشعاعُ أضاءهـــا [53]

وهناك هدأ القتال، وسكن الخبال ، ووقع المتوقع فاستراح البال، وتشوق الى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال، وكثر السؤال عن المبال بما بال.

(بسيط)

وإنْ تعـــدَّدَتِ اللـــذَّاتُ واطَّـــرَدَتْ فليْسَ يعْدلُ شيْئـاً لذَّةُ الظَّفَـــرِ(٢٦٧)

(٢٦٨) ولم ير المجربون للحروب صريحا أشفق من صريع السرير على من صرعه، ونصب إليه الذابل وشرعه، حتى أضرعه، فكثيرا ما ينشد ونفسه قد ذلت، وقواه قد انحلت، ونظرة عينيه قد اختلت :

(طويل)

خليليَّ هلْ أبصرتُمـــــا أو سمعْتُمـــا خليلاً بَكَـى منْ حبٍّ قاتلـــهِ قبْلي (٢٦٩)

ويقول الجريح وقد نظر الى دمه، يسيل على قدمه :

(بسيط)

إنِّي لهُ عنْ دمِي المسْفُـــوكِ معْتَذِرٌ(٢٧١) أقــولُ حمِّلْتُـهُ في سفْكــهِ تعبا [54]

ومن سنان عاد عند الحاجة (٢٧٠) عنانا، وشجاع صار هدانا جبانا، كلما شابته شائبة ريبة، أدخل يده في جيبه فانحجرت الحية، وماتت الغريزة الحية (٢٧١)،
/170 فكأنه سلحفاة أغمدت، ورأسها جحدت (٢٧٢)، / فهنالك يزيغ البصر، ويخذل المنتصر، ويسلم الأصر (٢٧٣)، ويغلب الحصر، ويجف اللعاب، ويظهر العياب (٢٧٤)، ويخفق الفؤاد، ويكبو الجواد، ويسيل العرق، ويجري في غير محله المرق (٢٧٥)،

ويعظم الكرب ويشتد الأرق، وينشأ في محل الأمن الفرق، ويدرك فرعون الغرق، ويقوى اللجاج وتعظم الحرق، فلا يزيد الحال إلا شدة، ولا تعرف تلك الجارحة المؤمنة إلا ردة.

(طويل)

إذا لمْ يكنْ عونٌ منَ اللّـــهِ للْفتـــى فأكْثرُ مـا يجْني عليْـهِ اجْتهـــادُهُ

فكم مغرى بطول اللبث، وهو من الكيد والخبث، يؤمل الكرة، ليزيل المعرة (٢٧٦)، ويستنجز الوعد، ليستأنف السعد (٢٧٧)، ويستنصر الخيال، ويحمل باليد الاحتيال.

(رجز)

«إنّـكَ لا تشْكـو إلى مُصَمَّـــت [56] فاصْبرْ عـلى الحـملِ الثقـيلِ أوْمُتْ

ومكثر اللثم والضم، والعض والشم، يدعو في طلل هامد، «ويضرب في حديد بارد» [57].

(وافر)

لقدْ ناديـتَ لوْ أسْمَعْـــتَ حيّـــاً ولكنْ لا حـيـاةَ لِــمنْ تُنــــادي(٢٦٩)

وكم معتذر بمرض أصابه وجرعه أوصابه، ووجع طرقه، جلب أرقه، ومغضب (٢٨٠) يقلد للمصانعة (٢٨١) الذنب، ويطوقها العتب (٢٨٢)، وخطيب ارتج عليه أحيانا، فقال : «سيجعل الله بعد عسر يسرا» [59]، وبعد عي بيانا، اللهم إنا نعوذ بك من فضائح الفروج اذا استغلقت أقفالها، ولم تتسم بالنجيح (٢٨٣) أغفالها، ولا نفلت أنفالها (٢٨٤)، ومن معرات الأقدار، والنكول عن الأبكار واتباع الأفكار(٢٨٥)، ومن النزول عن البطون والسرر، والجوارح الحسان الغرر قبل ثقب الدرر، ومن سواد الوجه إذا بكرت (٢٦٨) الوجوه، ونالت النفوس من إطراء الغادين والمهنين ما ترجوه، ولا تجعلنا ممن يستحيي من البكر بالغداة، وهذا/ مجال فضح فيه رجال، وفراش شكيت فيه أوجال، وأعملت روية وارتجال، فمن قائل : 171 /

(سريع)

أرْفعهُ طــوراً عــلـــى أصْبُعـــي ورأســـه مـــضْطربٌ أسْفَلَـــــهْ
كالحنشِ المقْتــولِ يُلْقـــى علـــى عودٍ لـكيْ يُطْـرحَ فـــي مزْبلـــهْ

وقائل :

(سريع)

عدمْتُ مِنْ أيْري قُوَى حسِّهِ   يا حسْرةَ المَرْءِ على نفْسِهِ
تراهُ قدْ [مال] (٢٨٧) على أصْلِهِ   كخائطٍ خرَّ على رأسِهِ

وقائل :

(طويل)

أيَحْسُدُني إبْليسُ داءَيْنِ أصْبحا   برجْلي ورأسي دُمَّلاً وزُكاما
فليتهما كانا بِهِ وأزيدُهُ   رخاوةَ أيْرٍ لا يُطيقُ قيامَا

وقائل :

(طويل)

[أقولُ لأيْري وهوَ يرقبُ فتْكةً   بِهِ خِبْتَ مِنْ أيْرٍ وعالتْكَ داهيهْ
إذا لمْ يكُنْ للأيْرِ بخْتٌ تعذَّرتْ   عَلَيْهِ وجوهَ النيكِ في كلٍّ ناحيهْ] (٢٨٩)

وقائل :

(طويل)

تقفَّفَ فَوْقَ الخُصْيَتَيْنِ كأنَّهُ   رِشاءٌ إلى جَنْبِ الركيَّةِ [60] مُلْتَفُّ
كَفَرْخِ ابنِ ذي يومَيْنِ يرْفَعُ رأسَهُ   إلى أبَوَيْهِ ثمَّ يُدْرِكُهُ الضَّعْفُ

وقائل :

(طويل)

تكرَّشَ أيْرِي بعْدما كانَ أمْلَسا   وكانَ غنيّاً مِنْ قُواهُ فأفْلسا
وصارَ جوابي للمَها إنْ مرَرْنَ بي   مضى الوصْلُ إلاّ مُنْيَةً تبعثُ الأسى

/172 وقائل :

(طويل)

بنَفسي مَنْ حيَّيْتُهُ فاسْتَخَفَّ بي   ولمْ يخْطُرِ الهجرانُ مِنْهُ على بالي
وقابلَني بالهزْءِ والتَّجْهِ بعْدما   حطَطْتُ بِهِ رحْلي وجرَّدْتُ سِرْبالي
وما أرتجى مِنْ مُوسِرٍ فوْقَ دكَّةٍ [61] (٢٨٩)   عرَضْتُ لهُ شَيْئاً مِنَ الحشَفِ البالي

هموم لا تزال تُبكّي، وعلل على الدهر تُشكّى وأحاديث تقص وتُحكّي (٢٩٠)، فإن ذلك العضو على شهرته، وعظم قدرته، يستمد من الميرة [62]، وحركته لا تقوم إلا بالمؤن الكثيرة، من حياء يرتفع، وبلادة بها في الغالب ينتفع، وفكر يفقد، وشبق على أصله يعقد، ورياح تنفخ، ورطوبة ترضخ، وعضل شديد، وعمر جديد، ومزاج (٢٩١) في عرض الحر طويل مديد، وهو غير مطاوع للإدارة، ولا معط للمقادة، خبيث وقاح، شامت فضاح، كم نغص من وقت، وجلب من مقت، لا يستصلح بالتعليم، ولا يرد عن مرتكبه الذميم بالعذاب، ولا يغلب الا بمقام الرضى والتسليم.

(كامل)

حكموا فلا أحلى مـنَ التسْليـم ... فأدرْ حديثَ رحيقِه (٢٩٣) المخْتوم
بردٌ بـه الأحشاءَ مَنْ نارِ الجـوى ... وانْضَحْ لهيبَ فـؤادِكَ المكْلوم
ما قابلَ التسليمُ نـارَ صبابـةٍ ... إلاّ انثَنَتْ في الحالِ (٢٩٤) بردِ نعيم

فإن كنت - أعزك الله - من النمط الأول (٢٩٥) (ولم تقل : «وهل عند رسم دارس من معول (٢٩٦) [63]، فقد جنيت الثمر (٢٩٧)، (واستطبت السمر، وتلوت أول وردك اقتربت الساعة وانشق القمر) (٢٩٨) [64]، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، واخرج على قومك في لباس الزينة، واستعد كرسي القعود، والقبقاب المدهوّن من السهود (٢٩٩)، واستبشر بالوفود، وعرف (٣٠٠) المسمع عارف الجود، وتبجح بصلابة / العمود (٣٠١)، وإنجاز الوعود، واستمتع بالسعود (٣٠٢)، واجن رمان النهود، من أغصان القدود (٣٠٣)، وانشر من الشعور السود، عباسية [65] البنود (٣٠٤)، واقطف (٣٠٥) ببنان اللثم أقاح الثغور وورد الخدود. 173 /

وإن كانت الأخرى فاخف الكمد، وارض الثمد (٣٠٦)، وانتظر الأمد، وأكذب التوسم، واستعمل التبسم، واستكتم النسوة، وأفض فيهن الرشوة، أو تقلد المغالطة وارتكب، وجيء على قميصك بدم كذب، واستنجد الرحمان، واستعن على أمرك بالكتمان.

(كامل)

لا تُظهِرَنَّ لعـاذرٍ أوْ عـاذلٍ (٣٠٧) ... حاليْكَ فـي السَّرَّاءِ والضَّراءِ
فلِرَحْمـةِ المتفجِّعينَ حـرارةٌ (٣٠٨) ... في القلبِ مثلُ شماتَـةِ الأعداءِ [66]

وانتشق الأرج، وارتقب من (جانب الفرج الفرج) (٣٠٩)، فكم غمام (طبق وما همى) (٣١٠)، «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» [67]، واملك بعدها عنان نفسك،

حتى تمكنك الفرصة، وترفع اليك القصة، (فتزول الغصة، وتثقب القرصة) (٣١١) ولا تشره الى عمل لا تفيء منه بتمام، وخذ عن إمام، ولله در عروة بن حزام (٣١٢) :

(طويل)

اللَّهُ يعلـــمُ مـــا تـــركْـــتُ قتالَـــهُمْ حتَّى رَمـوْا مُهْـري بأشْقَــــرِ مُزْبِـدِ
وعلمْتُ أنـــي إنْ أُقاتِـــلْ دُونَهُـــمْ أُقْتَـلْ ولا يضْـرِرْ عَدُوِّي مشْهَـــدِي
فَفَرَرْتُ عنْهـــمْ (٣١٣) والأحبَّةُ فيهـــمْ طَمَعـاً لهُمْ بعقـــابِ يوْمٍ مفْســدِ

واللبانات تلين وتجمع، والمآرب تدنو وتترزح (٣١٤)، وتحسن (٣١٥) ثم تسمح، وكم من شجاع خام [68]، ويقظ نام، ودليل أخطأ الطريق، وأضل الفريق، والله ـ عز وجل ـ يجعلها خلة موصولة، وشملا أكنافه بالخير مشمولة، وبنية أركانها

174/ لركائب اليمن مأمولة، حتى تكثر خدم سيدي / وجواريه، وأسرته وسراريه (٣١٦)، وتضفو عليه نعمة باريه، ما طورد قنيص، واقتحم غيص، وأدرك مرام عويص، وأعطي زاهد وحرم حريص. والسلام.

وخاطبت القاضي الفقيه الأديب الشهير، أبا إسحاق ابن الحاج، على لسان قاضي الحضرة صاحبنا الشيخ الفقيه الحسيب، أبي الحسن ابن الحسن وكانت الأقلام قبل لنظر قاضي الحضرة، أمليتها ببيت الكتاب بديهة لم تجف فيها مدة، ولا أبلدت منها لفظة، فاستظرفوا ذلك (٣١٨) :

سيدي جعل الله أكوار العمائم تتضاءل لكور عمامتك، والنفوس الطامحة الهمم، على اختلاف الأمم، تعترف (في هذا النهج الأهم) (٣١٩) بوجوب إمامتك، وسر الإسلام باتصال سلامتك، وتبرأ الملأ من ملامتك. وصلتني رسالتك التي أخبّت في ميدان البلاغة وأوضعت، وأخلاف الفنون ارتضعت، وعلى ارتفاع القدر اتضعت، ووضعت الحكمة المشرقية بنت ساعة، «والله أعلم» بما وضعت، لكنها تنافست الجوارح (لما غصت بالنعم المسارح) (٣٢٠) وتعارض السانح والبارح [69]، والرامز والشارح، فحصلت الأذن على الغنى، وأتحفت من اللفظ البديع بأعظم الجنى (٣٢١)، ومن المعنى الغريب ببلوغ المنى (٣٢٢)، واستولت العين من الخط، على الحسن البعيد الشط، ونتيجة ما أودع الباري بين مقدمتي البري والقط، وعظمت حسرة الخلق إذ بقي بابه مسدودا، وأصبح مسلكه من المسالك غير النافذة معدودا، واشتد أسف الضرس إذ أصبحت أرحاء طواحينه عاطلة، وسحاب الدين عليه غير هاطلة، ومذاهبها باطلة، ومواضعها بالمضغة (٣٢٣) باطلة، وما ضر سيدي

175/ والله يقيه الضر، ويحفظ منصبه الحر/ وبحره الذي يقذف الدر أن لو ضاعف

الطول، وجمع الفعل والقول، فوجه الكتان، ما يثقل ظهر الأتان، ومن الزيت ما يملأ ركن البيت، ومن الدجاج والعسل المجاج، ما يتكفل بصلاح المزاج، ومن الأترج [70] والليم، ما يخل بحلم الحليم، فجانب الورع عن هدية سيدي لا يضيق، فهو الرفيق الشفيق، والعدل الذي وضح من فضله الطريق. وأما ألا يكون حظ وليه إلا فقر لا يدفع فقرا، وألفاظ لا تذهب وقرا، وجنة يجوع من يحل بها ويعرى، وبحر لا يجد الغائص له قعرا، فأمر ينكر على المجادة التميمية، والمثابة الحكمية، مع [أن] الأقاليم (٣٢٤) لم تزل ترفد هذه الخطة كلما وهت (٣٢٥)، وتصلح صلاتها إذا مهت، ولولا مرافقها ما أمرت ولا نهت، ولا أكلت ما اشتهت، فليراجع سيدي عادة الكرم، «ولا يحسب الشحم في الورم» [71]، والله يطلع من تلقائه على الأدقة، التي تضيق عن أحمالها الأزقة، والعسول المتكلفة بالسول، والزبيب الذي يسر قلب الحبيب، والأجبان التي تشجع قلب الجبان، والجديان التي تزري على الخبر بالعيان (٣٢٦) والبيض التي تشهد بالفيض، والزيت الذي يخلف حياة الميت، والله يبقي سيدي للقضاة زينا، في العلماء عينا، ويقضي بجوده على الدهر الذي سمح بجوده دينا، والسلام عليه، ما استمنح [جواد] (٣٢٧) وأطرف بالفكاهة فؤاد، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وخاطبته في المعنى اذ هو اليوم فارس الميدان، وصدر هذا الشأن (٣٢٩) :

(طويل)

يا قاضيَ العدْلِ الـذي لـمْ تـزَلْ	تمْتـارُ شُهْبُ الفضـلِ منْ شَمْسِـكْ
قَعَـدْتَ للإنْصـافِ بيْنَ الـورى	فاطْلُبْ لنا الإنْصـافَ منْ نفْسِـكْ

ما للقاضي - أبقاه الله - ضاق ذرع عدله الرحب عن الصحب، وصم عن العتب، وضن على / صديقه حتى بالكتب، أمن المدونة الكبرى ارتكب هذا / 176' التجريح، أم من المبسوطة ذهب الى هذا الأمر المريج [72]، أم من الواضحة امتنع عن الإلمام والتعريج، ومن أمثالهم : «اذا ولي أخوك فاقنع بعشر وده»، وقد قنعنا (٣٣٠) والحمد لله بحبة من مده وإشارة (٣٣١) من درجه وبره، وساعة معتدلة من زمان بلوغ أشده، فما باله يمطل مع الغنى، ويحوج الى العنا، مع قرب الجنى، المرحلة (٣٣٢) مرحلة ظالع [73] وخامع، ومطمح طامح ومرأى راء ومسمع سامع، والكف واسع، والمكان لا ناء ولا شاسع، والضرع حافل، والزرع كاف كافل، والقريحة وارية الزند، والإمامة خافقة البند، وهب البخل يقع بما في الخوان على الأخوان، فما باله يقع بالبيان، أعيذ سيدي من ارتكاب رأي ذميم، يريد بيت القطا في تميم،

ويعضد معناه بتميم، وهلا تلا حاميم[74]، وعهدي بالسيادة القاضوية قد نامت لهذا العهد في مهاد الترف نوم أهل الكهف، ولم تبل بمردد الويل واللهف، أو شربت لحفظ الصحة بختعا، ودقت لاعادة (٣٣٤) الشبيبة عفصا ورو سختجا، وغطت على الصبح «بالليل اذا سجى» [75] ومدت على ضاحي البياض طلاء سجسجا، وردت سوسن العارض بنفسجا، ولبس بحرها الزاخر ثوبا من طحلب البحر منتسجا، وأحكم العمامة وصديق المرأة ينصح ويرشد، ويطري (٣٣٥) المحاسن وينشد، حتى حسنت الدارة، وصحت الاستدارة، وأعجبه الوجه الجميل، والقد الذي يميد في دكة الدار ويميل، وأغرى بالسواك التتميم والتكميل، وولج بين شفري سيدي الميل، وقيل لوضاح اليمن[76] : خاب فيك التمايل، وامتد جناح برنس السرق، واحتفل الغصن الرطيب في ناضر الورق، ورش الورد مأءه عند رشح العرق، وتهيأ للمنطلق، وقرأت عليه نساء أعوانه وكَتَبَةُ ديوانه سورة الفلق [77]، من بعدما ما أوقف الأملين الحجاب على أقدامهم، وكبحهم الجالون (٣٣٦) عن
/17 إقدامهم، فمثلوا واصطفوا، وتألفوا والتفوا،/ وداروا وحفوا، وما تسللوا إلا خفوا (٣٣٧) كأنما أسمعتهم صيحة النشر، أو خرجوا لأول الحشر، فعيونهم بملتقى المصراع معقودة، [وأذهانهم لمكان الهيبة مفقودة] (٣٣٨)، وجعالاتهم قبل الطلب بها منقودة، فعندما فرش الوساد، وارتفع بالنفاق الكساد، وذاع البكا (٣٣٩) وتأرج الحساد، [واستقام الكون وارتفع الفساد، وراجعت أرواحها الأجساد] (٣٤٠)، جاءت السيادة فجلست، وتنعمت الأحداق بالنظر الذي اختلست، وسمحت الأكف حتى أفلست، وزانت الشمس ذلك الفلك، وجلت الأنوار الحلك، فتحت الأبواب وقالت هيت لك، ووقفت الأعوان سماطين، ومثلوا خطين، وتشكلت مجرة تنتهي منك الى البطين، يعلنون بالتفدية ويجهرون، «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» [78]، من كل شهاب ثاقب، وطائف غاسق واقب، وملاحظ مراقب، كميش الإزار، وبعيد المزار، حامل للأوزار، خصيم مبين، ووارث سوفسطيقا عن زبين، مضطلع بفقه البين وحريمها، فضلا عن تلقين الخصوم وتعليمها، يرأسهم العريف المغرب، والمقدم المدرب، والمشافه المباشر، والنابح الكاشر، والنهج العاشر، الذي يقتضي خلاص العقد، ويقطع في الكالىء والنقد، ويزكي ويجرح، ويمسك الثبت أو يطرح، ويجمل ويشرح، والمسيطر (٣٤١) الذي بيده ميزان الورق، وجمع الأجر المفترق، وكفه قابلة رحم الدواة الفاغرة، ورشاء بلالة الصدور الواغرة، فإذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، وأنأى مجمع الرعاع، وأعلنا النداء، وطلبا الأعداء، وصاحا : جعل الله أنفسنا لك الفداء، ورفع الأمر الى مقطع الحق، والأولى بالمثابة الأحق، وأخذتهما (٣٤٢) الأيدي دفعا في القفي، ورفعا لستر اللطف الخفي،

وإمساكا بالحجز والأكمام، ومنعا للمباشرة والإلمام، واستنطاقا عند الإذن بالكلام، وإسكاتا عند صريف الأقلام، فإذا أدلى بحجته من أدلى، ووسعهما دينه (٣٤٣) عدلا، وحق القول، واستقر الهول، ووجبت اليمين، أو الأداء الذي له الذخر الثمين، / أو الرهين أو الضمين، أو الاعتقال الذي هو على إحداهما(٣٤٤) الأمين، نهش الصل الذي سليمه لا يبيل (٣٤٥)، ولسبت العقارب التي لا يفلتها الهارب، ولا ينجي منها المسارب، وكم تحت الظلام من غرارة يجعلها غرا، وصرة ريح فيها صر، وسهد في انتظار قلة شهد، وكبش يجر تارة بروقيه، ويدفع بعد رفع ساقيه، ومعزى وجدي، وقلائد وهدي، وسرب دجاج نوات لجاج، يفضحن الطارق، ويشعثن المفارق، فمتى يستفيق سيدي من هذا اللغط (٣٤٧) العائد بالصلة، واللهى (٣٤٨) المتصلة، أو تفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض، وخط سواد في بياض أو حنين لدوح أو رياض، أو امتاع طرف باكتتاب حرف أو اعمال عدل لرسول في صرف، أو حشو ظرف بتحفة ظرف، شأنه أشد استغراقا، ومبوأه أكثر طراقا، « من ذكر حبيب ومنزل» [79] وأم مغزل، وكيف يستخدم القلم الذي يصارف ماء البحر بنوب التبر في ترهات عدم جناها، وأقطع جانب الخيبة لفظها ومعناها، اللهم الا أن تحصل النفس على كفاية تختم لها الصرر، وتشام من خلالها للجين الغرر أو تحن النفس الى الفكاهة والأنس، وينفق لديها ذمام الأبقاء على الجنس، فربما تقع المخاطبة المنزورة، وتبيح هذا المرتكب الصعب الضرورة، والمرغوب من سيدنا القاضي أن يذكر بؤسنا بالاغفال عند نعيمه، ولا يخيب آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه، ويسهمنا حظا من فرائد حظه، لا من فوائد خطته، ويجعل لنا كفلا من فضل بريته وحنطته (٣٤٩) لا من فضل هرته وقطته، فقد غنينا عن الحلاوات بحلاوة لفظه، وعن الطرف المجموعة بفنون حفظه، وعن قصب السكر بقصب أقلامه، وعن جبن الروم بروامه، وبهديه عن جديه، وبمجاجته عن دجاجته، وبدر لجه عن أترجه، وعن البر ببره، وعن الحب بحبه، ولا نأمل إلا طلوع بطاقته، وقد رضينا بجهد طاقة، والا لا بد أن نحشد جيش الكلام / الى عتبه، ونوالي عليه الكتائب حتى يتقى بضريبة كتبه . والسلام.

178 /

179 /

ومن المنظوم المقيد لهذا العهد قولي في طريق «سلا» وقد أنكرت سوء معاملة بني عبس :

(طويل)

غضبَ الإلـهُ عـلى بنـي عبْـسِ ... وعلى ما اشْتَمَلَتْ عـليْه منْ تيْـسِ

ما كَانَ رأيِي فـي المـبيتِ بِهـا ... عـنْ فِطْنَـةٍ منِّـي ولا كيْـسِ

وقلت بتفلفلت [80]وهي من معادن البرغوث : (٢٥٠)

(وافر)

بتافَلْفَلْتَ (٢٥١) برغوثٌ كثيرٌ ... يضجُّ لهولِه الفلكُ الأثيرُ
إذا عجلَتْ لنا بالوثْبِ قُلْنا ... أثارَ جرادَ مزرعةٍ مُثيرُ

وقلت في الشيخ أبي سعيد عثمان بن يحيى شيخ العسكرية (٢٥٢) :

(كامل)

أسَميُّ ذي النُّورين [81] وجهُكَ إنْ بدا (٢٥٣) ... شَمْسَ الضُّحى حلَّتْ بلَيْثِ عرينِ
إنْ تفتخِرْ بمرينِ أرضُ المغربِ الـ ... أقصى (٢٥٤) فإنك أنتَ فخرُ مرينِ

وقلت أخاطب السلطان في بعض مبراته :

(كامل)

أخْجلتني يا مُخْجِلَ الشمسِ ... بمكارمٍ أعْيَتْ <على> (٢٥٥) نفسي
حمّلتني ما لا أُطيقُ به ... فدهشْتُ منكَ وغِبْتُ عن حسِّي
يا نورَ ناظري وسرَّ هوى ... قلبي، ويا عزِّي ويا أُنْسي
أنا غرسُ مُلْكِكَ جُدْتَني بندى ... كفَّيْكَ، فاجْنِ الحمدَ من غرسي
شكراً بجُودِ يدٍ قد احْترقَتْ ... سُحُبُ الحيا ببنانه الخمسِ
رعمَرْتَ كرسيَّ الخلافةِ معصو ... ماً بحقِّ العرشِ والكُرسي

وقلت عند عزمي على الرجوع عنه الى «سلا» : /18

(بسيط)

ودَّعْتُ منكَ فؤادي يومَ ترْحالي ... فلا تسلْ (٢٥٦) بعدَ ذاكَ اليوم عنْ حالي
جارَ الزمانُ على ضعْفي وأرْخصَ ما ... قدْ صُنْتُه قبلَها منْ دمْعي الغالي
لا الماءُ بعْدكَ ماءٌ حينَ أشْربُه ... ولا الطعامُ طعامٌ حينَ يُدْنى لي
ولا يلذُّ حديثُ الناسِ في أُذُني (٢٥٧) ... ولا يجولُ جمالُ الكونِ في بالي
قدْ كُنْتَ أهْلي ومالي والشبيبةَ لي ... فلا شبابي ولا أهْلي ولا مالي
ضرائرُ الدهرِ سارتْ عنْ ديارِكَ لوْ ... لا الضرورةُ لمْ يخْطُرْ على بالي
قالُوا : "سلا" حركَتْ أشْواقَهُ فسلا ... والله ما كُنْتُ يوماً عنْكَ (٢٥٨) بالسالي
إنْ كانَ لي بعدَ بُعْدي عنْكَ منْ أملِ ... إلاّ لقاؤكَ ، لا بلّغتُ آمالي

وقلت مما نقش في قبة المشور الجديد :

(بسيط)

شاهدْ بعينيْكَ منّي قرةَ العيْنِ ... واعْجبْ لِما حُزْتُ منْ شكلٍ ومنْ زيْنِ
أنا الفريدَةُ في دهرٍ ديانَتُهُ ... أنْ لا يَرى جامعاً ما بيْنَ أُخْتَيْنِ [82]
قدْ كُنْتُ ديْناً على الدينِ الحنيفِ فلمْ ... تَلُو السعادةُ بي للدَّيْنِ منْ دَيْنِ
أشْبَهْتُ في شُهْرة اسمٍ واشْتهارِ علَى ... إيوانِ كسْرى وكمْ بينَ الإيوانَيْنِ
بيوتُ نارٍ بنُورِ اللهِ قدْ طُفِيَتْ ... شتّانَ واللّهِ ما بيْنَ اليَزيدَيْنِ [83]
كمْ جمَعَ الظَّرْفُ منّي بيْنَ مُفْتَرِقٍ ... كمْ ألَّفَ الحُسْنُ منّي بيْنَ لوْنَيْنِ
كأنّني لِمباني المُلْكِ أجْمَعَهُما ... عينٌ ومولايَ كالإنْسانِ في عيْني
كأنّي بْنَ أبي الحجّاجِ أنْشأَني ... فحجةُ الحمدِ حقٌّ دونَ ما مَيْنِ /181/
هو الذي جَمَعَتْ يُمْناهُ بوركتَا ... للْجودِ والبأسِ داباً بيْنَ ضدَّيْنِ
هُوَ الذي اسْتَخْلَصَ السلْطانَ مُجْتهداً ... بكلِّ بارِي الظُّبا ماضي الذُّبابيْنِ
واسْتَدْرِكْ الفلْتَةَ الشّنْعاءَ منْ زَمنٍ ... قدْ ألبسَ الدين ثوبَ العارِ والشيْنِ
بنَصْرِه أرسلَ اللهُ الصَّبا نُشُراً ... وإنْزِلَ الرَّوْحَ خفّاً الجناحيْنِ
لازالَ شَمْلُ المعالي فيْ مُجْتمِعاً ... والنَّصْرُ والفتْحُ في مَغْنايَ (٣٥٩) إلْفَيْنِ
وكيْفَ الأملَ لأقْصى لمخْتَرِعي ... ربٌّ تنزّه عنْ كيفٍ وعنْ أيْنِ

ومن المكتوبات في المباني السلطانية (٣٦٠) :

(طويل)

ليَ اللّهُ منْ عنْوانِ مُلْكٍ مُجدّدٍ ... تروح هباتُ اللّهِ نحوي وتغْتدي
بَناني أميرُ المسلمينَ محمّدٌ ... سَميُّ النّبي الهاشميِّ محمّدِ
وقلَّدَ جيدُ الملكِ (٣٦١) منّي قلادَةً ... وكمْ زانَ حُسْنَ الجيدِ حُسْنُ المقلَّدِ
ونوّهَ في ربْعٍ (٣٦٢) الخلافةِ سعْدُهُ ... فلا زال في سعْدٍ وعزٍّ مؤكّدِ (٣٦٣)

ومن ذلك أيضا :

(بسيط)

يا حُسْنَهُ مَنْصباً راقتْ مغانيه ... محمّدُ بنُ أبي الحجّاجِ بانيهِ
مُجَدّدُ المُلْكِ سيفُ الحقِّ ناصرُهُ ... وحافظُ الدِّينِ قاصيهِ ودانيهِ
سَميُّهُ خَطَّ هذا القصرَ مبْتدِئاً ... وكان أوّلَ ثاوٍ في مغانيهِ
فإنْ يكنْ أوّلاً في اسمٍ وفي اسمِ أبٍ ... وطولِ عُمْرٍ وسعْدٍ فهوَ ثانيهِ

/182 وقلت في غرض نصيحة في رابطة العقاب :
(بسيط)

مَوْلايَ يا ذا الجلالِ الباهرِ العالي   سُلالَةَ الصَّحْبِ والأنْصارِ والآلِ
اسْمَعْ مقالَةَ منْ لا يبْتغي عِوَضاً   منْ ضيْعَةٍ لا، ولا جاهٍ ولا مالِ
ولا عبيدٍ ولا خَيْلٍ وإنْ لبِسَ النَّا   سُ الجديدَ كَفاهُ الواهِنُ البالي
يرى الأمُورَ قَد اخْتَلَّتْ علَيْكَ ومَا   منْ ناصرٍ لك فيها [لا] (٣٦٤) ولا والي
حتَّى إذا انْهدَّ رُكْنٌ قيلَ هاوِدَهُ   وأَهْملَ النصْحَ فيه أيُّ إهْمالِ
فلا لدُنْيا ولا أُخْرى أفوزُ بها   خَسِرْتُ في اللَّغْوِ أقْوالي وأعمالي
وأنْتَ مولايَ قدْ أعْرضْتَ (٣٦٥) مشتغلا   عنها بثُقْلَةِ أجْرامٍ وأحْبالِ
أحْمالُ جِصٍّ وأجْرٌّ تُعاقِبُها   وَجَرُّ ألْواحِ صخْرٍ فوق أعْجالِ
في دارِ قَحْطٍ وقفْرٍ ثمَّ بينَ عِدى   ذوي شرورٍ وأهْواءٍ وأهْوالِ
فكمْ يُنضِّدُ[٣٦٦] ريحانا ويفرُشُهُ   في مسْقطٍ خَرِبٍ أوْ منزلٍ خالي
لا تحْسبِ الناسَ في نوْمٍ فأعْيُنُهُمْ   ترنو إليْكَ فعامِلْهمْ بإجْمالِ
وكُلْ طعامَهُمُ والْبسْ لباسَهُمُ   وانْصبْ لصيدِهِمُ أشْراكُ (٣٦٧) مُحْتالِ
ولْتَجْتَنِبْ كُلَّ منْقُودٍ عليْكَ لَهُمْ   يسلَمْ جنابُكَ منْ قيلٍ ومنْ قالِ
وخُذْ منَ الأمرِ بعضاً واقْتصِدْ وأفِقْ   وانْظرْ لنَسكَ في جيْشٍ وفي مالِ
وكنْ حذوراً ولا تُغْفلْ مكيدةَ مَنْ   يدنُو إليكَ وينْوي فتْكَ مغْتالِ
وأنْتَ جرِيكَ الرحمانُ مخْتبَراً   لكيْ يرى منْكَ فعْلَ الحافظِ الكالي
/183 لمْ يبْقَ بعْدَكَ لإسْلامٍ منْ آمَلِ   فَحطْ جماعتَهُمْ في دارِ إضْلالِ
ضاعتْ أمُورُهُمُ هُدَّتْ ثُغُورُهُمُ   فانْظُرْ لهمْ في هذه الحال (٣٦٨)
قدَّرْتَ أمْرَكَ سهْلاً تَسْتقلُّ بهِ   قلادةَ اللّهِ فاعْلمْ (٣٦٩) ذاتَ أثْقالِ
لا يَسْتَقِلُّ بها إلا أخو ثقةٍ   لا يتْرُكُ المجْدَ في حلٍّ وترْحالِ
فانْظُرْ لنفسكَ والإسلامِ في مهلٍ   وعاملِ اللّهَ مكيالاً بمكيالِ
والأمْرُ جدٌّ فَشَمِّرْ واسْتَعدَّ لهُ   لا تَغْتَررْ (٣٧٠) بخرافاتٍ وآمالِ
بذلْتُ جهدي بما ألْقاهُ في جسدي   وفي مَغادي وفي ديني وأطْفالي
لم يبْقَ عنِّي شيءٌ قد أتَيْتُ بهِ   نصيحةُ الودِّ والإخْلاصِ أولى لي

وكتبت له عقب رقعة تتضمن وسائل في سبيل رغبة اليه في الانصراف الى بيت الله :

(طويل)

جعلْتُ إليْكَ [اللّه] (٣٧١) والملأ الأعلى … وسائلَ لا تَلْقى شفاعتُها كلاّ
ومنْ يقْتضي الخلقُ الحقوقَ بجاهه … أتَيْتُ به حتَّى النبيئينَ والرُّسْلا
ولمْ أُبْقِ أُمّاً للشفاعةِ أوْ أباً … ولا ابْناً ولا جداً لهُ خبرٌ يُتْلى
وبالقُطْبِ والغوْثِ الذي بوُجوده … وُجودُ نظامِ الكَوْنِ إنْ عُدمَ اخْتلا
فلا تُخْزِ في ردِ كرامٍ وجوهِهم … ومهِّدْ لهمْ منْ برِّكَ الرحْبَ والسَّهْلا
حشاكَ بأنْ تبْدُو لهمْ مِنْكَ وحْشةٌ … ومنْ دونِهمْ عرْفتُهُ البرُّ والفضْلا

وكتبت أداعب صاحب القلم الأعلى، جملة الفضل والتخلق، أبا عبد الله بن زمرك [84]، ولها حكاية :

(كامل)

يا طالباً منْ جارِه سكْباجا (٣٧٢) [85] … هذا يخبِّرُ أنَّ جوعَكَ فاجا
ويدلُّ أنَّكَ قدْ نبَذْتَ تداوياً … ويدلُّ أنَّكَ قدْ تركْتَ علاجاً 184 /
وكلفْتَ بالمُلوك (٣٧٣) تؤثِرُ أكْلهُ … أبداً ، وترْفُضُ صحَّةً ومزاجا
خفَّ منْ غداءِ غيْرِ مُعْتدلِ القوى … واحْذَرْ طعاماً يفسدُ الأمْشاجا
هيْهاتَ تَعْتَبِرُ الهجاءَ طبيعةٌ … في خيسِها أسدُ الخَساسة (٣٧٤) هاجا
والمرْءُ منْ فَمِه يصابُ وفرْجِه … فيعودُ موردُهُ الشَّروبُ أجاجا
فكأنَّني بكَ قدْ نَبَذْتَ مُهَرْقِما [86] … وقصدْتُ في أعْقابِه سفَّاجا
وصحبْتُ جزَّراً للحم (٣٧٥) طيّبٍ … وخدَمْتَ غيرَ مُقَصِّرٍ دَجَّاجا
وفتَحْتَ بابَ الزَّردِ تدْخُلُهُ اللُّها … في دينِ كلِّ نهامةٍ أفْواجا
وبلغْتَ الكَبُّونِ فضْلَ عصيدةٍ … وشربْتَ منْ ماءِ العصيرِ مجاجَا
وغدَوْتَ كالحُبْلى جنينُكَ خرْيةٌ … تأْتي بها عندَ الصَّباحِ خِداجا

وخاطبت رئيس الكتاب بين يدي السلطان يوم عرضه جند الرجل بقولي، وترجمته بها من العلوي :

(متقارب)

سألْتُ عنِ الجُنْدِ جُنْدِ الرجالِ … عميدَ الكتابةِ ما أفْطَنهْ
فقال : وقد صفَّفوا يومَ عرْضٍ … بيادِقُ في سُفْرةِ السلْطَنهْ

وافتتحت كتابا لأبي جعفر بن خاتمة بقولي (٢٧٦) :

(مج الخفيف)

قسماً بالكواكب الزُّهر ... والزهرُ عاتمهْ
إنَّما الفضلُ ملَّةٌ ... خُتِمَتْ بابنِ خاتِمهْ

وقلت في التورية : /

(طويل)

185/ شريفٌ ثقيلٌ للوصيِّ [87] انْتسابُهُ ... عليٌّ أتى المثْوى فناءَ بِكَلْكَلِ
كأنَّ ابنَ حجْرٍ قد عَناهُ بقوْلِهِ ... كجلْمودِ صخْرٍ حطَّهُ السيلُ منْ علِ [88]

وقلت في غرض معروف مني (٢٧٧) :

(كامل)

قالوا لخدْمَتِه دعاكَ محمَّدٌ ... فكَرِهْتُها وزَهدْتَ في التنويه
فاجبْتُهُمْ أنا والْمُهيْمِنُ كارِهٌ ... في خدْمةِ المْوْلى محبٌّ فيه

وقلت في بعض الأسفار (٢٧٨) :

(مج الرجز)

قالَ جوادي عندما ... همزْتُ همْزاً أعْجزَهْ
إلى متى تهْمِزُني ... ويْلٌ لكلِّ هُمَزَهْ [89]

وردت علي هدية من عنب من باب السلطان لأول فصله، وكان معي الشيخ القاضي أبو البركات، فقال :

(مج الكامل)

للّهِ مِنْ عِنَبٍ تَلُو ... حُ طلاوةُ الدنيا عليْهِ

فقلت :

قدْ كانَ يُسْكِرُ شُرْبُهُ ... فسكِرْتُ منْ نظري إلَيْهِ

فقال :

وهديَّةُ المْوْلى تُحَطُّ ... لفضْلها رأسي لديْهِ

فقلت :

والشُّكْـرُ يقْصُـرُ بـــي علَـــى　　　مَنْ كُلّ فَضْــلٍ فــي يــديْــــهِ

وقلت من المعاني التي جاريت بعض الأصحاب فيها على عادة الكتاب والأدباء :

(منسرح)

أنْكَـرْتُ لما أطــلَّ عـــارضـــهُ　　　فقالَ لـي حـينَ رابـــهُ نظــــري
ألمْ تـقـلْ لـــي بأنَّنـــي قمـــرٌ　　　فانْظــرْ إلى وبْـرِ أرْنَبِ القمــرِ [90]

وفي الغرض المذكور (٣٧٩) : 186 /

(بسيط)

جاءَ العذارُ بظلٍّ غيــرِ مَمْـــدودِ　　　فمُنْتهَـى الحُسْـنِ منْـهُ غَيْرُ مَحدودِ
ناديْتُ قَلْبـي إذْ لاحــتْ طلائِعُـــهُ　　　يا صبْـرَ أيُّـوبَ هَـذا درْعُ داوود [91]

وفي نقيضه (٣٨٠) :

(بسيط)

ما غضَّ (٣٨١) منِّي أنْ أخلَفتَ موعـودي (٣٨٢)　　　ورَوْضُ خـدِّكَ منْهُ ذاويَ العـــودِ
وقالَ قوس (٣٨٣) عِذارٍ فوقَ صفْحَتِــهِ　　　سفينـة الحسْنِ قدْ حطَّتْ على الجُـودي (٣٨٤)

وقلت في الغرض الأول :

(طويل)

مررْتُ بوادي النملِ مِنْ فـوقِ خـــدِّهِ　　　وقدْ خافَ سلْطانَ الهـوى وتكلَّمـــا
وكانَ سلَيْمـانَ الجَمـــالِ بثَغْــرِهِ　　　يصيـغُ لِما جاءَتْ بهِ فتبَسَّمـــا [92]

وخاطبت سلطان المغرب عن الأمير أبي (٣٨٥) الحجاج [93] في شأن جارية اسمها زيتونة :

(سريع)

يا درَّةً للمجْـد مكنـــونَـــةْ　　　حاجـةُ مثْلــي منْــكَ مضْمونَـــةْ
ومنْ يَجُـدْ بالخَبْــزِ مِنْ حقِّـــهِ　　　أنْ يُودِمَ الخُبْــزَ بزيْتُـــونَـــةْ

وقلت اخاطب السلطان وقد كتب الي بخطه يسأل عن حالي عقب دواء :

(مجتث)

خليفة الله في أرضه، ونعم الخليفة
ومن كفاه افتخاراً   نزاع يوم السقيفة [94]
شوقي اليك قوي   لكن قواي ضعيفة
فجمل اليوم عذري   تلك السجايا الشريفة
/187 لازلت للدين عزاً   مؤمناً كل خيفة

وخاطبته بديها وقد رحم الله بالمطر (٢٨٦) :

(مج الكامل)

مولاي يهنيك المطر   وافى (٢٨٧) به الوطن الوطر
رحم العباد بخاطر   في جو (٢٨٨) نفسك قد خطر
متدارك الدفعات يحـ   ـسب من بنانك قد قطر
أقسمت لو طلبت سعو   دك صلد صخر لانفطر
عدم العيات بستر عد   لك في البرية والبطر
أمن الوجود بجودك البؤ   سى وكان على خطر
وروت حديث علاك حتـ   ـى الترك كلاً والتتر
والله ما يحكيك ما   كتب البيان وما سطر.

وقلت بديها ببعض الطريق بحال عبرة (٢٨٩) :

(منسرح)

وانظر خضاب الشباب قد نصلا   وزائر الإنس بعده انفصلا
ومطلبي والذي كلفت به   أملت (٢٩٠) تحصيله فما حصلا
لا أمل مسعف ولا عمل   ونحن في ذا والموت قد وصلا

وقلت وقد بعثت بها الى مدينة «سلا» حيث أهلي وولدي الى هذا العهد :

(رمل)

خدع الشوق فؤادي فانخدع   أفلا أقصر شيئاً وارتدع
ثم لما حل في فخ الهوى   طيره بعد حذار ووقع
/188 قيض الله لنا يوم النوى   شعل النار به حتى انصدع
يا عريب الشعب من وادي النقا   أخضل الغيث رباكم ونقع

أخلقَ الصبْرُ فما في ثوبه   أبداً واللهُ لي من منتقع
قلتُ فارقتُ شبابي وحدهُ   فإذا الدنياوما فيها تَبَع (٣٩١)
هلْ لهذا البيْنِ منْ مُجتَمَعٍ   أوْ لهذا المرتجى منْ مُرتَجَع
طَمعتْ نفسي بزورٍ غرّها   فهيَ تَجْني بعْدهُ عُقْبى الطمع
والذي أظمأ لوْ شاءَ سقى   والذي فرّقَ لوْ شاءَ جَمَع
يا نسيم الريحِ إنْ جئتَ الحمى   بعدما طبّقَ غيمٌ وارتفع
وتلوَّمْتَ بأكنافِ سلا   ترفعُ الدوحَ قليلاً وتضع
قلْ لوادي القبْطِ (٣٩٢) [95] هلْ من عودة   يصلُ الأنسُ لديها ما قَطَع
أوْ على مرجِ حمامٍ خَطْرَةٌ   ما سَرَتْ في خاطري إلا انجمع
أوْ بأسْميرَ لنا منْ سمَرٍ   أوْ على ناظورها منْ مُجْتَمَع [96]
وسقى شلّةَ عهْدٌ مُغْدِقٌ   إنْ همى في الربْعِ منْها وهَمَع
ورباطَ الفتْحِ [97] يا حيَّ الحيا   ما بنى المنصورُ فيهِ واخترع [98]
ورياضَ الشيْخِ [99] كمْ مرأى لنا   فيه يزرى بالنُّهى أوْ مستَمَع
دبّجَ الغيثُ به خُضْرَ الرُّبى   كيفما شاءَ ووشّى ووشَع
فإذا جاءتْ تحيّاتُ الصّبا   سجدَ الرَّوْحُ خشوعاً وركع
سنَمتْ أغصانُهُ ديْنَ الصّبا   فهيَ تقضي دُفَعاً بعدَ دُفَع   / 189
تنشُرُ الزهرَ علينا ورقاً   نَقَشَ الكونُ عليها وطَبَع
سكّةُ اللهِ فسبْحان الذي   قدّرَ الصرفَ وأعطى ومنع
وأطاعتْ بأبي العاصي [100] المُنى   فلكمْ باب الى الأنسِ شَرَع
وعلى المُلْحَدِ منْ شرقيّهِ   رحمةُ اللهِ فكمْ فضلٍ جمَع [101]
فيهِ أوْدعْتُ فؤادي في الثرى   ولبستُ الحُزْنَ ثوباً لوْ نَفَع
إنْ سلا قلبي منْ بعدُ "سلا"   فإلى الغدْرِ، بلا شكّ، نزَع
ثَمَرُ القلْبِ بها خَلّفْتُهُ   هلْ لقلبي بعدها منْ منتجَع
أمْتعَ الدهرُ بها لمّا سها   ثمّ لما استشعرَ السهْوَ رفَع (٣٩٣)
وإذاجئتَ رُبُوعاً بعدها   فعلَ اللهُ بقلبي وصنَع
أبلِغنْ صحْبي بها مَمْحوضةً   ناظرَ المسكُ شذاها فانقطع
بوليّ اللهِ فابدأ واقتصدْ   واحد الآحاد [102] في بابِ الورَع
وعلى عبدِ العزيزِ [103] اعطِفْ تجِدْ   ناسكاً للهِ والناسِ اتّضع
وإلى الزاويةِ العلْيا [104] التفتْ   فهيَ مَثْوى مَنْ عنِ الغيِّ نزَع
أبلغِ الأحبابَ عنّي أنّني   فجأ البيْنُ فؤادي وفجَع
حيٌّ بالرضوانِ عنّي ابنَ رضى [105]   فرعَ مَجْدٍ قُنّةَ المجدِ فرَع

سنَّةُ الفضلِ به قامتْ وقَدْ		أُحْدِثتْ منْ فضْلِه فيها بِدعْ
/190 حسَبُ زاكٍ ونَفْسٌ حرَّةٌ		وطِباعٌ لَمْ يدنِّسْها الطَبَعْ
وابْنُ حمْدَينِ بِحَمْدي فابْتَدِرْ		أيَّ ندبٍ رايةَ السَّروِ (٣٩٥) رفَعْ
بيتُ علْمٍ وقضاءٍ وعُلاً		وَتَرَ المعْروفُ فيهِ وشَفَعْ
وابْنَ داوودَ [106] بودي فابْتَدِرْ		فهْوَ في الخلَّةِ صبْحٌ قدْ سطَعْ
آلِفٌ، مذْ كانَ مألُوفٌ وإنَّ		فَصْلَ الخطَّةَ أَجْلى (٣٦٩) وصدَعْ
حكَميٌّ البيْتِ في مَكْمَنِه		نامَ نو الحكْمةِ منَّا واضطجعْ
وَابْنِ غيَّاثٍ [107] غياثٌ وشِفاً		جُمْلةَ الخلْقِ بِه اللَّهُ نفَعْ
ولعثْمانَ أَرْوِ عنِّي وابْنِه		حُسْنَ عهْدي دُرَّةَ الرَّعْيِ رضَعْ
وَاذْكرِ الصبَّاغَ عبدَ اللَّه إنْ		رجَعَ الشَّدْوَ وبالذِّكْرِ سَجَعْ
ولْتَصِقْ شقْرونَ بالسَّعْدِ وإنْ		قيلَ : أيُّ السَّعْدِ ؟ قلْ : سعْدُ بلَعْ [108]
يا لهُمْ منْ سادةٍ جرَّعَني		بينُهمْ منْ مَضْمَضٍ (٣٩٧) البيْنِ جُرَعْ
زرعُوا فيَّ جميلاً فَجَنَحُوا		يحْصُدُ الإنسانَ إلاَّ (٣٩٨) ما زرَعْ [109]
سلَّمَ اللهُ على أهْلِ سلا		ما صباحٌ لاحَ أوْ برْقٌ لَمَعْ

وكتبت أراجع الفقيه الأديب المتفنن أبا جعفر بن خاتمة (٣٩٩) [110]:

(سريع)

لُمْ في الهوى العذْري أوْ لا تلُمْ		فالعذْلُ لا يدْخلُ أسْماعي
شأنُكَ تعْنيتي وشأني الهوى		كلُّ امْرِيءٍ في شأنِه ساعي

أهلا بتحفة القادم، وريحانة المنادم، وذكرى الهوى المتقادم، لا يصغر الله
/191 مسراك، فما أسراك، / لقد جبت لي (٤٠٠) من همومي ليلا وجست رجلا وخيلا،
ووفيت في صاع الوفاء كيلا، وظننت بي الأسف على مافات، فأعملت الالتفات
لكيلا [111]، فأقسم لو أن أمري اليوم بيدي، أو كانت اللمة السوداء من عددي،
«ما أفلت أشراكي المنصوبة لأمثالك» [112]، حول المياه وبين المسالك، ولعلمت (٤٠١)
ما هنالك، ولكنك تركت حمى كسحته (٤٠٢) الغارة الشعواء، وغيرت ربعه الأنواء،
فخمد بعد ارتجاجه، وسكن تأذين (٤٠٣) دجاجه، وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه،
وطال عهده بالزمن الأول، «وهل عند رسم دارس من معول» [113] وحيا الله ندبا
الى زيارتي ندبك، وبآدابه الحكمية أدبك،

(وافر)

فكانَ وقدْ أفادَ بكَ الأماني		كمَنْ أهدى الشفاءَ إلى العليلِ

وهي شيمة بوركت من شيمة، وهبة الله قبله من لدن المشيمة، ومن مثله في صفة رعي (٤٠٤)، (وفضل سعي، وقول ووعي) (٤٠٥).

(مج الخفيف)

قسمـــاً بالكواكـــبِ الزُّهْـــرِ والـــزُّهـــرُ عــاتِمـــهْ
إنّمــا الفــضْــلُ ملَّـــةٌ خُتِمــتْ بــابْنِ خــاتِمــهْ

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل، وحملني باهض شكره (وكتدي واه عن التحمل) (٤٠٦)، ونظرني «بالعين الكليلة عن العتب(٤٠٧) [114]» فهلا أجاد التأمل، واستطلع طلع بثي (٤٠٨)، ووالى في مبرك الهجرة(٤٠٩) حثي، «وإنما أشكو بثي [115]» ، «ولو ترك القطا ليلا لناما [116]».

وما حال شمل وتده مفروق، وقاعدته فروق، وصواع بني أبيه مسروق، وقلب قرحه من عضة الدهر دام، وجمرة حسرته ذات احتدام، هذا، وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيب لم يدع أن هجم، كما (٤١٠) نجم، ثم تهلل عارضه وانسجم.

(كامل)

192 لاَ تجْمعــي هجْــراً عــليَّ وغرْبَــةً فالهجْــرُ في تلَفِ الغريبِ ســريــعُ

نظرت فإذا الجنب ناب، والنفس فريسة ظفر وناب، والمال أكيلة انتهاب، والعمر رهن ذهاب، واليد صفر من كل اكتساب، وسوق المعاد مترائية (٤١١) والله سريع الحساب.

(وافر)

ولوْ نُعْطَى الخيارَ لمـــا افْترَقْنـــا ولكِنْ لا خيـــارَ مـــع الزمـــانِ

وهب أن العمر جديد، وظل الأمن مديد، ورأي الاغتباط بالوطن سديد، فما الحجة لنفسي اذا مرت بمطارح جفوتها، وملاعب هفوتها، ومثاقب قناتها، ومظاهر عزاها ومناتها، والزمان ولود، وزناد الكون غير صلود.

(كامل)

وإذا امْرُؤٌ لذَغَتْـــهُ أفْعـــى مـــرّةً تركَتْهُ حينَ يجـرُّ حـــبلٌ يفْرَقُ [117]

ثم أن المرغب قد ذهب، والدهر قد استرجع ما وهب، والعارض قد اشتهب، وآراء الاكتساب مرجوحة مرفوضة وأسماؤه على الجوار مخفوضة، والنية مع الله

على الزهد (٤١٢) فيما بأيدي خلقه معقودة، والتوبة بفضل الله - عز وجل - شروطها (٤١٣) منقودة، غير معترضة ولا منقودة، والمعاملة سامرية ودروع الصبر سابرية، والاقتصاد قد قرت العين بصحبته، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته، فإذا راجعها مثلي من بعد الفراق، وقد رقى لدغتها ألف راق، وجمعتني بها الحجرة، ما الذي يكون (٤١٤) الأجرة، جل شأني، وإن رضي الوامق وسخط الشاني، إني الى الله، مهاجر، وللعرض الأدنى هاجر، ولأظعان السرى زاجر، لنجد وحاجر، (٤١٥) [118] لكني دعاني الى الهوى، الى المولى المنعم هوى، خلعت نعلي وما خلعته، وشوق أمرني (٤١٦) فأطعته، وغالب والله صبري فما استطعته، والحال أغلب، وعسى أن لا يخيب المطلب، فإن يسره رضاه، فأمل (٤١٧) كمل، وراحل احتمل، وحاد أشجى الناقة والجمل، وإن كان خلاف ذلك فالزمان جم العوائق (٤١٨) والتسليم بمقامي لائق.

(بسيط)

ما بينَ غَمْضَـةِ عيْـنٍ وانتِباهَتِها (٤١٩) يُقَلِّبُ (٤٢٠) الأمْـرُ منْ حـالٍ إلى حـــالِ

/193 وأما تفضيل (٤٢١) هذا الوطن على غيره، ليمن طيره، وعموم خيره، وبركة جهاده، وعمران رباه ووهاده، بأشلا زهاده، حتى لا يفضله إلا أحد الحرمين، فحق بريء من المين، لكني للحرمين جنحت، وفي جو الشوق إليهما سرحت (٤٢٢)، فقد أفضت الى طريق قصدي محجته، ونصرتني والملة لله حجته، وقصد سيدي أسنى قصد توخاه الحمد والشكر، ومعروف عرف به النكر، والآمال من فضل الله من بعد تمتار، «والله يخلق ما يشاء ويختار» [119]، ودعاؤه بظهر الغيب مدد، وعدة وعدد، وبره حالي الظعن والإقامة معتمل معتمد، ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد، (٤٢٣)، والسلام الكريم يخصه من محبه المثني على كماله، فلان (٤٢٤).

والكتاب الوارد من أبي جعفر بن خاتمة، نصه بعد صدرة (٤٢٥) :

وإلى هذا يا سيدي، ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العز درجات ارتقائكم، فإنه من الأمر الذي لم يغب عن رأي العقول، ولا اختلفت (٤٢٦) فيه أرباب المحسوس والمعقول، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطراز ملكها، وقلادة نحرها، وفريدة (٤٢٧) درها، وعقد جيدها المنصوص، وكمال زينتها على العموم والخصوص، ثم أنتم مدار أفلاكها، وسر سياسة أملاكها، وترجمان بيانها، ولسان إحسانها، [وطب مارستانها، والذي عليه عقد إدارتها] (٤٢٨)، وبه قوام إمارتها، فلديه يحل (٤٢٩) المشكل، وإليه يلجأ في الأمر المعضل، فلا غرو [و] أن تتقيد بكم الأسماع

والأبصار، وتحدق نحوكم الأذهان، والأفكار، ويزجر عنكم السانح والبارح، ويستنبأ ما تطرق عنه العين، وتختلج عنه الجوارح، استقراء لمرامكم، واستطلاعا لصالح اعتزامكم (٤٣٠)، واستكشافا عن مرامي سهامكم، لا سيما إقامتكم على جناح
/194/ خفوق، وظهوركم في ملتمع بروق، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق / حتى تستقر بكم الدار، ويلقي عصاه التيسار (٤٣١)، ولها العذر في ذلك اذ صدعها بفراقكم لم يندمل، وسرورها بلقائكم لم يكتمل، فلم يبرأ بعد جناحها المهيض، ولا جم ماؤها المغيض، ولا تميزت من دأديها (٤٣٢) لياليها البيض، ولا استوى نهارها، ولا تألقت أنوارها (٤٣٣)، ولا اشتملت نعماؤها، و[لا] نسيت غماؤها، بل هي كالناقه، والحديث العهد (٤٣٤) بالمكاره، تستشعر نفس العافية، وتتمسح (٤٣٥) منكم باليد الشافية، فبحنانكم (٤٣٦) عليها، وعظيم حرمتكم على من لديها، لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج، وتفطموها عما عودت من طيب المزاج، فما لدائها وحياة قربكم غير طبكم من علاج. وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم، وعناية بما يعنيكم، ما نال جانبكم في هذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر مالكم (٤٣٧) من حسن العهد، وكرم الوفاء، وان الوطن إحدى الحواضن (٤٣٨) الاظآر التي يحق لهن جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح، وبحق نفسكم على حق أوليائكم أجنح، وللتي هي أحسن (٤٣٩) قيمة من فضائلكم أوهب وأمنح (٤٤٠)، وهب أن الدر لا يحتاج في الاثبات، الى شهادة النحور واللبات (٤٤١)، والياقوت، غني في[442] المكان عن مظاهر (٤٤٣) القلائد والتيجان، أليس أنه أعلى للعيان، وأبعد عن مكابرة البرهان، تألقها في تاج الملك أنو شروان، فالشمس وإن كانت أم الأنوار، وجلاء الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؟ وكما في علمكم ما فارق ذوو الأحلام [وأولو] (٤٤٤) الأرحام مواطن استقرارهم، وأماكن قرارهم، إلا برغمهم واضطرارهم، واستبدال (٤٤٥) خير من دارهم، ومتى توازن الأندلس بالمغرب، أو يتعوض منها (٤٤٦) إلا بمكة أو يثرب، ما تحت أديمه (٤٤٧) أشلاء أولياء وعباد، وما فوقه مرابط جهاد، ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد، ثم يبوىء ولده مبوأ أجداده، ويجمع لهم (٤٤٧)
/195/ من طارفه، وتلاده، أعيذ أنظاركم المسددة، / من رأي فائل، وسعي طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، والعود الحميد، (٤٤٨)، رأيكم في أهل المرية ومعاندهم، وستركم على غائبهم وشاهدهم.

وخاطبت الفقيه الحكيم [أبا] القاسم بن داود [بن] الفخار من أهل «سلا» [120]، بقولي (٤٤٩) :

(رجز)

يا منْ يعيدُ للطِّيـــنِ كـلَّ صـــورَهْ عنْ مثل في علْمـــــه محْصـــورهْ

والفلَكُ الـــدوَّارُ مـــــنْ دوَّاره والنارُ تَمْضــي حكْمَـــه ضـــرُورَهْ

فهـذه تحْمـــلُ طَـــاهـــــراً وهـذه تُلْقـــى بهـــا قـــانُورَهْ

أوْصــافُ حَقٌّ في مثـــالِ باطـــلٍ وآيـــة منهيَّـــــة مَامُـــــورهْ

سيدي جعلك الله ممن تكيف بالحق وتجوهر، وعلم المشرق والمظهر، إذا غلب الفرق واشتقت الى لقائك، وارتحت الى البرق من تلقائك، وإذا غلب الجمع وهو ثمرة المجاهدة، تمتعت بك عين المشاهدة، وإن تشوفت الى الحال (٤٥٠.) واستشرفت فلم تنتقل عما عرفت خرقة القوم اللباس، ومن مشكاة الحق الاقتباس، وقد ذهب الباس، ولي أمل في العودة الى ذلك الجوار، الحفي بالزوار، والجناب المظلل بالأعتاب (٤٥١)، والبيت المعمور، بالكليات من الأمور، والله يبلغ المآرب، وييسر المسارب، ويعذب المشارب، وقد نظمت كلمة تضمنت ذكر المعاهد التي نشأت بها العلاقة، وتعذرت من سكر شكرها الإفاقة، لتنظرها «بعين الرضى الكليلة عن العيوب»، وتأذن في انتساخها لمن ذهب الى ذلك من أرباب القلوب، لعل ذكركم بالجميل ينفع، وفي كثير من سيئاتي يشفع، والله عز وجل يتولى تأنيسكم (٤٥٢) أيها الحكيم، الذي له النفس الزكية والقلب السليم، ويبلغك كمالك الأخير، «فهو على كل شيء قدير» [121]، [والسلام عليكم ورحمة الله] (٤٥٣).

/19 وخاطبت الشيخ الخطيب الرئيس أبا عبد الله بن مرزوق / [122] وقد بلغ الخبر بسراحه من الاعتقال، وخلاصه من النكبة، بما نصه (٤٥٤) :

سيدي الذي يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافأة، ولم تختلف في مدحها الأفعال ولا تغايرت في حمدها الصفات، ولا تزال تعترف بها العظام الرفات، أطلقك الله من أسر [كل] الكون كما أطلقك من أسر بعضه، وزهدك في سمائه الفانية وفي أرضه، وحقر الحظ في عين بصيرتك، بما يحملك على رفضه، اتصل بي الخبر السار من تركك لشأنك، وإجناء الله إياك ثمرة احسانك، وانجياب لظلام الشدة الحالك، عن أفق حالك (٤٥٥) ، وكبرت ارتياحا لانتشاق رضى (٤٥٦) الله الطيب العاطر (٤٥٧) الأرج، واستعبرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج (٤٥٨)، لا بسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدر، إنما هوفيء (٤٥٩) ليس له من الأمر شيء ونسأله جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبينها، وأول معارج نفسك التي تقربها من الحق وتدنيها، وكأنني والله أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها - ولا حول ولا قوة إلا بالله - لطبعك، وأنا أنافرك الى العقل

الذي هو قسطاس الله في عالم الإنسان، والالة لبث العدل والإحسان، والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان، فأقول : «ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا، وإن بلغ من زبرجها الرتبة العيا، واقرض (٤٦٠) المثال بحالة (٤٦١) إقبالها، ووصل حبالها، وخشوع جبالها، وضراعة سبالها (٤٦٢)، ألتوقع المكروه صباحا ومساء، وارتقاب الحوالة التي [تديل من النعيم (٤٦٣) الباساء، ولزوم المنافسة التي] (٤٦٤) تعادي الأشراف والرؤساء، ألترتب العتب (٤٦٥)، حتى على التقصير بالكتب (٤٦٦) وضغينة (٤٦٧) جار، وولوع الصديق بإحصاء الذنب، ألنسبة وقائع الدولة إليك وأنت بري (٤٦٨)، وتطويقك الموبقات وأنت منها عري، ألاستهدافك للمضار التي تنتجها غيرة الفروج، والأحقاد التي تضطبنها ركبة السروج، وسرحة المروج، ونجوم السماء ذات البروج / ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت اليه فاقتك، من حاجة لا يقتضي قضاءها (٤٦٩) الوجود، ولا يكفيها الركوع (٤٧٠) والسجود، ألقطع الزمان بين سلطان يعبد، وأفكار سهام للغيوب تكبد، وعجاجة شر تلبد، وأقبوحة تخلد، وتؤبد، ألوزيرٍ يُصانَعُ ويُدارَى، وذي حجة صحيحة يجادل في مرضاة الله (٤٧١) ويمارَى، [وعورة لا توارَى] (٤٧٢)، ألمباكرة كل غائب (٤٧٣) حاسد، وعدو مستأسد، وسوق للإنصاف والشفقة كاسد، وحال فاسد، ألوفود (٤٧٤) تتزاحم بسدتك، متكلفة (٤٧٥) لك غير ما في طوقك، فإن لم يقع الإسعاف (٤٧٦) قلبت عليك السماء من فوقك، ألجلساء ببابك لا يقطعون زمان رجوعك وإيابك، إلا بقبيح اغتيابك، فالتصرفات تمقت، والقواطع النجومية توقت، والألاقي (٤٧٧) تبث، والسعايات تحث، والمساجد يشتكى فيها البث يعتقدون أن السلطان في يدك بمنزلة الحمار المدبور، واليتيم المحجور، والأسير المأمور، ليس له شهوة ولا غضب، ولا أمل في الملك ولا أرب، ولا موجدة لأحد كامنة، وللشر ضامنة، وليس في نفسه عن رأي نفرة، ولا بإزاء مالا يقبله نزوة وطفرة (٤٧٨)، إنما هو جارحة (٤٧٩) لصيدك، وعان [123] في قيدك، وآلة لتصرف كيدك، وأنك علة حيفه، ومسلط سيفه، الشرار يسلمون (٤٨٠) عيون الناس باسمك، ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك، قد تنخلهم أخبث ما فيه، واختارهم السفيهُ فالسفيه، اذ الخير يستره الله عن الدول ويخفيه، ويقنعه القليل ويكفيه (٤٨١)، فهم يمتاحون بك ويولونك الملامة، ويفتحون عليك أبواب القول، ويسدون طرق السلامة، وليس لك في أثناء هذه إلا مالا يعوزك مع ارتفاعه، ولا يفوتك مع انقشاعه، وذهاب صداعه، من غذاء يشبع، وثوب يقنع، وفراش ينيم، وخديم يقعد ويقيم، وما الفائدة في فراش / تحته (٤٨٢) جمر الغضا، ومال من ورائه سوء القضاء، وجاه يحلق عليه سيف منتضى، وإذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك واللجاج حول المسقط الذي تعلم أنها فيه تهلك، فكيف تنسب الى نبل، أو

/197 /

198 /

تسير من السعادة في سبل، وإن وجدت في القعود بمجلس التحية، بعض الأريحية، فليت شعري أي شيء زادها، أو معنى أفادها، إلا مباكرة وجه الحاسد، وذي القلب الفاسد، ومواجهة العدو المستأسد، أو (٤٨٣) شعرت ببعض الإيناس، في الركوب بين الناس، هل التذت (٤٨٤) إلا بحلم كاذب، أو جذبها غير الغور مجاذب (٤٨٥) انما راكبك من يحدق الى الحلية والبزة، ويستطيل مدة العزة، ويرتاب اذا حدثت بخبرك، ويتبع بالنقد والتجسس مواقع نظرك، ويمنعك من مسايرة أنيسك ، ويحتال على فرغ كيسك، ويضمر الشر لك ولرئيسك، وأي راحة لمن لا يباشر قصده، ويسير متى شاء وحده (٤٨٦)، ولو صح في هذه الحال حظ وهبه زهيدا، أو عين الرشد عملا حميدا، لساغ الصاب، وخفت الأوصاب، وسهل المصاب، لكن الوقت أشغل، والفكر أوغل، والزمن قد غمرته (٤٨٧) الحصص الوهمية، واستنفذت منه الكمية، أما ليله ففكر أو (٤٨٨) نوم، وعتب بجراء الضرائر ولوم، وأما يومه فتدبير وقبيل ودبير، وأمور يعيا بها ثبير، ولغط لا يدخل فيه حكيم كبير، وبلاء مبير (٤٨٩)، وأنا بمثل ذلك خبير، والله يا سيدي ومن فلق الحب، وأخرج الأب، وذرأ (٤٩٠) من مشى وما (٤٩١) دب، وهدى وأكب، وسمى نفسه الرب، لو تعلق المال الذي يجره هذا الكدح، ويوري سقيطه هذا القدح، بأذيال الكواكب، وزاحمت البدر بدره بالمناكب (٤٩٢)، ولا ورثه عاقب، ولا خلص به محتقب، ولا فاز به سافر ولا منتقب، والشاهد الدول، والمشاهم (٤٩٣) الأول، فأين الرباع المقتناة، وأين الديار المبتناة، وأين الحوائط [124] المفترسات، وأين الذخائر المختلسات، وأين/الودائع المؤملة، وأين الأمانة (٤٩٤) المحملة ، تأذن الله بتثبيرها، وأدنى نارالتبار من دنانيرها، فقلما تلقى أعقابهم الا عرى (٤٩٥) الظهور، مترمقين بجرايات (٤٩٦) الشهور، متعللين بالهباء المنثور، يطردون من الأبواب التي حجب عنها اباؤهم، وعرف منها إباؤهم، وشم من مقاصيرهم عنبرهم وكباؤهم[125]، لم تسامحهم الأيام (٤٩٧) في إرث محرر، أو حال مقرر، وربما محقه الحرام، وتعذر منه المرام، هذه - أعزك الله - حال قبولها المرغوب فيه، ومآلها مع الترفيه (٤٩٨)، وعلى فرض أن يستوفي العمر في العز مستوفيه، وأما ضده من عدو يتحكم وينقم، وحوت بغي يبتلع ويلتقم، وطبق (٤٩٩) يحجب الهوى، ويطيل في الترب الثواء، وثعبان قيد يعض الساق وشؤبوب عذاب يمزق الأبشار الرقاق، وغيلة يهديها الفاسق (٥٠٠)، ويجرعها العدو الفاسق، فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق، مع الأفول والشروق، فهل في شيء من هذا مغتبط لنفس حرة، أو ما يساوي جرعة ماء (٥٠١) مرة، واحسرتا للأحلام ضلت، وللأقدام زلت، ويالها مصيبة جلت، ولسيدي أن يقول : حكمت علي باستثقال الموعظة واستجفائها، ومراودة الدنيا بين خلانها وأكنافها، وتناسي عدم وفائها، /19

فأقول : الطبيب بالعلل أدرى، والشفيق بسوء الظن مغرى، وكيف لا (٥٠٢) وأنا أقف على السجلات (٥٠٣) بخط يد سيدي من مطارح الاعتقال، ومثاقب النوب الثقال، وخلوات الاستعداد للقاء الخطوب الشداد، ونوش (٥٠٤) الأسنة الحداد، وحيث يجمل بمثله ألا يصرف في غير الخضوع لله بنانا، ولا يثني لمخلوق عنانا، وأتعرف أنها قد ملأت الجو والدو، وقصدت الجماد والبو، تقتحم أكف أولي الشمات، وحفظة المذمات، وأعوان النوب الملمات، زيادة في الشقاء، وقصدا بريئا من الاختيار والانتقاء، مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء، [ومن النفاق على أشهر من البلقاء] (٥٠٥) ، فهذا يوصف بالامامة وهذا / ينسب في الجود الى كعب بن مامة /200/
[126]، (وهذا يجعل من أهل الكرامة (٥٠٦)) ، وهذا يكلف الدعاء وليس من أهله، وهذا يطلب منه لقاء (٥٠٧) الصالحين وليسوا من شكله. الى ما أحفظني والله من البحث عن السموم، وكتب النجوم، والمذموم من المعلوم، هلا كان من ينظر في ذلك قد قوطع (٥٠٨) بتاتا، وأعتقد أن الله قد جعل لزمن الخير والشر ميقاتا، وأنّا لا نملك موتا ولا نشورا ولا حياة، وأن اللوح قد حصر الأشياء محوا وإثباتا، فكيف نرجو لما منع منالا أو نستطيع مما قدر إفلاتا، وأفيدونا (٥٠٩) ما يرجع العقيدة المقررة، نتحول (٥١٠) اليه، وبينوا لنا الحق نعول عليه، الله الله يا سيدي في النفس المرشحة، والذات المحلاة بالفضائل الموشحة، والسلف الشهير الخير، والعمر المشرف على المرحلة (٥١١) بعد حث السير، ودع الدنيا لأهلها فما أوكس حظوظهم، وأخس محوظهم، وأقل متاعهم، واعجل إسرافهم، وأكثر عناءهم، وأقصر آناءهم.

(مج. الكامل)

مَا ثَمَّ إلاَّ مَا رأيتَ وربَّمَا تُعْيِي السلاَمَهْ

والنَاسُ إمَّا ظَالِمٌ أوْ جائرٌ يشْكُو ظلامَهْ

وإذا أردْتَ العِزَّ لا ترْزأ بني الدنيا قُلامَهْ

واللهُ مَا احْتَقَبَ الحَرِيصُ سوى الذنوب أوِ الملامهْ

هلْ ثَمَّ شكٌّ في المعَادِ الحقّ أو يوم القيامَهْ

قولوا لنا ما عنْدكُمْ بَاللّهِ يا أهْلَ الإمامَهْ (٥١٢)

وإن رميت بأحجاري وأوجرت المر من أشجاري، فوالله ما تلبست منها اليوم بشيء قديم ولا حديث، ولا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث وما أنا إلا عابر سبيل، وهاجر مرعى وبيل، ومرتقب وعدا بدر (٥١٣) فيه الإنجاز، وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز، قد فررت من الدنيا كما يفر من الأسد، وحاولت قطع المداخلة (٥١٤) حتى بين روحي والجسد، وغسل الله قلبي - من الطمع والحسد، فلم أبق علامة (٥١٥) الا قطعتها، ولا جنة للصبر الا ادرعتها، أما اللباس فالصوف، وأما الزهد

/ فيما بايدي / الخلق فمعروف وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف، ووالله لو علمت أن حالي هذه تتصل، وعراها لا تنفصل، وترتيبي هذا يدوم، ولا يحيرني (٥١٦) الوعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمت أسفا، وحسبي الله وكفى. ومع هذا يا سيدي فالموعظة تتلقى من لسان الوجود، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم، ولا المحمود، ولقد اعملت نظري فيما يكافيء عني بعض يدك، أو ينتهي في الفضل الى أمدك، فلم أر لك الدنيا كفاء لو كنت صاحب دنيا، ووجدت (٥١٧) بذل النفس قليلا [لك] (٥١٨) من غير شرط ولا ثنيا، فلما ألهمني - جل جلاله - الى مخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفاء، لمن لا يثبت عن الصفاء، ولا يشيم بارقة الوفاء، ولا يعرف قانورة الدنيا معرفة مثلي من المدنسين (٥١٩) بها المنهمكين، وينظر عوارها الفادح (٥٢٠) بعين اليقين، ويعلم أنها المومسة التي حسنها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور، تبين لي أنني قد كافيت صنيعتك المتقدمة، وخرجت عن عهدتك الملتزمة، وأمحضت [لك] (٥٢١) النصح الذي يعز بعز الله ذاتك، ويطيب حياتك، ويحيى مواتك، ويريح جوارحك من النصب، وقلبك من الوصب (٥٢٢)، ويحقر الدنيا وأهلها في عينيك اذا اعتبرت، ويلاشي عظائمها لديك اذا اختبرت، كل من تقع عليه عينيك حقير (٥٢٣) قليل، وفقير دليل، لا يفضك بشي، الا باقتناء رشد أو ترك غيٍّ، أثوابه النبيهة يجردها الغاسل، وعروة عزه يفصلها الفاصل، وماله (٥٢٤) الحاضر الحاصل، يعيث فيه الحسام الفاصل، والله ما تعين للخلف الا ما تعين للسلف، ولا مصير الجموع الا التلف (٥٢٥)، ولا صح من «الهياط والمياط» [127]، والصياح والعياط، وجمع القيراط الى القيراط [128]، والاستظهار بالوزعة والأشراط، والخبط والخباط، والاستكثار / / والاغتباط، والغلو والاشتطاط (٥٢٦)، وبناء الصرح وعمل الساباط [129]، ورفع العمد وإدارة الفسطاط، إلا ألم (٥٢٧) يذهب القوة، وينسي الآمال المرجوة، ثم نفس يصعد، وسكرات تتردد، وحسرات لفراق الدنيا تتجدد، ولسان يثقل، وعين تبصر الحق (٥٢٨) وتمقل، «قل هو نبأ عظيم، أنتم عنه معرضون [130]»، ثم القبر وما بعده، والله منجز وعيده [ووعده] (٥٢٩)، فالاضراب الاضراب، التراب التراب، وإن اعتذر سيدي بقلة الجلد، لكثرة الولد، فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق، وبيده من التسبب ما يتكفل بإمساك أرماق، أين النسخ الذي يتبلغ الإنسان بأجرته، في كن حجرته، لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرته، السؤال والله أقوم طريقا، وأكرم فريقا (٥٣٠)، من يد تمتد الى حرام، لا يقوم بمرام، ولا يؤمن من ضرام، أحرقت فيه الحلل، وقلبت الأديان والملل، وضربت الأبشار ونحرت العشار، ولم يصل منه على يد واسطة السوء المعشار، ثم طلب عند الشدة، ففضح، وبان شؤمه ووضح اللهم،

طهر منها أيدينا وقلوبنا، وبلغنا من الانصراف إليك مطلوبنا، وعرفنا بمن لا يعرف غيرك، ولا يسترفد الا خيرك، يا الله. وحقيق على الفضلاء إن جنح سيدي منها الى إشارة، أو أعمل في اجتلائها إضبارة (٥٣١) أو لبس منها شارة، أو تشوف لخدمة إمارة، ألا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس، ولا يغتروا بسمة ولا خلق ولا لباس، «فما عدا عما بدا». يتقضي العمر في سجن وقيد، وعمرو وزيد، وضر وكيد، وطراد صيد، وسعد وسعيد، ووعد ووعيد (٥٣٢)، فمتى تظهر الأفكار، ويقر القرار، وتلازم الأذكار، وتشام الأنوار، وتتجلى (٥٣٣) الأسرار، ثم يقع الشهود الذي تذهب معه الأخبار، ثم يحق الوصول الذي إليه من كل ما سواه الفرار، وعليه المدار، وحق الحق الذي ما سواه فباطل، والفيض الرحماني، الذي - سبحانه - هاطل (٥٣٤)، ما شابت مخاطبتي هذه شائبة تريب، ولقد / محضت لك ما يمحضه للحبيب الحبيب، /203/ فتحمل جفائي الذي حملت عليه الغيره (٥٣٥)، ولا تظن بي غيره، وإن لم يكن قدري مكاشفة سيادتك بهذا البث (٥٣٦)، في الأسلوب الغث (٥٣٧)، فالحق أقدم، وبناؤه لا يهدم، وشأني معروف في مواجهة الجبابرة، على حين يدي الى رفدهم ممدودة، ونفسي في النفوس المتهافتة عليهم معدودة، وشبابي فاحم، وعلى الشهوات مزاحم، فكيف بي اليوم مع الشيب، ونصح الحبيب، واستكشاف العيب، إنما أنا اليوم على كل من عرفني ثقيل (٥٣٨)، وسيف العدل في كفي صقيل، أعذل أرباب (٥٣٩) الهوى وليست (٥٤٠) النفوس في القبول سوا، ولا لكل مرض دوا، وقد شفيت صدري، وان جهلت قدري، فاحملني، حملك الله على الجادة الواضحة، وسحب عليك ستر الأبوة الصالحة. والسلام.

أزجال لابن الخطيب

وصدر عني لهذا العهد من المنظوم في فن الزجل، أزجال على طريقة الصوفي المحقق أبي الحسن الششتري [131]، رحمه الله ونفع به فمن ذلك قولي(٥٤١) :

مَنْ عوَّلَ على صقْلْ ولمْ يلْتفتْ عقْلْ واتّحدْقَ(٥٤٢) إذْ ينْتلفْ فصلْ يتحقّقْ

ومهْما يرَ النُّقْطا تريدْ(٥٤٤) أنْ تكونَ دارا
يتحرّرْ منَ الغلْطا إنّ الحالَ غَرّارا
ويمْشي على الغلْطا(٥٤٥) ويجْعلهُ سيّارا

عدْ يمْتنع (133) شكْلْ ويطْرد وفي ركْلْ تتمزّقْ يثْبتْ كثير رجلْ أوْ يزهقْ(٥٤٦)

ويطْلعْ معَ التّركيبْ على السلّوم (٥٤٧) العالي
ويرْجعْ على الترتيبْ إلى المرْكزِ (٥٤٨) التّالي
[ويرْقَىْ بالتدْريبْ يرُدْ الجديدْ بالي] (٥٤٩)

وحينَ يبْقَ معْ كلْ يحْصلُ الوجود كلُّ المطْلقْ وحينَ يفْنَ موقلْ(٥٥٠) حقُّ الحقْ

منْ رجعَ إلى ذاتْ يصيرْ لُ الفنا قُبّا
يدُ (٥٥١) يفْرحْ بلذّاتْ يُردّ الخيوط كبّا
وتغْلبْ (٥٥٢) أوْقاتْ ويد (٥٥٣) يفتّقْ [134] الجبّا

إيّكَ يغْلبْ جهْلْ ويهْتفْ لغيْرِ أهْلْ أوْ يلق (٥٥٥)حفظ السرّ أشْكلْ(135) أو أليق (٥٥٦)

الشوقْ طريقْ قاصدْ وللوجْدِ ينْفذْ فيه (٥٥٧)
وكلْ سوى (٥٥٨) زائدْ وللوجْه (٥٥٩) التوجيهْ
فمنْ ينْصرْ الواحدْ وكلُّ ما يطْلبْ فيه (٥٦٠.)

فقد أنجمع (٥٦١) شمْلْ وجنْحْ بعْدْ نمْلْ واتْعلّقَ ترك قول منْ قلْ(137) واشْلقْ

/204

قدتمُ الزَّجَلْ حقّا　　والوقتُ مليحٌ مجموعْ
شققْتُ الطُّلِّي شقّاً　　ولليومْ كنْ مرفُوعْ
عروضُ منْ شكا الفُرقا　　وغنَّى وهُو مفْجُوعْ (٥٦٢)

احْرَمْنِ الملحْ وصلْ　حينْ قطعْ وما وصَلْ　واتْخَلَّقْ مِنْ تيهُ　وَمِنْ مَطْلُ صرِتُ أحْمَق

وقلت أيضا : (٥٦٣)

بى طلوعْ وبيْ نُزول (٥٦٤)　　اخْتَلَطتْ [لك] (٥٦٥) الغُزولْ
وفنى منْ لَمْ يَكُنْ　　وبقى مَنْ لمْ يزُلْ
أنا لِيسْ نشكُرُ خليعْ [138]　　إنْ ثُمَلْ وإنْ صحا
حتَّى يقْطعِ في القطيعِ [139]　　ويدُورُ بحالْ رحا
إنْ ثُبَتْ جَرى (٥٦٦) سريعْ　　وشَرَبْ حتَّى استَحا (٥٦٧)
يَحلْ لَك إنْ تْجولْ　　أوْ مرْ [140] احْرَزْ العَجُولْ (٥٦٨)　/205/
وإنْ أرَدْتَ كَنْ مرا [141]　　وإنْ أردتْ (٥٦٩) كُنْ رَجُلْ
فإذا نظرْ إليْه　　ورأى ذَاتُ مِرا (٥٧٠) [142]
كلُّ شيءٍ يظْهرْ لُ فيهْ　　ولا يدْرِ كيَفْ طرا
يَحْتَّجْ أَن (٥٧١) يشبدّْ يدَيْه　　عدْ يرجَعْ لِوَارَا
فهيَ صبْغ (٥٧٢) قدْ تحولْ　　يعْرفها (٥٧٣) الفُحُولْ
والكُحلْ مِنَ العيونْ　　قلْ ما تَحْتَّج (٥٧٤) كُحُلْ
شَمْس معَ ظلٍّ اخْتَلَطْ　　واخْتَفَتْ عنِ الحدُودْ (٥٧٥)
وبدى نُورُ (٥٧٦) الغَلَطْ　　يوُرِ تَجْريحِ الشُهودْ [143]
وَجَ يلْعبْ وسقَطْ　　وضَحَكْ مِنْ (٥٧٧) الوُجودْ
وقالَ أشْ ثُمْ يا طُلولْ　　اتحَدْ (٥٧٨) ولا حلُولْ
فلا تخْرَبْ الحطانْ (٥٧٩)　　ولا تَخْلَطْ التُلُولْ
منْ مشى ولسْ يميلْ (٥٨٠)　　قالُوا : (٥٨١) يقْطعْ الطريقْ
فإذا شعرَ وصلْ　　ونْ غَفَلْ فهُوَ غريقْ
مِنْ ليه (٥٨٢) يتَّصَلْ　　فإذا جازَ المَضيقْ
وَتدرُ لُو المَسول [144]　　وتلذُّ لُو العُسولْ (٥٨٣)
يستَّوي صحْبُ الخطاب　　والمُخاطبْ والرُّسولْ
ويرى السنينا تدورْ (٥٨٤)　　والطُّلُوعْ مَعَ الهُبوطْ

ويركـب الأمـور ويحلّ الربـوط
ولا يتـرك الحضـور ولا يهمـل الشـروط
ما بقـي لي مـا نقـول قد طبخت (٥٨٥) لك البقـول (٥٨٦)
غيـر أنّ ذا (٥٨٧) الأمـور لـس من طـور العقـول

/206 وقلت أيضا : (٥٨٨)

أنا لس نضمن أبداً لمدكّـا ولا يلطم ظهري بمحكّـا (٥٨٩)

كن (٥٩٠) معي معشوق (٥٩١) إن مليح ومهاود (145
قلت زرن أخذت صدك (٥٩٤) بزايـد
إش عمل قل (٥٩٥) ذا المليـح العوايـد

دكّ طوري لما تجلّى لي دكّـا (٥٩٦) وشبّك في خناق فردام شبكا (٥٩٧)

خلع أثواب حتى نعلي (٥٩٨) خلعهـا
وصفايح خماري والله قلعهـا
ثم فرقهـا بعد ذا (٥٩٩) وجمعهـا

ودكّني ومزّق أشلاق دلكـا (٦٠٠) وفنيت (٦٠١) بين يديه وهلكني هلكا

قال تفتش في الجبـال (٦٠٢) والخنـادق
وان ما عك تبصرن لـو كنت صـادق (٦٠٤)
أنا هو الجـزور (146) وأرض البنـادق

وأناه حلب (٦٠٥) وحمص وعكّـا وأنـا هو أبو قبيس ومكّـا

وخذ روحي بين (٦٠٦) لحم ودمـي
وتلفني بين الإسـم والمسمّـى
واختبرني بفك قفلي المغمـي (٦٠٧) (148)

/207/ ثمْ وحكْ (٦٠٨) ادْنـــــيَ حكّــــا   لا غِنَى أنْ تفكّ ذا القُفْــل فكّــا

سخّـر اللــه ودُرت بـــه (٦٠٩) ففككْـــتُ
فملكني مـــن بَعْـــد ذا وملكْـــتُ
والوجـودْ كلُّ جُـلْتُ فـيـــه وسلكْـــتُ

فأنـا فيـه بْحـالْ قلبْق (٦١٠) فبركا (٦١١)   لا منغّصْ (٦١٢) ولا رقيـبٌ ولا شرْكـا

ثم لمـــا رجعـــت عـنْ لحَـــس (٦١٣)
قلْتُ مَوْلـــيَ أيْنَ فصْـــل وجنْـــس
قلْ تَـــرانِ لا تحْتجِبْ عنْـــكَ شمْـــس

احْمِ قلْبَكْ واسْبوكْ بالشوْقِ سبْكا   لسْ يقعْ طابْعي على غيْرِ سبكّا (٦١٤)

وقلت أيضا : (٦١٥)

(طبع الذيل)

البُعْدُ عنْـــكَ يَـــا بْـنِ   أكْبَرُ مـــصـــائِـــبْ
وحينَ حـــصَلْ (٦١٦) قُرْبُـــكَ   سبِّيْـــتْ أقاربـــي (٦١٧)

يُوحَـشْ (٦١٨) فيـكْ ظهُـوري   منْ بعْـد غيعـــبَتـــي
وتذْكُـــرُكْ وتَدْهَـــشْ   منْـــكَ قُلَيْبَـتـــي [150]
يَبْسُطْـــنِ مَعَكَ (٦١٩) انســـي   تقْبضْنـــي (٦٢٠) هيْبَتـــي

لوْنْ بانـــطبــــاعـــكَ (٦٢١)   واخْـــرَجْ قـــوالـــبِ
ان (٦٢٢) صبَبْتُ منْـــكَ خلْـــوا   تَنْشـــبْ مَخـــالـــبِ

سَقَيْتَنـــي عُبَيْـــب (٦٢٣)   مـنْ خَمْـــرِكَ (٦٢٤) القديـــمْ
وكُنْـــتَ لـــيَ المؤانـــسْ   وكُنْـــتَ لـــيَ النّديـــمْ (٦٢٥)
/208/ وصـِـرْتُ بـــكْ مرفّـــهْ   ولَـــمْ نَـــزَلْ عديـــمْ

ولمْ يكُـــنْ شرابَـــكْ   منْ قـرْضِ شـــراب (٦٢٦)
وإنّمـــا بفضلِـــكْ   تمّـــتْ مـــآرِب

[إيّاكَ لا تَنْظرْ اثْنينْ   لا تسْمَعْ الغَلَطْ
ما ثَمّ إلاّ واحدْ   أنْتَ هُوَت (٦٢٧) فقَطْ
وافْهمْ ذيكَ المعاني   واحْذُرْ ذيكَ النُّقَطْ
وانْجَمَعْ بذاتِكْ   لسْ ثَمّ طالبي
غيْرَكَ على صفاتِكْ   مِنَ الأقاربي] (٦٢٨)

يا منْ يقولُ كثيرْ (٦٢٩)   في النّاس (٦٣٠) هُمْ المِلاحْ
حقًّا ترى الكواكبْ   معَ طلْعة (٦٣١) الصباحْ
مُطْلَقْ نظرْتُ فاكْسَعْ (٦٣٢)   وارجعْ للاصْطِباحْ
ما ثمّ غيْر (٦٣٣) واحدْ   فافْطنْ (٦٣٤) يا صاحِبِ
والكُثْرُ مِثْلِ كُثْرَة   جوزْ العجايِبِ

تمّ الزّجلْ فساعَا   وَجَ كما ترَى
عَمَلْ مُحَقَّق (٦٣٥) إنْ جيًّدْ   لوْشي وشُشْتَري [151]
في قدّ زجلْ عاشق   خُبارُ قدْ دُرِيَ (٦٣٦)

نبْكي وكيْفَ لاَ نَبْكي   على حبايْبِ
ودّعْتُهُمْ وسَارَت   عنْهُمْ ركايِبِ

وقلت أيضا : (٥٣٧)

(عرق عرب ورمل ماية) [152]

دُرْ بْحالْ الرُّحيْ   حتّى لِسْ يَبْقَ عِنْدكْ   يابْنِ في الحيّ حيْ

قُطْبُ مِنْ ذاتكْ اعْمَلْ (٦٣٨)   وعْليهْ المدارْ
لا يهلَكْ الرّوِي أبْكْ   لا يهْلَكْ الغبارْ (٦٣٩) [153]
فإذا رأيْتَ دقيقك   قدْ طلَعْ ثمّ فارْ (٦٤٠) [154]

احتفِظْ يا أُخَيْ   بِرُسَيْمَلَكْ واحْذَرْ (٦٤١)   أنْ تكونْ بِه سُخَيْ (٦٤٢)

وامْشِ للديْرِ منْ ثمّ   وتدري (٦٤٣) فيه فُنونْ
/20 منْ أوِيني (٦٤٤) وفيها   ما يَقِرْ العيونْ
وِنّما (٦٤٥) صاحبُ الديْرْ   فهْوَ فوْقَ الظنونْ

إن دعاك (٦٤٧) بالنُّمَي (٦٤٨)   اجرِ خُذْ لّ يعطيك   ثُمْ رُدّ الوُعيْ

أنا حينْ جيتُ قاصِدْ   وسَمعْتُ الغنَا
ورَجَعْ ذُلُّ عِزًّا   وافتقَاري غِنا
قُلْتُ يا حبيبي   أنتَ واللهِ أنَا

قالْ بينَه شُوَيْ (٦٤٩)   اذا حقَّقْت تَحمقْ   وتشُقّ الطُّلّيْ (٦٥٠)

امْشِ ركَبْ وحلْلْ   وامْحِ (٦٥١) واثْبِتْ وَجِي
وادرِ كلَّكَ وبدّكْ (٦٥٢)   لمَنْ (٦٥٣) تلْتَجِي
فإذا رأيْت ديري (٦٥٤)   يَنْصَرِفُ (٦٥٥) لِلْمجي

وَرَجعْ لَكَ مُرَي   ارْتَجَ السكْنى ماع (٦٥٦)   قدْ تركْتُ الكُرَيْ

تمْ هذا الزَّجَلْ   وَجَ واللّهْ حسَنْ
سُقْتُ لكْ فيهِ ذا (٦٥٧) الأسْرارِ   ولا تطلُبْ (٦٥٨) ثمَنْ
وإلى القاضِ ندْعيكْ   الفقي بنُ الحسنْ (٦٥٩) [155]

أوْ الى بْنِ جُزَيْ (156)   إن لم اشْ تَدْرِ قَدْرْ (٦٦٠)   أوْ نُسَمّيك (٦٦١) فُلَيْ (157)

وتذكرت من المغرب في هذا المعنى قولي :

(مج الرمل)

أنْتَ في حسنكَ فَرْدُ   كلُّ حُسْنٍ منكَ يبْدو   10 /
أنْتَ بدْرٌ إنْتَ شَمْسٌ   أنْتَ اَسٌ أَنْتَ ورْدُ [158]
أنْتَ خصْرٌ أنْتَ ثُغرٌ   أنْتَ لحظٌ أنْتَ خدُّ
أنْتَ معنَى العشْقِ لوْلا   كَ سلاَ بِشْرٌ وهنْدُ
أنْتَ معْنى لْلمعَاني   أنْتَ كُلٌّ أنْتَ بُدُّ
أيْنَ أيْنَ أيْنَ بيْنٌ   أيْنَ قبلُ أيْنَ بعْدُ
وإذا صحَّ الهَوى فالسِّرُّ في عذْلِكَ شَهْدُ
وأنا إنْ صحَّ قوْلي   وجرى رسمٌ وحدُّ
نبذتُ القيْدَ مولى   أو تقيَّدْتُ فعبْدُ
حصْحَصَ الحقُّ وما بعْدَ بلوغ القصْدِ قصْدُ

وقلت من الهزل بطريق الرجوع :

شعر

افْرَحُوا وطيبُوا — قدْ مَضَى عدوُّ اللّهْ — وانْجَبَرْ حَبِيبُو

كانت البلادْ وأهْلُهْ — نعمْ فيهْ رغيبَا
لمْ ترَ نْهارْ فيه ضوْ — ولا بعْدْ طيبَا
كيفْ لَ وقدْ صارتْ — أرْمُلاً غريبَاً

يا للّهْ وَيْ نصيبُ — قدْ رَفَعْتُ منْ شَوْقي — لمْ غابْ نَصِيبُو

والأُمّْ منَ الحسْرا — دونْ شرابْ سكْرا
والعيُونْ عيُونْ تجْري — والقُلُوبْ حيَارا
والذي ظفَرْ منْهمْ — بحرْفٍ أو دبَارا

يجْعلُو فيجِيبُو — عسى ينْطَفا وَجْدُو — ويَسْكُنْ وجيبُو

عثْرَ كنْ هذا الحادثْ — في الفلَكْ وغلْطَا
سَقَطَتْ به الدنيا — فردام [159] سقْطَا
يسْتَغيثُ ذاكَ المَوْلَى — منْ سُهَيْلِ لبَسْطَا [160]

ولاَ مَنْ يَجيبُو — استْوى الوطنْ كلُّه — خلْفُ مَعَ نَجِيبُو

ومرَضْ دينْ الإسْلامْ — حتَّى كادْ يغْمُضْ [162]
ولا منْ يدوقْ النُّوم — ولا منْ يَغْمُضَ [163]
كلُّ أحدٍ سلَّمْ فيه — للْقضا وفوّضْ

حتَّى جَا طبيبُو — فزال الأَلَمْ والبُوسْ — أَلْ كنْ يَصيبُو

بمحمّد المَوْلَى — عزْ دينْ محمّدْ [164]
ورَجَعْ به الإسْلامْ — كما كانْ مُمَهّدْ
ورأتْ به الدنْيا — مثلْما تَعوّدْ

وصلِ غابْ رقيبُو — وسعادة انْ تبْقى — في عَقَبْ عَقِيبُو

يَنْزِلْ الفرجْ لُما — تنْتَهي الشدايدْ
ولّه فهُولْ النّاسْ — بالجَميلْ عَوايدْ
أيْ وطنْ رأى قصْدُ — ومنَاهُ بزايدْ

21/

12 / انجبَرْ غـريـبْ   والتّحفْ بستْـر اللّـه   بَريـهْ مَعَ مُريبـو

لوْلا شفقَة السلطـانْ   الإلـهْ يعـيـنْ
ما اجْتَمـعْ شمـلْ [165] إنْسـانْ   فيـهـا مَـعَ يميـنْ
ومـنْ يَعْجبَـكْ دُنيـاهْ   أوْ يعـجـبْـكَ ديـنْ

فَقِـيهْ مع خطيـبْ   قالْ لَلْفُنْـشُ نُومتَـارْ   ياشنِيـورْ قَطِيبُـو (166)

قَلْ للانْدَلَـسْ عنِّـي   كـنْ نزيـدْ بعَـدَدْ
ومـنْ بَعْـدِ ذا نرجـعٍ   للـوَصْـلِ نجـدُدْ
كيـفْ نَسَيْتَنِـي بالحـقّ   وقـدَرْتَ تـرْفَـدْ

الالَـه حَسيبـُوا   كُلٌّ من يَخُـونْ إلْـفُ   أوْ يَهْجُـرُ حَبيبُـو

منْ لا يعْـرِفْ النُّعْمـا   فزوَلْهـا يـرْقُبُ
وفـلالـسْ الكشْفـا   بيضْ ولْـد تنْقُّـب
وينْـدَمْ لأمْـر انْ فـاتْ   وهُ ردْ يَـصْعُـب

ويَريبْ حَليبُـو   ويَري مـا بيْ ولْـدُ   ومـا بَيْ رَبِيبُـو

قـدْ رَجَعْ لفضْـلِ اللّـه   المغصـوبِ لِمـوْلاهْ
اللّـهُ يلْهِمـو شكُـورْ   فـي الـذي قـدْ ولاّهُ
أيْ هنِـيٌّ أيْ فرْحـا   يـا حبايـب اللّـهْ

افْرحُـو وَطيبُـو   قدْ مَضَى عـدوُّ اللّـهْ   وانْجَـبَرْ حبيبُـو/

هوامش الفصل الثامن

(١) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٣٠ـ١٣٤، وفي المطبوع ١/٤٩٠ـ٥١ . وفي النفح ١/٣٢١ ـ ٣٢٦.
(٢) م : تستد، تصويبه من ر ١٣٠ و، ن ١/٣٢١.
(٣) ر، ن : حالات صفاتها.
(٤) ن : نوات.
(٥) ر : كبد، ولعلها كتد السماء.
(٦) ساقطة من ر، ن.
(٧) ن ١/٣٢٢ : الجادة.
(٨) ر. ١٣ و، ن : الأسمى.
(٩) ن : الجلة.
(١٠) م : الأعلام، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن.
(١١) من ر،ن .
(١٢) ر، ن : على.
(١٣) ر : العج والبج والثج.
(١٤ ـ ١٥) و (١٦ ـ ١٧) ساقط من ن.
(١٨) ر ١٣١ ظ، ن ٣٢٢ : رحمهم الله بالأمس.
(١٩) من ن.
(٢٠) م : خفت.
(٢١) ن : يفاوح أرجه زهير، ويحاسن.
(٢٢) ر، ن : أبوتكم.
(٢٣) ر : النظر.
(٢٤) م : محي الواو، تصويبه من ر، ن ١/٣٢٣.
(٢٥) ر ١٣١، ظ، ن ١/٣٢٣ : تربته.
(٢٦) ر : في أغماد.
(٢٧) ن : المعاني ما .
(٢٨) ر : لمقام أبوتكم.
(٢٩) ساقطة في ر، ن.
(٣٠) من «ن».
(٣١) ن : يعلم ما.
(٣٢) من ر، ن.
(٣٣) ر، ن : تلك.
(٣٤) ساقطة من «ر»، «ن».
(٣٥ ـ ٣٩) ساقط في ن ١/٣٢٤.

(٣٦) م : توريها. تصويبه من ر.
(٣٧) م : يفخر، والصواب ما أثبتناه من ر.
(٣٨) ر ١٣١ و : اعتقدته.
(٣٨ ـ ٤٢) ساقطة من «ن» ١/٣٢٤.
(٤٠) ر ١٣١ و : ورواع البراع شوق.
(٤١) ر : وليغ.
(٤٣ ـ ٤٤) ساقطة من «ن».
(٤٥) ن : غياب
(٤٦) من ر، ن.
(٤٧) زيادة من ر، ن.
(٤٨) ساقطة من «ن».
(٤٩) من ر، ن.
(٥١) ن ١/ ٣٢٤ : واكلة للشبال.
(٥٢) ر ١٣١ و : تخيفهم.
(٥٣) ن : الا ان يتفضل الله بحسن العاقبة.
(٥٤) ر، ن : الهمز والنبز.
(٥٥) ن : الأدعية.
(٥٦) ن ١/٣٢٥ : الخوذ.
(٥٧) م : عن، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن.
(٥٨) ر ١٣١ و، ن ١/٣٢٥ : وفازت.
(٥٨) ر،ن وطرقت خيل طارق.
(٦٠) ن : باجنحة.
(٦١) م : فنوخت، تصويبه من ن ١ / ٣٣٥.
(٦٢) غير واضحة في المتن، تصويبها من ر ١٣٢ ظ، ن ١/١٢٦.
(٦٣) ر : الحرب.
(٦٤) ن : حين.
(٦٥) ن : واشتد بالمدافعة.
(٦٦) م : الدر، تصحيحه من ر، ن.
(٦٧) ن ١/٣٢٦ : الى ما.
(٦٨) الى هنا ينتهي ما ورد في النفح ١/٣٢١ ـ ٣٢٦، أما الجزء التالي فقد ورد في النفح ٥/٩٠ ـ ٩٤.
(٦٩) ن ٥/٩٠ : الينا تراثهم.
(٧٠) ن : العادي،
(٧١) ن : فسح الدارة.
(٧٢) ن : السيارة والعبارة.

(٧٣) م : ونولي.
(٧٤) ر ١٣٢ و : يكون.
(٧٥) ن : بالمرانة.
(٧٦) ر ١٣٢ و : برماده، وفي ن ٥/٩١ : برماد علا.
(٧٧) ن : بمكان.
(٧٨) ساقطة في «ن».
(٧٩) ر : مبيتنا.
(٨٠) م : حرسة العورة، وصرها وما أثبتناه من «ن»
(٨١) ن : والدائرة بنا.
(٨٢) ن ٥/٩١ : لحكم الأقدار.
(٨٣) من«ن».
(٨٤ ـ ٨٥) ساقط من «ن».
(٨٥) ن : بموجب الإستقرار.
(٨٧) ن : وتلقي.
(٨٨) م : مخفق، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٣٣ ظ، ن ٥/٩٢.
(٨٩) م. جانب، تصويبه من ر، ن.
(٩٠) ن ٥/٩٢ : كرم.
(٩١) ن : فاجزل.
(٩٢) ن : وخير.
(٩٣) ن : الخزى.
(٩٤) م : الجزالة، تصويبه من ر ١٣٣ ظ، ن
(٩٥) ن : انكشفت سريرته.
(٩٦) ن : اليه.
(٩٧) م : الجماعة، تحريف صححناه من ر ١٣٣ ظ، ن ٥/٩٢.
(٩٨) م : تتقارب.
(٩٩) ن : ويتقدمنا الدعاء.
(١٠٠) عن البلاد : ساقطة من ر، ن.
(١٠١) من ر، ن.
(١٠٢) ن ٥/٩٣ : ويهرجه.
(١٠٣) م : وظاهر.
(١٠٤) ن ٥/٩٣ : بمسور.
(١٠٥) ر ١٣٣ و، ن : البنية.
(١٠٦) ن : رجع.
(١٠٧) ن : لم ترو مذ غبنا من.
(١٠٨) م : طاشت، تصويبه من المرجعين.

(١٠٩) م : وعاجِجنا، تحريف صححناه من ر، ن.
(١١٠) ن ٥/٩٤ : الشريفة.
(١١١) م : مدارها، تصحيحه من ر ١٣٤ ظ، ن.
(١١٢) ن : دركات.
(١١٣ ـ ١١٤) ثبت في «ن» بالصورة الآتي : ما فيه مما ورد واياه سبحانه نسال.
(١١٥) ن : دواعي.
(١١٦) ٥/٩٤ : لابوتكم ما.
(١١٧) ن : وعزته وكرمه ومنته.
(١١٨) ساقطة من «ن».
(١١٩) وردت هذه الرسالة في ريحانة الاسكوريال لوحة ١٣٦، وفي ط. القاهرة ٥٠٧/١ ـ ٥٠٩.
وفي النفح ٢٧١/٦ ـ ٢٧٣.
(١٢٠) م : من، لكن السياق يقتضي ما أثبت من ر ١٣٦ ظ، ن ٢٧١/٦.
(١٢١) ن : لمقامه.
(١٢٢) م : اشد، تصويبه من المراجع.
(١٢٣) ن : يبلغا.
(١٢٤) م : ويمثل الرسوم، الأنسب ما أثبتناه من ن.
(١٢٥) ن : ٢٧٢/٦ : يعلمه.
(١٢٦) ر ١٣٦ظ، ن : الصادق البيان.
(١٢٧) م : دارك تصويبه من ر، ن.
(١٢٨) م : قصدها تصحيحه، من ر ١٣٦ و، ن.
(١٢٩ ـ ١٣٠) ساقط من «ن» ٢٧٣/٦.
(١٣١) ن : عرفتم.
(١٣٢) ن : ونواصلها.
(١٣٣) ن : في نفسه ودينه وماله وعياله.
(١٣٤) ثبتت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال لوحة ١١٩، ط. القاهرة ١٢٩/٢ ـ ١٧١.
(١٣٥) م ديان، وهو تحريف واضح.
(١٣٦) م : الملوك، والسياق يقتضي ما أثبتنا من ر ١١٩ ظ.
(١٣٧) من «ر».
(١٣٨) زيادة من ر يقتضيها السياق.
(١٣٩) ر ١١٩ ظ : التقديم.
(١٤٠) بياض بالأصل، تصويبه من ر.
(١٤١) ر : ولا وزان.
(١٤٢) زيادة من ر يقتضيها السياق.
(١٤٣) م : غير ميال على سده، والزيادة من ر ١٩٩و.
(١٤٤) ر : وقع.

(١٤٥) ر ١١٩ و : والمسعى.
(١٤٦) ر : واريس.
(١٤٧) ر : تازره.
(١٤٨) م : يعديه، تصويبه من «ر».
(١٤٩) من ر ١١٩ و.
(١٥٠) من ر.
(١٥١) ثبتت في ريحانة الأسكوريال، لوحة ١٣٦ ـ ١٣٧، ظ ـ القاهرة ١/٥٠٩ ـ ٥١٢. وفي النفح ١/١٨٧ ـ ١٩٠.
(١٥٢) ن ١/١٨٧ : منه وساقطة في «ر».
(١٥٣) ر ١٣٦ و : ونعده في الشدائد عدتنا.
(١٥٤) م : في، والأنسب ما اثبتا من ر، ن.
(١٥٥) زيادة من ر ١٣٧ ظ، ن ١/١٨٧ يقتضيها السياق.
(١٥٦) من«ن».
(١٥٧) ن ١/١٨٨ : هيا الله تعالى.
(١٥٨) من«ن».
(١٥٩) ن١ /١٨٩ : بجناب.
(١٦٠) ن : بجزيل.
(١٦١) م : فلح، والسياق يقتضي ما اثبت من المراجع.
(١٦٢) ن : على.
(١٦٣) ن/١٨٩ : لاطنبنا.
(١٦٤) من ر ١٣٧ و، ن.
(١٦٥) ر : تكييفات، ن : تكيفات.
(١٦٦) ن/١٨٩ : عنكم.
(١٦٧) م : وجلة فكار. وهو تحريف تصويبه من ر ١٣٧ و، ن.
(١٦٨) ر، ن الدار.
(١٦٩) م : اتفق.
(١٧٠) من ر، ن.
(١٧١) م : يشكر.
(١٧٢) من ر، ن.
(١٧٣) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٧٨ وفي المطبوع ٢/٩٩ ـ ١٠١. وفي النفح ٦/٢٤٤ ـ ٢٤٦.
(١٧٤) م : رحماه، وما أثبتناه من ر ١٧٨ و، ن ٦/٢٤٤.
(١٧٥) ن : مواهبه هداية.
(١٧٦) ن : أقدامكم.
(١٧٧) م : الجود، تصويبه من ر، ن ٦/٢٤٥.

(١٧٨) ر، ن : خافقة.
(١٧٩) ن : متوافقة.
(١٨٠) ر، ن : حجبة.
(١٨١) باطنة، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٧٨، ن ٦ / ٣٤٥.
(١٨٢) ن : الجليل.
(١٨٣) ن : برد.
(١٨٤) ر : الابصار للهمة.
(١٨٥) ن : ابوابكم الرفيعة.
(١٨٦) ساقطة من ر، ن ٦/٣٤٦.
(١٨٧) ن : السعد.
(١٨٨) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٧٧، وفي المطبوع ٢/٩٥ ـ ٩٦. وفي النفح ٦/٣٨٥ ـ ٣٨٦.
(١٨٩) ر ١٧٧ ط : المقام.
(١٩٠) ن ٦/٣٨٥ : انتشارها.
(١٩١) ن : أبو زيان.
(١٩٢) ر: ولا شفقة.
(١٩٣) ر، ن : ابن الخطيب.
(١٩٤ ـ ١٩٥) : ساقط من «ر».
(١٩٦) ن : ٦/٣٨٦ : كفل.
(١٩٧) من ر ١٧٧ ط.
(١٩٨) ر، ن : حرمتكم.
(١٩٩) ن : على يديكم.
(٢٠٠) م : ورعيت، تصويبه من ر ١٧٧ و، ن ٦/٣٨٦.
(٢٠١) ن : مجده.
(٢٠٢) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٩٦، وفي المطبوع ٢/١٥٩ ـ ١٦٠. مصدرا لها بقوله : «ومن ذلك مما خاطبت به أحد الأجلة بما نصه».
(٢٠٣) من ر ١٣٦ ط.
(٢٠٤) م : كانت.
(٢٠٥) ر ١٩٦ : للاستسقاء بسحابها.
(٢٠٦) اللفظتان غير واضحتين في المتن، التصويب من ر
(٢٠٧) م : يلي، والأنسب ما أثبتناه من «ر».
(٢٠٨) من ر ١٩٧ ط.
(٢٠٩) م : فلذكة.
(٢١٠) ر ١٩٦ و : ادعى.
(٢١١) ر : ما منيت.

(٢١٢) ر : تامور.
(٢١٣) م : احتلست.
(٢١٤) م : مقبلا.
(٢١٥) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ٢٠٣، وفي المطبوع ٢/١٨٣ ـ ١٨٤.
(٢١٦) ر ٢٠٣ : سحاحتكم.
(٢١٧) م : فحبذا طعام اشتركناه، تصحيحه من «ر» تجنبا للتكرار.
(٢١٨) ر : ووفاء وفاء السموأل.
(٢١٩) م : وما لخدمه.
(٢٢٠) م : مجيل، تصويبه من «ر».
(٢٢١) ر : يذكر.
(٢٢٢) ر : عبد ما.
(٢٢٣) ر : أشهر.
(٢٢٤) ر ٢٠٣و : بساط ترابه.
(٢٢٥) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأسكوريال ١/ ٢٥٠. وفي ط. القاهرة ٣/٤٤٩ ـ ٤٥٠. ـ ريحانة الأسكوريال لوحة ٢٠٣، والمطبوع ٢/١٨٥ ـ ١٨٦، وفي التعريف بابن خلدون، ص ٨٢ ـ ٨٤ ـ النفح ٦/١٧٣ ـ ٧٤ـ.
(٢٢٦) ح س. ٢٥٠، ن ٢/١٧٣ : المهدا.
(٢٢٧) المراجع : اقسمت.
(٢٢٨) زيادة من المراجع المذكورة ما عدا «ر».
(٢٢٩) زيادة من المراجع.
(٢٣٠) ح س. ٢٥٠، ن ٦/١٧٤ : راقني.
(٢٣١) م : نهى، تصويبه مما ذكر.
(٢٣٢) م : متحملة.
(٢٣٣) من المراجع.
(٢٣٤) المراجع : ويسع.
(٢٣٥) ثبتت هذه الرسالة في الإحاطة مخ ـ الأسكوريال رقم ١٦٧٤، السفر الثاني، لوحة ١٦٦.
(٢٣٦) م : ذخر، تصويبه من ح ٢/١٦٦.
(٢٣٧) ح س : كرم.
(٢٣٨) بياض بالأصل تصويبه من ح.
(٢٣٩) : الافات.
(٢٤٠) ح س : ولو المزجاة.
(٢٤١) من ح س.
(٢٤٢) م : الهدر، وهو تصحيف.
(٢٤٣) ح س ٢/١٦٦ : وجلالتها.
(٢٤٤) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأسكوريال ١/٢٥٠ ـ ٢٥٢، والمطبوع ٣/٥٠١ ـ ٥٠٧.

ـ ريحانة الأسكوريال، لوحة ٢١٥ ـ ٢١٧، والمطبوع ٢/٢٢٦ ـ ٢٣٢. ـ النفح ٦/١٧٤ ـ ١٨٠.
(٢٤٥) م : المهالج، وهو تحريف تصحيحه ما اثبت من المراجع.
(٢٤٦) ن ٦/١٧٥ : ابدلت.
(٢٤٧) م : وساد.
(٢٤٨) م : وسلك، ما أثبت من المراجع المذكورة لتناسبه مع السياق.
(٢٤٩) ن ٦/١٧٥ : يزلق.
(٢٥٠) ح س، ن : لزنجي ٢٥١.
(٢٥١) ر ٢١٥ و : به، ن : بياله.
(٢٥٢) المراجع : وصخب.
(٣٥٣) ر : وتجوزن.
(٢٥٤) ح‌س، ن : الأرض.
(٢٥٥) م : فهاش، تصويبه من المراجع.
(٢٥٦) ن : سرباله.
(٢٥٧) زيادة من المراجع المذكورة.
ما بين (٢٥٨ ـ ٢٥٩) ساقط من ح س، ن ٦/١٧٦.
(٢٦٠) م : تهيب، وفي ح، س، ن : تهيئة، وفي ر ٢١٥ : تهييت.
(٢٦١) ر، ن ١٧٦ : كان.
(٢٦٢) م : الخفيف، والأنسب ما أثبتناه من المراجع تجنبا للتكرار.
(٢٦٣) م : التحاور، وهو تصحيف.
(٢٦٤) غير واضح في المتن، تصويبه مما ذكر.
ما بين (٢٦٥ ـ ٢٦٦) ساقط من ح س، ن ٦/١٧٦.
(٢٦٧) ساقط من ح س، ن.
ما بين (٢٦٨ ـ ٢٦٩) ساقط من ح س، ن ٦/١٧٧.
(٢٧٠) عند الحاجة، ساقط من ح س، ن.
(٢٧١ ـ ٢٧٢) ساقط من المراجع.
(٢٧٣) ح س، ن : الأشر.
(٢٧٤) عند العياب : ساقط من المراجع.
(٢٧٥) هذه الجملة ساقطة من ح س، ن.
(٢٧٦ ـ ٢٧٧) ساقط من ح، ن ٦/١٧٧.
(٢٧٨ ـ ٢٧٩) ساقط من ح س، ن.
(٢٨٠ ـ ٢٨١) ساقط من ح س، ن.
(٢٨٢) ر ٢١٦ ظ : للممانعة، وهي أنسب للمعنى.
(٢٨٣) ر : النسيم.
(٢٨٤) ساقطة من المراجع.
(٢٨٥) ساقط من المراجع.

(٢٨٦) م : ادريكرت، تصوبيه من ح س، ر ٢١٦ ظ.
(٢٨٧) زيادة من المراجع لضرورة الوزن.
(٢٨٨) زيادة من المراجع المذكورة.
(٢٨٩) ن ١٧٩/٦ : تكة.
(٢٩٠ ـ ٢٩١) ساقط من ح س، ن ١٧٩/٦.
(٢٩٢) ر ٢١٦ و : الجو.
(٢٩٣) ر : فادر رحيق فؤادي.
(٢٩٤) ر : حال.
(٢٩٥ ـ ٢٩٦) ساقط من ر.
(٢٩٧ ـ ٢٩٨) ساقط من ح س، ن.
(٢٩٩) ر ٢١٦ و : الشهود.
(٣٠٠) المراجع : عارفة.
(٣٠١) ح س، ن ١٧٩/٦ : العود.
(٣٠٢) ساقطة في ح س، ن.
(٣٠٣ ـ ٣٠٤) ساقطة من ح س، ن.
(٣٠٥) ر ٢١٦ و : واقتطف.
(٣٠٦) ر : بالثمد.
(٣٠٧) المراجع : لعاذل أو عاذر.
(٣٠٨) ر : مرارة.
(٣٠٩) ساقط من ح س، ن.
(٣١٠) ساقط من ح، ن.
(٣١١) ساقط من ح س، ن.
(٣١٢) ح س، ن ١٨٠/٦ : الحارث بن هشام.
(٣١٣) ح س، ن : منهم.
(٣١٤) المراجع : وتنزح.
(٣١٥) ر ٢١٧ ظ : وتخور، ن : وتحرن.
(٣١٦) م : سرائره، تصوبيه من المراجع المذكورة.
(٣١٨) ثبتت في ريحانة الأسكوريال، لوحة ٢١٧، ظ. القاهرة ٢٣٢/٢ ـ ٢٣.
(٣١٩) ساقطة من ر ٢١٧ ظ.
(٣٢٠) ساقطة من «ر».
(٣٢١) ر : ببلوغ المنى.
(٣٢٢) ر : بأعظم الجنى.
(٣٢٣) ر ٢١٧ ظ : بالمضغ.
(٣٢٤) ر ٢١٧ و : الإقليم.
(٣٢٥) ر : سمت.

(٣٢٦) ر ٢١٧ ظ : تروى بالخبر عن العيان وفي م : الحفن بدل الخبر وهو تحريف.
(٣٢٧) من ر.
(٣٢٨) م : فوا، تصويبه من ر.
(٣٢٩) ثبتت الرسالة في ريحانة الأسكوريال لوحة ٢١٧ - ٢١٨، ط. القاهرة ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٧ احاطة الاسكوريال ٢١٧/١ - ٢١٩، ط. القاهرة ٣٥١/١ - ٣٥٥.
(٣٣٠) م : اقنعنا، وهو تحريف.
(٣٣١) ر ٢١٧ و : وإيثاره.
(٣٣٢) م : المحلة.
(٤٣٣) م : السيادة، وهو تحريف تصويبه من ر، ح س.
(٣٣٤) م : الشكوى، والأنسب ما اثبتناه من ر، ح س.
(٢٣٥) ر ٢١٨ ظ : ينظر في.
(٣٣٦) ر : وكفهم الخذلان.
(٣٣٧) ر : ولا خفوا.
(٣٣٨) من ر، ح س.
(٣٣٩) : الكباء.
(٣٤٠) من ر، ح س.
(٣٤١) م : المسطر، تصويبه من ر ٢١٨ و.
(٣٤٢) م : وأخذت، والسياق يقضي ما أثبتنا من ر، ح س.
(٣٤٣) م : ووسعها دينها، تصويبه من المرجعين.
(٣٤٤) م : أحداهما، وهو تحريف.
(٣٤٥) ر : لا يبل.
(٣٤٦) ر، ح س : لبست، والأنسب ما ورد في المتن لأن لسب معناها لذغ، وهذا يلائم سياق المعنى.
(٣٤٧) م : اللفظ، تصويبه من ر، ح س.
(٣٤٨) ر : اللمى، ح س : اللهو.
(٣٤٩) م : هرته، والسياق يقتضي ما أثبتناه من المرجعين.
(٣٥٠) انظر البيتين في ديوان «الصيب والجهام»، ص ١٤٩.
(٣٥١) م : تفلفلت.
(٣٥٢) ورد البيتان في النفح ٤٨٥/٦ وفي أزهار الرياض ٢٨٩/١.
(٢٥٣) ن : في الوغى.
(٢٥٤) ن، الأزهار : العدوة القصوى.
(٣٥٥) زيادة يقتضيها الوزن.
(٣٥٦) م : فلا تسال، والوزن يقتضي ما أثبتناه.
(٣٥٧) م : في اذى،
(٣٥٨) م : عنك يوما، الوزن يفرض ما أثبتناه.

(٣٥٩) م : مفثاي، وهو تصحيف.
(٣٦٠) انظر الأبيات في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٤٦٠.
(٣٦٢) د : الأملاك.
(٣٦٢) د : بحر.
(٣٦٣) د : مؤيد.
(٣٦٤) زيادة لاستقامة الوزن.
(٣٦٥) م : اعترضت، وهو تحريف مخل بالوزن.
(٣٦٦) م : كم، والوزن يقتضي ما أثبتناه.
(٣٦٧) م : شرك، وهو تحريف صحته ما أثبتناه.
(٣٦٨) هذا الشطر مكسور.
(٣٦٩) كتب في الهامش.
(٣٧٠) م : ولا تغتر، لكن الوزن يقتضي ما أثبتناه.
(٣٧١) بياض بالأصل قدرناه بما اثبت.
(٣٧٢) م : اسكريجا، انظر التعليق رقم ٨٥.
(٣٧٣) م : الصعلوك، وهو تحريف. لأن المملوك نوع من الطبيخ.
(٣٧٤) م : الحساسة.
(٣٧٥) م : اللحم.
(٣٧٦) انظر البيتين في النفح ٣٠/٦، وأزهار الرياض ٢٦٧/١، وفي الإحاطة ٢٥٥/١. الأسكوريال لوحة ٤٥١.
(٣٧٧) ورد البيتان في النفح ٧٨/٥، وأزهار الرياض ٣٠٧/١، والإحاطة ٤٤٣/٤.
(٣٧٨) انظر البيتين في النفح ٤٧٤/٦، وفي الإحاطة، مخ الأسكوريال ٤٥٢/١.
(٣٧٩) انظر البيتين في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٤٥٣، وفي النفح ٤٧٢/٦.
(٣٨٠) ورد البيتان في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٥٥٤، وفي النفح ٤٧٢/٦.
(٣٨١) ن : ما ضر.
(٣٨٢) د : وعدي، والمتن أصح.
(٣٨٣) د : صوت.
(٣٨٤) م : الجود.
(٣٨٥) من المحتمل أنه : أبو عبد الله بن أبي الحجاج، انظر التعليق ٩٣.
(٣٨٦) وردت هذه الأبيات في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٥١٠، الإحاطة مخ الأسكوريال ٨٤/١، وفي النفح ٤٨٣/٦.
(٣٨٧) د : أوفى.
(٣٨٨) د : حق.
(٣٨٩) ثبتت في الإحاطة ٥٩٣/٤، وفي النفح ٤٧٣/٦
(٣٩٠) ح، ن : حاولت.
(٣٩١) أشار الناسخ في الهامش الى أنه مأخوذ في قول الشاعر :

ما كنت أوفي شبابي كنه قيمتـــه حتى انقضى فاذا الدنيا له تبـــع

(٣٩٢) م : وادي النبط.

(٣٩٣) م : ورفع، لكن الوزن يقتضي ما أثبتنا.

(٣٩٤) م : وابلغ، الوزن يقتضي اسقاط الواو.

(٣٩٥) م : السرور، وهو تحريف مخل بالوزن.

(٣٩٦) م : جلي،

(٣٩٧) يمكن قراءتها مضض.

(٣٩٨) م : الى، والأنسب ما أثبتنا.

(٣٩٩) ثبتت في الإحاطة مخ. الأسكوريال ٢٦٣/١، ط. القاهرة ٢٥٥/١ ـ ٢٥٩، وفي ريحانة الأسكوريال، ل ٢٠٨ ـ ٢٠٩، ط. القاهرة ٢٠٢/٢ ـ ٢٠٥، وفي النفح ٣٠/٢ ـ ٣٣، وفي أزهار الرياض ٢٦٧/١ ـ ٢٧٠.

(٤٠٠) المراجع : الى.

(٤٠١) ن، الأزهار : ولا علقت.

(٤٠٢) ح س، ن الأزهار : كسعته.

(٤٠٣) ن، الأزهار : سكت اذين.

(٤٠٤) ح س ٢٦٣/١، ن ٣١/٦، الأزهار ٢٦٨/١ : صلة. (٤٠٥ ساقطة من ر ٢٠٨ و.

(٤٠٦) ساقطة من ر.

(٤٠٧) ن، الأزهار : العيب.

(٤٠٨) ن، الأزهار : نثي.

(٤٠٩) الأزهار : المعجزة.

(٤١٠) الأزهار : لما.

(٤١١) ح س، ن ٣٢/٦، الأزهار ٢٦٩/١ : مترامية.

(٤١٢) م : الدهر، تصويبه من المراجع المذكورة.

(٤١٣) ر : ٢٠٩ ظ : شروطها غير معترضة ولا منقودة، ح س، ن ٣٢/٦ : والتوبة بفضل الله مفقودة.

(٤١٤) المراجع : تكون.

(٤١٥) ساقطة من ر.

(٤١٦) ح، ن، الأزهار : وشوقي.

(٤١٧) ن : فامر.

(٤١٨) ن : العلائق.

(٤١٩) م : وانتباهها، والوزن يقتضي ما اثبتنا من المراجع.

(٤٢٠) ن، الأزهار : يصرف.

(٤٢١) المراجع : تفضيله.

(٤٢٢) ن ٣٣/٦، الأزهار ٢٧٠/١ : سنحت.

(٤٢٣ ـ ٤٢٤) ساقط من المراجع المذكورة ما عدا «ر».

(٤٢٥) ثبتت في الإحاطة مخ الأسكوريال ١/١٢٦ ـ ١٢٩، ط. القاهرة ١/٢٥٣ ـ ٢٥٥. النفح ٦/٢٨ ـ ٣٠، أزهار الرياض ١/٢٦٥ ـ ٢٧٧.

(٤٢٦) المراجع : ولا اختلف.

(٤٢٧) م : فريد، تصويبه من المراجع.

(٤٢٨) زيادة مما ذكر.

(٤٢٩) المراجع : يحل.

(٤٣٠) م : لطلع، وهو تحريف.

(٤٣١) م : استيار، وهو تحريف.

(٤٣٢) المراجع : داجيها.

(٤٣٣) ن ٢/٢٩ : ولا تألفت انهارها.

(٤٣٤) م : بل هي كالناقة والحديث عنه بالمكاره، تصويبه مما ذكر.

(٤٣٥) ن : يستشعر نفس العافية ويتمسح.

(٤٣٦) م : فبجانبكم، تصويبه من المراجع.

(٤٣٧) ن، الأزهار ١/٢٦٧ : ما نالكم.

(٤٣٨) ن : المواطن.

(٤٣٩) المراجع : أعظم.

(٤٤٠) المراجع : واسجع.

(٤٤١) م : الليات، وهو تصحيف.

(٤٤٢) م : عن، والسياق يقتضي ما أثبتنا من المراجع.

(٤٤٣) م : مظاهره، تصويبه مما ذكر.

(٤٤٤) بياض بالأصل، تصويبه من المراجع .

(٤٤٥) ن ٦/٢٩، الأزهار ١/٢٦٧ : دار خير.

(٤٤٦) المراجع : يعوض عنها.

(٤٤٧) المراجع : اديمها.

(٤٤٨) المراجع : ويجمع له بين.

(٤٤٨) الى هنا ينتهي ما ورد في المراجع.

(٤٤٩) ثبتت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، لوحة ٢٠٨، ط القاهرة ٢/٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٤٥٠) ر ٢٠٨ و : الأحوال.

(٤٥١) م : الأعناب، وكذلك في ط. القاهرة، أما في مخطوطة الأسكوريال فغير منقطة، والأرجح ما اثبتنا.

(٤٥٢) ر ٢٠٨ و : شانكم.

(٤٥٣) زيادة من «ر».

(٤٥٤) ثبتت في الإحاطة مخ الأسكوريال ١/١٢٦ ـ ١٢٩، ط. القاهرة ٢/١١٨ ـ ١٢٦. ـ ريحانة الاسكوريال ورقة ٢٧٥ ـ ٢٧٦، ط. القاهرة ٢/٤٣٠ ـ ٤٣٧. ـ النفح ٥/١٤٤ ـ ١٥٢.

(٤٥٥ ـ ٤٥٨) ساقط من ن ٥/١٤٥.

(٤٥٦) ح س : عفو.
(٤٥٧) من ح س.
(٤٥٩) ر، ن : فيء وظل.
(٤٦٠) ن ١٧٦/٥ ك ونفرض.
(٤٦١) ر ٢٧٥ و : بحال.
(٤٦٢) م : بالها، تصويبه مما ذكر.
(٤٦٣) ر : النعم.
(٤٦٤) من ح س، ر.
(٤٦٥) ر : العذل.
(٤٦٦) ن : في الكتب.
(٤٦٧) م : وظعينة، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن.
(٤٦٨) ر : وأنت منها عرى.
(٤٦٩) م : قضاوها.
(٤٧٠) ح س، ر : الركوع للملك.
(٤٧١) ح س، ن ٢٤٦/٥ : السلطان.
(٤٧٢) من ح س، ن.
(٤٧٣) ن : قرن.
(٤٧٤) ن : الوفود.
(٤٧٥) ح س، ن : مكلفة.
(٤٧٦) ح س : فان لم تنل أغراضها.
(٤٧٧) ح س : الأراقي.
(٤٧٨) ن ٤٧/٥ : ولا طفرة.
(٤٧٩) م : جارية، وهو تحريف.
(٤٨٠) ن : يسلمون.
(٤٨١) ح س، ر،ن : بالقليل فيكفيه.
(٤٨٢) ن ١٤٧/٥ : فرش تحتها.
(٤٨٣) م : و، الأنسب ما أثبتناه من ح س، ن،.
(٤٨٤) ن : ما التذت.
(٤٨٥) ن : جاذب.
(٤٨٦) ن : ويمشي اذا شاء.
(٤٨٧) ن ١٤٧/٥ : عمرته.
(٤٨٨) م : و، والأنسب (او).
(٤٨٩) م : مبين تصويبه مما ذكر.
(٤٩٠) م : ودار، وفي ح س : ودري والأصح ما اثبتنا من ن ١٤٨/٥.
(٤٩١) ن : من.

(٤٩٢) ن : لما .
(٤٩٣) ح س، ر، ن : والمشائيم.
(٤٩٤) ن : الأمانات.
(٤٩٥) ح س : اعريا، ن : اعراء.
(٤٩٦) ن : لجرايات.
(٤٩٧) ن ١٤٨/٥ : الا في ارث.
(٤٩٨) ن : حال قبولها مع الترفيه وما لها المرغوب فيه.
(٤٩٩) ح س ، ن: ومطبق.
(٥٠٠) ن : الواقب الغاسق.
(٥٠١) ح س، ن : حال.
(٥٠٢) م : وكيف.
(٥٠٣) ح س، ن : السحاءات.
(٥٠٤) ن : ونوشى.
(٥٠٥) زيادة من المرجعين المذكورين.
(٥٠٦) ساقطة من ن ١٤٩/٥.
(٥٠٧) م : لقضاء، تصويبه من المرجعين.
(٥٠٨) م : قطع، تصحيحه مما ذكر.
(٥٠٩) م : افيدنا، وهو تحريف.
(٥١٠) ن ١٤٩/٥ : فنتحول.
(٥١١) ن ١٤٩/٥ : الرحلة.
(٥١٢) ح س، ن : أهل الخطابة والامانة.
(٥١٣) ح س، ن ١٥٠/٥ : قدر.
(٥١٤) ح س، ن : وحاولت المقاطعة.
(٥١٥) ح س، ن : عادة.
(٥١٦) م : ولا يجيرني، تصويبه من المرجعين.
(٥١٧) ن ١٥٠/٥ : والفيت.
(٥١٨) من المرجعين.
(٥١٩) ر، ح ، س : المتدنسين.
(٥٢٠) ن : القادح.
(٥٢١) من المرجعين.
(٥٢٢) ر ٢٧٦ ظ، من الوصب وقلبك من النصب.
(٥٢٣ ـ ٥٢٤) ن ١٥٠/٥ : عينك فهو حقير.
(٥٢٥) ح س، ن المجموع الا الى التلف.
(٥٢٦) م : والاستشطاط، صوابه من ح س، ن .
(٥٢٧) ن : أمل.

(٥٢٨) ح س، ن : الفراق.
(٥٢٩) من المرجعين.
(٥٣٠) ن ١٥١/٥ : رفيقا.
(٥٣١) م : اديارة، صوابه من المرجعين.
(٥٣٢) ح س، : وعبد وعبيد.
(٥٣٣) ن ١٥٢/٥ : وتستجلي.
(٥٣٤) ح س، ن ١٥٢/٥ : الذي ربابه لابد هاطل.
(٥٣٥) م : الغبرة، صوابه من المرجعين.
(٥٣٦) ن : النث.
(٥٣٧) ح س، ن : الرث.
(٥٣٨) ح س، م : عرفني كل ثقيل.
(٥٣٩) ن : أهل.
(٥٤٠) م : وليس، صوابه من المرجعين.
(٥٤١) انظر القصيدة ٦٣ في ديوان الششتري، تح النشار، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.
(٥٤٢) ش : يتحذق.
(٥٤٣) بعض نسخ ش : اصله.
(٥٤٤) ش : تريد، والأنسب ما ثبت في المتن.
(٥٤٥) ش : الخطة.
(٥٤٦) ورد هذا القفل في ش : على الصورة التالية :

غـدا يمتحـق شكلـــــلوا   ويطـوروا فـــي وحلـــوا
يتمـزق يثبــت كثيـــــرا   رجلـــوا أو يزهــــــــق

(٥٤٧) ش : اسلم.
(٥٤٨) م : المركن، السياق يقتضي ما أثبتنا من ش.
(٥٤٩) زيادة من ش يقتضيها تركيب القصيدة.
(٥٥٠) ش : يظهر لو.
(٥٥١) ش : ان
(٥٥٢) ش : ولا تغلبوا، والأنسب ما ورد في المتن.
(٥٥٣) ش : وان.
(٥٥٤) ش : ويطلب.
(٥٥٥) ش : أو يقلق.
(٥٥٦) ش : أشكل لو أليق.
(٥٥٧) ش : بيه، ولعلها أنسب.
(٥٥٨) ش : السوى.
(٥٥٩) بعض نسخ ش : والوجد.
(٥٦٠) ش : وكل المعاني فيه.

(٥٦١) بعض نسخ ش : ينجمع.
(٥٦٢) ش : وفناؤه موجوع.
(٥٦٣) انظر القصيدج ٥٩ في ديوان الششتري ص ٢١٦ ـ ٢١٨. كما أورد ابن خلدون مطلعها في المقدمة، تح. علي عبد الواحد وافي ج ٤ ١٤٦٤، وكذلك في النفح ١٧/٧.
(٥٦٤) في معظم نسخ ش، وفي «ن» والمقدمة : بين طلوع وبين نزول.
(٥٦٥) من ش ٢١٦ والأنسب للوزن اختلط لك، (حسب نظرية د. كورينطي في عروض الزجل، انظر مقدمة ابن قزمان).
(٥٦٦) ش ٢١٧ : سيرو.
(٥٦٧) جميع نسخ ش : استحا، ولعله أصوب، اذا الامتحاء في كلامهم يطلق على غاية السكر.
(٥٦٨) ش : فلتجول ان كان تجول   أو تمور ترعى العجول
(٥٦٩) ش ٢١٧ : أرت.
(٥٧٠) قراءات مختلفة في نسخ ش، والتي أثبت د. النشار ويروي ذاتو بلا مرا.
(٥٧١) ساقطة من « ش».
(٥٧٢) ش : أحوال.
(٥٧٣) في بعض نسخ «ش» : يعرفونها، وفي اخرى : يعرفوا بها.
(٥٧٤) ش : يحتاج.
(٥٧٥) م : الخدود، والأنسب للمعنى ما أثبتناه من «ش».
(٥٧٦) ش : بدر، وهو أنسب.
(٥٧٧) ش : منه.
(٥٧٨) ش : لا اتحاد.
(٥٧٩) ش ٢١٧ : الحصون.
(٥٨٠) ش : ولم يصل.
(٥٨١) كذا في المتن وفي جميع نسخ «ش» : فقالوا، والوزن مضطرب في كلتا الحالتين، لعها : قالو.
(٥٨٢) كذا في المتن، والوزن يقتضي اليه.
(٥٨٣) ورد في «ش» ك هكذا :

وتـدر عليـه سيـول   وتلـذ لـو عسـول

(٥٨٤) ش : الفلك يدور.
(٥٨٥) م : طخت، تصويبه من «ش».
(٥٨٦) ش : بقول، وهو أنسب.
(٥٨٧) ش : ذي.
(٥٨٨) انظر القصيدة ٤٢، ديوان الششتري ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.
(٥٨٩) شرا : ٤٠١ : أنا ليس نظمان ابدا المدكا   ولا يلطم ظهره بعد نهكه.
(٥٩٠) ش : لس.
(٥٩١) ساقطة من «ش».

(٥٩٤) حقك.
(٥٩٥) ش : قالي،
(٥٩٦) ش : لدكة.
(٥٩٧) ش : «وشبكني وحط في عنقي شبكة».
(٥٩٨) ش : نقل .
(٥٩٩) ش ٤٠٢ : وبعد هذا.
(٦٠٠) ش : وسلكني ومزق أشياتي دلكه.
(٦٠١) ش : وفيت، والأنسب ما ورد في المتن.
(٦٠٢) اختلاف في ترتيب الأبيات، راجع القصيدة في المرجع المذكور.
(٦٠٣) ش : بالجبال.
(٦٠٤) «وأنا ما عك ونبصر ان كنت صادق».
(٦٠٥) م : جلب، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا.
(٦٠٦) ش : واخذني من بين.
(٦٠٧) وسلبني وفك قفلي المعمى.
(٦٠٨) ش : ثم قلي وحك.
(٦٠٩) ش : ودنوت.
(٦١٠) م : فلبق.
(٦١١) ش : وأ نا فيه بحال قلبق في سكه.
(٦١٢) ش : ولا معاند.
(٦١٣ ـ ٦١٤) ساقط من «ش».
(٦١٥) انظر القصيدة ٨ في ديوان الششتري ص ٩٩ ـ ١٠٠.
(٦١٦) ش ٩٩ : حصل لي.
(٦١٧) ش قاربي.
(٦١٨) كذا في الأصل، وهو ناقص، وفي ش : يوحشني.
(٦١٩) ش : فيك.
(٦٢٠) ش : يقبضني.
(٦٢١) ش : بانطباعي.
(٦٢٢) في بعض نسخ ش : وان.
(٦٢٣) بعض النسخ : عبيبة، وفي اخرى : عبيبة وفي اخرى : عبيبا.
(٦٢٤) ش : خيرك.
(٦٢٥) ورد في ش هكذا :
وكنـــت لـــي موانـــس　　　فـــي السكـــر والنـــديم
(٦٢٦) ش : شاربي، وهو أنسب للوزن.
(٦٢٧) بعض نسخ ش : هو ذاك، هو.
(٦٢٨) زيادة من ش.

(٦٢٩) ش ١٠٠ : يامن يقل لي كثره.
(٦٣٠) ش : فالناس.
(٦٣١) ش : مع بهجة.
(٦٣٢) ش : فاسمع.
(٦٣٣) ش : ماثم الا.
(٦٣٤) ش : فافهم.
(٦٣٥) اغلب نسخ ش : محق.
(٦٣٦) في ش هكذا :

عـــارض لزجـــل عاشـــق   خبـــرو لقــــــد درى

(٦٣٧) انظر القصيدة ٩١ في ديوان الششتري ص ٢٩١ ـ ٢٩٣.
(٦٣٨) ش ٢٩١ : اجعل.
(٦٣٩ ـ ٦٤٠) وردا في «ش» هكذا :

واذا رايـــت فتـحـــــك   وقــد اضـــا واستنـــار
ويـــدت لـــك خفايــــــا   كنـــز ذاك الجـــــدار

(٦٤١) ش ٢٩٢ : ورسيما لك.
(٦٤٢) ش : بوسخي.
(٦٤٣) ش : وترى.
(٦٤٤) في بعض نسخ «ش» : واني وفي، وفي أخرى : معاني.
(٦٤٥) ش : انما.
(٦٤٧) ش : ان أعطاك.
(٦٤٨) بعض نسخ «ش» : بالتمني.
(٦٤٩) ش : قال لي اهنا شوى.
(٦٥٠) ش : القبي، وهو أنسب.
(٦٥١) ش : وانف.
(٦٥٢) ش : واد كلك وبعضك.
(٦٥٣) م : ولن، وكذا في بعض نسخ «ش»، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٦٥٤) ش : ديرك.
(٦٥٥) ش : بنطرب.
(٦٥٦) ش : عندي.
(٦٥٧) ش : ذي.
(٦٥٨) م : ولا تطلب، والانسب ما أثبتناه من «ش».
(٦٥٩) ش : الفقيه أبو الحسن، وكلاهما صحيح، لانه يقصد أبا الحسن بن الحسن.
(٦٦٠) ش : ان لم ايش تدري قدرك.
(٦٦١) م : وتسميك، وسياق المعنى يقتضي ما أثبتناه من «ش».

تعليقات الفصل الثامن

[1] سلطان مصر : المنصور القلاووني (٧٣٨ ـ ٨٠١ هـ = ١٣٣٨ ـ ١٣٩٨ م وهو محمد المنصور بن حاجي المظفر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، بويع بالسلطنة بالقاهرة سنة ٧٦٢هـ = ١٣٦٠م، وقام بتدبير ملكه اتابك عساكره يلبغا فدامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر، بعدها خلعه يلبغا وادخله في دور الحرم بقلعة القاهرة سنة ٧٦٤هـ = ١٣٦٢م. انظر (الأعلام ٦/٧٥)

لأخبار الدولة القلاوونية انظر (الخطط ٢ / ٢٣٦ ـ ٢٤٢.

- D. Ayalon, The Mamluk military society, Londres, 1979.

[2] الإشارة الى الحديث النبوي : «قال وما لحج، قال العج والثج». (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١/٤٢٠).

[3] اشارة الى قوله تعالى : «وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة»، سورة ٨٠ (عبس)، آية ٣٨.

[4] اشــارة الى قول الشاعر : «كيف الحياة مع الحيات في سفط».

[5] صهب : ج. اصهب، وهو الأبيض المشوب بحمرة.

ـ السبال : ج سلبة، وهي اللحية أو شعر الشارب، وصهب السبال، من أمثالهم في نعت العدو. انظر (فصل المقال ص ٤٤٩).

[6] «ما عدا مما بدا»، من الأمثال ويقصد به ما منعك مما ظهر لك وقد قاله علي بن أبي طالب للزبير بن العوام يوم الجمل، واخذه الشاعر ابن عنين في قوله :

يا دهر ويحك ما عدا مما بـدا   أرسلت سهم الحادثات فاقصدا

(مجمع الأمثال ٢/٢٩٦ رقم ٣٩٩٨).

[7] يقصد مائدة سليمان التي تروى بعض كتب التاريخ ان المسلمين غنموها يوم فتح الأندلس.

[8] اقتباس من قول بشار بن برد :

يسقط الطير حيث ينتثر الحـــــــب وتغشى منـازل الكرمـاء

[9] بلج بن بشر (... ـ ١٢٤هـ = ... ـ ٧٤٢م) وهو بلج بن بشر بن عياض القشيري، قائد شجاع، من دمشق، بعث به هشام بن عبد الملك على مقدمة جيش الى افريقية، نزل بالقيروان، ثم رحل الى الأندلس حيث هزم البربر واستولى عليها أحد عشر شهرا، وتوفي بعدها. انظر (الأعلام ٢/٧٣).

[10] اشارة الى قول ابي تمام :

فاثبت في مستنقع الموت رجله   وقال لها من تحت اخمصك الحشر

[11] اشارة الى البيت :

ما أقدر أن يدني على شحط   من داره الحزن ممن داره صــول

نسبه ياقوت الى حندج بن المري بينما نسبه احسان عباس الى الحماسي.

- معجم الأدباء ٢/٣٧٠. ـ النفح، تح احسان عباس ١/٣٢٦ حاشية ٤).

- حزن : حزن بني يربوع وهو قرب فيد في جهة الكوفة. انظر (معجم البلدان ٢/٢٥٤).

- صول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدريند. انظر (معجم البلدان ٣/٢٣٥).

[12] اشارة الى قوله تعالى : «كذلك نقص عليك ما سبق وقد آتيناك من لدنك ذكرا، سورة ۲۰ (طه)، آية ۹۹.
[13] يقصد رضوان الحاجب.
[14] من المثل : «شالت نعامتهم»، سبقت الإشارة اليه. انظر (۱۸۸ / ۱۱).
[15] من المثل : «جاؤوا قضهم بقضيضهم»، أي كبيرهم وصغيرهم . انظر (فصل المقال ص ۱۹۸. - زهر الأكم ۲/۶۳).
[16] سورة ۸ (الأنفال) آية ۷. والآية هكذا : «ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين».
[17] بغا الخاصكي، كان مدبر الدولة في عهد محمد منصور القلاووني والأشرف، وقد انتهت اليه الرئاسة ونظام الملك، فبلغت مماليكه ثلاثة آلاف. انظر (- النفح ۲۷۱/۶ - الدرر الكامنة ٤٣٤/٤. - التعريف ص ٤٧).
[18] سورة ۳۸ (الصافات) آية ١٦٤. سورة ۲ (البقرة)، آية ٦٠.
[19] « لا تجود يد الايماتجد»، من الأمثال. انظر (المحاضرات ص ۲۷۲)
[20] اقتباس من الحديث النبوي : «المسلت الذي سقط على الحميم» (لع، سلت).
[21] من قول المعري :

أرى العنقاء تكبر ان تصادا فعاند من تطبيق له عنادا.

[22] اقتباس من قوله تعالى : « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا» سورة ٤ (النساء) آية ٤٣.
[23] الحطيم : مكان شمال الكعبة بمكة، وهو بناء مستدير على شكل نصف دائرة، وخلفه يقع المطاف الذي يحيط بجدر أربعة، وقد اختلفت في سبب تسميته بالحطيم. انظر (معجم البلدان ۲۷۳/۳. الروض المعطار، تح. احسان عباس ص ١٩٥. - صبح الأعشى، ٢٥٤/٤).
[24] من المثل : «شب عمرو عن الطوق»، انظر (زهر الاكم ۲۱۳/۳).
[25] سورة ٤ (النساء)، آية ٦٩؛ سورة ۳ (آل عمران) آية ۱۷۰.
[26] سورة ٤٠ (غافر)، اية ۳۹.
[27] السلطان : محمد الغني بالله، وابنه هو يوسف، الذي تولى ملك غرناطة بعد وفاة أبيه سنة ۷۹۳هـ = ۱۳۹۱م. انظر . العبادي : دراسات في تاريخ المغرب، والأندلس ص ٤٥٤.
- A. Arie, Espána nusulmana, p. 41).
[28] يقصد السلطان أبا زيان.
[29] اشارة الى قوله تعالى : «وما تدري نفس ما تكسب غدا»، سورة ۳۱ (لقمان)، اية ٣٤.
[30] سورة ٢٤ (النور)، اية ٣٦.
[31] دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليه المسك من الهند. انظر (معجم البلدان ٤٣٢/٢).
[32] اقتباس من بيت طرفة :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وأورده ابن قتيبة بالصيغة الاتية ناسبه الى عدى بن زيد :

عن المرء لا تسال وابصر قرينه فان القرين بالقرين مقتدى

ومنه المثل : «عن المرء لا تسال وابصر قرينه». (مجمع الأمثال ٤٢٩/٢ - عيون الأخبار ۱۷۹/۳).
[33] اشارة الى قوله تعالى : ومن شر غاسق اذا وقب» سورة ۱۱۳ (الفلق)، آية ۲.

[34]سورة ٩ (التوبة)، اية ١٢١.

[35] السموال بن حيان بن عاديا اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، فيقال : «اوفى من السموال. (مجمع الأمثال ٣٧٤/٢ رقم ٤٤٣٢).

[36]القطب : مصطلح صوفي يعني الولي الذي بلغ أعلى المقامات.

[37] أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر بن خلدون، المؤرخ الشهير (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ = ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م)، انظر حياته مفصلة في كتابه «التعريف».

[38]اشارة الى قوله تعالى : «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح»، سورة ٢٤ (النور)، اية ٣٥.

[39] الجنيد : أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، امام الصوفية، توفي سنة ٢٩٧هـ = ٩٠٩م انظر (السبكي : طبقات الشافعية ٢٨/٢).

[40]الحسن : الحسن بن هانىء بن الجراح المكنى أبا نواس، الشاعر العباسي المشهور.

[41] الهماليج : ج هملاج، وهو البرذون الحسن السير.

[42] اشارة الى هند بنت خارجة الفزازي (٠٠٠ ـ ١٠٠هـ / ٠٠٠ ـ ٧١٩) من أهل الكوفة، وقد كانت مشهورة بجمالها فتزوجها بشر أمير العراقين. انظر (الأعلام ٩٦/٨ ـ ٩٨).

[43] الديماس : أخذها العرب من اللفظة اليونانية "Thermos" التي تعني مع الكلمة التي تطورت منها : داموس، ثم تطورت اللفظة وأصبحت تعني القباب والأروقة والأبنية المقوسة. انظر (ورقات عن الحضارة التونسية ٣٥٢/٣).

[44]الابرية : القشرة التي تكون في الراس وتزال بالمشط.

[45]اللوى : ما التوى من الرمل ومسترقه.

ـ المنعرج : المنعطف.

[46] البيتان لبشار بن برد، وضمنهما المثل : اليك يساق الحديث»، وهو يضرب في سوء المسالة اذا عجل بها قبل أوانها. انظر (مجمع الأمثال ٤٨/١ رقم ١٨٥. ـ فصل المقل ص ٥٠. زهر الأكم ٨١/١).

[47]هذا البيت لامرىء القيس .

[48] التكة : بكسر التاء، رباط السروال، ولازالت اللفظة مستعملة في المغرب الى الآن.

ـ الشكة : السلاح.

[49]عسطوس : الخيزران. (المخصص ١٠١/٤).

[50] سليك بن سلكة وهو تميمي من بني سعد، يضرب به المثل في العدو. (مجمع الأمثال ٤٧/٢ رقم ٢٦١٤).

[51] البراض : (... ـ نحو ٣٥ ق هـ / ... ـ نحو ٥٩٠م) هو البراض بن قيس رافع الضمري الكناني، فاتك جاهلي بسببه هاجت حرب الفجار بين خندق وقيس، ويضرب به المثل، فيقال : «افتك من البراض»، واليه أبو تمام بقوله :

كل يوم له بصرف الليالي فتكة مثل فتكة البراض

انظر (الأعلام ٤٧/٢. ـ مجمع الأمثال ٨٧/٢ رقم ٢٨١٨).

[52]الاعتراض : عدم المبالاة بالقتل في حال الخروج.

[53]البيت لقيس بن الخطيم. (ديوانه ص ٧).

[54] البيت لابراهيم بن سهل. انظر (ـ اللمحة ص ٩١. ـ الإحاطة ٥٣٣/١)
[55] البيت لأبي فراس الحمداني، وله رواية أخرى :

اذا لم عون من اللـه للفتـى اتته الرزايا من وجوه الفوائد

انظر (ديوانه ص ٨٣)
[56] هذا البيت يجري مجرى الأمثال، ومنه أنك تشكو الى غير مصمت، أي لا يهتم بامرك. (مجمع الأمثال ١٢٦/١ رقم ٦٤٢).
[57] «يضرب في حديد بارد»، مثل يضرب لمن طمع في غير مطمع. (مجمع الأمثال ٢ / ٢٨٦ رقم/٤٨٨٣).
[58] يتضمن المثل : «قد أسمعت لو ناديت حيا»، ويضرب لمن يوعظ ولا يفهم (مجمع الأمثال ١٠٦/٢ رقم ٢٨٩١).
[59] سورة ٦٥ (الطلاق)، اية ٧.
[60] رشاء : حبل الدلو.
ـ الركية : البئر الذي به ماء.
[61] الدكة : بفتح الدال : ما استوى من الرمل، أو بناء مسطح أعلاه للجلوس أو لجعل كرسي عليه، والجمع دكك، ويبدو أن المعنى الثاني هو المقصود.
[62] الميرة : م مير، الطعام الذي يذخره الإنسان.
[63] عجز بيت من معلقة امرىء القيس صدره «وان شفائي عبرة مهراقة».
[64] سورة ٥٤ (القمر)، آية ١.
[65] اشارة الى العلم العباسي، الأسود اللون مكنيا به عن سواد شعرها.
[66] البيتان لأبي علي بن الشبل. انظر (القفطي : المحمدون من الشعراء ص ٢٧٢).
[67] سورة ٨ (الأنفال)، آية ١٧.
[68] خام : جبن.
[69] السانح من الصيد : ما جاء عن يمينك فولا ك مياسره والعرب تتفاءل بالسانح وتتشاءم بالبارح ومنه المثل من لي بالسانح بعد البارح. (مجمع الأمثال ٣٠١/٢ رقم ٤٠٢٦).
[70] الاترج : ثمر تسميه العامة الكباد، وهو من جنس الليمون.
[71] اقتباس من حكمة المتنبي الشهيرة :

أعيذها نظـرات منك صـادقــة ان تحسب الشحم فيمن لحمه ورم

[72] المريج : الملتبس.
[73] ظالع : ظلع البعير، اذا غمز في مشييه.
[74] اشارة الى بيت قاله محمد بن طلحة بن عبيد الله يوم الجمل :

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميـم قبل التـنــدم

وتبتدئ عدة سور بحاميم، ولعل المقصود هنا ـ سورة ٤٤ (الدخان).
[75] سورة ٩٣ (الضحى)، آية ٢.
[76] وضاح اليمن : (٠٠٠ ـ ٩٠هـ/٠٠٠ ـ ٧٠٨م) هو عبد الرحمان ابن اسماعيل بن عبد كلال، شاعر رقيق الغزل، جميل الطلعة قدم مكة حاجا في خلافة الوليد بن عبد الملك فرأى أم البنين

بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد، تغزل بها فقتله الوليد، ويسميه بعض المؤرخين عبد الله بن اسماعيل. انظر (الأعلام ٣/٣٩٩)

[77] سورة ١١٣ (الفلق).

[78] سورة ٦٦ (التحريم)، اية ٦.

[79] اقتباس من بيت معلقة امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

[80] تافلفلت : مدينة صغيرة مبنية في سهل رملي على بعد خمسة عشر ميلا شرقي معمورة واثني عشر ميلا من الرباط. انظر (ـ الروض المعطار تح. احسان عباس ص ٧٥. ـ وصف افريقيا ١/٢٦٨).

[81] يقصد بذي النورين عثمان بن عفان.

[82] اشارة الى قوله تعالى : «وان تجمعوا بين الأختين الاماقد سلف»، سورة ٤ (النساء)، آية ٢٢.

[83] اقتباس من بيت ربيعة بن ثابت الرقي :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى   يزيـد سالـم والأغـر بن حاتـم

[84] ابن زمرك : (٧٣٣ ـ ٧٩٣هـ = ١٣٣٣ ـ ١٣٩٠) محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد الصريحي أبو عبد الله، من أشهر شعراء الأندلس. انظر (الأعلام ٧/١٥٤.

(EI, 2 III 997 [F. de la Granja]).

[85] سكباج : بفتح السين وكسرها، لحم فتى يوضع في صلصة خيل. انظر (كتاب الطبيخ في الأندلس والمغرب لمؤلف مجهول ص ٩٤).

[86] مهرقم : بائع بقايا الحيوانات كالقلب والكبد ولازال في المغرب يسمى ببائع الهرقمة الخ... (دوزي ٢/٧٥٥).

[87] يقصد بالوصي عليا بن أبي طالب.

[88] ابن حجر : امرؤ القيس الشاعر الجاهلي المشهور، والشطر مأخوذ من بيت من معلقته، صدره : «مكر مفر مقبل مدبر معا».

[89] سورة ١٠٤ (الهمزة). اية ١.

[90] ارنب القمر : احدى منازله

[91] أيوب : يقصد به النبي أيوب ويضرب به المثل في الصبر. ـ درع داود : تنسب اليه لأنه أول من صنعها.

[92] اشارة الى سورة ٢٧ (النمل)، آية ١٧، ١٨.

[93] أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل السلطان النصري توفي سنة ٧٥٥هـ = ١٣٥٤م وهذا التاريخ قديم جدا عن تاريخ تأليف النفاضة، ثم حسب القرائن فالأرجح أن المقصود هو أبو عبد الله بن الحجاج، وأنه مجرد سهو من الناسخ.

[94] سقيفة بني ساعدة : توجد في المدينة المنورة وفيها اجتمع المسلمون لمبايعة سعد بن عباد الخزرجي.

[95] وادي القبط : (وادي النبط]، وهو وادي أبي رقراق الذي يفصل الرباط عن سلا ويصب في المحيط، وقد سماه ابن الخطيب في النفاضة وادي النبط. انظر (النفاضة ٢/١٢٥).

[96] اسمير : وادي أبي رقراق. انظر (الاتحاف الوجيز ص ٥٠).
- ناظور : برج، مركز الحراسة حاليا.
V.(- J. Caillé de Rabat jusqu`au portectorat francais, 3 V. Paris 1949).

[98] يشير الى بانيها يعقوب المنصور الموحدي سنة ٥٩٤هـ = ١١٨٧م انظر (الأعلام ٢٦٧/٩).

[99] رياض الشيخ : لعل المقصود بها زاوية الشيخ أبي زكريا وهي مجاورة للجامع الأعظم من طالعة سلا، وقد كانت من الأمكنة التي يجتمع فيها الأولياء وينزلون بها قصد التبرك والزيارة والرباط وبها نزل الشيخ أحمد بن عاشر بعد وفاة شيخه اليابوري. انظر (الاتحاف الوجيز، ص ٥١).

[100] أبو العاصي : يقصد به وادي أبي رقراق (حسب راي د. المنوني).

[101] يقصد زوجته التي توفيت بسلا ودفنت هناك. انظر (النفاضة ٢٠٥/٢).

[102] واحد الأحد : أحمد بن عاشر المتصوف الشهير.

[103] عبد العزيز الصنهاجي، من مشاهير الأولياء بسلا، كان علي قيد الحياة سنة ٧٧٠هـ ١٣٦٨م. انظر (- الأتحاف الوجيز، لوحة ٩١. - اتحاف اشراف الملا، لوحة ٤١، درة الحجال ١٢١/٣).

[104] الزاوية العليا : زاوية النساك أو الزاوية العنانية، من أقدم الزوايا بسلا، بناها أبو عنان خارج مدينة سلا قصد تزويد الواردين عليها من الغرباء والمنقطعين وذوي الحاجة، وأعيان الدولة، وقد فرغ من بنائها في ٢٨ شعبان ٧٥٧هـ = ٢٥ اغسطس ١٣٥٦، ولها بابان أحدهما مواجه لسلا والآخر لشالة، (الاتحاف الوجيز، ص ٥٨).
- Jaques Meunié, " La Zaouiat En Noussak, une fondation merenite aux bords de Salé", Mélanges d'histoire et d'Archeologie de l'Occident musulman, t. II, Hommage a G. Marcais, Alger 1957, PP. 129-145).

[105] ابن رضى : لعله أبو يحيى مسعود بن أبي بكر بن مسعود الرضي، ينتمي الى غرناطة، وقد خلف أباه في منصب القضاء بسلا (اتحاف اشراف الملا، لوحة ٦٢. - الإحاطة ٥٣٨/١).

[106] ابن داود : أبو القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد بن داود الفخار، توفي في حدود ٨٠٠هـ = ١٣٩٧م. انظر (المنوني : ملامح ودواوين في السيرة والمديح النبوي، مجلة دعوة الحق، ٩، ١٠، (١٩٦٦) ص ١٠٥-١٠٦).

[107] ابن غياث عمر، كان طبيبا وناظر المارستان العناني بسلا، وهو من أساتذة محمد القوري في الطب، ويقال أن ضريحه يعرف بسيدي مغيث بطلعة سلا على مقربة من الجامع الأعظم، كانت وفاته في آخر المائة الثامنة. (الاتحاف الوجيز، ص ١٤٦).

[108] سعد بلع : نجمان مستويان في المجرة أحدهما خفي، وسمي الأكبر بالعا كأنه بلع الآخر، وتقول العرب اذا طلع سعد بلع صار في الأرض لمع، وفي نوئه يكثر المطر. انظر (عجائب المخلوقات ص ٨٣).

[109] يحصد الإنسان مازرع، مثل مشهور، ويوجد في أمثال العوام بالصيغة التالية : ازرع ما تحصد. انظر (أمثال العوام ١٧٨/١ رقم ١١٧).

[110] أبو جعفر بن خاتمة (٧٠٠ - ٧٧٠هـ / ١٢٩٩ - ١٣٦٩) هو أحمد بن علي بن محمد ابن خاتمة أبو جعفر الأنصاري الأندلسي من المرية، طبيب مؤرخ، أديب. انظر (الأعلام ١٨٦/١ -

الكتيبة الكامنة ص ٢٣٩ (ـ نثير الجمان ص ١٧٥).

[111] اشارة الى قوله تعالى : «كيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»، سورة ٥٧ (الحديد)، اية ٢٣.

[112] اقتباس من بيت الشريف الرضي :

لو كانت اللمة السوداء من عددى ... يـوم الغـيم لـا أفلـت اشـراكـي

[113] عجز بيت من معلقة امريء القيس صدره : «وان شفائي عبرة مهراقة».

[114] اشارة الى بيت عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وعين الرضى عن كل عين كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويـا

انظر (ابن قتيبة : عيون الأخبار ١١/٣).

[115] سورة ١٢ (يوسف)، اية ٨٦.

[116] عجز البيت التي :

الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا ... ولو تـرك القطـا ليـلا لنـامـا

وهو يضرب مثلا عمن اجبر عن مكروه. انظر (ـ فصل المقال ص ٣٨٤ ـ مجمع الأمثال ١٧٤/١ رقم ٣٢٣).

[117] البيت لصالح بن عبد القدوس، وهو يتضمن معنى المثل من نهشته الحية حذر الرسن الأبلق، ويوجد أيضا في أمثال العوام بصيغة : «من لذغة الحية من الحبل ينفر». انظر (ـ تاريخ بغداد ٣٠٤/٩ ـ مجمع الأمثال ١٩/٢ رقم ٤١٣٢ ـ امثال العوام ١٤٣/١).

[118] حاجر : موضع من ديار بني تميم. انظر (معجم ما استعجم ٢٢٩/١ ـ معجم البلدان ٢٠٤/٢).

[119] اشارة الى قوله تعالى : «وربك يخلق ما يشاء ويختار»، سورة ٢٨ (القصص)، اية ٢٨.

[120] أبو القاسم بن داود ابن الفخار الصديقي السلاوي، فقيه ومحدث وشاعر كان أحد المدرسين بمدرسة الطالعة بسلا توفي سنة ٨٠٠ هـ. انظر (درة الحجال ٢٨١/٣، الاتحاف الوجيز ص ١٤٠).

[121] سورة ٥٧ (الحديد)، اية ٢.

[122] أبو عبد الله بن مرزوق (٧١٠ ـ ١٣١١هـ / ١٣١١ ـ ١٣٨٠م)، هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، يكنى أبا عبد الله ويلقب بشمس الدين، من أهل تلمسان، وهو مؤلف المسند الصحيح. انظر (نيل الإبتهاج ص ٢٦٧ الديباج المذهب ص ٣٠٥ ـ التعريف ص ٤٩ ـ الأعلام ٣٢٨/٥).

[124] الحوائط : ج. حائط، وهو البستان المحاط بجدران.

[125] كباء : ما يتبخر به كالمندل، وهو عود، والجمع كبى.

[126] كعب بن مامة : من بني إياد، ويضرب به المثل في الجود فيقال أجود من كعب بن يمامة. (مجمع الأمثال ١٨٣/١ رقم ٩٧٨).

[127] الهياط والمياط وهو مثل يقصد به شدة واذي والهياط معناه الصياح، والمياط : الدفع، ومنهم من يجعله من الصياح والجلبة. (مجمع الأمثال ١٢٠/١ رقم ٥٠٦).

[128] القيراط : نصف الدنق، وقيل ربع سدس الدينار.

[129] الساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق، والجمع سوابيط وساباطات.
[130] سورة ٣٨ (ص)، اية ٦٧.
[131] الششتري : (٦١٠ ـ ٦٦٨هـ / ١٢١٣ ـ ١٢٢٩م) هو علي بن عبد الله النميري أبو الحسن، من ششتر، وهو متصوف مشهور. انظر (الأعلام ٣٠٥/٤. ـ علي سامي النشار : «ابوالحسن الششتري الصوفي الأندلسي واثره في العالم الاسلامي»، صحيفة المعهد المصري، السنة ١، ١، (٩٥٣) ص ١٢٩ ـ ١٦٨. ـ ديوان الششتري ط ١، الإسكندرية ١٩٦٠، ص ١ ـ ٢٠).
[132] الغلطا : نطق عامي للفظة الفلطا التي تعني الأرض الصلبة، ويقصد بها هنا النفس الأمارة، ويتفق هذا مع تعريفه لها في روضة التعريف حيث قال : «وهذه النفس لا يقع عليها الاختيار، فهي حجر صلد، غير قابلة للفلح.. » انظر (ابن الخطيب : روضة التعريف ٣٦٨/١).
[133] يمتـخ : يقتلع الشيء من موضعه.
[134] يفتق : يمزق.
[135] اشكل : احسن.
[136] جنـح : خرجت له اجنحة.
[137] أشلق : تعلق ولازم.
[138] خليـع : سكران.
[139] يقطع في القطيع : يشرب حتى الثمالة، ويقصد الخمرة الالهية.
[140] مـــر : أذهب.
[141] مـــرا : امراة.
[142] مـــرا : مرآة.
[143] ويدي نوره الغلط : لعل المقصود به بدر الغلط، وذلك بأن يشهد اثنان برؤية هلال رمضان، فيظهر نوره فيما بعد ويكشف الغلط.
[144] المسول : الحليب.
[145] مهاود : مطيع.
[146] الجزور : الجزر، ج. جزيرة.
[147] حلب وحمص : بلدتان شهيرتان بسوريا. معجم البلدان ٢٨٢/٢ ـ ٣٠٢/٢).
ـ أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة : (معجم البلدان ٣٠٨/٤).
ـ عكـــــة : اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن. (معجم البلدان ١٤٣/٤).
[148] المغمى : المقفل.
[149] : قلبق : تعريب للكلمة الإسبانية (Galapago) وتعني السلحفاة. ـ فبركا : في بركة.
[150] قليبتي : تصغير قلبي.
[151] لوشي : يقصد نفسه لأنه من لوشة.
ـ ششتري : أي الششتري الذي سار على نهجه في الزجل.
[152] عرق عرب ورمل ماية : من أقسام الموسيقى الأندلسية. انظر (الجراري : معجم مصطلحات الملحون الفنية، الرباط ١٩٧٨، ص ٨٩).
[153] ابك : الأب، بفتح الألف وتشديد الباء، الحبوب.
ـ الغبار : السماد.

[154] طلع ثم فار : طزج.

[155] الفقي ابن الحسن : أبو الحسن بن الحسن النباهي . سبق تعريفه.

[156] ابن جزي : (٧١٥ ـ ٧٨٥هـ ١٣١٥ ـ ١٣٨٣م) هو أحمد بن محمد من أحمد بن عبد الله بن جزي، من غرناطة كان فقيها وأديبا، وقاضيا. انظر ترجمته ومصادرها في (معجم المؤلفين ٧٢/٢).

[157] فلي : تصغير فلان

[158] اقتباس من بيتي الششتري. انظر (ديوانه ص ٤٤٠).

مثل حسنك ما رأينا　　قط يا وجه السرور

أنت شمس أنت بدر　　أنت نور فـوق نـور

كما نجد هذه المعاني عند الحلاج في قوله :

وكيف يثبـت ثـــان　　وأنت فـرد فـرد

يجوز قلبي المعانـــي　　وليس من ذاك بد

المد في الناس مولى　　كأنـني فـيك بـد

انظر (سبك المقال، مخ. الخزانة الحسنية رقم ٢٠٥، لوحة ٥).

[159] فردام : لعلها من اللفظة الفصيحة في ردام، أي لا خير فيه.

[160] سهيل : (Fuengerola) مدينة صغيرة ساحلية تقع شرقي مربلة بمسافة ٢٨ كلم.

- بسطة : (Baza) مدينة قريبة من وادي آش، وهي مشهورة.

[161] خلف : من اللفظة الفصيحة بفتح الخاء وكسر اللام بمعنى احمق.

- نجيبو : نجيبه. والإنسان النجيب : الفاضل النفس والعمل. الذكي.

[162] يغمض : يطبق عينيه، كناية عن الموت.

[163] لا من يغمض : يعني لا من ينام.

[164] محمد الأولى : الغني بالله، ومحمد الثانية : محمد الرسول.

[165] شمل : يسار.

[166] الفنش : يقصد بها Pedro el Cruel.

- نومتار : لفظة اسبانية (No matar) بمعنى لا تقتل.

- ياشنيور : السيد بالاسبانية (Señor). قطيبو : تعريب للفظة الاسبانية (Cautivo) التي تعني الاسير، ويقصد أبا سعيد البرميخو الذي قتله بدرو الأول. (المتن، ل ٧٧).

/213/

الفصل التاسع

رجع التاريخ
«احتفال الغني بالله بالمولد النبوي لعام ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م»

وفي شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة استدعى السلطان الناس إلى بنيته الضخمة، سمر الركاب، وحديث الرفاق، وحجة الهمة، وفذلكة الحسن، التي ابتدعها لحين ولايته الثانية، هذه المنقذة من البأساء، الفاتحة بالقبول أبواب السماء، واتخذها مجلسا عاما، وإيوانا للمشورة جامعا، فأغرى بها نفس الملك، وخاطر التهمم، وأطاع داعي التوسع، وتجاوز الغايات، إذ عمد إلى المشور القديم أثر سلفه، فصيره دكًا، واستضاف إليه ما جاوره تبحرا، فأقام بشرفه [1] مجلس القعود ومنتصب سرير الإمارة، ومفترش أريكة الملك والتحية على سرير الإمارة، أعباء الأحوال التي تطمح إليها قدر الخلفاء جفاء ورحبا وزليجا وعمدا ونقشا وزخرفا، ورفع مكانها عن أرض الإيوان فوق القامة، تطل عليه منها القسي المزخرفة، قائمة فوق عمد المرمر المخروط طولا يعيي الخطو، ويتعب الذرع، تحته أدراج ثلاثة، قد غطي كل ذلك اللبن [2] المغشي بالزجاج الملون بين قائم وقعيد، ومشترك ومفصول وأقلت سقف القبة العليا عمد أربع كأنما فردن من أديم الصباح، أخذها على بدانتها الخرط، فترك بها من الأسورة والتحازيز ما يبهت العين ويذهل الفكر، قامت على أربعها قبة سامية على سائر المسقف، قد منطقها بحر الزجاج، عديم الفياصل، "عبرة لأولي الأبصار" [3]، ودارت به المسقفات آخذة نهاية الاحتفال خشبها، بالغة أقصى المبالغ سموكها، تناظر منها مسقفان ضخمان قبلة وجوفا، قد برزا في الشكل المخمس وتفننت فيهما الصنائع، وتعددت الأشكال والفصوص، ولطفت النقوش، وتناسبت الأصباغ، وماج بحر الزليج في جميع حيطانها، يعلو محصور خواتمه طرّة نقش بها منظوم يجمع فصول / 214/ السياسة [4]، قد علت حروفه ورق الذهب الإبريز، وتراكم خلالها سحيق

اللازورد(١)، وغشيت الأبواب المفضية إلى دهليز القصر والدويرة المنسوبة لخزانة الطيب ومدخل القبة المعينة للجمهور وقبة خزانة العطاء على ضخامة الألواح وعراضة المصاريع بالصفح المصقول المخطوط، صنائع يفصل بين حدودها قضيب الشبه المموه بالنضار ومسماره، وامتد بين يدي هذه القبة منخفضا تلثي القامة الدار القوراء المخصوصة بإسم المشور الخاص، إيوان فخم تساير فيه العين، حيث البساطة والسذاجة، والانفساح والضياء، يقابل مدخلها القبة الموصوفة مفضيا إلى المشور الثاني، وقد حفّ بهذا الإيوان المسقف الطويل المذكور بلاط الوليد، القائم على عمد المرمر المخروط، مائلة كأعناق الغيد، تقل من تيجان القسي كل بديع، وفي المسقف عن يسار الداخل البهو المطل على البلد، المحدق إلى ما وراءه من مراصد البيات وحدود الثغور، المصغي سمع محتله إلى أهزاج المياه المنحدرة عن فيوض برك القلعة، ولغط الخلق كدوي الدبر في بيوتهم دويها، وبهذا البهو كان مثول السلطان يوم الكائنة [5]، فاختص هذا المكان بمزية الظهور، وخصوصية الطائلة، وأفرغ عليه لقب النصر، ومثل بوسط هذا القصر الفسيح الأقطار الصهريج الغريب الشكل، المقدرة أضلاعه، وقطع (٢) من دوائر، تصب فيه ميازيب الخصص [6] الرحيبة، المربية أقطارها على القامة الإنسانية، وأسود النحاس من المموهة الموهمة إحكاما وأجراما أشبال الحيوان تنساب عن العباب المتدارك، ويفضي المدخل إلى المشور الثاني المنحط عن شكل الأول وذرعه، المشتمل على السقائف والميضات، [7] ومقاعد الكتبة وقبة العرض، واستجلاء الرقاع، ومباشرة المتظلمين، والمثول لتحية (٣) العامة، المفضي بابه إلى الطريق / المجاور /215
إلى المسجد العتيق، خلف (٤) الزخرف أثر السلطان أبي الوليد [8] رحمة الله عليه.

فأقام ليلتئذ بهذا المصنع، المنقطع القرين في معمور الأرض على حياله من توسط الإحكام إياه بنيته (٥)، المولد الكريم ولما يكمل أوله فضلا عن تاليه، فرفع وسطه بالهندام الهائل، المسخر في مهرة الملاحين ورؤساء البحريين، متناء (٦) الأصل عن الذؤابة، بعيد مهوى الورقة الساقطة، ممتازا بحسن الشكل، ساميا في الجو كالصعدة [9] إملاسا واستقامة، ولم يرض بعده في الهواء (٧) حتى أضيف إليه مثله لاءم بينهما الإحكام شدا ودسرا، ورفع بأعلاه السقف المرفوع و"الظل الممدود" [10]، الخباء الشهير المنسوب اتخاذه لهم السلف من هذا البيت، يسع كنه، وتعم طنبه الجمع المشهود، واللفيف المحشود، والبيض والسود، المحملة أجزاؤه الظهور الغزيرة (٨) من دواب البحر، المؤلف بعضها إلى البعض بعرى الحديد التي لا تنتهي القدر البشرية إلى ماوراءه، الجامع من الرقوم والأوراق

والأصباغ ما لا تتعاطاه البطاح إذا حلت أوكيتها (٩) السحاب الدكن، وحنت عليها الغمائم الوطف، ولا الرياض حالاها الحزن (١٠) [11]، ودبجها المزن، ومن الجدل الفارة ثعابينها إلى أقاصي المطارح وغايات المراسي والمساحب كل قوي متين، وثعبان مبين، ومن الجلود المخروزة (١١) بخيوط الحرير واللجين على الأشكال المتعددات، الطاعن في نحر الجو بالجامور الهائل والتاج الفخم، المتعدد القسي والتفافيح والتفاريع، المرسل الهيدب، الفلكي النطاق، الأفقي الذيل، المتناسب الأكر، المغير ذوائب المآذن الشهيرة، وصوارى المراكب مدن البحار الزاخرة، فعمت أذياله سماء الإيوان على تباعد أقطاره، فجاء عبرة الأبصار، وخبرا باقيا على الأعصار، وعم أرض القبة العليا بالفرش الرفيعة، قد علتها أريكة الملك، لابسة زي التجلة، موثرة شعار الوقار بياضا وخصوصية، وجللت أرض المشور جمعاء / الحصر النظيفة، والأنطاع العجيبة، ولزقت بحيطانه منها الأستار البديعة اللطيفة، ودارت بالبركة الصخرية (١٢) من حسك البلور والشبه ما تقصر عنه ديار الملك وخزائن الخلائف، وتخللت الساحة العريضة أجرام المنار الرحيبة الأقطار السامية العمد، الفيلية الأرجل، المتعددة الأقراط، أشجار عادية، وأجرام نحاسية عكف الصناع على إيلاف أعضائها أياما، فجاءت موثرة للبهت، مبلدة للفكر، وأجرام من الحسك بين الشكل الأقور والمخروط، مقاعد للشمع ومنابر لجنوع الموم، إلى ما لا يحصى من الأنوار والمشاكي وأوعية (١٣) المشاعل وجلال الشمع وخشاشه، بحسب الأماكن والشوكات والتفاريع، وانطلقت على تلك العمد الشمعية وجذوع بناء النخل (١٤) أيدي سدنة بيوت الله عند غروب القرص، فأشعلت ذوائبها بالنار، فأزهر الدوح الأشب، وراق المرأى المعجب. /216 /

ولما اجتمع الناس، وماج من دون الأبواب البحر، وكاد يرديهم على انفساح المدى الضغط، برز السلطان في خاصته فاقتعد أريكة الملك مغريا بتلك الأوضاع حسن نظره، ومتخير ترتيبه، ثم أذن للناس على طبقاتهم، فاستقروا عن تزاحم وتدافع وعلاج أنساهم مضضه التعجب من هول ما أفضوا إليه، يغشون كرسي الملك مطرين ومحيين (١٥)، فيسعهم بشره، ويشملهم بالجميل وحسن المقارضة رده، ويبهت أبصارهم شكله، ويبهرهم رواؤه لمكان تاج العمة التي أصار إليها زي الملك بالأندلس، وكان غفلا منها قبله [12]، ونباهة الجلسة التي عينتها همته ثم أقيمت الصلاة جامعة، وعند الفراغ أحكم الخدمة والعرفاء ونبهاء المماليك ترتيب الناس، فكان بمحل الغرفة من مجلس السلطان شيوخ القبائل، والأشراف بنو الفواطم، ونسباء الملوك، وأهل العلم، وبين يديه الصوفية والفقراء فيما انخفض بين يدي جلسته من المشور الخاص وهم لهذا العهد كثير عددهم / من المتسببة والمتجردين، /217 /

وأرباب الخرق المسافرين، والأعجام الواردين، ويتلوهم التجار وقد جمع هذا العهد منهم المئين فيهم العدد من المشارقة والتونسيين، وغص المشهد الرحب بسائر الطبقات، وعيون الرعية قد ألبسوا أثواب الزينة، واختالوا في فاخر الكسوة، ثم كان الرسم من الشروع في ذكر الله، والإنصات أعشار القرآن وبالغ الوعظ، ثم اندفاع الأغاني وزفير اليراع الأجوف، وطاف على الناس النبهاء من وجوه الخدام والمماليك الروقة [13] قد تمنطقوا فوق الأقبية الديباجية، وبرزوا في زي الانشمار، على رؤوسهم أفلاك الموائد الخشبية الفسيحة الأقطار، المتلاعبة بالأفكار، في مجال الاعتبار، بما تنتهي إليه أجرام الأشجار، ماثلة في حلل الرقوم البديعة، والنقوش الغريبة، بعد تعميم الناس بالوضوء في الأواني الكريمة السنح [14]، المهاة الصقل، الموهمة سحانها (١٦) مرأى الذهب البحت، قد أقلت جواريها المنشآت وأجواؤها الخرقة من أصناف الطعام ما شكت جوره مسارح البهم وبيادر الدواجن ودنان الدهن وقناني المرى [15] وأوعية الخل ومخازن (١٧) العبير والتابل وكور النحل، قد تفنن فيها العلاج شيا وقلوا وتكبيبا وحشوا في مصران الحوايا وتحميصا وتربيبا باللبوب والبزور (١٨)، وحلوى [16] وجوارشات [17]، ودارت فوقها من قرص خبز الحوارى [18] بدور لم يشنها المحاق، وطرف تتهاداها الرفاق، تعد ذلك حتى إذا أعيا العد وحير الفكر، وأوجب البهت بذي العلية المستاثرة بالدنو من الأريكة فثملوا من نخب ذلك المطعوم، ثم تلاهم التجار والغرباء تحفيا وسروا وإيثارا واعراقا في نسب المروة، ثم استتبع جميع الأصناف، ثم نقر (١٩) عن الزوايا والليات والمنعرجات والدهاليز والمراصد والأبواب، فعم البر، وشمل الرزق، ولم يكد المدى يبعد حتى أطل ركاب تال يحمل من موائد اللطف والفواكه اليبسة (٢٠) المزاج عجمها ونواها وأعالي / قشورها والكعك [19] البديع والتفاح الحلو في أوعية وأطباق خشبية رومية، مما يطرف بها تجار "جنوة" وما يصاقبها من الجزائر الروميات، ملبسة بالورق الذهبية، مرصعة بالزجاج المرسوم فيه صور الحيوان والأشجار، عبرة للأبصار، قد تراكم بها الفاند الرفيع الذي قصر عنه قريع الطبرزدين [20]، محشوٌ باللباب، وموحى إليه بقوى الأفاويه الهندية، والهاضومات الطبية. وعند انصرام الظلام والفراغ من الصلاة طلعت (٢١) مع الصباح هوادج الجفان الجوف أخدان التذهيب والتمويه، مشتملةً على البحر من طعام الثرد [21] وغذاء الريق، فكان الحال في طعام هذا المدعى وأوانيه منقطعة عن المثل، مغربة في بعد الشأو. /218

وتقدم السلطان بثقوب فهمه، ولطف حسه، وأصيل إدراكه، وصحة خياله، إلى اتخاذ آلة تخبر بمضي ساعات [22] الليل، فأنشئ ليلتذ بإشارته مكنان

غريب خشبي أجوف، في مثل القامة، صير منه شكل الاستدارة إلى ذي جهات اثنتي عشر، في أعلى كل جهة منها محراب، قد شمل الجميع الصبغ والتزيين، واستقل برأس الشكل شمعة موقدة، قسم جرمها أجزاء بانقسام ساعات الليل، وأخرج من عند كل خط يقسم جسدها، ويعين الساعة فيها سبب من الكتان يتصل برأس غلق المحراب الظاهر فيمنعه من الهوى والنزول، وفوق محدب المحراب خرت محكم يفضي إلى شكل سدى يعترض مجراه قائم من الحديد مثبت في رأس الغلق (٢٢) الذي يسد المحراب، وخلفه كرة من النحاس بندقية (٢٣) الشكل، يمنعها ذلك القائم المعترض للمجرى من الإنحدار، وخلف الغلق شكل يهدي رقعة منظومة تعرف بمضي الجزء من الليل، فإذا استولت النار على الشمعة، وبلغت إلى حد الساعة، أحرقت السبب المتصل بما ذكر فانحدر الغلق، وزال المانع عن سقوط الكرة فهوت واستقرت في بعض الصحون /النحاسية المصونة، المغراة بالشهرة، / 219 وبرزت الرقعة فأوصلها القيم على ذاك المسمع فأنشدها.

أغرى التجريب بهذه الآلة، على ما تقتضيه طبيعة نارها وفتيلها (٢٤) والهواء المحصور في تجويفها، فصح عملها، واطرد صرقها، وخفي قصدها، وخف نقلها، فكانت أخرى حصياتها موقعة على نظم النداء بأذان الصبح، من غير إخلاف وعد، ولا إخلال بوقت، فجاءت طرازا على حلة الصنيع الفخم. ويأتي ذكر ما أنشد بجرائها من المنظوم عند ذكر الإنشاد ـ بحول الله ـ .

وعند انقضاء ذلك عظم لجب الذكر، وتجاوبت به الجهات، وأداه صدى (٢٥) البناء الحديثة، وساوق فيه المهرة اللفيف، وحصل في النفوس الانفعال، فابتذرت حيالها الخشوع والتصدع من خشية الله إلى أن غلبت المواجد، ثم كانت الإفاقة، واغمامت عند ذلك السماء بدخان (٢٦) العنبر الشحري، فظللتهم غمامة، ثم سكب ماء الورد شأب غصون الأنس، حتى قطرت السبال، واستنقعت الأذيال، واندفع المزمزم كما تم الترتيب، وهو المخصوص بالمداعي الملكية، المتميز عهدئذ بمزية الإعراب وقراءة القريض(٢٧) المعروف بالحميني (٢٨)، موصلي أهل جلدته بكل مطرب من الغناء، وكلما مر بمعنى مثير للوجد لبته الصوفية والفقراء، بين واجد ومتواجد، يحدوهم مشيختهم فيحمى الوطيس، ويتدارك الرقص، ويغلب الوجد، ويعلو الصراخ، والمسمع يواصل القصائد المنظومة في مدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والإشادة بميلاده، وذكر معجزاته، ثم التخلص إلى مدح السلطان وذكر خلاله، وإطراء تحفيه بهذه الدعوة، جمع العد ليلتئذ ما يناهز ربع المئة مما يدل على عراقة هذا الصنع في العروبة، ومحله من اللسان، وكمون البلاغة بين أطلاله، منهم المجيد، والمتصف بما دون ذلك شأن أولي الصنائع ومعاطي/المدركات. / ١

وكلما مرت ساعة سقطت الحصاة في طنجير شهرتها، وتفتحت الطاق، وتنوولت الرقعة، إلى انقضاء الليل، كان هذا رسم الليلة الأولى ثم ليلة الأسبوع، فانشد ليلتئذ في الإخبار بالساعة مما نظمته لذلك من الشعر الراشح عليه مضمري تحزنا وتحسرا وبعدا عن التنزل للغرض الشعري، قولي :

في الساعة الأولى :

(رمل)

ساعةٌ أولَى منَ الليلِ انقَضَتْ   شرَعتْ شرْعَ الرِّضى وافتَرضَتْ
نقَضَتْ منْ سُبْحَةِ اللَّيْلِ [حَبَّةً] (٢٩)   نَظمَتْ منْ سُبَحٍ ما نَقَضَتْ
ومَضَتْ منْ بَعدِ أُنْس وكَذَا   ساعةُ الأنْسِ إذا سرَّتْ مضَتْ
فاجْلُ (٣٠) عَنْ نفسك لا تَحفَلْ بها   حُجُبَ الوهْمِ إذا ما اعْتَرَضَتْ
وبروقِ الحقِّ فاصْرِفْ نحوَها   خاطرَ الهمّة مهما أوْمضَتْ
يابْنَ نَصْرٍ يا سميَّ المصطفى   حكْمَةُ اللّه لكَ العزُّ اقْتَضَتْ
فإذا استنْهَضْتَ في مُعْتَرَك   نُصْرَةُ اللّه تَعالى نَهَضَتْ
وهيَ النفسُ إذا الحقُّ اجْتَلتْ   جرَّدَتْ كلَّ حجابٍ ونَضَتْ
وإذا تُقْرِضُ قرضاً حسناً   ضاعَفَ الله لها ما أَقْرضَتْ [23]
والرضَى للهِ والشكْرُ لَهُ   يَبْسُطُ الآمالَ مَهْمَا نقَبَتْ

وفي الساعة الثانية :

(بسيط)

مَوْلايَ ثانيةٌ من ليلكَ انْصَرَمَتْ   وجمْرةُ الشوقِ من بعد الوقوف رَمَتْ
كأنَّها دُرَّةٌ في الكفِّ قد سقَطتْ   من سلكها وهَوَتْ مِنْ بَعْدما انتَظَمَتْ
/221 شأنُ الزمانِ افتراقٌ بعْدَ مُجتَمَعٍ   وأحرفٌ مُحِيَتْ من بعدما رَمَتْ
فمن يَكُن قام بالباقي وحدٌ لَهُ   قَيْد الزمان ترقَّتْ نفسُه وسَمَتْ
إنْ تَنْصَرِفْ نحو عيْن الجمْع ما انفرقَتْ   أو تتَّصِفْ بوجودِ الحقِّ ما انْعَدَمَتْ
فللشريعةَ منها العلمُ إنْ سُئِلَتْ   عمَّا به عملتْ فيما به عَلِمَتْ
وللحقيقةَ منها السرُّ إن نَظَرَتْ   بَدا لها الشَفعُ وِتْراً عندما حَكَمَتْ
هذا الكَمالُ فإن تُلْمِمْ بساحتِه   وسلَّم اللهُ من غولِ السُّرى سَلِمَتْ
يا مَنْ اتَّصَلَ (٣١) المُسْتَمْسِكُونَ بِه   رُحْماكَ في أنْفُسٍ عن جَمْعها قُسِمَتْ
إنْ لم تَجدك ولم تَحرمْك في نَفَسٍ   والله ما وَجَدَتْ شيئاً ولا حُرِمَتْ

وفي الساعة الثالثة :

(خفيف)

حلفَ اللَّيلُ بالثلاثِ يميناً ... ليس يخشى في مثلها أنْ يَمينا [24]
إنّك المُعْتَني بميلادِ مَنْ قا ... مَ لدينِ الإلهِ والحقِّ فينا
رحمةُ الله حُجَّةُ اللهِ نورُ الله برهانُه الحقيقُ المُبينا
ظهرتْ منك فيه أسرارُ حُبٍّ ... جُمِعَتْ في الكمالِ دُنيا ودينا
زدْتَ للمسلمين في الدَّهرِ عيداً ... ثانياً يا مُؤَمَّلَ المسلمينا
ليلةَ ضمَّ ثوبُ آمنةَ في ... جُنْحِها الطاهرِ الرسولَ الأمينا
لمْ يُنوِّهْ بها سواكَ وقدْ مرَّ ... زمانٌ وعاقبَ الحين حينا [25]
هكذا يَذْخَرُ الإلهُ المزايا ... هكذا يغبطُ الجدودُ البنينا
فارْتَقِبْ يا محمَّدَ الحَمْدِ نصراً ... بعدها ظاهراً وفتحاً مُبيناً
وإذا ما استَغَثْتَ باللهِ كانَ اللهُ في مثلِها القويُّ المُعينا /222

وفي الساعة الرابعة : (٣٢)

(طويل)

برابعةِ الساعات (٣٣) جئتُ أُخبِّرُ ... وللمدْحِ في المولَى الهُمامِ أحَبِّرُ
ولِمْ لا؟ وقد أحيا بِهِ (٣٤) اللهُ سُنَّةً ... نُهلِّلُ في أعيادها ونُكبِّرُ
كأنَّ ربيعاً كانَ للناسِ شهرُهُ ... ربيعاً سقاهُ عارضٌ منكَ مُمْطِرُ
فأرجاؤُهُ من نورِ وجهِكَ تزدهي ... وبطحاؤُهُ من نَورِ جودِكَ تُزْهِرُ
محمَّدُ قد عظَّمْتَ دينَ محمَّدٍ ... ومثلُكَ مَنْ يُبْدي الجميلَ ويُضْمِرُ
لقدْ شدَّ أزرَ المُلْكِ منكَ خليفةٌ ... لهُ تحتَ سِتْرِ الغيبِ نَصْرٌ مُؤَزَّرُ
تبشَّرَ منهُ العارفونَ بواردٍ ... قريبِ المدى في اللهِ فيما يُبَشِّرُ
فكُنْ واقفاً باللهِ مُسْتَنْصِراً بِهِ ... فهلْ ثَمَّ إلاّ اللهُ يَكْفي وينْصُرُ
يُقِلُّ جُموعَ الشِّركِ وهْيَ كثيرةٌ ... ويُنْمي منَ الدِّينِ القليلَ فيكثُرُ

وفي الساعة الخامسة :

(مجتث)

مولايَ خَمْسٌ تولَّتْ ... وبالمُنى قدْ تَجَلَّتْ
وأدْمُعُ الشَّمْعِ حَرْبَا ... مِنَ الفراقِ اسْتَهَلَّتْ
سارَتْ وكَمْ مِنْ وُلوعٍ ... في الجوانحِ خَلَّتْ
والهزْلُ مَسْرَحُ نَفْسٍ ... عوائدَ الجِدِّ مَلَّتْ

/223 تعشّقت بظلال   حارت لديها وضلّت (٣٥)
حتّى إذا الشمس لاحت   أنوارها وتجلّت
بدا لها الحقّ حقّا   فزايلته وزلّت
وها لها من نفوس   قد أقبلت ثم ولّت
إذا القيود اعترتها   هانت وخسّت وذلّت
أيرفع القيد عنها   علت وغرّت وجلّت

وفي الساعة السادسة :

(مخلع البسيط)

مولاي لازلت في أمانِ   ستٌّ تقضّت من الزمانِ
كأنّها العقد راب منه   سقوطُ ستٍّ من الجُمانِ
مُنتَهَبُ الدهر كلّ وقت   قطافُه عذبة المجاني
ويقتضي حقّه غلاباً   بلا توارٍ ولا تواني
فافطن له إنّه غيورٌ   وارمِ إليه بكلّ فانِ
واسمُ عن الكونِ تبقَ منه   ومن أذى الكونِ في أمانِ
بلا اشتياقٍ ولا فراقٍ   ولا زمانٍ ولا مكانِ
فأيُّ ديرٍ بغير غيرٍ   وأيُّ خمرٍ بلا دنانِ
وأين من يكشف الخبايا (٣٦)   وأين من يفهم المعاني
فيبصرُ الوترَ دون شفعٍ   ويبصرُ الفردَ دونَ ثاني

/224 وفي الساعة السابعة :

(بسيط)

سبعٌ مضت من زمان الليل وأسفي   هل لي من العمر المسروق من خلفِ
كم صنتُ جوهرَه بالجهد فانتُهبت   وكيف والأمرُ حقٌّ إن نظرتَ وفي
تُغالبُ الحقّ منّي (.........................   ......) (٣٧) وا خساري، أين منصرفي
ضدانِ ما شئتَ من داعٍ إلى سرفٍ   في الغنى هذا وذا داعٍ إلى شرفِ
حالٌ مشتّتةٌ فالعقلُ في طرفٍ   والجسمُ في طرفٍ، والنفسُ في طرفِ
والعينُ في سرِّ من ليس تسرحُ بي   والقلبُ في ذكرِ ما فاتَ في أسفِ
إنّا إلى الله منها أنفساً عرفت   مآلها ثمّ لجّت بعدَ معترفِ
خانت مواثيقَ أعطتها مؤكّدةً   أخسرُ (..) (٣٨) قريب العهد غيرِ وفي

واللهِ إنْ لمْ يُداركْها وقـــد وَحلَـــتْ ... بلَمْحةٍ أو بلَفظٍ مِــنْ لَـدُنْـهُ خَـفِــي
ولم يجدْ بتلافيـهـا علـى عجَـــلِ ... ما أمْرُهـــا صَـــائرٌ إلا إلـى تَـلَـــفِ

وفي الساعة الثامنة : (٣٩)

(سريع)

هذي ثـمانٍ قـد قطعْـنَ الدُّجَـى ... فـي سيْـرِهـا مُعْتَبَرٌ لِلْحجَـا
مرّتْ وقَـدْ نـال بـهـا آمـلٌ (٤٠) ... مـا شـاءَ مِنْ أوطـارهِ وارْتَجَـى
فجرِّدَ العـزْمَ الـذي مـا نَـبـا ... والْتَحَفَ "الليلَ الذي قـد سجَى" [26]
يـردُّهُ الخـوفُ ويـدْعـو بِـهِ ... إذا أطـاعَ الخـوْفَ داعـي الـرَّجَا
قَدْ قَطعَ البَرَّ فقـال : الوَحَـى (٤١) ... واقْتَحَمَ البَحْرَ فصاحَ : الوَجَـى (٤٢)
والْتَذَّ بالـباقـي فـحـثَّ الخُطـى ... ومَـرَّ بالـفـانـي فـمـا عَرَّجَـا /225/
مَوْلايَ هـذا نـهـجُ أهـلِ الـهَوَى ... فاسْمَحْ لِـمَـنْ قـارَبَ أو لَجَّجَـا
واسلُكْ مِـنَ السـيرِ بـه مَنْهـجاً ... عـن مَـادحٍ جَـلَّ وعمَّـنْ هَـجَـا
ولْتَقْرأ النُّسـخَـةَ واتـرُكْ إلـى ... سـرِّ المعانـي خَطَّهـا الْمُدْمَجَا (٤٣)
وكيـف لا يُحْـرِزُ إرثَ العُلَـى ... مَـنْ وَرِثَ الأنـصـارَ والخَـزْرجا (٤٤)

وفي الساعة التاسعة :

(طويل)

أمولايَ دُمْتَ الدَّهْرَ مَنْصورَ أعْـلامِ ... بتاسعة الساعات عجلّتُ إعـلامي
لتعلمَ ركْبُ الليـل أيْنَ رِكـابُـهُ ... فقَدْ دَخَلَتْ لـلغَرْبِ مُلْتَفُّ آجـامِ
خَصَصْتُكَ يا مَوْلى الملوكِ بِخِدْمَتـي ... وإن كانت الأفلاك من بعـضِ خُدّامي
لقد طاب من مثواكَ في البَرِّ مَشْهَـدٌ ... غدا الحُسْنُ فيـه ذا فنـونٍ وأقْسـامِ
"مَتَى [ما] (٤٥) ترقَّ العَيْنُ فيه تَسَهَّلَتْ" [27] ... فَمَنْ أسَـدٍ حـامٍ ومَـنْ عُمَـدٍ سـامِ
أمولايَ دُمْ للحـقِّ تُعْـلِ مَنـارَهُ ... وللمُلْكِ تَبْدُ مِنْهُ فـي الأُفُقِ السَّامي
وكُنْ واثقاً باللـهِ فـي كـلِّ وجْهَـةٍ ... يُتِمَّ عليـكَ الفضْلَ أحْسَنَ إتمـامِ
فمهما سلَلْتَ السَيفَ أمضاه حُكْمُـهُ ... ومهما رميْتَ السهْمَ كـان هُـوَ الرّامي
ولا تَغْتَرِرْ يـوماً بخـادعِ زُخْـرُفٍ ... فإنَّ وجودَ النُّورِ أضعـاثُ أحْـلامِ
وكُنْ نحوَ نورِ الحقِّ تَعْشو فكُلُّ مـا ... سِواهُ فحَجْبٌ مِنْ ضَـلالٍ وأوْهـامِ

/226 وفي الساعة العاشرة : /

(كامل)

يا مَنْ بِهِ للملّةِ استبشارُ ... وإليهِ إنْ ذُكِرَ الكمالُ يُشارُ
أمُحَمَّدُ المحمودُ دُمْ في عصمةٍ ... للهِ يُمْضي حُكْمَها المقدارُ
بدراً وما غيرُ الخلافةِ هالةٌ ... شمساً، وما غيرُ العلاءِ مَدارُ
غيثاً، وما غيرُ النوالِ سحابةٌ ... ليثاً وما غيرُ الظُّبا أظفارُ
مَرَّتْ منَ الساعاتِ عَشْرٌ فصلَّتْ ... حِزْبَ الدُّجَى فكأنَّهُ أعشارُ
طابتْ بمولدِ خيرِ مَنْ لضريحِهِ ... تُزْجَى قِلاصٌ أو تُزَمُّ عِشارُ
والليلُ قد وَلَّى وحَثَّ وراءَهُ ... فَجْرٌ يكرُّ على الدُّجَى ونهارُ
ذبلَتْ بهِ زَهْرُ النجومِ وطالما ... أرِجَتْ بحضرتِهِ لها أزهارُ
فَلَقٌ على شفقٍ يكرُّ بحكمةٍ ... خَفِيَتْ، وأمْرٍ تحتَهُ أسرارُ
والكُلُّ مؤتمرٌ وما في ضمنِهِ ... للهِ "فهوَ الواحدُ القهَّارُ" [28]

وفي الساعة الحادية عشر :

(خفيف)

يا نسيمَ الصَّبا على الأوراقِ ... لُدِغَتْ مُهْجَتي فهلْ منْ راقي
فرقةُ اللَّيلِ جَدَّدَتْ لي (٤٦) عهداً ... كُنْتُ نَسيتُهُ بيومِ الفراقِ
أنَّ يومَ الفراقِ لكنْ سطا (٤٧) الـ ... ـخَلْقُ جَوْراً على النفوسِ الرِّقاقِ
قد تَقَضَّتْ عَشْرٌ إلى عَشْرِ عَشْرٍ ... وتولَّتْ ركابُها في استباقِ
أيُّ عَيْشٍ فيهِ قطعْنا وأُنْسٍ ... ساقَ شَمْلَ السرورِ أيَّ مَساقِ
شاهدُ الحقِّ حاضرٌ ليس يَخْفَى ... وَجْهُهُ والحديثُ عَذْبُ المساقِ
/227 قدْ خَلَعْنا نعالَنا وافترشنا ... حَضْرَةَ الجَمْعِ والحبيبِ الساقي
سِرْتَ يا لَيْلُ كيفَ سارَ شبابي ... فاحِمَ الجنحِ مُسْتَطِرَّ الرِّواقِ
ثمَّ جاءَ المشيبُ كالصبحِ إذ جا ... ءَكَ هذا وذا نذيرُ افتراقِ
صحبَ اللهُ حيثُ سِرْتَ ركاباً ... قد سرى الطيبُ منهُ في الآفاقِ
وترى يا مُوَدِّعَ الصَّحْبِ عن غِبْـ ... ـطٍ وشكرٍ، متى يكونُ التلاقي
وبسعدِ الإمامِ تدنو الأماني ... ويُزَمُّ السرورُ بعدَ انتباقِ
جَمَعَ اللهُ شملَهُ بعدَ طولِ العُمْرِ ... في (...) (٤٨) بالنَّعيمِ الباقي
مَنْ رأى أنَّ للوجودِ دَواماً ... فهوَ في الخَلْقِ ما لَهُ مِنْ خَلاقِ

وعند هذه المقطوعة وقعْ الفضح، واهتزت النفوس وقد ألطفها السهد، وأهمها الفراق، وتمثلت لها بانقضاء النعيم العبرة، فتجاوب التأوّه، ثم وقع الإجهاش، ثم علا النحيب (٤٩)، ثم نودي بالصلاة، فصلى السلطان - أعزه الله - بوضوء عشائه، ثم أفيض الذكر، ثم كان الأكل، ثم الطيب، ثم الإذن في الإنصراف، وأجمع الإخباريون وشيوخ الرحلة، وأهل الجولة، وأرباب الدول و ‹من› شارك من ذكر الأعمار في أن هذا الصنيع ما بين محله وطعامه، ومسموعه وآلته، بكر الزمان لم ينسج له على منوال، ولا سبقه إلى غاية، والبقاء لله الذي لا تتعاقب عليه الحوادث، ولا يناله الاضمحلال، سبحانه تعالى وحده (٥٠).

هوامش الفصل التاسع

(١) م : الأزورد، صحته ما أثبتنا.
(٢) م : وقطعا.
(٣) م : التحية، وهو تحريف.
(٤) م : حلف، وهو تصحيف.
(٥) م : بيته.
(٦) م : شناء، وهو تحريف.
(٧) م : الهوى، تصويبه ما أثبتنا.
(٨) م : العزيرة، وهو تصحيف.
(٩) م : أوكتها، وهو تحريف لأن الوكية ج وكاء : وهو رباط القربة ونحوها.
(١٠) م : الخزن، وهو تصحيف.
(١١) م : المخرورة، وهو تصحيف صويناه بما أثبتنا.
(١٢) م : الصخرية.
(١٣) م : وواعية، تحريف صوابه ما أثبتنا.
(١٤) م : النحل.
(١٥) م : ومحبين، وهو تصحيف.
(١٦) كذا في الأصل ولعلها سحناؤها.
(١٧) م : مخارن.
(١٨) م : البروز، صوابه ما أثبتنا.
(١٩) م : تقر، وهو تصحيف.
(٢٠) م : اليبسية، وهو تحريف.
(٢١) م : ما طلعت، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٢٢) م : العلق.
(٢٣) م : بذقية.
(٢٤) م : قتيلها، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٢٥) م : صدا.
(٢٦) م : بدخنان.
(٢٧) م : القريض، محيت نقط القاف والضاد.
(٢٨) م : الحمي، صوابه ما أثبتنا، لأن الحميني نوع من الملحون بلغة أهل اليمن.
(٢٩) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.
(٣٠) م : فاجعل، وهو تحريف مخل بالمعنى والوزن.
(٣١) م : التصل.
(٣٢) وردت هذه المقطوعة في ديوان الصيب والجهام، ص ٥١١.
(٣٣) م : الساعة، تصويبه من "د".

(٣٤) د : بك.
(٣٥) م : وصلت، محيت نقطة الضاد.
(٣٦) م : الجبايا، وهو تصحيف.
(٣٧) بياض بالاصل.
(٣٨) بياض بالأصل.
(٣٩) وردت هذه المقطوعة في ديوان الصيب والجهام، ص ٣٥٢.
(٤٠) د ٣٥٢ : أمن.
(٤١) د : الوجى.
(٤٢) د : فقال النجا.
(٤٣ ـ ٤٤) ساقطان من د ٣٥٢، وقد أثبتهما المحقق من مخطوطتنا هذه.
(٤٥) زيادة يقتضيها الوزن.
(٤٦) م : جدت بي، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
(٤٧) م : اسطى، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
(٤٨) بياض بالأصل.
(٤٩) م : النجيب، صوابه ما أثبتنا.
(٥٠) م : جده.

تعاليق الفصل التاسع

[1] المشور : في الإصطلاح الأندلسي والمغربي يطلق على المكان الذي يجلس فيه السلطان فمن دونه من الحكام للحكم، ولا تزال مستعملة في المغرب.

[2] اللبن : ج لبنة، بفتح اللام وكسر الباء، وكذلك بكسر اللام وتسكين الباء، تعني المضروب من الطين الذي يبنى به، وهي مربعة. أنظر (المخصص ١/٣٠).

[3] إشارة إلى قوله تعالى : "يقلب الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"، سورة ٢٤ (النور)، آية ٤٤.

[4] لعله يقصد أرجوزته في فن السياسة التي نظمها بسلا، وعنوانها : "تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة"، وقد تحدث فيها عن السياسة المدنية والأخلاقية، وهي من الآثار التي لم تصلنا. أنظر (عنان : لسان الدين ص ٢٧٤).

[5] إشارة إلى الثورة التي قامت ضد الغني بالله في ذي الحجة ٧٦٣هـ أكتوبر ١٣٦٢. أنظر (المتن لوحة ١٢٣).

[6] ميازيب : ج ميزاب، وهي قناة يجري فيها الماء.

- الخصص : ج خصة : وهي باصطلاح الأندلسيين والمغاربة تعني نافورة. ولازالت مستعملة إلى الآن في المغرب بنفس المفهوم.

[7] الميضات : ج ميضاة، وهي مكان للوضوء، وهي لفظة عامية لازالت مستعملة إلى الآن في المغرب. (ابن عبد الله : نحو تفصيح العامية في الوطن العربي ص ١٧٩).

[8] السلطان أبو الوليد : إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر (١٧ شوال ٦٧٧ - ٢٦ رجب ٧٢٥هـ/٣ مارس ١٢٧٩ - ٨ يوليو ١٣٢٥م)، أنظر ترجمته مفصلة في (اللمحة البدرية ص ٨٧ - ٩٠).

[9] الصعدة : قناة طويلة مستقيمة.

[10] سورة ٥٦ (الواقعة)، آية ٣٠.

[11] حالي : طايب. - الحزن : الأرض الصلبة الخشنة، ومنه قول السكري :

وما روضه بالحزن قفر مجودة ، يمج الندى ريحانها وصبيبها

(معجم البلدان ٢/٢٥٤).

[12] العمامة : من تأثر الأندلسيين بالمغاربة في الأزياء، وقد أشار ابن الخطيب إلى أنها كانت غير مستعملة من قبل، كما أشار المقري إلى أن هذا التقليد شاع في الأندلس وعلى الأخص في غربها. أنظر (النفح ١/١٠٥).

[13] الروقة : ج رائق، من الغلمان، الملاح الحسان، ومن الناس، خيارهم.

[14] السنح : ج سانح وسنيح، وهو الدر أو الحلي.

[15] المرى : ما يؤتدم به.

[16] تحميص : فعله حمص، أي قلى قليا خفيفا.

- تربيب : فعله ربب أو رب، أي طيب.

ـ البزور : التوابل.

[17] جوارشات : ج جوارش، تهيأ بالدقيق وماء الزهر والسكر. أنظر (دوزي ٨٥/١).

V. (- A. Huici Miranda, "La cocina hispano-magrebi durante la època almohade", R.I.E.E.I., V (1957), pp. 252-254).

[18] الحوارى : لفظة مشرقية تقابلها اللفظة الأندلسية : "درمك"، وهو خبز مصنوع من أجود أنواع الدقيق.

V. (- E. Carcia Sanchez, "La Alimentación en la Andalucia islámica", Andalucía islámica, II - III, (1983), p. 146).

[19] الكعك : يعتبر من الحلويات، وهو عجين رقيق محشو باللوز، ومسحوق السكر... أو بتمر وعسل.. أنظر (ورقات المنوني ص ٢٦٨).

[20] طبرزدين : لعلها طبرزد أو طبرزن، وهي لفظة فارسية تعني السكر عندما يذاب ويجمد لتصنع به بعض أنواع الحلوى.

V. (- F. Steingass, A Comprehensive Persian - English Dictionary).

[21] الثرد : عجين رقيق يسقى بعد طزجه بمرق الدجاج أو الحمام...

[22] اخترعت الساعة الميكانكية في فترة قريبة من عهد أبي عنان، فكان أول من زين بها قاعة الإحتفال بعيد المولد النبوي، وقد أشار الشاعر عبد المنان إليها في قصيدته المولدية التي أنشدها لأبي عنان سنة ١٣٥٦/٧٥٧م، ثم جرى التقليد بذلك في تلمسان والأندلس.. أنظر (بغية الرواد ٢/ ٤٠ ـ ٤١. ـ الجنوة ص ٦١. ـ ورقات المنوني ص ٢٦٩).

[23] إشارة إلى قوله تعالى : "وان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم". سورة ٦٤ (التغابن)، آية ١٧.

[24] يمين : يكذب.

[25] لم يكن الغني بالله أول من احتفل بعيد المولد النبوي، فقد سبقه المشارقة والعزفيون بسبتة، وكذلك ملوك المغرب، انظر تفضيل ذلك في (ـ ورقات المنوني ص ٢٦٥ ـ ٢٨٦.

- Salmi Ahmed, "Le genre des poèmes de nativitè (Maulùdiyya-s) dans le Royaume de Grenada et au Maroc du XIIIe au XVIIe siècle", Hespéris XLIII, (1956), pp. 335-435).

[26] إشارة إلى قوله تعالى : "والليل إذا سجى". سورة ٩٣ (الضحى)، آية ٢.

[27] تضمين لعجز بيت امرئ القيس :

ورحنا يكاد يقصر الطرف دوننا "متى ما ترق العين فيه تسفل"

وفي رواية أخرى تسهل بدل تسفل. أنظر (الانباري : شرح القصائد السبع ص ٩٨).

[28] سورة ١٣ (الرعد)، آية ١٦.

الفصل العاشر

فصل يشتمل على ذكر ما أنشد في هاتين الوليمتين من المنظوم بين يدي السلطان - أعزه الله - بغرناطة، على أن تكون خاتمة هذا الغرض من وسائلي.

فمن ذلك قصيدة من نظمي، أتيت بها سدادا من عوز، وشارطت السلطان / /228 /
لمحل الصد (١) والصدوف على تصاريف الخدمة، وهي (٢) :

(خفيف)

ما علَى القلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُناحِ   أنْ يَرَى طائراً بِغيْرِ جَناحِ
وعلى الشَّوْقِ أنْ يَشُبَّ إذا هَبَّ بأنفاسكُمْ نسيمُ الصباحِ
جيرةَ الحيِّ والحديثُ شجونٌ [1]   والليالي تَلِينُ بَعْدَ جِماحِ (٣)
أتَرَوْنَ السُّلُوَّ خامَرَ قلْبي   بعْدكُمْ ؟ لا، وفالقِ الإصْباحِ
ولَوَ انِّي أُعْطي اقْتراحي على الأيّامِ ما كانَ بُعْدُكُمْ باقتراحِ
ضايقتْني فيكُمْ صُروفُ الليالي   واستدارت عليَّ دَوْرَ الوِشاحِ (٤)
وسقتْني كأسَ الفراقِ دِهاقاً   في اغْتباقٍ مواصلٍ باصْطِباحِ
واسْتباحَتْ مِنْ جِدَّتي وفتائي   حرماً لمْ أخَلْهُ بالمُسْتَباحِ
قصفتْ صَعْدَةُ انْتصاري وفلَّتْ   غرْبَ عزْمي المُعدِّ يومَ كفاحي
لَمْ تَدَعْ لي من السلاحِ سوى مغْفَرِ شَيْبٍ، أهْوِنْ بهِ مِنْ سِلاحِ
عاجلَتْني (٥) به وفي الوقْتِ فضْلٌ   لاهْتزازي إلى الهَوَى وارْتياحي
فكأنَّ الشبابَ طيفُ خَيالٍ   أو وميضٌ خَبا عُقيبَ التماحِ
ليلُ أُنْسٍ دَجا، وأقْصرْ بليْلٍ   جاذَبتْ بُرْدَهُ يمينُ صَباحِ
صاحَ والوَجْدُ مَشْرَبٌ والوَرَى صِنْفانِ : مِنْ مُنْتَشٍ وآخرَ صاحي
يا تُرى والنفوسُ أسرى الأماني   ما لَها عن وِثاقِها مِنْ سَراحِ
هلْ يُباحُ الورودُ بعدَ ذيادٍ [2]   أو يُتاحُ اللقاءُ بعدَ انْتزاحِ
وإذا أعْوزَ الجُسومَ التَّلاقي   نابَ عنها تعارفُ الأرواحِ (٦) [3] /229 /
جادَ عَهْدُ الهوى من السُّحْبِ هامٍ   مُسْتَهِلُّ الوميضِ ضافي الجَناحِ
كلّما أخْضَلَ الربوعَ بُكاءً   ضَحِكَتْ فوقها ثغورُ الأقاحي
عادَني منْ تذكُّرِ العَهْدِ عيدٌ   كانَ منِّي للعَيْنِ عيدَ الأضاحي
سفِحَتْ فيهِ للدموعِ دِماءٌ   فَهْيَ فوقَ الخدودِ ذاتُ انْفِساحِ (٧)

وركابٍ سَرَوْاَ وقـد شمَلَ اللّيلُ بمَسْحِ الدُّجَى جميعَ النَّواحي
وكأنَّ الظلامَ عسْكَرُ زِنْجٍ ونجومَ الدُّجى نصولُ الرماحِ
حَمَلَتْ منهمُ ظهورُ المطايا أيَّ جِدٍّ بَحْتٍ، وعزمٍ صَراحِ
سَتَرُوا الوَجْدَ وَهْوَ نارٌ وكانَ السَّتْرُ (٨) يُجْدِي لولا هبوبُ الرِّياحِ
خلَّفوني مِنْ بَعْدِهِمْ ناكسَ (٩) الطرْفِ ثقيلَ الخُطى مَهيضَ الجناحِ
وَحَدَوْها مِثْلَ القِسِيِّ ضُموراً قَدْ بَرَتْ مِنْهُمْ سِهامُ قِداحِ
وطوَوْا طوْعَ باعثِ (١٠) الشوقِ والوجْدِ إلى الأبْطَحِيِّ غَيْرِ البِطاحِ
مُصْطفَى اللهِ مِن ظهورِ النبيئين هُداةِ الأنامِ سُبْلَ الفَلاحِ
حُجَّةُ الله، حِكْمَةُ اللهِ، سِرُّ (١١) اللهِ في كلِّ غايةٍ وافتتاحِ
حاشرُ الخَلْقِ عاقِبُ الرُّسْلِ والمُثْبِتُ باللهِ بَعْدَهم والماحي [4]
صاحبُ المعجزاتِ [5] لا يتمارى الـعَقْلُ في آيِها [الحِسانِ] (١٢) الصِّحاحِ
مِنْ جمادٍ يُقِرُّ أو قَمَرٍ يَنْشَقُّ والماءُ مِن بنانِ الراحِ
دَعْوَةُ الأنبياءِ مُنْتَظَرُ الكُهّانِ دَعْوَى البشيرِ باستفتاحِ [6]
مظهرُ الوَحْيِ مَطْلَعُ الحقِّ مَعْنَى الْـخلْقِ فتْحُ المُهَيْمِنِ الفتّاحِ /230
أيُّ غَيْثٍ مِن رحمةِ اللهِ هامٍ وسراجٍ بِهَدْيِه وضّاحِ
ما الذي يَشْرَحُ امْرُؤٌ في رسولٍ عاجَلَ اللهُ صدْرَهُ بانْشراحِ [7]
شقه الروحُ ثمَّ طهَّرَ منهُ الـقلْبَ من بعدُ بالبَرودِ القَراحِ
مَدَحَتْكَ الآياتُ يا خيرَ (١٤) الرُّسْلِ فَمَنْ لي مِنْ بعدِها بامْتِداحِ
ولعَجْزِ النفوسِ عن دَرْكِ الحقِّ إيقافُها وقوفَ افتضاحِ
مَثَّلَ اللهُ نورَهُ في المثاني بمثالِ (١٥) المشْكاةِ والمِصباحِ [8]
فأزِلْ خَجْلَتي بإغْضائِكَ المَبْذولِ (١٦)، واسْتُرْ به عَوارَ افْتِضاحِ
صلواتُ الإلهِ يا نُكْتَةَ الكَوْنِ على مجْدِكَ اللُّبابِ الصُّراحِ
عَدَدَ القطرِ والرِّمالِ وماعَاقَبَ دَهْرٌ غُدُوَّهُ بِرَوَاحِ
وجزاكَ الالهُ أفْضَلَ ما يُجْزِي هُداةَ (١٧) الأئمةِ النُّصّاحِ

أسفي كَمْ أُرى طريدَ ذُنوبٍ أوْ بَقَتْني فَلَيْسَ لي مِنْ بَراح (١٨)
قَدْ غَزَتْني الخُطوبُ غَزْوَ الأعادي وَبَرَتْني الهُمومُ بَرْيَ قِداحِ
سَبَقَ الحُكْمُ واستَقَلَّ وَهَلْ يُغْنِي قضاءٌ قدْ خُطَّ في الألواحِ
لا لَدُنْيا جَنَحْتُ أ ‹و› لغُ فيها [9] لا لدينٍ خَلَصْتُ، لا لصلاح
قَاطِعًا في الغُرورِ بُرْهَةَ عُمْري خسِرَتْ صَفْقَتي وخابَتْ قِداحي
طَمِعَ الشيبُ باللِّجامِ المُحَلَّى حينَ أجْرَيْتُ (١٩) أنْ يَرُدَّ جِماحي /23
فأبَتْ نفسِيَ اللَّجُوجُ وجَدَّتْ في سُمُوٍّ إلى الهوى وطِماحِ

يا طبيبَ الذنوبِ تدبيرُك النا ... جعُ في علّتي ضمينُ النجاحِ
يا مجلّي العمَى، وكافي الدّواهي ... ومُداوي المَرْضى وآسي الجِراحِ
سُدَّ بابُ القَبولِ دُوني ومالي ... يا غِياثي سواكَ مِنْ مفتاحِ
خصَّكَ اللهُ بالكَمالِ وزَندُ الـكَوْنِ لمْ يَقْتَدِرنْ بكفٍّ اقتداحِ
قَبْلَ أنْ يوجدَ الوجودُ وأنْ يُتْحِفَ بالنورِ ظُلْمةَ الأشباحِ
وأضاءَتْ مِن نورِ ميلادِكَ الأرْ ... ضُ وهُزَّتْ لهُ اهتزازَ ارتياحِ
فَسرى الخصبُ في الجسومِ الهَزالي ... وجَرَى الرِّسْلُ في الضُّروعِ الشِّحاحِ
ولَقَدْ رُعيَتْ لَدَيْهِ حقوقٌ ... أقْطعتْها العِدى جنابَ اطّراحِ
بمعالي مُحَمَّدِ بْنِ الحَجّاجِ، لَيْثَ العِدَى وغيْثُ السَّماحِ
ناصِرِ الحقِّ، مُرسلِ النَّقْعِ سُحْباً ... بَيْنَ سُمْرِ القَنَا، وبيضِ الصِّفاح
ومُزيرِ الجيادِ أرضَ الأعادي ... وهْيَ مُخْتالةٌ لفرْطِ المِراحِ
يَتَلاعَبْنَ بالظِّلالِ عِراباً ... غُذِّيَتْ في الفلا لِبانَ اللِّقاحِ
يا سراجَ النادي وحَتْفَ الأعادي ... وعمادَ المُلْكِ الكريمِ المَناحي
جَمَعَ اللهُ مِن حُلى آلِ عبّا ... سِ لعلْياكَ في سبيلِ امْتِداحِ
بَيْنَ رأيٍ مُوَفَّقٍ واعْتِزامٍ ... مُسْتَعينٍ وصارمٍ سفّاحِ [10]
وخَفَضْتَ الجَناحَ في الأرضِ حتّى ... لَمْ تَدَعْ فوقَ ظَهْرِها مِن جُناحِ [11] /232
أنتَ مِصْباحُها ونورُ دُجاها ... دافَعَ اللهُ عنكَ مِنْ مِصباحِ
مَحَّصَ اللهُ منكَ يا قوّةَ المُلْكِ ويَنْبوعَ العدْلِ والإصلاحِ
بخطوبٍ أرتْ حديثَ سُلَيْما ... نَ، وجاءَتْ بالحادثِ المُجْتاحِ
بِيَدَيْ فاقدِ الحجا هَلْهَلَ الديـنُ، أخي جُرْأةٍ ورِبِّ اجتراحِ [12]
نالَ منها عُقْبى مُسَيْلَمةَ الكذْ ... ابِ، إذْ عانَدَ الهُدى وسَجاحِ [13]
ثُمَّ رَدَّ الأمورَ ردّاً جميلاً ... لَكَ مِنْ بَعْدِ فُرْقةٍ وانتزاحِ
فاجْزِهِ (٢٠) في الوَرى الجميلَ وعامِلْ ... منْهُ كَنْزَ الغنى ومَثْوى الرَّباحِ
واشْتَرِ الحَمْدَ بالمواهبِ واعْقِدْ ... عَقْدَها في مَظِنَّةِ الأرْباحِ
بركاتُ السماءِ تبْتَدِرُ الأَرْ ... ضَ إذا استَوْدَعَتْ بُذُورَ السماح
وتَهَنَّأْ بهِ بِناءً سعيداً [14] ... جاءَ للمعلُوّاتِ وفْقَ اقتراحِ
وتَمَتَّعْ منهُ بهالةِ مُلْكٍ ... أطْلَعتْ مِنْكَ أيَّ بدْرٍ لَيّاحِ [15]
مَشْوَرُ الرأيِ، مَجْمعُ الحفْلِ، مَثْوى ... كلِّ ذِمْرٍ سيّدٍ (٢١) جَحْجاحِ [16]
ومقامُ السَّلامِ في مُدّةِ السِّلْـمِ ومَثْوى (٢٢) الأسودِ يومَ الكِفاحِ
مُلْتَقى حِكْمةٍ ومَلْعبُ إلْها ... مٍ ومَغْنى السرورِ والأفراحِ
أيْنَ كِسْرى وأيْنَ إيوانُ كِسْرى ... لا يقاسُ الخِضَمُّ بالضَّحْضاحِ [17]

أينَ نُورُ الإلـهِ مـنْ عنصـرِ النـا ... رِ إذا مـا اعْتَبَرْتَـهُ يـا صـاحِ
/233 بِنْيَـةٌ كـانَ فخْـرها لـك مـذْخـو ... راً كـزهْـرِ الـرِّيـاضِ فـي الأدْواحِ
حينَ طـابَ الزمـانُ واعتـدلَ الفـصْـ ... ـلُ [استَجَدّتْ وبـادَرتْ بـافتتـاحِ (٢٢)
هـاكَهـا قـدْ تتوجـتْ بالمـعـانـي ... واكتَسَـتْ حُلَّةَ اللغـات الفصـاحِ
حينَ غـاضَ الشبـابُ وارتجَعَ الفكْـ ... ـرُ وضاقَ الخَطْوُ العريضُ السّاحِ]
جهْدُ قَلبٍ لَفَقْتُ بَعْـدَ جِهـادِ ... نُقطـةٌ مِـن قليبـه المُتـاحِ
ومعَـانـي البَيـانِ هُـنَّ عـذارى ... لا يُبِحـنَ الشيوخَ عقدَ نكـاحِ
ما لشيْخٍ سِوى الرجوعِ إلى اللـ ... ـهِ ونجوى أهـلِ التُّقى والصلاحِ
ولُزومِ البـابِ الـذي يَجبُرُ الكَسْـ ... ـرَ ووصـلِ السـؤالِ والإلحـاحِ
وعلَـى ذلكَ فهْـيَ سـاحِرَةُ الأحْـ ... ـداقِ تُـزْرِي بكـلِ خَـودٍ رداحِ [18]
تَنفثُ (٢٥) السِّحرَ في العيونِ (٢٦) وتُبدي ... طُرَرَ الحُسْـنِ للوجـوهِ المِـلاحِ
دُمْتَ في عـزَّةٍ ورِفعـةِ مُلْـك (٢٧) ... بيـنَ مَغْـدىً مُـوفَّـقٍ ومَـراحِ
مَا توَلَّتْ دُهْـمُ الدُّجُنَّـةِ عَـدْواً ... وجرَتْ خلْفَهُنَّ شُهْـبُ الصَّبـاحِ

ومن ذلك قصيدة (٢٨) ورد بها من "المرية" قاضيها شيخنا أبو البركات بن الحاج [19]، اعتذر عنها فأطال الاعتذار بما دل على تمييزه، والله يصرفنا وإياه إليه، وهي :

(كامل)

اللـهُ أكبـرُ لاحَـتِ الأنـوارُ ... وصفَتْ نُفوسٌ وانْجَلَتْ أفكـارُ
وتَرنَّحَتْ منّـا القلـوبُ بليْلَـةٍ ... فيهـا كُـؤوسٌ للسُّـرورِ تُـدارُ
لِمَ لاَ وهذا : لَيْلَـةُ اليـومِ الـذي ... ظهَرَتْ بـهِ فـي العالـمِ الأسْـرارُ
يومٌ بـهِ وُلِدَ النبـيُّ المصطفـى ... الحاشرُ المـاحي الرِّضى المُختـارُ
واستَبْشَـرَ الأبـرارُ منهـا بالتـي ... بالقصْدِ منهـا استَبْشَرَ الأبـرارُ
/234 قصدوا (٢٩) برَّ المُجْتَبَى الهادي الـذي ... طابَـتْ بذكْـرِ حديثـه الأخبـارُ
المُنتقـى مـنْ مَحْتِـدٍ مقْـدارهُ ... قبْـلَ النبـوءَةِ دونَـهُ الأقـدارُ
جاءتْ بـهِ الأيـامُ تُحفـةَ قـادمٍ ... شَهِدَتْ لـه الرهبـانُ والأحبـارُ

ومنها بعد كثير يرجى عفو الله فيه :

فبحـارُ أحـوالِ النبـيِّ زواخـرٌ ... فاستَنْشِـقْ منهـا فـالبحـارُ بحـارُ
فبروزُهـا علَـمٌ علـى الإسـلامِ والـ ... إيمـانُ بـادٍ مـا عليـه غبـارُ
فلذاك قامَ ببرِّهـا (٣٠) الملكُ الـذي ... بسعـودهِ قـدْ أُلجِـمَ الكفـارُ
مَلِكُ الزمـانِ المرتضَـى مِـن فتيَـةٍ ... مُلِئَتْ بذِكْـرِ علاهُـمُ الأسفـارُ

أكرِمْ بهمْ قوماً بصدقهمُ الذي — بهر الورى، فُتحَتْ لنا الأمصارُ
الصَحْبةُ الأخيارُ أعلامُ الهدى — الصالحون السادةُ الأنصارُ
قومٌ مفاخرُهُمْ جديدٌ ذكرُها — فالدهرُ يُبْلي والفخارُ فخارُ
ملكٌ أقام منَ الهدايةِ معْلماً — طَمَحَتْ لعزِّ مقامه الأبصارُ
وأنالَ كلَّ الخلقِ أقصى ما ابْتَغوا — منْ بعضها الأوطانُ والأوطارُ
ملكٌ قد انفردتْ مآثره بمَا — عظُمَتْ به في المغربِ الآثارُ
ولَهُ بعودة ملكه منْ بعد أن — شطَّتْ به عنْ مُنْتداهُ الدار
آيٌ تدلُّكَ أنها اَختيرتْ لهُ — واللهُ جَلَّ جلالُهُ يختارُ
فمقامُهُ بينَ الملوكِ مُقَدَّمٌ — وثناؤهُ منْ بينهمْ معْطارُ
أبشرْ (٣١) أميرَ المسلمينَ محمَّداً — لا زالَ ممَّنْ شأنُهُ اسْتِبْشارُ / 235
بسعادةٍ موصولةٍ تقْتضي (٣٢) بها — واللهُ يحرسُ مجدَهُ الأقدارُ
فاللهُ جَلَّ جلالَهُ جارٌ لمنْ — يُرْضي بريَّتَهُ، ونِعْمَ الجارُ

ومن ذلك قصيدة الفقيه قاضي الحضرة كان، صاحبنا المغرب في البحور (٣٣)، أبي جعفر بن جزي [20] :

(كامل)

لولا ادكاريَ معْهدَ الأحبابِ ما — كان دَمْعي دائمَ التسكابِ
بعْدَ المزارُ فهلْ يعودُ لقُربكمْ — مأبٌ يغصُّ منَ البعادِ بصابِ
قدْ كانَ في طيفِ الخيالِ تعلُّلٌ — لكنْ نوميَ عَنْ جفوني نابي (٣٤)
زادَ الضنى مُذْ بانَ مَنْ أحبَبْتُهُ — ‹و› تراهُ أوصافي إلى أوْصابِ
أخبِرْ بمُحْمَرِّ المدامعِ مالكي — تَرَ مالكاً يروي عَن ابنِ شهابِ [21]
لوْ أن أيامَ الوصالِ رجَعْنَ لي — لأرحتُ دهْري منْ طويلِ عتابِ
من بعدِ وخْطِ الشيبِ مالي والهوى — أسفاً ثَنَى (٣٥) بي أوبةَ المتآبي
أمَّا الشَّبابُ فكانَ أدْهَمَ سابقاً — والآنَ هذا الشيْبُ أشْهبُ كابي
لَمْ أدرِ حُكْمَ الغَبْنِ حتَّى أتْبعَتْ — مرُّ الزمانِ حمامةً بغرابِ
خطُّ الليالي أبيضٌ في أسودٍ — عكْساً به نسختْ عهودَ شبابي (٣٦)
قالوا : الخضابُ يُحيلُهُ، كلاَّ، وهلْ — تخفَى النجومُ عنِ الورى بخضابِ
الشيبُ أوعظُ واعظٍ لكنَّهُ — ما يرْعوي إلاَّ أولو الألبابِ
وأنستُ ناراً منهُ أستهدي بها — ورأ يتُهُ يسمو سموَّ حبابِ /
هلاَّ انْثنيتَ عنِ الهوى وحديثه — كمْ ذا التَّصابي (٣٧)، لات حين تصابِ

مـــا إن أراكَ مــــزايـــلا زلـــــلا ولا — حلّلاً بحلّـةِ (٣٨) زينـبٍ [22] وربــــابِ
يا زائـري أرجـاءَ "طيبةَ" [23] فــزتمُ — ببلـوغ آمـــــال ونيــــلِ طــــلابِ
دارِ النّبـيِّ ومَـهْبط الوحـي الــــذي — يهـدي بنـــــور سنّــــةٍ وكتــابِ
مغنى الأحبّةِ فالثُمـوا مـــا شئتــم — من دُرِّ حـصـبـــاءٍ ومسـكِ تــرابِ
متـوقّـــداتٌ قلوبُنـا فـي ركبكـم — لَمْعَ الأسنّـــةِ فــي رؤوس حـــرابِ
فدموعُنا (٣٩) مــنْ بعـدكـم ذاك الــذي — يغشاكُمُ منْ كلِّ مــا (٤٠) وسحـــابِ
قدْ أشرقَتْ بكمْ الفـلا (٤١) وتعطّــرتْ — منْ كلِّ قفْرٍ موحشٍ ويبـــابِ [24
يا شاغلَ الأيّامِ هــلْ مــنْ مسعــد — يهدي "لطيبةَ" عزمَتـي وركـابــي
أملي علـى طـول الزمـانِ حُلولُهـــا — فحلولُهـــا زُلفـى وحسـنُ مـــآبِ
سَعْـدي إذا عرّسـتُ فـي عَرَصاتهـا — وإذا ثـوى بـي بينهـــنَّ ثــوابي
إنْ قيل ما يثْني العنـــان عـن السّرى — لمْ ألــفِ عـذْرا وافـــيا بجـــوابِ
فَعَصيت في التّرحـالِ حبـاً صادقـــاً — وقعَـدْتُ صحبـةَ صبـريَ الكـذّابِ
هلاّ ســرى بــيَ للسعـــادة همّـــةٌ — غُرّتْ مـنَ الدنـيـا بلمــع سـرابِ
<و> عسـى اللقـــاءُ بتوبـــةٍ مقبـولـةٍ — يُمْحى بها ذنْبي العظيمُ وعـابـي [25
إنْ ضقْتُ ذَرْعـــاً بالذنـوب فإنّنـــي — أرجو الشفاعةَ منـهُ يــومَ حسابــي
/237 هــو صفــوةُ اللـــه الأمـينُ لوحْيـه — والمصطفى مــنْ أطهــرِ الأنســابِ
منْ معدنِ الشّرفِ الذي ترْ بانه [26] (٤٢) — قدْ قدّسـتْ فسَـمتْ عـنِ الأتـــرابِ
منْ عهـدِ آدام لــمْ يــزلْ متنقّــــلاً — فــي أطهــرِ الأرحـامِ والأصــلابِ
إيوانُ كسرى ارتجَّ عنْـدَ ظهـوره — أيُّ ارتجـــاجٍ مــؤذنٍ بتبـــابِ

ومنها بعد استكثاره من المعجزات :

ويقــــالُ ألــفٌ عــدٌّ فـــي آيـاتــه — وأقــول مــا إن تنقضـي بحســـابِ
وأفـــاك مــولــدُه فقـمــت بحقــه — فعلَ الكريمِ المخْبِـتِ (٤٣) [27] الأوّابِ
ولقيـتَ وافـــدهُ بكـــلِّ كـرامـــة — أغربْـــتَ فيـهـــا أيمـــا إغــرابِ
فيه ومــا زلـتَ الكـــريمَ المُرْتجـــى — رَحُبَتْ طـولُـــكَ أيّمـــا إرحــابِ
وأقمتَ ليلتَـــهُ بأبهـــى مصـــنعٍ — أوصـافُــهُ فــاتــتْ مـدى الإطنـابِ
سلبتْ محاسنه القلــوبَ بأسـرهـــا — وكذا المحـاسـنُ جمّـــةُ الأســلابِ
فيه القبـابُ الشـامخـاتُ وإنّهـــا — أي مـــنــــازل وقـــبــــاب (٤٤)
وهوَ الرفيعُ وكلُّ طـرفٍ شـــاخـصٌ — وهوَ البـديـعُ وكـلُّ قلـبٍ صـابِ
وهو الذي عنـهُ القصـورُ تقاصـرتْ — والشمسُ تُخفـي نـورَ كـلِّ شهـابِ
شيّدْتَهُنَّ مصـانعـــاً وصنائـعـــاً — بالفـنِّ فـي الإعجـازِ والإعجـابِ
لمحمّـدٍ خيـرِ الملــوك مفـاخــرٌ — ومـآثـرٌ تبقـى علـى الأحقــابِ

تحكي أناملُه الغمامَ إذا همى ... وتهابُ سطوتَهُ أسودُ الغابِ
تصلُ (٤٥) الخطوبُ إلى ذكاء ذكائه ... فتخورُ ناكصةً على الأعقابِ 238 /
شيَمٌ جَرى فيها على أعراقه ... مِنْ كلِّ أصلٍ طاهرٍ ونصابِ
من آل نصر ناصرِ دينَ الهُدى ... طول الزمان وغالبي الغُلاّبِ
من مثلهمْ للجود يهمي جوده ... من مثلهم للحرب والمحراب
ما بعد حقِّ الله عندهمُ سوى ... شُغلَيْنِ شغلُ ندى وشُغلُ ضرابِ
كمْ أصلحوا من فاسد كَمْ أصلحوا ... بسُيوفهمْ وسيوفهمْ من بابِ
أنا غرْسُ نعمتكَ الذي أنبَتَّهُ ... بعناية موصولة الأسباب (٤٦)
لي خدمةٌ ومحبةٌ وتشيُّعٌ ... لجنابك الأعلى أعزِّ جنابْ
وعقائلٌ في مدحِ والدك الرّضى ... قد طالما عضلَتْ عن الخطّاب
بك نأملُ النّصرَ العزيزَ ونرتجي ... فتح الإله ‹ و› مُفتحَ الأبواب
أولاكَ ربُّكَ كلَّ ما أملتهُ ... في النفسِ والسلطانِ والأعقابِ

ومن ذلك قصيدة الفقيه الرئيس الحسيب، جامع أشتات الفضائل، أبي زيد عبد الرحمان بن أبي بكر بن خلدون، القادم على الباب النصري [28]، نازعا عن خطة الإنشاء بباب السلطان ملك المغرب، حنينا إلى بلد سلفه أفريقية، متلقى بالترحب الذي تذخره الملوك والفضلاء لمثله (٤٧) :

(بسيط)

حيِّ المعاهدَ كانتْ قبلُ تُحييني ... بواكف الدمع يرويها ويُظميني
إن الأُلى (٤٨) نزحتْ داري ودارهمُ ... تحملوا القلبَ في آثارهم دوني
وقفتُ أنشدُ صبراً ضاعَ بعدهمُ ... فيهمْ وأسألُ ربعاً (٤٩) لا يناجيني 239 /
أمثّلُ الربعَ من شوقٍ فألثمُهُ ... وكيف والفكر يُدنيه ويُقصيني
ينهب الوجدُ منّي كلَّ لؤلؤةٍ ... ما زال جفني (٥٠) عليها غيرَ مأمونِ
سقَت جفوني مغاني الرّبع بعدَهمُ ... فالدمعُ وقفٌ على أطلاله الجونِ (٥١)
قدْ كانَ للقلْبِ عن داعي الهوى شُغُلٌ ... لو أن قلبي إلى السلوانِ يدعوني
أحبابَنا هلْ لعَهدِ الوصلِ مدّكرٌ ... منكمْ وهلْ نسمةٌ عنكمْ تُحيّيني
مالي وللطّيفِ لا يعتادُ زائرهُ ... وللنسيم عليلاً لا يداويني
يا أهل نجدٍ وما نجدٌ وساكنُها ... حُسناً سوى جنّة الفردوس والعين [29]
أعندكمْ أنّني ما مرَّ ذكركمُ ... إلاّ انثنيتُ كأنَ الراحَ يثْنيني (٥٢)
أصبو إلى البرق من تلقاء (٥٣) أرضكمُ ... شوقاً ولولاكمْ ما كانَ يصْبيني
يا نازحاً والمُنى تُدنيه منْ خلَدي ... حتّى لأحسَبَهُ قرْبا يُناجيني

أسلى هواكَ عنْ سواكَ وما — سواكَ يوماً بحالٍ عنكَ يُنسيني (٥٤)
ترى الليالي أنستْك ادكاري يا — مَنْ لمْ يكنْ ذكرَه الأيامُ تُنسيني (٥٥)
يا حاديَ الظُعْنِ تهوَى فى أعنتها — مَفتونةً بينَ ترجيعٍ وترنينِ (٥٦)
دَعْها وظُلّتها لا تَهْدِ ضلّتها — فنفحةُ الدارِ تَهديها وتَهديني
لَهْفي لنفسي ومالَهفي بمُغنيةٍ — أُطيعها في أمانيها وتَعصيني
تَسعى إلى زُخرفِ الدنيا على عَجَلٍ — وتُرجيءُ السعيَ في الأخرى إلى حينِ (٥٧)
أبعدَ مرِّ الثلاثين التي ذَهَبتْ — أولي (٥٨) الشبابَ بإحساني وتحسيني
أضعْتُ منْها نفيساً وما وردْتُ به — إلا سرابَ غرورٍ لا يُرَوِّيني
/240 واحسْرتي (٥٩) منْ أمانٍ كلُّها خُدَعٌ — تَريشُ عني (٦٠) ومرُّ الدهرِ يَبْريني
شكْوي إلى اللهِ منْ نَفسٍ تُحمِّلُني — مَتْني الغرورِ وإنْ أقصَرتُ تُغريني
حَسْبي اعتصامي بحُبِّي في النبيِّ فمنْ — يَذخرْهُ (٦١) يَظْفَرْ بأجرٍ غيرِ ممنونِ
نورِ الهُدى مصطفَى الأكوانِ غايتها — حُكْمِ الرسالةِ في بَعْثٍ وتكوينِ
نُشْدةِ الكونِ سرِّ الحقِّ مُظهرِه — بُشْرى النبيئينَ في رَمْزٍ وتعْيينِ
المُجْتَبى لهدَى الأنامِ به قُدْماً (٦٢) — وآدمُ بينَ هذا (٦٣) الماءِ والطينِ
خرّتْ لمولدهِ الأوثانُ خاشعةً — وانقضّتْ على الشُّهبِ رجماً للشياطينِ (٦٤)
وضاءَ بالشامِ منْ لألاءِ غُرّتهِ — قصورُ بُصرى بإيضاحٍ وتبيينِ
هذا وكمْ آيةٍ جاءتْ ببعثتهِ — ومُعجزاتٍ جليّاتِ البراهينِ
يا سيدَ الأنبياءِ المُقتدَى بهمُ — وشافعَ الخلقِ يومَ الحشرِ والدينِ
منْ لي بها عزْمةً تَسطو على كسلي — ومنْ حماهُ وإنْ أقصيتُ تُدنيني
أرجو ابْنَ نَصرٍ لنَصري كلّما امتنعتْ — مولى الملوكِ وسلطانَ السلاطينِ
محمدَ بنَ الحجّاجِ ثامنَ أمْلاكِ الهدى والندى الشُّمِّ العرانينِ
سمْحَ الخليفةِ (٦٥) ميمونَ النقيبةِ قد — أولى الورى كلَّ تأمينٍ وتهدينِ
الجودُ دونَ نداهُ غيرُ مطّردٍ — والنُّجحُ عندَ سواهُ غيرُ مضمونِ
وافتْ خلافتُكَ الغراءُ - لا عُدمتْ - — بكلِّ عدلٍ وإحسانٍ وتسكينِ
دجتْ سعودُكَ ليلَ الخطبِ حينَ دجا — وبيّنَ الصبحُ منها أيَّ تَبيينِ (٦٦)
/241 أقمتَ للملكِ ما يعتادُ منْ شرفٍ — ضخمٍ وقمتَ بمفروضٍ ومسنونِ (٦٧)
فالملْكُ منبسطٌ والدينُ مُغتبطٌ — حازَ الكفيلينِ منْ عزٍّ وتحصينِ
للّهِ ليلتُكَ الغراءُ إنّ لها — فخراً يطرّزُ أوراقَ الدواوينِ
أحييتَ مجتهداً دينَ النبيِّ بها — ومجدَ آبائكَ الغرِّ الميامينِ
كفاكَ فخراً ومجداً أنَّ حُبَّهمُ — شهيدُ صدقٍ على الإيمانِ والدينِ
يا مصنعاً [30] شيّدتْ منه السعودُ حمى — لا يطرقُ الدهرُ مبناهُ بتهوينِ

صرحٌ يحارُ لديْهِ الطرفُ مفْتتناً ... فيما يَروقكَ منْ شكْلٍ وتلوينِ
بعداً لإيوانِ كسرى إنْ مشْوَرك السّـــــامي لأعظمِ منْ تلكَ الأواوينِ [31]
ودَعْ دمشْقَ ومغْناها فقصْركَ ذا ... أشهى إلى القلبِ من أبوابِ جيرون [32] (٧٠)
يا دولةَ النصرِ والتأييدِ ألحَفها ... رأيُ ابنِ نصرٍ بتأييدٍ وتمكينِ (٧١)
أعدتَ أيامها الأولى بأندلسٍ ... تزري جمالاً على أيامِ هارون (٧٢)
مَنْ مبلغٌ جيرةً بالغورِ [33] قدْ جهلوا ... وُدّي وضاعَ حماهُمْ إذْ أضاعوني
أني أويتُ منَ العليا إلى حرمٍ ... كانتْ مغانيه بالبشرى تُحيّيني
وأنني ظاعناً لمْ ألقَ بعدَهُمُ ... دهراً أشاكي ولا خصْماً يشاكيني
لا كالتي أخفرتْ عهدي لياليَ إذْ ... قلبي يقلّبُ بينَ الخوفِ والهونِ (٧٤)
سَقْياً ورعْياً لأيامي التي ظفرتْ ... يداي منْها بحظٍّ غيرِ مغبونِ
أرتادُ منْها مليّاً لا يماطلني ... وعداً وأرجو كريماً لا يُعنّيني
وهاكَ غُرَّ قوافٍ طيُّها حكمٌ ... مثلُ الأزاهرِ في طيِّ الرياحينِ 42 /
تلوحُ إنْ جُليتْ دراً، وإنْ تُليتْ ... تُثْني عليكَ بأنفاسِ البساتينِ
عانيتُ منها بجُهدي كلَّ شاردةٍ ... لولا سعودُكَ ما كانتْ تُواتيني
يمانعُ الفكرَ عنْها ما تقسّمهُ ... منْ كلِّ حزْنٍ بطيِّ الصدرِ مكنونِ
لكنْ بسعدكَ ذلّتْ لي شواردُها ... فَرُضْتُ منْها بتحبيرٍ وتزيينِ
بقيتَ أمرك (٧٦) في أمنٍ وفي دعةٍ ... ودامَ ملْكُكَ في نصرٍ وتمكينِ

ومن ذلك قصيدة الشيخ الفقيه، قاضي الحضرة الحسيب، الحسن السمت (٧٧) أبي الحسن بن الحسن [34] بعد اعتذار ومطاولة شهدا بصحة تمييزه :

(طويل)

دعاني وإجراءَ الدموعِ السّواكبِ ... ولا تعذلاني إنّني غيرُ آيبِ (٧٨)
وعوجا على [الشّرقيِّ منْ] (٧٩) رامة [35] ... لنقضيَ في أطلالها بعضَ واجبِ
وإنّي لأهوى وأهيمُ على النّوى ... بتلكَ المساعي أو بتلكَ المذاهبِ
فللّه عيْنا منْ رآها مَعاهداً ... هواها وإن طالَ المدى غيرُ ذاهبِ
كأنّ شذاها عندما هبّتْ الصَّبا ... على إثرِ منْهلٍّ منَ الغيثِ ساكبِ
ثناءُ أميرِ المسلمينَ محمّدٍ ... إذا رفلتْ قُصّادُهُ في المواهبِ
فما شئتَ منْ علمٍ وحلمٍ وحكْمةٍ ... ورأيٍ إلى فهمٍ منَ الفكرِ صائبِ
جرَى في رضى الرحمانِ ملءَ عنانهِ ... وأبدى لداعي الفوزِ وجهَ مراقبِ
وقامَ بميلادِ الرسولِ سَمِيُّهُ ... قيامَ إمامٍ للرشادِ مُصاحبِ
توارثَ حبَّ المصطفى عنْ رجالهِ ... وأكرمْ بهمْ منْ أسرةٍ وأقاربِ

حُماةَ النبيِّ الهاشميِّ الذي لهُمْ ... بنظرته المجدُ الرفيعُ المناصبِ
محمدٌ المبعوثُ للخلقِ رحمةً ... تعمُّ الورى منها كرامُ الرغائبِ
/243 فلولاهُ كانَ الناسُ بجهلهمْ ... حيارى جميعاً نهبَ أيدي النوائبِ
فأرشدَ حيرانا وأمَّنَ خائفاً ... وأنذرَ إنذارَ المثيبِ المعاقبِ
وبيَّنَ دينَ الله حتى علا اسمهُ ... على كلِّ دينٍ واقتضى كلَّ واجبِ
وأمسى حمى الإسلامِ كهفاً لواردٍ ... وأمناً لمرتاعٍ ومأوى لهاربِ
هو المنتقى المختارُ منْ صلبِ آدمَ ... وأصحابُهُ الأعلونَ خيرُ الأصاحبِ (٨٠)
فإنْ عدَّ فضلٌ أفحموا (٨١) كلَّ قائلٍ ... وإنْ عدَّ فخرٌ أعجزوا كلَّ حاسبِ
ولله منْ ميلاده أيُّ ليلةٍ ... مدى الدهرِ قدْ فازتْ بأسنى المراتبِ
أضاءتْ قصورَ الشامِ فينا وأخمدتْ ... بفارسَ نارٌ للظنونِ الكواذبِ
تعالتْ فما يسطيعُها وصفُ واصفٍ ... ولا نظمُ ذي نظمٍ ولا كتْبُ كاتبِ
ولولا عوادي الدهرِ سرنا لقبرهِ ... ويُبدَلَ بالقرطاسِ وخدُ الركائبِ
وخضنا عُبابَ البحرِ شوقاً وأصبحتْ ... مكانَ الجواري سابقاتُ النجائبِ

ومنها

أمولايَ ما أعلى مقاصدكَ التي ... مذاهبُها في الجودِ خيرُ مذاهبِ
عفوتَ عن الجاني وأحسنتَ للذي ... أساءَ ولمْ تقطعْ رجاءً لراغبِ
وطهرتَ (٨٢) دارَ الملكِ منْ دنسِ العدى ... بماءِ (٨٣) تقىً ما شابهُ شوبُ شائبِ
/24 وأظهرتَ مغناهُ بذاتكَ للورى ... فأحللتهُ أعلى مراقي المراتبِ
فمنْ مصنعٍ أحكمتهُ عنْ وراثةٍ (٨٤) ... منَ الملكِ لمْ تعلقْ به يدُ غاصبِ
عليهِ منَ الحسنِ الذي جلَّ قدرهُ ... عنِ الشرحِ أنهى مغرياتِ الغرائبِ
تدفقَ بحرُ الجودِ فيه فكلُّهُ ... يُراجعُ بالسراءِ كلَّ مخاطبِ
توخيتَ للشورى به أيَّ مصنعٍ ... يُفيدُ عبادَ اللهِ حفظَ الجوانبِ
ومنْ فتيةٍ للمعلواتِ جلبتَها ... وأنتَ رعاكَ اللهُ أشرفُ جالبِ
لها منْ خلالِ الغرِّ فيضُ مناقبٍ ... وفاءٌ وإغضاءٌ وطيبُ مناسبِ
أثارَ عليها حسنُ نيتكَ التي ... بها نلتَ ما قد نلتهُ من مطالبِ
وغيرُ نكيرٍ أنْ يعودَ لأصلهِ ... بسعيكَ فضلٌ أوْ يرى غيرَ ذاهبِ
فأنتَ الإمامُ العادلُ الملكُ الرضيُّ (٨٥) ... سليلُ الملوكِ الأكرمينَ الأطايبِ
همْ كسروا كسرى وفضوا جموعهُ ... وهمْ حاربوا في اللهِ كلَّ محاربِ
فهمْ عزّوا (٨٦) دينَ الحقِّ أولَ أمرهِ ... فكنتَ لهُ منْ بعدهمْ خيرَ عاصبِ
سينصركَ الرحمانُ نصراً مؤزراً ... وتبلغُ في الأعداءِ كلَّ المآربِ

وتَفْتَحُ مِنْ أقطارِ رومةَ عنوةً　　معاقلَ قدْ حازتْ عظام المكاسبِ
تجوسُ خلالَ الدورِ منْها بعَسْكرٍ　　يمُرُّ إلى الهَيْجاءِ مرَّ السحائبِ
لهُ منْ صَليلِ الهِنْدِ رعْدٌ وبارقٌ　　كشائمة (٨٧) من لمْعِ بيضِ القواضبِ
هنيئاً لهَا البُشَرى بأسْعُدكَ التي　　جلا نورُها الوضَّاحُ ليْلَ النوائبِ
فجيْشُكَ منْصورٌ وأمرُكَ غالبٌ　　ورأيُكَ معضُودٌ بحُسْنِ العواقبِ
وهاكَ من المملوكِ عبدكَ خالصاً　　حديقةَ فكْرٍ صوبُها غيرُ ناضبِ (٨٨)
بقِيتَ لدينِ اللهِ تَحْمي دماءَهُ　　وحفَّتْ بكَ السَّراءُ منْ كلِّ جانبِ

ومن ذلك قصيدة الشيخ الفقيه الكاتب (٨٩) البليغ القاضي، الشاعر المفلق، أبي إسحاق بن الحاج [36]، وحكم الأصحاب ليلتئذ بتراجع طبعه، وأنا أقول : هو الحميم وان صدع مدعاه.

(متقارب)

رعَي اللَّهُ نَجْداً، وحيَّا الخيِاما　　وإنْ هيِ هاجتْ لقَلْبي غراما
وروَّى بِعَيْنَيْنِ مِنْ دَمْعِ عَيْني　　وصَوْبِ السحائبَ داريْ أماما
وقدَّسَ دون الحمى أربُعاً　　حَمَتْ مُقْلتي أنْ تذوقَ المناما
وبالأجرَعِ الفَرْدَ منْ حاجرٍ [37]　　منازلُ هامتْ بمنْ فيه هامَا
وَقفْتُ عليها أنا والنَّسيمُ　　سقيمينِ هذا وذا قدْ ترامى
كأنَّ اللواحظَ أعداؤُنا (٩٠)　　فكُلٌّ الثلاثَة تُبْدي سَقاما
ودونَ الغضاَ جيرةٌ خلْتُهُمْ　　يُشُبُّونَهُ بفؤادي (٩١) ضراما
وغيدٌ لدى الحيِّ عارضْننا　　وما عرف اللُّثْمَ إلا اللِّثاما
وراقَ الكَلامُ فياليْتَ لوْ　　جَعلْنَ مكانَ العقودِ الكلاما
أزاهرُ حسْنٍ بروْضِ الصبا　　فتقن الهوادج عنها كماما
وفاتنةٍ إنْ تشأُ يوم طعْنٍ (٩٢)　　رمتْ كلَّ رمحٍ وهزَّتْ قَواما
منَ السالباتِ عقولَ الرجالِ　　على سرْعةِ الحبِّ ماتُوا كراما
إذاما أرادتْ بَنا نَشْوةً　　سَقَتْنا شَمائلَها لا المداما
وقالُوا حكى الخصْرُ منها فؤادي　　صدقتم ولكن حكاه انعداما
ومِمَّا أثارَ ليَ الوَجْدَ برْقٌ　　ظَنَنْاهُ بينَ الثنايا ابْتسامَا
ونَفْحةُ ريحٍ أتَتْ منْ زَرودٍ [38]　　بهبْتها الركْبُ ماتُوا هُياما
إلى اللَّهَ أشكو وإنَّ العذَابَ　　عذابُ التَّفرُّق ماتُوا كِراما

وكالقلب مني بذي (٩٢) البان طارت   مطوقة قد رعت لي ذماما (٩٣)
وقد هيجتني وهيجتها   فأبكي حميماً وتبكي حماماً
وقد تعب الغصن ما بيننا   فيهفو وراءً وتهفو أماما
وعرّس بالجفن ركب السهاد   فما سار لكن أطال المقاما
وما الدمع عذب ولكنه   على مورد الدمع والى ازدحاما
وحق الهوى والزمان الذي   هو القصد للصب لو كان داما (٩٤)
لقد بلّ الدمع إلا غليلي   وأنأى التفرق إلا الهياما
وقد عيل صبري ويارب صبر   جعلت له مسك ليلي ختاما
بنفسي حبيب أطال انتزاحي   وأسهرني طول ليلي وناما
هو الحب جربنا هازلاً   بي الدهر قل لي : هواني على ما ؟
/24 ويا عاذل الصحب كن راحماً   وإلا فأبدل (٩٥) لي الميم لاما
عجبت لبرق من الشوق ما إن   يغب وميضاً إذا القلب شاما
وسحب من الدمع قد أنبتت   بجنبي قتاداً ورأسي ثغاما [39] (٩٦)
لحى (٩٧) الله مثلي أيرضى الهوى   وما صنع الوجد عاماً فعاما
وقد حال حال الحبيب الذي   محبته الدهر كانت لزاما
وأدبر ليل الشباب الذي   عهدت به للتصابي اكتتاما
وقد بين الصبح صبح المشيب   لغير امرئ عن هواه تعامى
وكم حجة لي قد أصبحت   تحج خصيما بها ما استقاما
فآهاً على الخيف آهاً وآهاً   وطيب النعيم بعرف النعاما
وما في منى من منى أيقظت (٩٨)   عيون الزمان وكانت نياما
وكم لي في مكة من عهود   نشدت بها زمزماً والمقاما
ألهفي وقد بان عني الحطيم   فلا كان جمعي لدنيا حطاما
كأني لم أصحب الركب وهناً   مطيلاً لطيب النسيم انتساما
بعوج ضوامر مثل القسي   تسرد للبيد مناً سهاما
وفتيان صدق إذا ما سروا   أثاروا ادكاراً (٩٩) وخلوا زماما
تراهم سكارى كأن الصبا   أدارت عليهم مداماً مداما
/2 ودائمة السير أرمي بها   أمام الحداة عراقاً وشاما
ومن أجل قصدي لبيت حرام   خلعت المنام عليها حراما
ومن هاجت الشوق بالمنحنى   ففي مثله من ضلوعي أقاما
وشامت على بارق [40] بارقاً   سل الخد مني وحلى (١٠٠) الحزاما
وحيث العقيق [41] وقد صغته   من الدمع والى عليه انسجاما

ولاحتْ قُبا [42] والنخيلُ التي   يطيلُ النسيمُ لهنَّ انتشامَا (١٠١)
كمثلِ العرائسِ حلّيْتُها   بدمْعي نثاراً وشعْري نظامَا
وبانَ البقيعُ [43] الذي كانَ وارى   منَ الطيبينَ عظاماً عظاما
ولاحتْ بدورٌ تُسمّى وُجوهَا   بأُفْقِ سماءٍ تُسمّى خيامَا
وجئتُ لأدخلَ بابَ السلامِ   فأسْمعْتُ قيلاً : سلاماً سلامَا
وزُرتُ النبيَّ الكريمَ الذي   بروْضتِهِ قدْ جمدْتُ (١٠٢) احتشامَا
أجلُّ النبيّينَ والرسلِ طراً   وخيرُهُمْ أمةً وانتمامَا
‹ف›لُمَّتُهُ من بهاليلِ هاشمٍ   وزهْرةُ أزهرَ قدماً هُمامَا
لمولدِه قدْ أضاءَ الدُّجى   وإيوانُ كسرى أراهُ انهزامَا
وفي أوّلِ الأمرِ يدري اللبيبُ   بقاءً لدوْلتِهِ وانصرامَا
كأنَّ الشراريفَ هامُ العدى   برتْها السيوفُ فلمْ تُبقِ هامَا
وماءُ البُحيرةِ للفرسِ غاضَ   وأُطفئتِ النارُ دامتْ دوامَا
كأنَّ الذي غاضَ منْ مائِهِمْ   بنابيعِهِ هيكلُ النارِ عامَا
وإلاّ فنارُهُمُ انتقلتْ   لأضلُعِهِمْ حسرةً واغتمامَا   / 249 /
وقدْ عوّضُوا الماءَ بالدمْعِ كيْ   يزيلَ الأوامَ فزادَ الأوامَا [44]
ورامُوا انطفاءً لنارِ الشجونِ   فمَا زادهَا الدمْعُ إلاّ احتدامَا
لطيفه سرُّ الجمالُ الذي   ببهجتِهِ الكونُ راق ابتسامَا
ولوْلاه ما كان هذا الوجودُ   ولا انقسَمَ الحسْنُ فيه انقسامَا
ولا ارتسَمتْ في طروسِ العقولِ   حروفُ الحقائقِ منهُ ارتسامَا
لهُ القمرُ انشقَّ في مكّةَ   كقلبِ العدوِّ الذي فيه لامَا
ولكنَّ هذا عَراهُ انضمامٌ   وما انضمَّ قلبُ العدوِّ انضمامَا
ولما دعا اللهَ جادتْ سحابٌ   بودقٍ تخلّلَ (١٠٤) منها ركامَا
وألحفها في مُلاءِ النسيمِ   جواريَ مزنٍ تبارتْ سجامَا
وقدْ قتلَ المحْلَ سيفُ البروقِ   ووالتْ عليهِ الغوادي اقتحامَا
كنبعِ أناملِهِ قدّمتْ   إلى العددِ الجمِّ منها جمامَا
وفي الشامِ قدْ ظلّلتْهُ الغمامُ   فيا شرّفَ اللهُ تلكَ الشآما (١٠٥)
سرتْ بينَ شمسينِ كلتاهُما   بنورٍ وهدْيٍ يسُرُّ الأناما
ولكنَّ ذاتَ النبيِّ الشريفِ   منَ الشمسِ أجلى وأعلى مقامَا
وقلّلَ في الناسِ عدُّ الطعامِ   وكثّرَ باللمسِ منهُ الطعامَا
وحنَّ لهُ الجذعُ منْ فُرقةٍ   (.............) (١٠٦) امَا
ولوْ أورقَ الجذعُ منْ فرحةٍ   لأورقَ لمّا رآهُ التزامَا   / 250 /

ولكنَّهُ في جنانِ الخلودِ سيورقُ حتى يعودَ إلى ما
ويالكَ منْ عاقبٍ حاشرٍ يطيلُ (١٠٧) بحبلِ الإلهِ اعتصاما
لأنصارهِ الفخرُ جدُّ التحافاً بزهرِ النجومِ وجلُّ التحاما
همُ ما همُ والقنا شُرَّعٌ بحيثُ الحمامُ يدعُ (١٠٨) الحماما
همُ ما همُ والثرى ظامئٌ إذا الأرضُ بالمحلِ عادتْ قتاما
ولله سعدٌ [45] ومنْ عادهُ رسولُ الإلهِ وأبدى احتراما
وقدْ قالَ : قوموا لسيدكُمْ فلا شخصَ في القومِ إلاّ وقاما
ولله قيسٌ [46] الكرامِ ابنُهُ أميرٌ سما (١٠٩) همةً واهتماما
همُ المنتجونَ لخيرِ الملوك ضخاما تفوقُ الملوكَ الضخاما
بأندلسٍ (١١٠) أثَّلوا دولةً لأركانها السعدُ والى استلاما
بنو نصرٍ الناصرونَ الألى منَ الكافرينَ أطالوا انتقاما
ووالَوْا ببيضِ الظُّبا والعوالي ضراباً فرادى وطعناً تواما
همُ القومُ أفضلُهُمْ يوسفٌ إمامٌ صعود السعودِ استداما
ومنْ بعده خيرُ أملاكهمْ محمَّدٌ الصعبُ فيهمْ مراما
أجلُّ السلاطينِ شرقاً وغرباً وأصدقُهُمْ في الحروبِ التزاما
إذا ما شكتْ خيلُهُ غُلَّةً أراقَ المياهَ وسلَّ الحساما
/251 نوالٌ كما باكرتْ ديمةٌ فوشَّتْ أباطحها (١١١) والأكاما
وبأسٌ كما لفحتْ جمرةٌ منَ القاضياتِ تزيدُ (١١٢) اضطراما
وحلمٌ لوَ الخمرُ شيبتْ بهِ كما أسكرَتْ بالكؤوسِ (١١٣) الندامى
همامٌ كريمٌ أنالَ النهى وجهَّز للحربِ جيشاً لُهاما
وخاصمَ بالسيفِ في حقِّهِ فيا فوزَهُ عندَ ذاك احتكاما
ولمْ ترَ عيني كمثلِ السيوفِ مخاصمةً إنْ أرادتْ خصاما
وقدْ غابَ في الغربِ مثلَ النجومِ ولكنَّهُ عادَ بدراً تماما
وصيَّرَ غرناطةَ الملكَ نوراً وكانتْ بجورٍ وظلمٍ ظلاما
هوَ النجمُ لكنْ لهُ الدرُّ منْ كلامٍ يفوقُ العقودَ انتظاما
هوَ البدرُ لكنْ لهُ الأفقُ منْ بساطٍ (١١٤) يسامي وما إنْ يُسامى
بساطٌ شريفٌ تودُّ النجومُ حلولاً به ماثلاتٍ قياما
يُلامُ على الجودِ لكنَّهُ مُلامٌ يفيدُكَ أنْ لا يُلاما
عجبتُ لكفٍّ لهُ وهوَ نارٌ لدى حربِهِ كيفَ أبقتْ ضراما
إمامٌ حمى الدينَ منْ بعدِ أنْ رأى منْ عداهُ الطغاةِ اهتضاما
وعادَ بهِ مولدُ المصطفى يُقامُ وحقَّ لهُ أنْ يُقاما

أعدَّ لهُ مشوراً خلْتُهُ ... سماءٌ مَنِ احتلّها لنْ يُضامَا
تَنوبُ الشموعُ منابَ النُّجومِ ... بهِ والوجوهُ تَبدّتْ وسامَا 252 /
كما نابَ وجهُ الإمامِ بنِ نصْرٍ ... عنِ القمرِ التّمِّ هابَ الإمامَا
وقُلْتُ هوَ الغابُ قدْ حلّهُ ... مَعَ الشّبْلِ ليثٌ عنِ الشّبْلِ حامَا
ومَا الشّبْلُ إلاّ أميرٌ نجيبٌ ... وما اللّيثُ إلاّ إمامٌ تسامَى
وفَرْعٌ كريمٌ وأصلٌ زكيٌ ... لشَمْلهما المُلْكُ أبْدى التئاما
ويالكَ منْ مشورٍ أُفقُهُ ... بدُخْنةِ (١١٥) عنبَرِه قدْ أغامَا
به قبّةُ النّصرِ مشهودةٌ ... وتلكَ الّتي قُربُها لنْ يُرامَا
تَطلُّعَ إمامٍ شُجاعٍ ... أقامَ الحروبَ لمنْ كانَ قامَا
وأنهدَ منها لأهلِ الخلافِ ... جيوشاً كمَوْجِ البحارِ التطامَا
فسُرعانَ ما فرقتْ شمْلَهُمْ ... وسامَتْهُمُ بالسيوفِ انْهزاما
وقدْ أخفروا عهدَ خيرِ الملوكِ ... ومَنْ يخفرِ العهدَ يلقَ أثامَا
ومنْ عهدِ سعدٍ ونصرٍ معاً ... لمنْ أنجبا السّعدُ والنّصرُ داما
أمَولايَ خذْها تروقُ افتتاحاً ... بمدْحِ الرسولِ وتزْهى اختتاما
منَ العاطراتِ الشّذا خلْتُها ... خميلةَ زهرٍ أطلّتْ ندَاما
ومنْ يغْتنمْ بالمديحِ العطايا ... فإنيَ اغتنَمْتُ الأجورَ اغتنامَا
بقيتَ مدى الدّهرِ في دولةٍ ... تُنيلكَ في الرّومِ ما السّيفُ راما
وصلّى الإلهُ على المصطفى ... صلاةً تدومُ ووالى السّلامَا

53 / ومن ذلك قصيدة لكاتب الدولة المتوسل بملازمة ركابها / في الكرة، الفقيه، المثل في الإدراك والمشاركة أبي عبد الله بن زمرك [47] فأقطع إجادته جانب النسيب، ولم يقنع منه باليسير والإجادة في الأغراض شأنه :

(طويل)

تأمّلَ أطلالَ الهوَى فتألّما ... ونسيما الجوى والسّقمِ منها تعلّما (١١٦)
أخو زفْرةٍ هاجتْ لهُ الوجدَ ذكْرةٌ (١١٧) ... فأنجدَ في شعبِ الغرامِ وأتْهمَا
ولما عطفْتُ الصحبَ والركبَ والهوى ... وقفتُ علي آثارها متوسّمَا
فلمْ أشهدِ السكانَ إلا تذكُّراً ... ولم أعرفِ الأطلالَ إلاّ توهّمَا
ومالي وللرسْمِ الجميلِ وإنما ... صرفتُ لَهُ وجهَ الوفاءِ تكرُّما
ليَ اللهُ لاأنْفكُّ أبْكي مُسهّداً ... إذا البارقُ النّجديُّ وهناً تبسّما
ويالكَ منْ برقٍ خفوقٍ كأضْلُعي ... أشارَ بتذْكارِ العهودِ فأفْهما
ويُزجى سحابُ الدمعِ لا درّ صوبُها ... فما خيرُ سُحْبٍ قلّما تنقعُ الظمّا

وتُبْدي إذا تبْكي السحابُ تبسُّماً ... وإني لا أدْري منْ أعارَكَ مبسمَا
أذا اعتَرضَتْ شكوى تثنّي بعبْرة (١١٨) ... فيا منْ رأى ربَّ البلاغة مُعْجما
وأنّ مالَ بي نحوَ السُلُوّ تعلُّلُ ... أبتْ سوْرَةُ الأشواق إلاَّ تحكُّمَا
لوَدَّعتُ قلبي يومَ ودَّعتُ إلفهُ ... ووالله ما أدْري منَ القلبُ منهُما
وأبلى شبابي طولُ عهدي وإنّني ... أجدُّ هوىً ما كان عهديَ أقدما
سقى العهدَ في ظلِّ الشباب وجادهُ ... مِنَ الدَّمْع ما يروي صداهُ وما وما (١١٩)
ليالٍ بها ليلُ الشبيبة لمْ يُنرْ ... وياليْت ذاك اللّيْل لوْ قامَ مظْلما
/254 ولمْ أرَ مثْلَ الشيْب نوراً وإنّهُ ... يسومُ مُحيَّا العيش أوْ يتجهّمَا
تبسَّمَ منْهُ في المفارِقِ بارقٌ ... فقطَّبَ وجْهُ الأنسِ لمَا تبَسَّما
فيا شعراتٌ قدْ نصعْنَ بمفْرِقي ... نصلتُ خصاباً أمْ تنصَّلْت أسْهُما
مضى ما مضى منْ ريِّق العيشِ في الصِّبا ... وياليتَ ما أبْقى أسى وتندُّما
ولمْ أصْلِ منْ بعدِ الشباب بطائلٍ ... ولمْ أحْتَقِبْ إلاَّ مشيباً ومأْثَما
ألا في ضمانِ اللّه سعْيي وكمْ أرى ... أُقضّي زماني في عسى ولعلَّ ما
ويلْهمُني فرطُ اشْتياقي إلى الحِمى ... ولوْ ساعدَ المقدارُ لمْ أبرحَ الحمى
وما كلَفي بالحيِّ حيثُ تحمَّلوا ... ولا شغفي بالرَّبع والدَّار أيْنما
ولكنّي أهوى الحجازَ وما به ... ومنْ حلَّ أكنافَ الحجازِ وخيَّما
سقاها الحيا منْ أربُعٍ ومعاهد ... فللّه ما أذكى وأزكى وأكرما
بطيبِ رسول الله طابتْ رُبوعها ... فسلْ إنْ أردْتَ الركبَ عما تنسَّما
نبيُّ الهُدى كافي الردى سابقُ المدى ... إذا أُسبِقَ الرُّسْلُ الكرامُ تقدّما
أبو القاسِمِ الماحي الذي بحياته ... إلهُ الورى في مُحْكَمِ الذِّكرِ أقسما
وحُجّتهُ الكبرى وبرْهانُهُ الذي ... به كَمُلَ الدينُ الحنيفُ وتُمِّما
تنقّلَ نوراً في الحياة مشاهداً ... يفوقُ بهاءً أو يروقُ ترسُّما
إلى أن بدا سرّاً منَ اللّه ظاهراً ... تَجسَّدَ منْ نورِ الهدى وتجسَّما
قد اعْترفَتْ توراةُ موسى بفضله ... وصدَّقهُ إنجيلُ عيسى بنُ مريما
/255 فيا مُظْهِرَ الأسرارِ، يا نُكْتةُ الهدى ... ويا حُجَّةَ اللّه الأخيرة المقدَّما
عليكَ سلامُ اللّه ما قمرٌ بدا ... وما شمْألٌ هبّتْ وما مطرٌ همَا
وياليْتني فازتْ يداي بزورةٍ ... أحطُّ بها رحْلي لديكَ مُخيِّما
ومازلْتُ أغري باللّقاء مطالبي ... وألهي حثيثَ العزْم أنْ يتلوَّما
وكيفَ وأنّى لي وذنبي مبْعدي ... يفُلُّ شبا عزْمي إذا العزْمُ صمَّما
وركبٍ سروْا والليلُ في لجَّة الدّجى ... وقدْ خلُصَتْ منهُ الكواكبُ عوَّما
وقدْ رعَشتْ في سحبها فتخالُها ... حماماً على نهرِ المجرَّة حوَّما

يؤمّون قبرا ضمّ أكرم مرسلٍ ... به شرّف الله الوجود وكرّما
فما وردوا (١٢٠) شرب القبول مصرّداً ... ولا زجروا طير السّعادة أشأما
لئن بلغوا دوني وخلّفتُ إنه ... طبيبٌ من الأقدار داوى وأسقما
فرحماك يا مولاي رحماك إنّني ... مددتُ يدي فامنُن عليّ تكرّما
وإن لم أكن أهلاً لما أنا آملٌ ... فإنّك أهلٌ أن تجود وترحما
بحقّك لا تقطع رجائي فإنّني ... جعلتُ إلى المأمول حبّك سلّما
ولم أذّخر في العمر زاداً من التّقى ... وحسبي بحبّي فيك زاداً ومغنما
رجعتُ إلى الشكوى عن الفوز بالمنى ... ومن لم يجد إلا صعيداً تيمّما
فيا كاشف البلوى ويا موضح الهدى ... ومولى الرّحمى ويا مذهب العمى
دعوت إلى دار السلام مبلّغاً ... فصلّى عليك الله دأباً وسلّما
لكَ المعجزاتُ المعجزاتُ حقيقةً ... كمثل انشقاق البدر في أفق السّما / 256
ومثل اعتراف الجذع والضّبّ والحصى ... ونقع بنانٍ منك قد نقع الظّما
وإنّ الذي من أجله خُلق الحيا ... خليقٌ بأن تندى يداه وتسجما
وأنت لهذا الكون علّةُ كونه ... فلا غرو أن تلقى مطيعاً مسلّما
ولولاك للأفلاك لم تجلُ نيّراً ... ولا قلّدت نحر المجرّة أنجما
وكم حيوانٍ ناطقٍ لك شاهدٌ ... وكم من جمادٍ في يديك تكلّما
وكم دعوةٍ لله أخلصت وجهها ... فما عرفت غير القبول ميمّما
وفي ليلة الميلاد (١٢١) لاحت شواهدٌ ... من الحقّ لا تخفى على من توسّما
وغاض لها الوادي وسبّحت الحصى ... قصورٌ ببصرى أفقها كان أظلما
فيا حسنها من ليلةٍ أطلع الهدى ... بآفاقها البدر المنير المتمّما
أشاد أمير المسلمين محمّدٌ ... بها فاستعان الجود فيها وحكّما
وقام بحقّ الله فيها ولم يدع ... بها هضبةً للبرّ إلا تسنّما
وفاتح مبناه السعيد تيمّناً بها ... ونحا القصد السديد ويمّما
أجلّ بني نصرٍ سناءً وهمّةً ... وأعلاهم في هضبة الملك معلما
وأنداهم كفاً وأشمخهم علا ... وأمنحهم وفداً وأمنعهم حمى
رسا حلمه طوداً وجاد غمامةً ... ولاح لنا بدراً وأقدم ضيغما
وأحيا رسوم الحقّ بعد عفائها ... وأسرج في ذات الإله وألجما
وجدّد عهداً قد محت رسمه العدى ... وألحف سلماً أنفس الخلق مسلما (١٢٢) / 7
وكم كفرت نعماه لازال رفدها ... فأنعم بالغفران لازال منعما
حريصٌ على التقوى خفيفٌ إلى الهدى ... أبرّ من استرحمته فترحّما
فيا ابن العلى والحلم والبأس والندى ... ومن فاق آفاق النجوم إذا انتمى

طلعتْ بأفقِ الملكِ آيةَ رحمةٍ — لتجلوَ ما قدْ كان بالظلمِ أظلما
وتنْصرَ مظلوماً وتقْهرَ ظالماً — وتؤويَ (١٢٣) مذعوراً وترحمَ مجْرما
فأمَّنتَ حتىَّ الغصنَ منْ نفحةِ الصَّبا — وأرْهبْتَ حتَّى النَّجمِ في كبدِ السَّما
فإنْ رعشتْ زُهْرُ النجومِ فخيفةً — وإن مالَ غصنُ البانِ شكرَكَ يمَّما
لكَ الخيرُ لا تعْدُ الذي أنتَ أهلُهُ — فمثلُكَ منْ والى وأولى وتمَّما
وللّه عيناً منْ رأى أيَّ مصنعٍ — أعدَّ لهذا القصرِ براً وأحكما
يذكّرُ دارَ الخُلْدِ منْهُ أولي النهى — سنىً أدهشَ الأفكارَ إلاَّ توهمَّا
به يَعْمُرُ الأنداءَ كلُّ مُفَوّهٍ — ويشدو (١٢٥) به حادي الركابِ مُزَمْزِما
قدَ اعْتَمرتْ منهُ المحاسنُ روضةً — يطيبُ بها عَرفُ المديحِ تنسُّما
أمولاي خذْها في امْتداحكَ غادةً — تجرِّرُ ذيلَ الفخرِ وشْيا مُنَمْنَما
تجيشُ بصدري للبلاغةِ أبحُرٌ — فتقذفُ درَّ الحمدِ رطباً منظَّما
وما أنا إلاَّ صارمٌ قد صقَلْتَهُ — بنُعْماكَ يمضي حيثُ شئتَ مصمِّما
وما أنا إلاَّ طائرٌ حلَّ جنَّةً — ببابكَ أذكتْ أنْفُهُ فتنعَّما
/258 مطوَّقُ طوقٍ منْ نداكَ تهدَّلتْ — غصونُ المنى من فوقه فترنَّما (١٢٦)
فهُنِّيتَ مبْناكَ السعيدَ مُمتَّعاً — عزيزاً به أخرى الليالي مُنَعَّما
وكافأ براً قدْ أقمْتَ شعارهُ — وعظَّمْتَهُ ترجو النبيَّ المعظَّما
ودمْتَ تُحلِّي عاطلاً بحُلى العُظْمى — وتنصرُ مظلوماً وتُكسِبُ مُعْدِما

ومن ذلك قصيدة الفقيه القاضي، الخير الأبوة والمنشاة، القديم الشهرة بالإجادة، أبي بكر بن أبي علي القرشي[48]، قصيدة حسنة، كفة الإجادة فيها راجحة :

(بسيط)

يُحْيي الورَى برسولِ اللّهِ مولدُهُ — وللزمانِ مواقيتٌ تُجدِّدُهُ
تعودُ فيها لنا البُشْرى بمقْدَمِهِ — كما يعودُ عقيبَ الليْلِ فرقدُهُ (١٢٧)
للّه في كلِّ عامٍ منْهُ مُرتَقَبٌ — نظلُّ في أفقِ الخيراتِ نرْصُدُهُ
أهلاً بشهرِ ربيعٍ ما استدارَ لنا — ففيه أنْجزَ للإسلامِ موعِدُهُ
وارْتجَّ إيوانُ كسْرى فيه وانكسرتْ — أرْجاؤهُ وهوى وانهدَّ مَصْعَدُهُ
ونارُ فارسَ لمْ توقدْ وكانَ لها — مذْ ألفِ عامٍ يشبُّ الجزْلَ موْقِدُهُ
والنَّهْرُ لمْ ينْسكبْ والشُّهبُ قدْ رصدَتْ — مقاعدَ السمعِ للشيطانِ تطْرُدُهُ
دلائلُ الصِّدْقِ قبلَ البعثِ قدْ ظهرَتْ — تهْدي بأنوارها الأعمى وتُرْشِدُهُ
أتتْ على نحْوِ ما جاءتْ به كُتُبٌ — فارْتابَ في المصْطفى منْ كانَ يحْسُدُهُ

وأنكرَ الحقَّ إبطالاً لهُ وغدا … يُخفيه لوْ أنّهُ يخفى ويجحدُهُ
وحسبُنا قمرٌ في الأفقِ شُقَّ لهُ … شقّاً تبيّنَ للأبصارِ مشهدُهُ
وأنْ تفجّرَ ماءٌ منْ أناملهِ … سقى به الجيشَ حتى عمَّ موردُهُ 59 /
وأنْ كفى الصاعُ ألفاً بعدما غرثُوا [49] … وذاكَ فضلٌ عميمٌ جلَّ معهدُهُ
وأنْ تبادرَ منْ برٍّ به حجرٌ … صلدٌ فأفصحَ بالتسليمِ جلمدُهُ
وحنَّ شوقاً إليْهِ الجذعُ حينَ نأى … وضجَّ منهُ عميدُ القلبِ مكمدُهُ
والينّ في الخدِّ سالَتْ وهوَ ثبّتَها … بكفِّهِ حيثُ كانت بوركَتْ يدُهُ
ولمْ يدعْ لعَييٍّ تفلُهُ ألماً … إذْ جاءَ وهوَ عليلُ الطرْفِ أرمدُهُ
ماذا أعدّدُ (١٢٨) منْ آياتهِ ومتى … يتمُّ حصرُ الحصى أوْ منْ يُعدّدُهُ
كمْ معجزاتٍ لهُ بالصدقِ قدْ شهدَتْ … روى عجائبَها منْ صحَّ مسندُهُ
والذكرُ آياتُهُ العظمى التي بقيَتْ … تتلوهُ أمّتُهُ غضّاً وتسردُهُ
آياتُهُ نزلَتْ بالمدحِ فيهِ فما … يقولُ بعدُ حسيرُ الذهنِ أبلدُهُ
لوْ نُظّمَ اللفظُ في أمداحهِ دُرراً … فالوحيُ أعلاها بما يُنضّدُهُ
محمّدٌ هوَ حقٌّ منْ خصائصهِ … منْ في السماءِ ومنْ في الأرضِ يحمدُهُ
بُشرى المسيحِ سرَى منْ آدامَ غُرراً … في كلِّ وقتٍ به يمتازُ أمجدُهُ
معنى الوجودِ إمامُ الرسلِ خاتمُها … خيرُ الأنامِ شفيعُ الكلِّ سيّدُهُ
في ذمّةِ اللهِ أوراحٌ به شغفَتْ … فصارَ فيها بإذنِ اللهِ ملحدُهُ
وصفوةٌ حبُّهُمْ فيهِ شعارُهُمُ … منهمْ خليفةُ هذا العصرِ أوحدُهُ
نعمَ الإمامُ لهُ في كلِّ مكرمةٍ … سبقٌ بخصلٍ مدى العلياءِ يُفردُهُ
يُرضي الرسولَ بأفعالٍ لهُ كرمَتْ … فيها المقاصدُ أدناها تهجّدُهُ 260 /
أقام في الليلةِ (١٢٩) الغرّاءِ مولدَهُ … يقطعُ الليلَ في ذكرٍ يردّدُهُ
يُهدي الصلاةَ عليْهِ والسلامَ إلى … أنْ فرَّ عنْ ناظرِ الظلماءِ إثمدُهُ
ويملأُ الصحفَ منْ نورٍ تألّقَ في … نادي (١٣٠) ملائكةِ الرحمانِ تشهدُهُ
ومصنعٌ لمْ يكنْ منْ بعدِ همّتهِ … إلاّ على البرِّ والتقوى يُشيّدُهُ
تبأى به في بقاعِ الملكِ أندلُسٌ … فليسَ في غيرِها الأبصارُ تعهدُهُ
صاغتْ بدائعَهُ أيدٍ وأفئدةٌ … تأنّقَتْ فيهِ حتّى تمَّ مقصدُهُ
فصحَّ للأذنِ منهُ ما يُقرّطُها … ولاحَ للطرفِ منهُ ما يُقيّدُهُ
وزادَهُ شرفاً أنْ حلّهُ ملكٌ … يُربي على يومهِ في سعدهِ غدُهُ
كأنّما القدرُ المحتومُ وافقَهُ … فيما يحلُّ منَ الدنيا ويعقدُهُ
توارثَ الملكَ عنْ آبائهِ وحمى … حماهُمُ وقضتْ بالثأرِ أسعدُهُ
حاطَ الرعيةَ منهُ مشفقٌ حدبٌ … شهمٌ همامٌ كريمٌ طابَ محتدُهُ

غيثٌ لبذلِ النَّدى مبسوطةٌ يَدُهُ　　ليثٌ ليومِ الوغى رحبٌ مقلَّدُهُ
عدلٌ تخيَّرَهُ (١٣١) في المِلَّتينِ لنا　　بحُسْنِ سيرتِه منْ نحنُ نعبدُهُ
منْ أسرةٍ حبُّهُم دينٌ وبغضُهُمُ　　يكبُّ صاحبَهُ في النّارِ توقدُهُ
أنصارُ دينِ الهدى ما منهُمُ أحدٌ　　إلاّ سما فوقَ أُفْقِ النَّجمِ سؤدَدُهُ
منْ كابْنِ نصرٍ تولّى اللهُ نُصرتَهُ　　ومُزِّقتْ بسيوفِ القهرِ حُسَّدُهُ
/261 نجلُ الشهيدِ الذي أدناهُ يومَ قضى　　إلى الالهِ مُصلاّهُ ومَسْجِدُهُ
لهُ مناقبُ أعْيَتْ كلَّ ذي لَسَنٍ [52]　　فينثني عَنْ مداها وهْيَ تُجْهِدُهُ
تألَّفتْ فيه منْ أسلافِه فغدا　　يُحيي بها مَنْ مضى منْهمْ ويوجِدُهُ
فمنْ صلاحٍ ومنْ علمٍ ومنْ ورعٍ　　ومنْ سماحٍ ومنْ بأسٍ يؤيِّدُهُ
ومنْ خلالٍ زكياتٍ ينالُ بها　　منْ ربِّه كلَّ ما يرجو ويقصدُهُ
دامتْ لهُ بهجةُ الأيامِ في نِعَمٍ　　لا يقطعُ اللهُ عنهُ ما يعوِّدُهُ

ومن ذلك قصيدة الفقيه العدل الخير، معلم ولد السلطان، أبي عبد الله الشريشي [53]، تورط منها في شعب التاء المنصوبة، طوع افتراع دعا به فلا تسل عن منجاته (١٣٢) [54]:

(وافر)

ألاَ بُتِّي الهوى يا نفسُ بتّا　　وإنْ فتَّ الحشا والقلبَ فتّا
وجِدِّي ويْكِ إنَّ الأمرَ جِدٌّ　　فهَزْلُكِ بعدُ بالأعضاءِ فَتّا [55]
وخلِّي عنكِ نهجَ أولي التَّصابي　　وخافي أنْ أرى شيخاً تفتّى [56]
وحسْبي ما أتاني منْ نذيرٍ (١٣٣)　　يخوِّفُني المنونَ وليسَ تَفْتا
أبعدَ الشيبِ يا مغرورُ تلهو　　أما إنْ والمُهيمنِ ما عقلْتا
أتلهو والمنيَّةُ لستَ تدْري　　متى تأتي وما إنْ بعدُ فُتّا
أما واللهِ ما عقلٌ سليمٌ　　ليركبَ ما منَ البلوى ركبْتا
فهلاّ كُنْتَ ذا عملٍ وعلمٍ　　تفوزُ إذا عملْتَ بما علمْتا
وهلاّ كانَ همُّكَ جمعَ نفسٍ　　قدْ افترقتْ لأيامٍ جَمَعْتا
/262 نقضْتَ عهودَها ونسيتَ جهلاً　　معاهدَها وكنْتَ بها أنسْتا
حُجِبْتَ عنْ أوجِها بحضيضِ أرضٍ　　نَصَبْتَ هوى بها نصْباً وجُبْتا
هبطْتَ لها لتعبرَها فلمّا　　فُتنْتَ بزُخْرفٍ فيها عَمَوْتا
وآثرتَ الدنيا وتركْتَ الأخرى　　فَسُحْقاً إذْ جمعْتَ بهنَّ سُحْتا [57]
ألا راجعتَ مولى ذا قبولٍ　　وإقبالٍ عليكَ متى قدِمْتا

على ما قدَّمَتْ يُمناك قِدْما … من الأوزار واسْتَوْحيْتَ مَقْتا
ولمْ ترَ غيرَ ما ترْجوهُ منْ ذي … كمالٍ مطلقٍ مَهْما اعْتبرتا
هو الهادي الرسولُ المرْتجى في … بلوغِ سؤالٍ والآمالُ شتّى
وكمْ لعلائِه منْ مُعْجزاتٍ … إذا ما رُمْتَ تَحْصُرَها عجَزْتا
ستُلْفيها (١٣٤) إذا عُدَّتْ ألفاً … ولا مثْلَ القُرانِ إذا عدَدْتا

ومنها وهي طويلة :

ولولا معشرٌ منْ آلِ نصْرٍ … تداركه الإلهُ بهمْ لفُتّا
همُ نصروا الرسولَ وآثروهُ … وآوَوْهُ فسلْ، أمّا جهلْتا
فقدْ كُتِبَتْ مفاخرهمْ قديما … كما كَبَتوا العِدَى في الدَّهرِ كَبْتا
وهلْ كسَيلِ مجدهمُ المفدَّى … مُحَمَّدُ بْنِ يوسفَ إن خبرْتَا
هو الملكُ الأغرُّ فلا مليكٌ … يضاهيه حياً وندىً ونعْتا
هوَ البحرُ الخضمُّ لمُعْتَفيهِ … فراتٌ ماؤهُ مهما وردْتا 53 /
إذا بخِلَ الحَيَا فنداهُ يُغْني … ويُفْني القرنَ بالصمْصامِ صلْتا [58]
هو الوهّابُ للآلافِ حمْداً … وللغرِّ الجيادِ الجُرْدِ كُمْتا
اذا ما زلّتِ الأقدامُ يوماً … بمازنِ معركَ فيريكَ ثَبْتا
وان رَفَعَ البغاةُ لواءَ غدْرٍ … فتَخْفِضُهُ عُلاهُ كما شهِدْتا
فان جمعوا فللتكسيرِ لا للسلامَةِ جمْعُهُمْ تلْفيه بتّا
لقدْ أحْيا البلادَ ومنْ عليها … بهِ وأعادَ للْعلياءِ دَسْتا [59]

ومنها ولا حول ولا قوة إلا بالله :

جلالٌ ليْسَ مقصوراً بإلاّ … كمالٌ ليسَ محصوراً بحتّى
فماذا أنْ يقالَ القولُ فيه … ولوْ أمْلَيْتَهُ أحداً وسبْتا
بقيتَ مبلَّغاً ما تشتهيهِ … على الأيّامِ من أملٍ ودُمْتا
ولازالتْ ملوكُ الأرض تحْدو … إليكَ رِكابَها فتنالُ بَخْتا
ومنْ عاداكَ أوْ ناواكَ يوماً … تَفُتُّ فؤادَهُ الأيامُ فتّا

ومن ذلك قصيدة للشيخ الفقيه الفاضل، صاحب أشغال الطعام ببابه، أبي القاسم بن قطبة[60]، وقد كان طال بالشعر عهده في هذه الأغراض، فبان عذره:

(كامل)

نفْسٌ تُطيعُ مدى الزمانِ هواها ... يا ليْتَ لي نفْساً تعارُ سواها
كمْ ذا التشاغلُ والزمانُ قد انْقضى ... والشيبُ أقبلَ ناصحاً يَنْهاها
/264 تُمْسي وتُصْبحُ في الضَّلالِ كأنَّها ... عمياءُ لا تَهْدي سبيلَ هُداها
تعساً لها خَداعةٍ (١٣٥) أمَّارةٌ ... بالسوءِ لا يُعدى على عدْواها
الجسمُ أُتْعِبَ في منالِ مُرادِها ... والقلبُ أُجْهِدَ في طِلابِ رِضاها
والفكرُ أُعمِلَ في اجْتلابِ رِضاها ... والنَّوْمُ أُلغيَ في لِحاقِ مُناها
ما بالُها رَضِيَتْ سفاهةَ رأيِها ... إنّي أطيقُ لشقْوتي بلْواها
دَعْني أعلِّلُ بالتَّصبُّرِ مهْجتي ... كيْما أوافقَ رأيَها وهواها
حتّى أحُثَّ إلى البقيعِ ركائبي ... وأبُثَّ في عَرَصاتِها شكْواها
وأجيلَ في تلكَ المعالمِ نظْرةً ... تجلو عن النفسِ الغداة صداها
وأحُطَّ رحْلي عندَ قبرِ محمَّدٍ ... خيرِ البريَّةِ كيْ أقيمَ صفاها
قبرٍ إذا لثمَ العصاةُ تُرابَهُ ... لثُمتْ شفاهُ المذنبينَ ثَواها
مالِي إلى دارِ الخلودِ وسيطةٌ ... إلا رضاكَ إذا لقيتُ اللهَ
عبدٌ يرومُ نجاتَهُ منْ ذنْبِهِ ... ويريدُ عفواً منْ لدُنْكَ وجاها
بالمغربِ الأقصى ثوتْ أوطانُهُ ... والقلبُ منْهُ طائرٌ قدْ تاها
شوقاً إلى تلْكَ المعالمِ إنَّها ... تُحْيي القلوبَ قَبولُها وصَباها
منْ كانَ يهوى الغانياتِ فإنَّني ... مازلْتُ صَبًّا والهاً بهواها
تحكي البِحارُ الطمُّ فَيْضَ مدامعي ... وبأضْلُعي نارٌ تشبُّ لظاها
سَبقتْ رجالٌ للزيارةِ قبرَهُ ... فلْيَهْنِها فازتْ وخابَ سواها
/265 وتحمَّلتْ لا تَنْثَني عزَماتُها ... فاللهُ يشكُرُ سعيَها وخُطاها
يا راكبَ الوجناءِ يبْغي طيبَةً ... قبِّلْ ـ فَدَيْتُكَ ـ وهْدَها ورُباها
واقْرَ السلامَ وإنْ أردْتَ مثوبةً ... خذْ مهْجتي وعساكَ أنْ ترْضاها
تلْكَ المعاهدُ لا معاهدُ زيْنَبٍ ... كلاّ ولا دعْدٍ ولا لُبْناها
لَكنْ معاهدُ توبةٍ تتخلَّصُ (١٣٦) ... منْ فتْنةٍ عمَّ الأنامَ أذاها
منْ فتْنةِ الدُّنْيا ومنْ تبعاتِها ... آهاً لها حتّى المماتِ وآها
عرَفتْ بمولِده السيوفُ مضاءَها ... وانتجلتْ بيضُ الالفِ قناها(١٣٧)
وتيامنَ الدينُ الحنيفُ وخبَّرت ... رهبانُ فارسَ قبلَهُ كسْراها

وارْتجَّ مِنْ ذُعْرٍ بِه إيوانُهــا | ووَهَتْ معالمُ عِزِّها وعُلاها
وخَبَتْ بِهِ نيرانُ فارسَ وانْقَضتْ | دُنْياهُمُ حقًّا وحانَ رداها
سُبِقَتْ بياسينٍ عنايةُ ربِّه | شهدتْ فواتيحها وآخرَ طاها [61]
سبْحانَ منْ رَحِمَ العبادَ بأحْمدٍ | وشفى النفوسَ بهَدْيهِ وهُداها
وتداركَ الدنيا بمَلْكٍ (١٣٧) | منْ بعدما عَبَثَتْ أكُفُّ عداها
ملكٌ إذا هزَّ القناةَ بكفِّه | كانتْ صدورُ عداته مأواها
وجهٌ يريكَ البدرَ ليلةَ تمِّه | وتعارُ منه الشمسُ نورَ سناها
وسخاءُ كفٍّ لوْ تجودُ كجُودِه | غُرُّ السحابِ لفُجِّرتْ أمْواها
منْ آلِ نصْرٍ خيرِ أملاكِ الورَى | سادوا البريَّةَ كهْلَها وفتاها
قومٌ إذا نادى الصريخُ بأرْضهمْ | طارتْ خيولُهُمْ وخفَّ وناها [62] 6 /
خَيْلٌ عليها كلُّ أروعَ باسلٍ | يلْقى المنيَّةَ كلُّ منْ يلْقاها
تُعْزى لأولادِ الوَجيهِ ولاحقٍ | لا تشْتكي طولَ السباقِ وجاها [63م]
منْ أجْردٍ ومُشذَّبٍ عبلِ الشَّوى | ومطهَّمٍ سلَبَ الطيورَ قُواها [64]
تَرْنو بطرْفٍ في السماءِ مُجالةٍ (١٣٨) | وتصيخُ (١٣٩) أذنا حيثما ولاها
يا أيُّها الملكُ الذي قدْ عاوَدَتْ | بزمانِه الدنيا زمانَ صباها
إنِّي جلوتُ لدى بساطكَ غادةً | قدْ طيَّبَ الأفواهَ طيبُ شذاها(١٤٠)
فامْننْ عليها بالقبولِ فإنَّها | بكرٌ تغارُ إذا تغارُ سواها

ومن ذلك قصيدة للشيخ الأديب الشهير، أبي عبد الله محمد بن حسان [65]، قصيدة معشوبة، شأن من أخلقت ولادة النظم رحم إجادته :

(طويل)

دعُوها تسِلْ فوقَ الخدودِ دُموعُها | إذا البرقُ منْ نجدٍ أثارَ نُزوعَها
ولا تَمْنَعوها منْ نواسمِ حاجرٍ | فإنَّ نسيمَ الريحِ يُبْرى وُلوعَها
وفاحَ لها منْ مُنْبِتِ الشِّيحِ مندلٌ | فهامتْ بهِ نشْوى تجرُّ نسوعَها [66]
تراءتْ لها أعلامُ مكَّةَ فاغْتدتْ | وقدْ أنستْ أطْلالَها وربوعَها
لِمَطلعِ نورِ الوحي في البيدِ ترْتمي | تَحُثُّ خُطى شوقٍ أجرَّ ضلوعَها
لوتْ نحْوها الأعناقُ تعتقُ في السُّرى | إذا سُدُفٌ بالزهرِ جبتْ هزيعَها
وألقي بها الروحُ الأمينُ سفارةً | وخصَّ منَ الارسالِ(١٤١) طرًا رفيعَها
تحنُّ إلى أرْضِ الحجازِ صبابةً | وإنْ سلْوةٌ رامتْ فلنْ تستطيعَها 267 /

فكيفَ بمُنْضِها (١٤٢) وقد ظلَّ نازحا ... أخا مقلةٍ أنأى الفراقُ هجوعَها
اذا أطربَ الحادي بذكرِ حبيبها ... وشاقتْ أغانيه القلوبَ وروّعها
ترنّحَ فوقَ الكورِ والرحلُ ينثني ... وكادَ الهوى أسرارَه أنْ يُذيعَها
وذو الحبِّ لا تخفى سريرةُ حبِّه ... لهُ كبدٌ فتٌّ (١٤٤) الغرامُ صدوعَها
عليه عدولٌ لمْ يُجرِّحْ شهيدَها ... ضنىً وأسىً والعينُ تجرى نجيعَها
فيا سابقَ الوجناء واجهْ بها الصبا ... لتنشقَ (١٤٥) مكنِ أزهارها
وجدتْ بها وهناً نسيمَ أحبتي ... بسهْدي أغرتنى فبتُّ مُطيعَها
وكنتُ جريئَ (١٤٦) النفسِ قبلَ هبوبها ... فلمّا انبرتْ بالخيف بتُّ جزوعَها
فياليتني أنضى المطيَّ ليثرب ... أشاهدُ منْ شمسٍ أنارتْ طلوعها
أعفّرُ شيبي بالثرى (١٤٧) وهوَ مسكةٌ ... وألثمَ لثْمَ المستهامِ بقيعها
لقدْ شرّفَ اللهُ الشهورَ كرامةً ... وخصَّ بميلاد الرسولِ ربيعها
فيا ليلةً أربى على الصبْحِ نورُها ... محاسنُها يَجلو الجمالُ بديعها
ومنْ أجلها الكرسيُّ والعرشُ أبدعا ... وواصلتِ الأرواحُ طراً خشوعَها
بها أطلعَ الرحمانُ نورَ هدايةٍ ... شريعةَ دينٍ ما ألذَّ شروعَها
وملةِ من أنجى الخلائقَ منْ ردىً ... وفي الحشرِ منْ نارٍ فكانَ شفيعَها
لهُ مُعجزاتٌ دونهَا الشهْبُ كثرةً ... يضيقُ نطاقُ القولِ عنْ أنْ يشيعَها

/268 ومنها بعدَ المعجزات :

بأندلسٍ أحيا الخليفةُ رسْمها ... كما لألأتْ زُهْرُ النجومِ لُموعها
مُحمدٌ الزكيُّ الخلالِ ابنُ يوسف ... يحوطُ ثغورا بالقنا لنْ يُضيعها
فقدْ سجمتْ (١٤٨) منه البلادُ بمازنٍ ... فما تستطيعُ الحادثاتُ (١٤٩) منيعَها
وعادَ إلى الدنيا الشبابُ بملكه ... وكانَ بها خبلٌ (١٥٠) فداوى صريعَها
تقولُ ملوكُ الأرضِ طراً بفضله ... وتلْقي لهُ الإقليدَ تبدي خضوعَها
وأوفدَ منْ أمصاره كلَّ ماجدٍ ... حثيثَ الخطا للمكرمات سريعَها
وجاءَ بها غراءَ باهرةَ السنا ... جلاَ الحسنُ منها خَوْدَها وسموعَها
وأوضحَ نهجَ الدينِ منها فطابقتْ ... أصولُ المساعي الصالحات فروعَها
وشيّدَ للعزْمِ المقيمِ مبانيا ... وأطلعَ فيها كالشموسِ شموعَها
فقبّتها تحكي المحيطَ استدارةً ... على عمَدِ التقْوى أقامَ رفيعها
بدائعُ رقمٍ كالمجرةِ جمّعتْ ... كواكبُها بالوشي زانَ جميعَها
وقدْ أشبهتِ السواري معاصماً (١٥١) ... لبيضٍ إذا استأذنتْ إليها ضجيعَها
وفتّحَ نورَ الروضِ في جنباتها ... إذا ما سقتْهُ الواكفاتُ دموعَها

وقدْ نَشَرَ الطاووسُ فيها جناحهُ   وزخْرَفَتِ الأصْباغُ منْها صنيعها
فَهُنِّيتَ يا تاجَ الملوكِ ذخيرةً   ينافسُ بالدنيا أنْ يبيعها
فوافَتْكَ بالفتْحِ القريبِ عجائبٌ   يُجيبُ إذا تدْعو إليْكَ سميعَها

9 / ومن ذلك قصيدة للفقيه المثبت لهذا العهد ببيت الكتاب، أبي جعفر بن عبد الملك[67]، طارد فيها المعاني طردا أقصرت عنه خيل الألفاظ الدالة على معظم خلل الدال، ولم يحصل الغرض من المدلول، وأولها حسن :

(كامل)

نارُ الصبابة إنْ رضيتَ سلامُ   وشفاءُ قلْبي منْ هواكَ سقامُ
لا أشْتكي سقَما بهَجْرك إنمَّا   أشْكو إذا هجرْتَني (١٠٢) الأسْقامُ
إنْ لمْ يكنْ هجري وبعْدي عنْ قلبِي   فهوانُ نَفْسي في الهَوَى إكرامُ
ولطالما صالَ الزمانُ وإنَّما   للصبِّ بعدَ جراحهِ إقدامُ
أبْلى الجديدانِ [68] الشبابَ كأنَّما   لذاتُه في ليْلةٍ أحلامُ
ومحا دجاهُ صبْحُ شيْبٍ قدْ بدتْ   لضيائه في مفْرقي أعْلامُ
يا لْيتَ ليلَ (١٠٣) شبيبتي لمَّا انْقضى   لمْ ينْتَقلْ للقلبِ منهُ ظلامُ
شعرات فود قد نصعن وإنما   هي في الفؤاد المستهامِ سهامُ
ولَّى الشبابُ كأنَّهُ طيْفُ الكرَى   وكذاك أيامُ الشبابِ منامُ
واهاً لعَصْرِ شبيبةٍ في القلْبِ من   إتلافِ جوْهرِه أسىً وغرامُ
أسفي على نُقْصانِ عُمْرٍ ذاهبٍ   فبنقْصهِ قدْ زادت الآثامُ
منْ منْقذي إلاَّ شفاعةُ منْ لهُ   بيْنَ الجوانحِ مذْ عقلْتُ مقامُ
العاقبُ الماجي الذي لوْلاهُ لمْ   يكُ في الورَى نَقْضٌ ولا إبرامُ
لولاهُ ما فُتقَتْ بزهْرِ الزهْرِ في   غَسَقٍ بنهْرِ مَجرَّةٍ أكمامُ
70 / لوْلاهُ ما غطَّى على مسْك الدُّجى   كافورُ صبْحٍ فُضَّ عنهُ ختامُ
لولاهُ ما رُفعتْ بجنَّاتِ العُلى   سُرُرٌ [69]ولا كان السُّرورُ يُدامُ
بحرٌ لهُ من كلِّ لفْظٍ جَوْهَرٌ   ولهُ منَ الجودِ العميمِ غمامُ
قُطْبٌ لغرٍّ فعالهِ ومقالِهِ   حكَمٌ تدورُ عليْهِ والأحكامُ
بدْرٌ لهُ المجدُ المؤثَّلُ مطلعٌ   ولَهُ منَ الخُلُقِ العظيمِ تمامُ
شمسُ الوجودِ ومنْ أتى والأرْضُ قدْ   غَطَّى على افاقها الإظلامُ
فَمَحا ظلامَ الغيِّ نورُ هُداهُ إذْ   ضلَّتْ (١٠٤) سبيلَ نجاتِها الأحْلامُ
مَنْ آيهُ كالشُّهْبِ أقْسمَ حصْرُها   أنْ لا يُرى أبداً لهُ إتْمامُ
نطَقَتْ ذراعٌ واشْتكَى جَمَلٌ وكيْ   يُخْفى عنِ الأعداءِ حامَ حَمَامُ
والجِذْعُ حنَّ حنينَ صَبٍّ قدْ كَوى   أكبادهُ عنْدَ الفراقِ هُيامُ

منها في مدح السلطان :

مَلِكٌ براحةِ عزِّه ومضائِه … لتذلُّلِ الأملِ الشرودِ زمامُ
ولهُ منَ الآراءِ جُنْدٌ غالبٌ … ومنَ العزائمِ صارمٌ صمصامُ
يجْري به للنَّصْرِ منْ تَجْريبهِ … حِكَمٌ لها بذكائهِ أحْكامُ
يُدْني المُنى يُقْصي العنا يُسْدي الغِنى … يَبْري ضنى منْ داؤُهُ (١٠٠) الإعدامُ
مُحْيي الهُدى منْفي العِدى مُولي النَّدى … مُزْني الجَدا ما دامتِ الأيَّامُ
فإنِ استْعارَ الروْضُ منهُ شمائلا … فقد استْعارَ الباسلَ الضِّرغامُ
/27 يحيي بِبَرْدِ العفوِ منْ في قلْبه … منْ خوفِ أنكالِ [70] العقابِ ضِرامُ
فبهاؤهُ وثناؤهُ ومضاؤهُ … شَمْسٌ وروْضٌ عاطرٌ وحُسامُ
يا أيُّها المولي الذي لكمالِه … شِيَمٌ تحارُ بوَصْفِها الأوْهامُ
هذا صنيعُكَ مالَهُ مَثَلٌ كَما … لمْ يُلْفَ مثلُكَ في المُلوكِ هُمامُ
يا فَخْرَ أندَلُسٍ بِحلْيٍ لمْ يكنْ … في جيدها لولاك منْهُ نظامُ
العدلُ والإحْسانُ ينْشأُ منْهما … لمُهنَّدِ النَّصْرِ العزيزِ قِوامُ
دامتْ سعودك في الصعودِ فإنَّها … نعمٌ علَى كلِّ الأنامِ تُدامُ

ومن ذلك قصيدة للفقيه النابغ في فن الشعر لهذا العهد المكثر منه، أبي بكر بن أبي القاسم بن قطبة [71]، ولم يقصر عن الإجادة :

(كامل)

دعْها تحنُّ إلى أبارِقِ [72] لَعْلَعِ … وتُسيلُ في العرَصاتِ فيْضَ الأدْمُعِ
فالشوْقُ أنْضاها لأطْلالِ الحمى (١٠٦) … وأفاضَ مدْمَعَها لذِكْرِ الأجْرعِ
باللهِ قلْ لي كيفَ حَالُ مُتيَّمٍ … قدْ بانَ منْ يهواهُ غَيرَ مودِّعِ
هنَّ المَطايا مذْ طوينَ على الأسى … أضْلاعَهُنَّ فلا تسلْ عنْ أضْلُعي (١٠٧)
نَزَعَتْ على شحْطِ المزارِ لطيبةٍ … شوقَ المتيَّمِ غيرَ شوقِ المدَّعي
وحَدا بها الحادي لذِكْرِ محمَّدٍ … فتَنَفَّستْ شوْقاً لتلْكَ الأرْبُعِ
ذي المُعْجزاتِ الباهراتِ كأنَّها … ضوْءُ الصباحِ هُدى الورى للمهيَعِ [73]
السُّمُّ أطْعَمَهُ فما أنْ ضرَّهُ … لكنْ مُؤاكِلُهُ قريبُ المصْرعِ
/272 وشكا البعيرُ إليْهِ ما قدْ نالَهُ … مما يُرادُ به بقلبٍ موجَعِ
ولردِّهِ في الحربِ عَينَ قتادةٍ … عجبٌ لمسْتمعٍ هناكَ ومَنْ يعي
وكفاكَ بالقرآنِ أعْظمَ آيةٍ … خَرَسَ البليغُ وحارَ الألْمعي [74] (١٠٨)
لَهفي على تضْييعِ عُمْرٍ قدْ مضى … أضْحى عليه الحزْنُ غيرَ مضيَّعِ

ركبتْ به نفسي ذنوباً ضَعْضَعَتْ ... جبلاً لحلْمي كانَ غيرُ مُضعْضَعِ
يا سيّدَ الثقلينِ مالي مَطْمَعٌ ... في غيرِ فَضْلكَ فلْتُصدّقْ في مطْمَعي
واسألْ إلهكَ (١٥٩) لي بحقكَ رحمةً ... واشْفعْ تُشفّعْ يا أجلَّ مُشفّعِ
حاشا (١٦٠) وكلاّ أنْ تضيعَ وسائلي ... ويخيبَ في آلِ الرسولِ تشيُّعي
أكرمْ بمولدهِ ومبعثهِ الذي ... آوى به للأمْنِ كلُّ مروَّعِ
صُدِعَتْ به ظُلَمُ الخطوبِ فأشرقتْ ... هيهاتَ لولا نورُهُ لمْ تصدعِ
فعليهِ منْ ربِّ السماءِ تحيةٌ ... يَحْيا النسيمُ بعرْفِها المتضوِّعْ (١٦١)
وجزى الإمامَ محمداً عنْ دينهِ ... عزّاً ينيفُ على النجومِ الطُّلَّعِ
ملكٌ إذا تُليتْ مآثرُ مجْدِهِ ... أزرى بكسرى في الملوكِ وتُبَّعِ
متفضلٌ سهْلُ الخلائقِ ماجدٌ ... حبلُ الرجاءِ ببابهِ لمْ يُقْطعِ
غيثُ العفاةِ إذا السنونَ تتابعتْ ... وردوا به للعيشِ أعذبَ مشْرعِ
ليثُ اللقاءِ إذا الرماحُ تشاجرتْ ... شُقَّتْ به الأجسامُ تحتَ الأدْرعِ
قَسَماً لقدْ أعطاهُ كلُّ فضيلةٍ ... ما للورى عنْ جوِّها منْ مَدْفعِ
فإذا يفاخرُ في العُلى ملكٌ فقدْ ... سبقَ الملوكَ بِقدْرِهِ المترفعِ /273 /
وإذا يلاقي في الوغى أُسْدَ الشرى ... ما إنْ لها في عودهِ منْ مطْمعِ
أما سعودُكَ يا أجلَّ خليفةٍ ... فنجومُها طلعتْ بأسعدِ مطلعِ
أما المكارمُ فهيَ أصعبُ مطلباً ... لولا يمينُكَ بابُها لمْ يُقرعِ
يا راكباً يصلُ السُّرى في ليلةٍ ... ليلاً وترفُلُ في رداءِ أسْفعِ [75]
إنْ كنتَ ترغبُ في الغنى أوْ في العُلى ... يَمِّمْ حمى هذا الإمامِ الأروعِ
وانزلْ ببابِ محمدٍ فمحمدٌ ... ملكٌ إذا منعَ الحيا لمْ يمنعِ
مولايَ دونكَ ما أقولُ وإنَّ لي ... نفساً بذلكَ كلِّهِ لمْ تقنعِ
أمّنْتَها منْ حكْمِ دهرٍ ظالمٍ ... وأجرْتَها منْ جوْرِهِ المتوقَّعِ
وأعدْتَها للأهلِ والوطنِ الذي ... جُدِّدْتَ[فيه] (١٦٢) كلُّ ربْعٍ بلْقعِ
عهدي به منْ بعدِ بيْنكَ مظلماً ... مُسْتَوْحشَ العرصاتِ قفْرَ الأربُعِ
والبرقُ خفّاقٌ عليْكَ فؤادُهُ ... والسُّحْبُ تبكي بالدموعِ الهُمَّعِ
أستغفرُ الرحمانَ جلَّ جلالُهُ ... كمْ خلْتُ ذلكَ شقةً لمْ تقطعِ
وكأنَّ ذلكَ لمْ يكنْ - سُبْحانهُ - ... ما غيرَ ساحةِ بابهِ منْ مَفْزَعِ
أمحمدٌ ونَدى يديْكَ لسائلٍ ... بحرٌ لذيذُ الوِردِ عذبُ المشْرعِ
أعطاكَ ربُّكَ كلَّ ما أمّلتَهُ ... وحباكَ منْ رُتَبِ العُلا بالأرفعِ

/274 ومن ذلك قصدة للطالب النبيل من كتاب بيت / الانشاء، أبي القاسم بن حميد [76]، قصيدة، لم تفارق السداد، وهي : (١٦٣) :

جاد الغمامُ بصوبِه الهتّانِ — يحكي انسكابَ الدمْعِ منْ أجفاني
وحكتْ بروقٌ أبرقتْ بجلاله — نارَ الصبابةِ والهوى بجنابي
وسرَتْ على البطحاء أنفاسُ الصَّبا — فسرى الجوى بجوانحِ الهيْمانِ
مهْ يا نسيمُ قدْ أذبْتَ حشاشتي — وفصمتَ عنْ قلْبي عُرى السلْوانِ
وأرقْتَ منْ جفني وهجْتَ (١٦٥) بأضلعي — ما شئتَ من ماءٍ ومن نيرانِ
يا صاحِ إنْ جئتَ الخيامَ بيثْربٍ — وثويْتَ في (١٦٦) ذاكَ الحمى بمكانِ
وسريْتَ في تلكَ الأجارعِ والربى — وجررْتَ في واديه فضلَ عنانِ
فانْشرْ لواءَ محبتي بفنائه — وافْضُضْ هناك خواتمَ الكتْمانِ
واشْرحْ قضياتِ الهوى وأقمْ — على صدْقِ المحبّةِ واضحَ البرهانِ
وافتقْ بأرْبُعه التحيّةَ مسكةً (١٦٧) — عن ذي اغْترابٍ نازحِ الأوطانِ
والْثمْ بطيبةَ منْ حُبستْ لهُ — شمسُ النهارِ وخصّ بالقرآنِ
وجرتْ بأنْمله مياهُ (١٦٨) فارتوتْ — منها عساكرُ جيْشه الظمآنِ
وأعادَ عينَ قتادةٍ وشفى الألى — أودى بهمْ صرفُ الزمانِ الجاني
والجذْعُ حنّ لهُ وسبّحتِ الحصى — في كفه العُظْمى بغيرِ لسانِ
والضبّ كلمهُ كلاماً بيناً — والبدْرُ شُقّ ولاحَ رأيَ عيانِ
لله منْهُ نبيُّ صدْقٍ مرسلٌ — أبْدى دليلَ الحقّ والإيمانِ
/275 رفَعتْ منارَ الرشدِ آيةُ هدْيه — ومحتْ رسومَ الغيّ والبُهْتانِ
ذاكَ النّبي محمدٌ ذاكَ الذي — تعنو الوجوه بجاهه الرّباني
ذاك الذي نرجو شفاعتهُ غدا — ونفوزُ منْهُ بجنّةِ الرضْوانِ
منْ أجله حقّ السجودُ لآدمٍ — وبفضله يستشْفعُ الثّقلانِ
أكرمْ بمولده وليلته التي — ظفرَ الورى (١٧١) فيها بنيلِ أمانِ
طلَعتْ بها شمسُ النُّبوّةِ وانجلى (١٧٢) — عنا ظلامُ الشركِ والعدْوانِ
أحيا أميرُ المسلمين محمدٌ — آثارَها بسوابغِ الإحسانِ
وأقامَ فيها للعبادِ مراسما (١٧٣) — يجْني بها أبداً رضى الرّحْمانِ
وجرى بميدانِ السماحِ مع الصَّبا — فغدا مجلّي ذلكَ الميدانِ
والوبْلُ جادَ فكادَ يحكي جودهُ — لوْ كانَ جودُ الوبْلِ كلّ (١٧٤) زمانِ
سلْهُ تنَلْ مل شئْتَ إنّ يمينهُ (١٧٥) — والبحرَ في فيضِ النّدى سيّانِ
هوَ للعدى كأسُ الردى ولذي الهدى — بدرٌ بدا ما عيبَ بالنُّقْصانِ

يَهْمي بسُحْبِ كتائبٍ، يَفْنى (١٧٦) بَبَـرْ ‏ قِ صوارمٍ، يُرْدي (١٧٧) بنجْـمِ سنـانِ
فاحَ النّدى بمَـديحِـهِ (١٧٨) فكـأنَّــهُ ‏ متنَفِّسٌ عَـنْ نفحـةِ البُسْتـانِ
في حسْنِ طلْعَتـهِ وَفَصـلِ خطابِـهِ ‏ مُسْتمْتِـعُ (١٧٩) الأبصـارِ والآذانِ
وإليْكَ مِـنْ روضِ الكـلامِ حديقـةً ‏ فُتحتْ (١٨٠) كمائمُهـا بغـرِّ معـانِ
جاءتْ تريكَ الدُّرَّ فـي الأسـلاكِ أوْ ‏ تُهْـديـكَ أنـواراً علـى أفْنـانِ
فاصْعدْ وسدْ واسْعدْ وجُدْ واهْـنأْ ودُمْ ‏ وانْعَـمْ بملْـكٍ ثـابـتِ الأركـانِ 6 /
لازِلْتَ ترقى فـي مراقـي العزِّ مـا ‏ عطفَ النسيمُ معاطـفَ الأغصـانِ

ومن ذلك قصيدة للشيخ الفقيه، القديم الطلب، الكبير الشهرة بالأدب، أبي جعفر بن خاتمة [77]، قصيدة متقاصرة عن النمط المعهود منه، يستريب منها نسب إجادته، صدرت عنه وهو بحال مرض ماعيٍّ [78]، فبان عذره، وهي :

(كامل)

مبنـى أغـرُّ ولَيْلـةٌ غـرّاءُ ‏ عمّتْهـمـا الأفـراح والسـرّاءُ
ما إن يكـادُ يحسُّ منْ نـورِيْهـا ‏ أرْضٌ تلْقـاكَ أمْ تـقـولُ سمـاءُ
وخليفـةٌ قـدْ توّجَتْـهُ مهـابـةٌ ‏ تَعْنـو لـغُرَّةِ مُلْكـه الخلَفـاءُ
دارتْ عليْهَ وهْـوَ بـدْرٌ طـالـعٌ ‏ منْ شُـهْبِـهِ الـوزراءُ والْعلَمـاءُ
فكأنّهُ في أُفْـقهـا شمسُ الضحـى ‏ والكـلُّ إشْـراقٌ لـهُ وضيـاءُ
شَهـدَتْ ذُكـاءُ بأنّـهُ مـصباحُـهَـا ‏ والحُسْنُ مـا شهـدتْ بـه الأكفـاءُ
يا لَيْلةً ما(١٨٢) مثْلُهـا مـنْ ليْلـةٍ ‏ دارتْ بـهـا الأوقـافُ والآنـاءُ
حيّـا محيّاً صبحهـا عـنْ وَجْهِ مَـنْ ‏ زُهيتْ بـه الخضـراءُ والغبْـراءُ
عنْ وَجْـه أفْضلِ مُـرْسَلٍ يُرْجـى إذا ‏ ضاقـتْ بأهْـلِ الموقـفِ الأرجـاءُ
أحْظـى النبيئينَ الكـرامِ مكانـةً ‏ وأجلُّ منْ طـلعـتْ عليْـهِ ذكـاءُ
أسعـد بليْـلـةِ مـولـدِ عمَّ الـورى ‏ للمُصْطفى عـنْها سنىً وسَنـاءُ
أحيـا بـهـا ليْـلَ التّمـامِ تبَرُّكـا ‏ ملـكٌ لسُنّـتـهِ بـهِ إحيـاءُ
فعلى الرسولِ بـها صـلاةٌ ضوعفَـتْ ‏ ولهُـمْ ثـنـاءٌ (١٨٣) عـنْـدنـا ودعـاءُ
سيَسُـرُّهُ مبْنىً بـنـاهُ علـى تُـقـىً ‏ ويَسُـرُّ منـه المسلمـينَ ثـنـاءُ
يا خَيـرَ مَبْعـوثٍ لخـيـرِ أمّـةٍ ‏ بتـلاوةٍ فيـهـا هُـدىً وشـفـاءُ
ومَنِ ارْتقى متْنَ البُـراقِ إلى العلـى ‏ تُطْـوى سمـاءٌ دونـهُ فسَمـاءُ
ومنْ استجـارَ العجْـمُ منْـهُ بذمّـةٍ ‏ وتـدفّـقَـتْ بدعـائـهِ الأنـواءُ
وتفجّـرتْ بالـعـذبِ أنملُـهُ كمَـا ‏ قـدْ سبّحَـتْ في كـفِّـه الحَصْبـاءُ /

ومَن الملاذ (١٨٤) بجاهه وجنابه ... مهما عرا أزمٌ وأعضلَ داءُ
قومٌ مِنْ أمتكَ انتأوا داراً فهُمْ ... بجزيرةٍ بينَ العدى غُرَباءُ
مِنْ دونِهِمْ بحرٌ تأجّجَ ماؤُهُ ... ناراً وخلْفَ ظهورِهِمْ أعداءُ
يتوسلّونَ بجاهكَ الأسنى عسى ... ألاّ يخيبَ لهمْ لديْكَ رجاءُ
في أمنِ روْعِهِمُ وكبتِ عدوِّهِمْ ... فقدْ استطالَ وطالَ منْهُ عداءُ
وعلا بنصرِ ملْكِهِمْ فمنِ اعتلى (١٨٦) ... بكَ (١٨٥) نصرُهُ قدْ شيدَ منْهُ علاءُ
حتّى تُذَلَّ لَهُ الملوكَ ضراعةً ... ويُعزَّ للإسلامِ منْهُ لواءُ
ويُطيعَهُ شرْقُ البلادِ وغربُها ... وتميلَ نحوَ مقامِه الأهواءُ
هذا، ضراعَتُنا إليْكَ ومنْكَ يا ... مولى الموالي الفضْلُ والآلاءُ
وعليكَ يا خيرَ الأنامِ تحيّةٌ ... كالروْضِ وشّتْ صفحَهُ الأنداءُ

/278 ومن ذلك قصيدة للفقيه الطيب أبي عبد الله بن سودة [79]، فيها السمين وغيره : /

(كامل)

شطَّ المزارُ فما عساهُ يقولُ ... صبٌّ يهيِّجُ شوقَهُ التعليلُ
تَنْتا (١٥٧) عنْ ماءِ العقيقِ جفونُهُ ... وتكادُ عنْ نوْبِ (١٥٨) القلوبِ تسيلُ
وإذا تذكّر باللّوا [80] أحبابَهُ ... عزَّ اللقاءُ وأعوزَ التأميلُ
يهوى التواصلَ والزمانُ يصدُّهُ ... وكذا الزمانُ مبعِّدٌ ومطولُ
سرعانَ جفْنٍ ما تألّقَ بارقٌ ... إلاّ وأتْهمَ دمعُهُ المطلولُ
أوَ كلّما خفقَ النسيمُ تخالُهُ ... دارتْ عليْهِ منْ صَباهُ شمولُ
وإذا جرى ذكْرُ الحجازِ أعادَهُ ... طرَبٌ يراجعُ شجْوَهُ فيميلُ
هنَّ المعاهدُ ما فؤادي ذاهلٌ ... عنْها ولا الصبْرُ الجميلُ جميلُ
أشْدو بذكْراها إذا نفحَتْ صَبا ... وأسلسلُ العبراتِ وهْيَ هَمولُ
ويهزُّني طيبُ الحديثِ فأنْثني ... طرباً وما عصفَتْ هناكَ قبولُ
إيهٍ وبيْنَ جوانحي منْ شوْقِها ... خبرٌ يعادُ حديثُهُ فيطولُ
مالي إذا ذُكرَ الحمى سقّى الحمى ... منْ أدمُعي وغرامِيَ التخييلُ
قصُرتْ لديْهِ مواقفي ولطالما ... طابتْ عَلَيْهِ صبابةٌ وغليلُ
وإذا ترنَّمَ بالسُّرى حادي السُّرى ... ألوى صبْرِيَ للرَّحيلِ رحيلُ
أنْأى بجسْمي والخليطُ يُضنّيني ... أنْأى وقلبي في السُّرى محمولُ
ولقدْ أقمْتُ على الرسومِ كأنّني ... طللٌ تقادَمَ رسْمُهُ المسؤولُ
أستفْهِمُ الأظعانَ عنْ ركْباتِها ... وأسائلُ العرَصاتِ وهْيَ طلولُ

هاتِ الحديثَ عنِ الذينَ سرتْ بهمْ ... نَحْوَ الحجازِ ركائبٌ وحمولُ ٩ /
يسرونَ في جوفِ الظلامِ كأنَّهمْ ... أسرارُ حقٍّ في القلوبِ تجولُ
تهوي بهمْ شعثُ المطيِّ كأنَّهمْ ... منْ رقِّهِ لحروفِها تشكيلُ
أنْضاهمُ طولُ السُّرى فكأنَّما ... في الحسِّ منْ أجْسامِهمْ تخييلُ
وصلوا الذَّميلَ [٨١] ويمَّموا من طيبةٍ ... قبراً (بهِ) (١٨٩) للمذنبينَ قبولُ
طابتْ بهِ للقاصدينَ مواردٌ (١٩٠) ... وعلا بهِ في جانبيْهِ نزولُ
مَنْ لي بذاكَ القبرِ أرسلُ نظرةً ... فيهِ وأشْرحُ لوعةً وأقولُ
كمْ ذا أعلِّلُ بالِلحاقِ ودونَهُ ... عَرْضُ الفلاةِ ومقصدٌ ممطولُ
آهاً لعمْرٍ ما سلكْتُ رشادَهُ ... إلا وأسْرعَ للهوى تضْليلُ
وجماحُ نفسٍ ما حصَرْتُ عنانَها ... إلا وترَقُّبُ غفْلةٍ فتجولُ
ما زلْتُ أنْهاها وأعْلمُ أنَّها ... عنْ عادةِ التسويفِ ليسَ تزولُ
أودى الشَّبابُ وخصْمُ عقلي يدَّعي ... أنَّ المشيبَ على الفناءِ دليلُ
ترعى نواصلُهُ البياضَ (١٩١) وإنَّما ... في القلبِ من تلكَ النصولِ نصولُ
ما ضرَّني وقدِ اشْتَملْتُ وقارَهُ ... أنْ شيئاً للنشاطِ يأولُ (١٩٢)
كيفَ الخلاصُ وقدْ أضعْتُ أمانةً ... والقلبُ عنْ خطراتِهِ مسؤولُ
حمدَ السُّرى عندَ الصباحِ [83] عصابةٌ ... ظعَنوا فكانَ لهمْ بيثْربَ رسولُ
يا راكباً يصلُ الذميلَ وقصْدُهُ ... ذاكَ الضريحَ وسعْيُهُ المقبولُ
بلِّغْ تحيَّةَ منْ عرتْهُ ذنوبُهُ ... عنْ أنْ يتاحَ لهُ هناكَ حلولُ ٥ /
يهوي على حطِّ المزارِ وقربِهِ ... قربَ الرسولِ وما إليْهِ سبيلُ
العاقبُ الماحي الشفيعُ ومنْ بهِ ... يُرْجى الأمانُ ويبلغُ المأمولُ
خيرُ البريَّةِ منْ ذؤابةِ هاشمٍ ... معْنى الإلهِ وسترُهُ المعقولُ
لولاهُ ما هُدِيَ الأنامُ ومادرتْ (١٩٣) ... سبلَ الرشادِ الأنلُ وعقولُ
لولا هُداهُ وفضلُ أمتِهِ لمَا ... رفعَ الضلالَ ونزِّلَ التنزيلُ
لولا حقيقتُهُ ومعْنى ذاتِهِ ... ما لاحَ حقٌّ وانجلى مدلولُ
في المُلْكِ والملكوتِ منْهُ مُرْشدٌ ... في الأرْضِ منْهُ وفي السماءِ رسولُ
شهدَتْ بهِ الأخبارُ والأرسالُ ... والفرقانُ والتوراةُ والإنْجيلُ
كمْ آيةٍ قطعَتْ لهُ بالحقِّ ما ... خفيَ الدليلُ وأحْوجَ التأْويلُ
كالشمسِ أطلعها فعادتْ بعدما ... قد حانَ منها للمغيبِ أفولُ
والبدْرُ شُقَّ لهُ ولاحَ شهادةً ... والماءُ أضحى منْ يديْهِ يسيلُ
والجذعُ حنَّ لهُ وسبَّحتِ الحصى ... في كفِّهِ وحنا عليْهِ نخيلُ
والصاعُ يطعمُهُ المئينَ فيَغْتدوا ... كُلاًّ وقدْ أضحى لهمْ مأكولُ

يا خيرَ مَنْ علِقَ المُسيءُ بحَبْلِهِ … وصْفاً عليْهِ منْ رضاهُ قَبولُ
مالي سِواكَ وإنْ أسأْتُ جِنايَةً … الحِلْمُ أوْسعُ والعَطاءُ جزيلُ
إنْ لَمْ تَكُنْ لي في مَعادي شافِعاً … منْ عثْرَتي منْ ذا سِواكَ يُقيلُ
/281 أسْرى بك الرحمانُ في ملَكوتِهِ … واللَّيْلُ سِتْرٌ ظلُّهُ مسدولُ
في حيْثُ لا فلكٌ ولا ملَكٌ ولا … بشرٌ يباحُ لهُ هناكَ وصولُ
ورعَيْتَ منْ مَكْنونِ سرِّ اللهِ ما … لمْ يؤْتَ جبريلٌ وميكائيلُ
آياتُ حقٍّ لا يقومُ ببعْضِها … شرْحُ المقالِ فما عسى التطويلُ
الجيْشُ جيْشٌ يثْربيٌّ (١٩٤) وَجْهُهُ … فيعودُ عنْكَ وحزْبُهُ مفلولُ
والتَّمرُ يُجْعَلُ في بَنانِكَ قبضةً … منْهُ فيكفي الجيْشَ وهْوَ قليلُ
ماذا عسى أُحْصي وقدْ عجزَ اللسا … نُ وأعْجَمَ الإجمالُ والتفصيلُ
لمْ يَبْدُ يومٌ مثْلُ مولدِهِ الذي … يزْهى الزمانُ بفَضْلِهِ ويصولُ
شهْرٌ أعزَّ اللهُ منْهُ لَيْلَةً … وغَدا لَها بالمصْطفى تفضيلُ
واهْتزَّ من إيوانِ كِسرى شامخٌ … وهَفا لهُ منْ رأسِهِ الإكْليلُ
يا لَيْلةً حَمدَ السُّرى بصاحِبِها … قوْمٌ هُدوا وشَقَى بها مخْذولُ
أحْيا أميرَ المسلمينَ لشأنِها … قدْراً يطولُ بهِ الورى ويصولُ
وأقامَ فيها للعبادِ مراسِماً … تُرْضي الإلهَ وفَعْلُهُ مقبولُ
بِتْنا وبالمقْصورةِ العلْيا لَنا … شرفٌ يُنالُ ونائلٌ مبْذولُ
للسَّعْدِ فيها والسَّماحةِ منْزلٌ … والعدلُ ربْعٌ والنجاحُ كفيلُ
إيهِ أبا عبْدَ الإلهِ جنَيْتَ (١٩٥) منْ … خَيْرٍ بها ما الكُلُّ منْكَ ينيلُ
الدينُ والدنيا بكفِّكَ جُمِّعا … والعدلُ ظلٌّ في ذراكَ ظليلُ
/282 النَّجمُ أنتَ فهلْ لفضْلِكَ دافعٌ … والغيْثُ أنْتَ فما سواكَ بديلُ
فحماكَ منْ جوْرِ الزمانِ ملاذةٌ … ويداكَ منْ فيضِ النوالِ سيولُ
تُحْدى بمدحِكَ في الفلاةِ ركائبٌ … ويفوزُ بالنُّعْمى لديْكَ نزيلُ
أحْرزْتَ للعلياءِ سباقَها … وأسلْتَ ماءَ القطْرِ وهْوَ مَحيلُ
وسما بعزْمِكَ في السَّماءِ مراتباً … نَسَبٌ تفوتُ بهِ الملوكَ أصيلُ
شرفٌ يباهي الشمسَ في آفاقِها … ومناسبٌ رَسَخَتْ علَى وأصولُ
منْ آلِ نصرٍ سادةٌ شرَعوا النَّدى … وعلا بهمْ للمَعْلواتِ قبيلُ
بدَّدتَ (١٩٦) شمْلاً للعدى مزَّقْتَهُ … وجمعْتَ شمْلاً بالهدى مشْمولُ
فاخْلُدْ لإحياءِ المعالي وارْقَ في … عزٍّ لهُ فوْقَ النجومِ حلولُ
وانْعمْ بليْلَتِكَ التي لنبيِّها (١٩٧) … في الأرْضِ شأنٌ لا يزالُ جليلُ
لازلْتَ ترعاها وتَحْفَظُ للعُلى … ما انْشقَّ صُبْحٌ واستمرَّ أصيلُ

ومن ذلك قصيدة للأديب أبي جعفر أحمد بن زرقولة [84] من أهل "ألمرية" لا بأس بكثير منها :

(كامل)

نَفَسُ الصَّبا حيَّا الرياضِ بليلاً … فَغَدا صحيحُ القلبِ منهُ عليلا
وسرى على باناتِ أدواحِ الحمى … أرجاً يجرُّ على الغصونِ ذيولاً
أهدى شذاً منْ طيبِ طيبةَ عاطراً … هاجَ الصبابةَ واستجدَّ نحولا
نَفَحَتْ لقلبي منهُ أيةُ نفحةٍ … ألقتْ بها عندي القَبولُ قبولاً
هاجتْ بقلبي للغرامِ بلابلاً … وأدارت الأشواقُ فيه شَمولاً 283 /
يا صاحبيَّ وللصبابةِ لوعةٌ … أضْحتْ على صدْقِ الغرامِ دليلاً
رفقاً بأخفافِ المطيِّ فإنَّها … لا تستطيعُ منَ النُّحولِ رحيلاً
قدْ شفَّها وجْدٌ بها حَمَلَتْ به … عبْئاً منَ الشوقِ اللَّطيفِ ثقيلاً
وتحكَّمتْ في روعها أيدي النوى … مثْلي فكُلُّ صبْرُهُ قدْ عيلا
هلْ تُسْندانِ حديثَ وجْدي عنْ جوى … كَبِدي حديثاً مُسْنَداً موصولا
لي في رسولِ اللهِ حبٌّ صادقٌ … أصْبَحْتُ منْهُ سائماً متْبولا
لِمْ لا ؟ وقدْ عمَّ الوجودَ بجودِه … وهدى إلى الدينِ الحنيفِ سبيلاً
وجلاً مُحَيَّا الحقِّ أبْلجَ واضحاً … فبدا الهُدى وغدا الضَّلالُ ضَميلا
هُوَ صفوةُ اللهِ الكريمِ المجْتبى … منْ خيرِ خلْقِ اللهِ جيلاً جيلاً
هوَ سيِّدُ الأرْسالِ أكرمُ مرْسَلٍ … أضْحى به شملُ الهُدى مشْمولا
أعْلى الورى قدْراً وأطولُهمْ يداً … وندىً وأشْرَفُهُمْ وأقومُ قيلاً
ما شئْتَ منْ شرفٍ أصيلٍ لمْ يزلْ … طولَ الزمانِ ولا يزالُ أصيلاً
فرعٌ زكا في دوحةِ الحَسَبِ التي … ما زالَ روضُ علائها مطْلولا
أكْرِمْ به منْ مُرْسَلٍ لمْ يَبْتَعِثْ … بشرٌ سواهُ أعزُّ منْهُ رسولا
نطقَ الكتابُ بحمْدِه ناهيكَ منْ … شرفٍ أنافَ على الكواكبِ طولاً
وسرى إلى السبعِ السماواتِ العُلى … فوْقَ البُراقِ مُرافقاً جبْريلا
وكمْ (١٩٩) لهُ منْ آيةٍ كالشمسِ لا … تحتاجُ في صدْقِ النهارِ دليلا 284 /
فالبدْرُ شُقَّ وسبَّحتْ الحصى … في كفِّه والماءُ عادَ سيولا
والضبُّ سلَّمَ مُعْرِباً بلسانه … وأشارَ نحْوَ يمينه تقْبيلاً
وكذا البعيرُ شكا إليه بحالِه … مُسْتَعْطفاً وأتى إليه دخيلا
ودعا وقدْ بَخَلَ الغمامُ بوبْلِه … وقْتاً دعاءً بالنجاحِ كفيلاً
فانْهلَّ منْسَجمُ الحيا حتَّى دعا … مستَصْحباً لمَّا طغى ليزولا

وكفى بيومِ الغارِ معجزةً بدَتْ … لذوي النُّهى لا تقبلُ التأويلا
لما دعا الأشجارَ فابتدرتْ لطا … عةِ أمرِه منْ حينه تبجيلا
وامتدَّ ظلُّ حمامِ مكّةَ فوقَه … ظلاً حكّى طلَّ (٢٠٠) الغمامِ ظليلاً
والعنكبوتُ عليه حاكَ بنسجِه … بُرْداً وأضفى سترَه المسدولا
فيه بدا شرفُ الوجودِ وأهلِه … وبه غدا ربعُ الهُدى مأهولا
هذا ربيعٌ في الشهورِ مقامُه … أعلى مقامٍ قدْ حوى التفضيلاً
شهرٌ عظيمُ القدرِ جلَّ مكانُه … أضحى به وجهُ الزمانِ جميلا
شهرٌ تطلَّعَ فيه نورُ المصطفى … قمراً منيراً لا يخافُ أفولا
لما ألمَّ بنا أعادَ زمانَنا … عيداً أنالَ مُنىً وبلّغَ سُولا
يا سيِّدَ الأرسالِ يا منْ قدْ هدى … نهجَ الرشادِ وبلّغ التنزيلا
/28 بكَ أستجيرُ منَ العذابِ فلَمْ أكنْ … أخشى بحبِّكَ في الحسابِ ذهولا
أنتَ المشفَّعُ في الورى فلعلَّني … أنْ ألقى بحبّي فيك منك قبولا
صلّى اللهُ عليكَ ما حيّا الحيا … روضاً فأصبحَ يانعاً مطلولاً
ثمَّ الرضى عنْ صحبِكَ الغرِّ الذينَ تنسّكوا وتبتّلوا تبتيلا
بذلوا الندى فمتى أتاهُمْ سائلٌ … ألفاهُ قبلَ سؤالِهِمْ مبذولا
وحمَوْا حمى التقوى فكانوا دونَه … أبدَ الزمانِ مهنّداً مسلولا
وعنِ الذينَ (٢٠٢) تبادروا للنصرِ في … بدرٍ فجازوا الأجرَ فيه جزيلا
نصروا الرسولَ وآزروهُ (....) (٢٠٣) … مجداً عظيماً لا يزالُ أثيلا
ونمَوْا ملوكاً منْ بني نصرٍ بهمْ … أضحى نجادُ المكرماتِ طويلا
ونهجوا سبيلَ المكرماتِ وخلّفوا … صيتاً كريماً لمْ يزلْ منقولا
وأتى سليلُ فخرِهِمْ منْ بعدِهِمْ … يُحيي رسوماً للعلى وطلولا
ملكٌ كبيرٌ عادلٌ في ملكِه … حازَ المكارمَ والعُلى تفضيلا
نيطتْ به الآمالُ لما لمْ يكنْ … ليخيبَ للراجي له تأميلا
بُشرى لأندلسٍ به فحياتُه … سترٌ عليها دائماً مسدولا
قسماً به وما بما حوى منْ سؤددٍ … أضحى على شرفِ النجارِ دليلا
ما إنْ سمعتُ ولا رأيتُ بمثلِه … ملكاً كبيراً في الملوك مثيلا
ملكَ الخلافةَ مستحقّاً ملكَها … وغدا به سيفُ العدى مفلولا
/2 بحرُ الندى فالبحرُ (٢٠٤) مدَّ بسيبِه … ينسيكَ دجلةَ عذبُه والنيلا
ليثُ الشرى ما الليثُ شدَّ مغاضباً … يلجُ العرينَ على العدى والغيلا
متكفّلاً بدمِ الكماةِ بسالةً … سيّانَ يلقى ليثَها والفيلا
بثَّ الإلهُ بخاطري حبّاً له … متوارثاً ساويتُ فيه جميلا

وَإذا قَطَعْتُ مهامِهــــاً ومفــــاوِزاً ... أرْجـو الوصـولَ لكفِّـــه تقْبيـــلا
فإذا بَلَغْتُ مُنــــاىَ مِــنْ تقْبيلـــهِ ... قبلْتــهُ تكبيــــراً أوْ تَّهليـــــلا
وسألـــتُ منْــهُ أنْ يمـَــنْ بمطلَـــبَ ... أحْظـــى بهِ وأنـــالُ منْهُ السُّـــولا
اللّـهُ يا مولايَ يُبْقـــي سعْدَكُـــمْ ... وينيلُكـمْ ما عشْتُـــمُ المأمـــولا
ثمَّ الصلاةُ علـى النَّبيِّ المصْطَفـــى ... منْ أوْضَـحَ التَّحْريـمَ والتَّحليـــلا
وعلى صحـــابَتِهِ الكِـــرامِ وآلـــهِ ... أهدى الوَرَى لِلْمَعْلُـواتِ سبيـــلاَ

ومن ذلك قصيدة للفقيه الأديب عزيز بن يشت [85] عين قصدها إبراره(٢٠٥):

(كامل)

القلْبُ يعْشـقُ والمــدامــعُ تنْطــقُ ... برِحَ الخفاءُ [86] فكلُّ عُضوٍ منْطِقُ (٢٠٦)
إنْ كُنْتُ أكْتُمُ ما أكـنُّ (٢٠٧) مِنَ الجــوى ... فَشُحـوبُ لوْني في الغـرامِ مُصـدِّقُ
وتذلُّلـي عنْـدَ اللقـــاءِ وتملُّقـــي ... إنَّ المُحـبَّ إذا دنـــا يتملَّـــقُ
فلكمْ سَتَرْتُ عنِ الوجـودِ محبَّتـــي ... والدَّمْـعُ يفْضَـحُ ما يسرُّ المنْطـــقُ
ولكمْ أُمـوِّهُ بالطلـــولِ وبالكنـــى ... وأخـوضُ بَحْـرَ الكتْمِ وهْوَ الأليـــقُ
ظهرَ الحبيبُ فلَسْتُ أُبْصِـرُ غيْـرَهُ ... فبكـلِّ مرئـــيٍّ أرى يتَحقَّـــقُ / 287
ما في الوجـودِ تكثُّـــرٌ لمُكَثِّـــرٍ ... إنَّ المُكثِّـرَ بالأباطـلِ(٢٠٨) يعْلَـــقُ
فمتَى نظرْتُ فأنْتَ موْضِـعُ نظْرَتـي ... ومتَى نطقْتُ فما بغيْـرِكَ أنْطـــقُ
يا سائلي عنْ كُنْهِ بعضِ صفاتـه (٢٠٩) ... كَلَّ البيانُ (٢١٠) وكَلَّ عَنْـهُ المنطـــقُ
فاسْلُكْ مقاماتِ الرجالِ مُحَقِّقـــاً (٢١١) ... إنَّ المُحَقِّـقَ شـأوُهُ لا يُلْحَـــقُ
مزِّقْ حجـابَ الوَهْـمِ لا تَحْفلْ بـه ... فالوَهْـمُ يَسْتُرُ ما العقـولُ تحقِّـــقُ
واخْلُصْ إذا شئْتَ الوصولَ ولا تنَـلْ ... فالعَجْـزُ عنْ طلبِ المعـارفِ مُوبـقُ
إنَّ التَّجلي في التخلِّـي فاقْتَصِدْ (٢١٢) ... ذاكَ الجنـــابَ فبابُـــهُ لا يُغْلَـــقُ
ولْتَقْتَبِسْ نارَ الكليـــمِ ولا تَخَـــفْ ... والغ السُّوى (٢١٣) إنْ كنْتَ منها (٢١٤) تَفْـرقُ
ومتَى تجلَّى فيكَ سـرُّ جـمـالـــهِ ... وصعقْتَ خوفـاً فالمكلَّـمُ يصْعَـــقُ
دعْ رُتْبَـةَ التقليـدِ عـنْكَ ولا تَتِـهِ (٢١٥) ... تلَف (٢١٦) الذي قيِّـدْتَ وهْوَ المطلــقُ
واقْطَـعْ حبالَ عوائـقٍ وعلائـــقٍ (٢١٧) ... إنَّ العوائقَ بالمكـــارِهِ تَطـــرقُ
جَـرِّدْ حسامَ النفْـسِ عن جفْنِ الهَوى ... إنَّ العـوائـــدَ بالتَّجـرُّدِ تُخْـــرَقُ
فإذا فَهِمْتَ السِّـرَّ منْكَ فـلا تبُـــحْ ... فالسَّيْـفُ من بثِّ الحقـائقِ أصْـدَقُ
بالذَّوقِ (٢١٨) لا بالعلْـمِ يُدْرَكُ علمنــا (٢١٩) ... ســرٌّ بمكْنُــونِ الكتـــابِ مصـدِّقُ
وبمـا أتَـى عنْ خَيْـرِ منْ وطِىءَ الثَّـرى ... سرُّ الوجـودِ وغيثُهـــا المتدفِّـــقُ
خيرُ الورى وابْنُ (٢٢٠) الذَّبيحَيْـنِ الـذي ... أنْـوارُهُ فـي هدْيِنـــا (٢٢١) تتألَّـــقُ
مَنْ أخْبَـرَ الأنبيـاءُ قبْـلُ بِبَعْثِــهِ ... ولسرِّهِ نص (٢٢٢) الكتـابِ يُصَـدِّقُ / 88

رُفعتْ لهُ الحجْبُ التي لَمْ ترْتفِعْ ... إلاّ إليهِ فكلُّ ستْرٍ يخْرَقُ
ورَقى مقاماً قصُرَتْ عنْ كُنْهِهِ ... رُتَبُ الوجودِ وكعّ عنْهُ السبّقُ
وطيءَ البساطَ تذلُّلاً وجرى إلى ... أمدٍ تناهى ما إليْهِ يُسْبَقُ (٢٢٣)
إنْسانُ عيْنِ الكوْنِ منْبعُ (٢٢٤) سرِّهِ ... قُطْبُ الكمالِ (٢٢٥) وغيْثُهُ المُتدَفِّقُ
سرُّ الوجودِ ونُكْتَةُ الدهْرِ الذي ... كلُّ الوجودِ بجودِهِ يتعلَّقُ
منْ جاءَ بالآياتِ يسْطعُ نورُها ... والذكْرُ فهيَ عنِ الهوى لا تنْطقُ: [87]
يا سيِّدَ الأرْسالِ غيرَ مدافعٍ ... وأجلَّهُمْ سبْقاً وإنْ همْ أعْنقُ
بالفقْرِ جئْتُكَ مؤمِّلي لا بالغنى ... فالبذْلُ والإنْفاقُ (٢٢٧) عنْدَكَ ينْفقُ
فاجْبُرْ كسيرَ جرائرٍ وجرائمٍ ... فالقلْبُ منْ عظَمِ الخطايا يَقْلَقُ
أرْجوك يا غوْثَ الأنامِ فلا تدَعْ ... بابَ الرِّضى دوني يُسَدُّ ويُغْلَقُ
حاشاكَ تطرُدُ منْ أتاكَ مؤمِّلا ... فلأنْتَ (٢٢٨) منّي أحنُّ وأرْفَقُ
ومحبّتي تَقْضي بأنّكَ مُنْقِذي ... ممّا أخافُ فما بغيْرِكَ أعْلَقُ (٢٢٩)
إنْ كانَ تبْطيني (٢٣٠) القضاءَ بمغْربٍ (٢٣١) ... فعنانُ عزْمي نحوَ مجْدكَ مُطْلَقُ
ولئنْ ثَوى شخْصي بأقْصى مغْربٍ ... فتشوّقٌ (٢٣٢) منّي إليْكَ يُشرِّقُ
فعليْكَ يا أسْنى الوجودِ تحيّةٌ ... منْ طيبِ نفْحَتِها البسيطةُ تعبَقُ
وعلى صحابتِكَ الذين تأنّقوا ... رُتَبَ الكمالِ ومثْلُهمْ يتأنَّقُ
وعلى الأُلى آوَوْكَ في أوْطانِهمْ ... نالُوا بذلكَ رتبةً لا تلْحقُ
/289 أعظمْ بأنْصارِ النبيِّ وحزْبِهِ ... وبمنْ أتى بعبادةٍ (٢٣٣) يتعلَّقُ
مَنْ مثْلُ سعْدٍ أوْ كقيْسٍ نجْلُهُ (٢٣٣٤) ... عرْفُ السيادةِ منْ حماهُمْ ينْشقُ
أكْرِمْ بهمْ وبمنْ أتى منْ سرِّهمْ ... عزُّ النظيرُ فمَجْدُهُمْ لا يلْحقُ
مَنْ مثْلُ نصْرٍ أوْ بَنيهِ ملوكِنا ... كلُّ الملوكِ (٢٣٥) لعزِّهمْ يتملَّقُ
بمُحمَّدٍ نجْلِ الخليفةِ يوسفٍ ... عزُّ الهُدى فحماهُ ما إنْ يُطْرَقُ
مولى الملوكِ وتاجِ مفْرِقِ عزِّهمْ ... وأجلُّ منْ تُحْدى إليهِ الأيْنُقُ
ملكٍ يرى أنَّ التقدُّمَ مغْنَمٌ (٢٣٦) ... مهْما تعرَّضَ موْكبٌ أوْ فيْلَقُ
تروي أحاديثُ الوغى عنْ بأسهِ ... فالسيْفُ يُسْند والعوالي تُطْلَقُ
ملكَ السياسةَ (٢٣٩) والمكارمَ والنُّهى ... فعداتُهُ منْهُ تَغَصُّ وتشْرَقُ
ذو العزّةِ القعساءِ والبأسِ الذي ... منْ صولِ صارمِهِ الأعادي تُفْرَقُ (٢٤١)
مُلئَتْ قلوبُ عداهُ منهُ مهابةً ... فمُغَرِّبٌ منْ خوْفِهِ ومشرِّقُ
مولايَ يا أسْمى الملوكِ ومنْ غدتْ ... عيْنُ الزمانِ إلى سَناهُ تُحدِّقُ
لا تقْطعوا عنّي الذي عوّدْتُمُ ... فالعبْدُ منْ قطْعِ العوائدِ مشْفقُ (٢٤٢)
لا تحْرِموني مطْلبي (٢٤٣) فمحبّتي ... تَقْضي لسَعْيي أنّهُ لا يُخْفقُ
فانْعمْ بردّي في بساطِكَ كاتباً ... وأعدْ لما قدْ كُنْتُ فهوَ الأليَقُ

واسْلَمْ (٢٤٤) أميرَ المسلمَينَ لأمَّةٍ   أفْوَاهُهُمْ ما إنْ بغيْرِكَ تنْطِقُ
واهْنأْ بها ليْلةً نبويَّةً   جاءتْ بأكْرَمِ منْ بهِ يُتعلَّقُ
صلَّى عليْهِ اللّهُ ما هبَّتْ صبا   واهْتزَّ غُصنٌ في الحديقةِ مورقُ

وإلى ذلك كثير، كالأديب أبي عبد الله بن الجنان [88]، مجيد ولم تحضرني الآن قصيدته، والفقيه الأديب أبي الحسن السكاك [89]، من أهل الإكثار فيه، وابنه، والفقيه الكاتب أبي يحيى القطان [90]، والفقيه الأديب أبي عبد الله بن بهجونة.

هذا ما أنشد من الشعر ليلتئذ، قد أتينا بما حضر منه من غير انتقاء ولا اختيار، ولعل الحسنة تشفع السيئة، والإجادة تبين بضدها، وللإكثار حظ في تفخيم الدعوة والإشادة بتوسع الوليمة، ونحن نستغفر الله من زلل القول والعمل، ونتوب إليه، إنه هو التواب الرحيم.

وقد آن لنا أن نختم هذا السفر ونقتصر عليه إلى أن يسني الله الوجهة الحجازية فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الأقطار، ونتلقاه من الأخبار، إن شاء الله.

تم السفر الثالث وبتمامه تم جميع الديوان، والحمد لله الذي هدانا للإيمان وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الأكرمين أجمعين وسلم تسليما إلى يوم الدين.

هوامش الفصل العاشر

(١) م : السد، تحريف صوّبناه بما أثبت.
(٢) ثبتت القصيدة في ديوان "الصيب والجهام" ص ٣٨٩ ـ ٣٩٥، الاحاطة، مخ. الاسكوريال ٤٣٨/١ ـ ٤٤٠، ط. القاهرة ٤٦٩/٤ ـ ٤٧٢. وفي النفح ٥٠٩/٦ ـ ٥١٠. وازهار الرياض ٢٢٧/١ ـ ٢٢٨.
(٣) المراجع : الجماح.
(٤) م : الوساح، تصويبه من المراجع المذكورة.
(٥) م : حاجلتني وهو تحريف صححناه من المراجع المذكورة، وفي د ٣٨ : عالجتني.
(٦) إلى هنا ينتهي ما ورد في ن، الأزهار.
(٧) د. ٣٩٠ : انسياح.
(٨) م ك ناكص، تصوييه مما ذكر.
(٩) م : الوجد، وسياق المعنى يقتضي ما أثبتنا من المراجع.
(١٠) د ٣٩٠ : لاعج.
(١١) د ح س : الكون.
(١٢) المراجع : نور.
(١٣) من المراجع المذكورة.
(١٤) المراجع : يا خاتم.
(١٥) م بمثل، والوزن يقتضي ما أثبتناه مما ذكر.
(١٦) د ٢٩١ : المأمول.
(١٧) د : كرام.
(١٨) د، ح س : سراح.
(١٩) ح س : ابديت.
(٢٠) د ٣٩٤، ح : فاجره.
(٢١) م : وسيدي، تصوييه من المرجعين.
(٢٢) المرجعان : وغاب.
(٢٣) د ٤٩٥ : وأين.
(٢٤) م : "وضاق الخطو العريض الساح"، والسياقُ يقتضي ما أثبت من د، ح س. مابين المعقوفتين زيادة من د، ح س.
(٢٥) م : تنفث.
(٢٦) د، س ح : الجفون.
(٢٧) د، ح س : قدر.
(٢٨) م : قصيد.
(٢٩) م : قصد، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه.
(٣٠) م : فلذلك قام برها، وهو تحريف مخل بالوزن.

(٣١) م : بشر، وهو تحريف.
(٣٢) كذا في الأصل، والأنسب للوزن قراءتها تقضي.
(٣٣) م : التيقور : ولا معنى لها، تصحيحه من نسخة الملكية.
(٣٤) م : جفون ناب، صوابه ما أثبتنا.
(٣٥) م : تنى، وهو تصحيف.
(٣٦) م : شاب، وهو تحريف.
(٣٥) م : التصاب.
(٣٨) م : خللا بخلة، سياق المعنى يقتضي ما أثبتناه، أنظر التعليق.
(٣٩) م : دموعنا، وقد زدنا الفاء ليستقيم الوزن.
(٤٠) م : الفلاء، والصواب ما أثبتنا.
(٤١) ما = ماء، اسقط الشاعر الهمزة للضرورة الشعرية.
(٤٢) م : ترتبته، ولعلها ما أثبناه.
(٤٣) م : المحبه، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٤٤) هذا الشطر مكسور.
(٤٥) غير واضحة في الأصل ولعلها ما أثبتنا.
(٤٦) م : موصلة، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
(٤٧) وردت جل أبيات القصيدة في الاحاطة مخ الاسكوريال ٢٥٣/١ ـ ٢٥٤، وفي ط. القاهرة ٥١٤/٣ ـ ٥١٦، وفي التعريف لابن خلدون ص ٨٥ ـ ٨٨، وفي جنوة الاقتباس ٤١٠/٢، والنفح ١٨٩/٦ ـ ١٩١.
(٤٨) م : درت، تصويبه من المراجع.
(٤٩) المراجع : رسما.
(٥٠) التعريف ص ٨٦، ن ١٨٩/٦ : قلبي.
(٥١) البيت زيادة مما ذكر.
(٥٢) ح س، التعريف ص ٨٦، ن ١٨٩/٦ : تثنيني.
(٥٣) المراجع : أنحاء.
(٥٤) المراجع ك يسليني.
(٥٥) التعريف : تكن، والبيت ساقط في الأصل ووارد في المراجع المذكورة. مابين (٥٦ ـ ٥٧) ساقط من المراجع.
(٥٨) م : أوالي، وهو تحريف مخل بالوزن.
(٥٩) ح س : واحسرتا.
(٦٠) ح س : غيي، وما بين (٥٨ ـ ٦٠) ساقط في التعريف ومثبت في المراجع الباقية.
(٦١) م : يدخره.
(٦٢) هذا الشطر مكسور، وليستقيم الوزن يمكن قراءته قدما به.
(٦٣) كتبت في الطرة.
(٦٤) هذا الشطر مكسور.

(٦٥) م : الخليفة، صوابه ما أثبتنا.
ما بين (٦١ ـ ٦٦) الأبيات ساقطة من المراجع.
مابين (٦٧ ـ ٦٨) ساقط من المراجع المذكورة.
(٦٩) م : لتهوين، تصويبه من المراجع.
(٧٠) م : بيرون، صحته ما أثبتنا، أنظر التعليق.
البيتان (٧١ ـ ٧٢) ساقطان من المراجع.
(٧٣) المراجع : "من مبلغ عني الصحب الآلي تركوا".
(٧٤) المراجع : أقلب الطرف.
(٧٥) المراجع : منها.
(٧٦) المراجع : دهرك، وهو أنسب.
(٧٧) م : أقسمت، وهو تحريف صحته ما أثبتنا.
(٧٨) ورد هذا المطلع في الإحاطة مخ. الاسكوريال السفر ١، لوحة ٥٨٤ على الصورة التالية :

خليلي سيرا على أرض مارب ولا تعذلاني أنني غير آيــب

(٧٩) كتب على الهامش.
(٨٠) م : الأعاجب، والأنسب ما أثبتنا.
(٨١) م : فإن حد فضل فحموا، وهو تحريف واضح.
(٨٢) م : وصهرت، وهو تحريف تصحيحه ما أثبتنا.
(٨٣) م : بماء، وسياق المعنى والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٨٤) م : وارثة، تحريف صوابه ما أثبتناه.
(٨٥) م : للرضى.
(٨٦) م : عن دين، وهو تحريف صوبناه بما أثبت.
(٨٧) م : لشانئه.
(٨٨) م : ناصب، والسياق يقتضي ما أثبتناه.
(٨٩) كتبت في أعلى السطر.
(٩٠) م : أعدائنا.
(٩١) م : فؤادي، زدنا الباء ليستقيم الوزن.
(٩٢) كذا في الاصل، ويمكن قراءتها ظعن بالظاد بدل الطاء.
(٩٣) م : بدى، وهو تصحيف.
(٩٤) م : دماما، تصحيحه ما أثبت.
(٩٥) م : فابذل، تصحيف صحته ما أثبتنا.
(٩٦) م : ثعاما، تصويبه ما أثبت.
(٩٧) م : لح، وهو تحريف صحته ما أثبتنا.
(٩٨) م : أيقضت.
(٩٩) م : الذكارا، وهو تحريف.
(١٠٠) م : وحلى، والأنسب حل.

(١٠١) م : التشاما، والصواب ما أثبتنا.
(١٠٢) م : حمدت، لعلها خمدت أو جمدت.
(١٠٣) م : اطيفة، ولعلها ما أثبتنا.
(١٠٤) م ك تحلل، وهو تصحيف.
(١٠٥) م : الشاما، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(١٠٦) بياض بالاصل.
(١٠٧) م : يطل، تحريف صويناه بما أثبتنا.
(١٠٨) م ك يدع.
(١٠٩) م : سماه، تحريف مخل بالوزن والمعنى، تصحيحه ما أثبتنا.
(١١٠) م : باندلوس، تحريف صوابه ما أثبتنا.
(١١١) م : أبطاحها، تحريف لا يستقيم به الوزن، صححناه بما أثبتنا.
(١١٢) م : تريد.
(١١٣) م : بالكؤس.
(١١٤) م : باسط، تحريف مخل بالوزن والمعنى.
(١١٥) م : بدخنته، والصواب ما أثبتنا.
(١١٦) ورد البيتان الأولان في الاحاطة، ط. القاهرة ج ٢/٢٠٧، كما أوردهما المقري في النفح ١٥٤/٧.
(١١٧) ج ٢/٢٠٧ : هاجت له منه ذكرة، وفي ن ١٥٤/٧ : هاجت له نار ذكرة.
(١١٨) م : عبرة، وقد زدنا الباء ليستقيم الوزن.
(١١٩) وما = وماء، أسقطت الهمزة للضرورة الشعرية، ومعناها أشار.
(١٢٠) م : وردا، والصواب ما أثبتنا.
(١٢١) م : الملاد.
(١٢٢) م : سلما، ولعلها ما أثبتنا.
(١٢٣) م : وتؤى، وهو تحريف.
(١٢٤) م : ميما، لعل الصواب ما أثبتنا.
(١٢٥) م : ويشد، وهو تحريف، تصحيحة ما أثبتنا.
(١٢٦) م : فترغما، تصحيحه ما أثبتنا.
(١٢٧) م : برقده.
(١٢٨) م : أعد، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(١٢٩) م : ليلة، وهو تحريف تصحيحه ما أثبتنا.
(١٣٠) م : ناد، وهو تحريف.
(١٣١) م : نخيره، وهو تصحيف.
(١٣٢) يعارض الشاعر قصيدة أبي إسحاق إبراهيم الألبيري التي مطلعها :
تفت فؤادك الأيام فتـــــا   وتنحت جسمك الساعات نحتا
أنظر ديوان أبي إسحاق الألبيري ص ١٩ ـ ٣٠. أنظر التعليق.

(١٣٣) م : ندير.
(١٣٤) م : ستلفها، صحته ما أثبتنا.
(١٣٥) م : خدعة، صحته ما أثبتنا.
(١٣٦) م : لكن معاهد ثوية تخلص، وهو مكسور، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
(١٣٧) هذا الشطر مكسور.
(١٣٧) يبدو أن الناسخ أسقط لفظة.
(١٣٨) م : مجاله، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(١٣٩) م : وتصيح، وهو تصحيف صحته ما أثبتنا.
(١٤٠) م : شداها.
(١٤١) م : إرسال، وما أثبتناه يقتضيه الوزن والسياق.
(١٤٢) م : بمنضها، وهو تحريف.
(١٤٣) م : يديعها، وهو تصحيف.
(١٤٤) م : بت، ولعلها فت.
(١٤٥) م : لتشق، تصويبه ما أثبتنا.
(١٤٦) م : جرى.
(١٤٧) م : بالترى.
(١٤٨) م : سمخت ولا معنى لها، الأنسب أن تقرأ كما أثبتنا.
(١٤٩) م : الحادتات.
(١٥٠) م : خيل، والصواب ما أثبتنا.
(١٥١) هذا الشطر مكسور.
(١٥٢) م : هجرتي، تحريف صححناه.
(١٥٣) م : ليلى، تحريف مخل بالوزن والمعنى، صوابه ما أثبتنا.
(١٥٤) م : صلت، وهو تصحيف.
(١٥٥) م : داوه.
(١٥٦) م : الجما، وهو تصحيف.
(١٥٧) م : اضلع.
(١٥٨) م : الألمع.
(١٥٩) م : وسئل اللهك، صحته ما أثبتنا.
(١٦٠) م : حشى، وهو تحريف.
(١٦١) م : المتضرع، وهو تحريف.
(١٦٢) زيادة يقتضيها الوزن.
(١٦٣) وردت هذه القصيدة في الكتيبة الكامنة، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
(١٦٤) الكتيبة : بخلاله.
(١٦٥) م : هاجت.
(١٦٦) المرجع : من.

(١٦٧) الكتيبة : تحية.
(١٦٨) نفس المرجع : الفرقان.
(١٦٩) المرجع : حياة، والمتن أصح.
(١٧٠) الكتيبة : أبدا.
(١٧١) نفس المرجع : الهدى.
(١٧٢) المرجع : فانجلى.
(١٧٣) الكتيبة : مواسما.
(١٧٤) م : كان، وهو تحريف تصويبه من الكتيبة.
(١٧٥) الكتيبة : يممته.
(١٧٦) الكتيبة : يسعى.
(١٧٧) الكتيبة : يرمي.
(١٧٨) م : مدحه، وهو تحريف مخل بالوزن، تصحيحه من الكتيبة.
(١٧٩) م : مستمع، وهو تحريف مخل بالوزن، تصحيحه من الكتيبة.
(١٨٠) الكتيبة : فتقت.
(١٨١) م : غرة، لا يستقيم بها الوزن، لعل الصواب ما أثبتنا.
(١٨٢) م : ياليت، تصحيحه ما أثبتنا.
(١٨٣) م : ثنا.
(١٨٤) م : الملاد.
(١٨٥) م : مليكهم فمن اعتل، وهو تحريف مخل بالوزن والمعنى.
(١٨٦) م : لك، والأنسب للمعنى ما أثبتنا.
(١٨٧) م : تنثا، ولعلها من فعل نتا : ورم.
(١٨٨) م : نوف، صوابه ما أثبتنا.
(١٨٩) كتبت في أعلى السطر.
(١٩٠) م : بوارد.
(١٩١) م : لبياض، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
(١٩٢) هذا الشطر مكسور.
(١٩٣) م : وما دارت، وهو تحريف مخل بالوزن.
(١٩٤) م : محيت نقطة الباء.
(١٩٥) م : حنيت، وهو تصحيف.
(١٩٦) م : بدت، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(١٩٧) م : لبنها، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا.
(١٩٨) م : الصبح، وهو تحريف صويناه بما أثبت.
(١٩٩) الشطر مكسور، ويستقيم الوزن إذا قرئت (ولكم).
(٢٠٠) م : ظل.
(٢٠١) م : فلعل، والوزن يقتضي ما أثبتناه.

(٢٠٢) م : الدين، وهوتصحيف.
(٢٠٣) الشطر مكسور لنقصان لفظة.
(٢٠٤) م : ما البحر، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(٢٠٥) وردت الأبيات العشرون الأولى في الكتيبة الكامنة ص ٢٩٤، كما وردت القصيدة في النفح ٦/١١٥ ـ ١١٧، ومطلعها في الإحاطة ٣/٥٧٣.
(٢٠٦) ك : ينطق.
(٢٠٧) كتبت في الهامش، وفي ك : أكن ما أجن، والمتن أصح.
(٢٠٨) م : بالإبطال.
(٢٠٩) ك : صبابتي، وفي ن ٦/١١٥ : بعض كنه صفاته.
(٢١٠) ن : اللسان.
(٢١١) ك : تحققا.
(٢١٢) ن ٦/١١٦ : فاقتصد، وفي ك ٢٩٣ : فاقصدن.
(٢١٣) ك : الهوى.
(٢١٤) ك : منه.
(٢١٥) م : ولا تبه، تصويبه من "ن".
(٢١٦) ن : تلق.
(٢١٧) ن : علائق وعوائق.
(٢١٨) زيادة من المرجعين.
(٢١٩) ك : سرنا.
(٢٢٠) م : وامن، تصويبه من "ن".
(٢٢١) ن : هديها.
(٢٢٢) ن : ولنصه سر.
(٢٢٣) ن : مسبق.
(٢٢٤) ن ٦/١١٦ : مبلغ.
(٢٢٥) ن : الجمال.
(٢٢٦) ن : فهو عن الهوى لا ينطق.
(٢٢٧) ن : فالذل والادعان.
(٢٢٨) ن : لي.
(٢٢٩) ن ٦/١١٧ : ورد البيت التالي زيادة، وهو :
يا هل تساعدني الأماني والمنى   وأحل حيث سنا الرسالة يشـــرق
(٢٣٠) م : تبطيني، والأنسب ما أثبتناه من "ن".
(٢٣١) ن : بمقيد.
(٢٣٢) ن ك فتشوقي.
(٢٣٣) ن ٦/١١٧ : بعباءة.
(٢٣٤) م : كيس ونجله، محيت نقطة النون، تصحيحه من "ن".

(٢٣٥) ن : الأنام.
(٢٣٦) م : مغنما، موقعه من الإعراب يقتضي ما أثبتنا.
(٢٣٧) م : يروى، صحته ما أثبتناه من "ن".
(٢٣٨) غير واضح في الأصل، تصويبه من "ن".
(٢٣٩) ن : البسالة.
(٢٤٠) ن : تفرق.
(٢٤١) هذا البيت ساقط في "ن".
(٢٤٢) ن : يشفق.
(٢٤٣) زيادة من "ن" يقتضيها الوزن والمعنى.
(٢٤٤) ن ١١٧/٦ : فاسلم.

تعليقات الفصل العاشر

[1] من المثل : "والحديث ذو شجون"، يضرب في الحديث يتذكر به غيره. (مجمع الأمثال ١٩٧/١ رقم ١٠٤٤).

[2] ذياد : فعله ذود، أي دفع عن وحامي.

[3] يتضمن معنى الأثر : عن سلمان الفارسي قال : "ان كان بعدت الدار من الدار فالروح من الروح قريب". أنظر (صحيح البخاري (الأنبياء) ٢).

[4] الحاشر والعاقب والماحي : من أسماء الرسول (صلعم)، أنظر على سبيل المثال (ابن سيد الناس : عيون الاثر ٣١٥/٢، باب ذكر أسمائه صلى الله عليه وسلم).

[5] معجزات الرسول شهيرة للاطلاع عنها تراجع كتب السيرة، كسيرة ابن هشام وابن اسحاق وتاريخ الخميس وغيرها.

- Maurice Gaudefroy Demombynes, Mahomet, Paris 1937.

[6] إشارة إلى أخبار الكهان ببعث الرسول أنظر (عيون الاثر ٥٤/١، باب ذكر ما حفظ الأخبار والرهبان والكهان).

[7] إشارة إلى قوله تعالى : "ألم نشرح لك صدرك"، سورة ٩٤ (الشرح) آية ٩٧.

[8] إشارة إلى قوله تعالى : "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح"، سورة ٢٤ (النور) آية ٣٥.

[9] الغ : فعله ولغ، أي شرب الماء أو الدم.

[10] استعار أسماء الموفق والمستعين والسفاح من بني العباس، واستعملها استعمالا مجازيا.

[11] جناح : إثم.

[12] إشارة إلى الثورة التي قام بها إسماعيل أخو الغني بالله بمساعدة ابن عمه محمد السادس، أنظر (لوحة ١٢٣ - ١٤١).

[13] مسيلمة الكذاب : هو مسيلمة بن تمامة بن كبير بن الوائلي ولد ونشأ باليمامة، ادعى النبوة في زمن النبي، وقتل في عهد أبي بكر بن الخطاب سنة ١٢هـ/٦٣٣م. أنظر (الاعلام ١٢٥/٨).

- سجاح بنت الحارث التميمية، شاعرة أديبة عارفة بالأخبار وبالكتب السماوية، ادعت النبوة أيام الردة في عهد أبي بكر بن الخطاب، تزوجها مسيلمة فلما قتل أسلمت وهاجرت إلى البصرة حيث توفيت سنة ٥٦هـ/٦٧٥م. أنظر (الاعلام ١٢٢/٣).

[14] يقصد المشور الذي بناه الغني بالله بعد استرجاعه ملكه وقد ورد وصفه في (المتن لوحة ٢١٣).

[15] لياح : ظاهر وواضح.

[16] ذمر : شجاع. - جحجاح : سيد سمح كريم.

[17] ضحضاح : ماء قليل يكون في الغدير أو غيره.

[18] خود : فتاة حسناء.

- رداح : امرأة رداح أي عجزاء ثقيلة الأوراك، تامة الخلق.

[19] أبو البركات بن الحاج، سبق تعريفه.
[20] أبو جعفر بن جزى، سبقت ترجمته.
[21] مالك بن أنس، سبقت ترجمته.
- ابن شهاب (... - ١٢٤هـ / ... - ٧٤١م) محمد بن مسلم بن عبد الله الزهري، من الأئمة المشهورين. (العسقلاني : تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ - ٤٥١
(- EI 1, IV, 1239-41. [J. Horowitz]).
[22] حللا : نزولا. - حلة : حلة القوم، النزول فيهم وتطلق أيضا عن المنازل.
[23] طيبة : أو طابة أويثرب تطلق على المدينة المنورة، كما تسمى أيضا المجبورة والمحبة والمحبوبة والقاصمة وجابرة. أنظر (الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ٤٠١).
[24] يباب : خراب.
[25] عابي : عيبي.
[26] تربان : بكسر التاء وتسكين الراء، جمع تراب.
[27] المخبت : فعله أخبت أي تخشع إلى الله .
[28] لتفصيل رحلة ابن خلدون إلى الأندلس. أنظر (التعريف ص ٨٠).
[29] العين : ج عيناء، الواسعة العين من النساء.
[30] مصنع : بناء، ويقصد به المشور الذي بناه الغني بالله.
[31] إيوان كسرى : يراجع وصفه في (معجم البلدان ١/٣٩٤).
[32] أبواب جيرون : من منتزهات دمشق، ويطلق إسم جيرون على دمشق. أنظر (معجم البلدان ٣/١٩١. الروض المعطار، تح إحسان عباس ص ١٨٦. والشطر الثاني مضمن من شعر ابن أبي قطيفة.
[33] الغور : غور تهامة، وكل ما انحدر سيله مغربا عن تهامة فهو غور. (معجم البلدان ٦/٢١١). ويعني بهذه الأبيات الوزير عمر بن عبد الله.
[34] أبو الحسن بن الحسن النباهي، سبق تعريفه.
[35] رامة : يطلق على مكانين : على منزل في طريق البصرة إلى مكة، وعلى قرية من قرى بيت المقدس. (معجم البلدان ٤/٢١٢).
[36] أبو إسحاق بن الحاج، سبق تعريفه.
[37] الأجرع : مفرد أجارع، وهي الأرض الطيبة المنبت، وكذلك الأرض التي فيها حزونة.
- حاجر : موضع من ديار بني تميم. أنظر (معجم ما استعجم ١/٢٢٩).
[38] زرود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع. أنظر (الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ٢٨٧).
[39] ثغاما : شجر أبيض الزهر واحدته ثغامة، وصار الشعر ثاغما أي أبيض.
[40] بارق : مكان من ديار بني تميم باليمامة (معجم ما استعجم ص ١/١٢٨. - كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب، دمشق ١٩٤٤، ص ١٨٢).
[41] العقيق : في بلاد العرب أربعة أعقية وهي أودية ولعل المقصود هنا عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل. (معجم البلدان ٤/١٣٨ - ١٤٠)
[42] قبا : قرية على بعد ثلاثة كيلو مترات من المدينة وبها مسجد الرسول الذي بناه الأنصار.

(معجم البلدان ٣٠١/٤ ـ ٣٠٢. ـ حسين مؤنس : المساجد ، عالم المعرفة، يناير، الكويت ١٩٨١، ص ١٦٦ ـ ١٦٧).

[43] البقيع : هو المكان الذي حمى الرسول، ويقع قريبا من المدينة وبه المقبرة الشهيرة التي دفن فيها عدد من أفراد أسرة النبي وكثير من صحابته، ولها مكانة خاصة عند المسلمين. (معجم ما استعجم ١٧٠/١).

[44] الأوام : بضم الهمزة : العطش الشديد.

[45] سعد بن عبادة الأنصاري (... ـ ١٤هـ / ... ـ ٦٣٥م)، وهو صحابي مشهور من أهل المدينة. أنظر (الاعلام ٨٥/٣).

[46] قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي (... ـ ٦٠ هـ / ... ـ ٦٨٠م) وهو من الصحابة، توفي في عهد معاوية. (الاعلام ٢٠٦/٥).

[47] أبو عبد الله بن زمرك، سبقت ترجمته.

[48] أبو بكر بن أبي علي القرشي، ورد إسمه في الكتيبة محمد بن محمد بن علي القرشي، وذكره ابن الخطيب ضمن وفيات ما قبل ٧٧٤هـ = ١٣٧٢م. أنظر (الكتيبة ص ٢٠٠، الريحانة، ط. القاهرة ٣٨٣/٢).

[49] غرثوا : اشتد جوعهم.

[50] تباى : تفخر.

[51] يقرط : يضع في الأذن قرطا، ويقصد تسمع الأذن ما تستلذه.

[52] لسن : بفتح اللام والسين، الفصاحة.

[53] أبو عبد الله الشريشي (... ـ ٧٧٠هـ = ١٣٦٨م) محمد بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني، وهو من قرية شريش كان معلم ولد السلطان. أنظر (ـ الاعلام ٣٢٦/١. ـ الكتيبة ص ٢١٤ ـ ٢١٥).

[54] هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي إسحاق الألبيري التي وردت في ديوانه، تحقيق رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦، ص ١٩ ـ ٣٠.

كما أوردها الدكتور كارثيا كومس في دراسته عن أبي إسحاق الألبيري وأشار إلى أن عدد أبياتها مائة واثنا عشر لكونها تختتم بالبيت :

وقد أردفتها ستا حسنـا وكانت قبل ذا مائة وستا

ويعلق الدكتور عبد الله كنون في دراسة نشرها عن هذه القصيدة أن عدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتا لأنه عثر على نسخ أخرى ورد فيها برواية إخرى وهي :

وقد أردفتها سبعا حسانا وكانت قبل ذا مائة وستا

V. (E. Garcia Góme, Un alfaquí espagñol Abù Ishàq de Elvira, texto àrabe de su "diwàn", Madrid, 1944, pp. 63-69.

ـ عبد الله كنون : تائية أبي إسحاق الألبيري، المناهل، ٥، (١٩٧٦)، ص ٧ـ١٢.

[55] فتا : فتّ الشيء إذا كسره حتى صار فتاتا.

[56] تفتى : تكلف الفتوة وتشبه بالفتيان.

[57] سحت : المال الحرام.

[58] القرن : قرن السيف أي حده ونصله.

- الصمصام : السيف الذي لا ينثني.
- صلتا : فعله أصلت أي جرد السيف من غمده.
[59] الدست : لفظة فارسية لها عدة معاني منها قانون، قاعدة، مسند الملوك، ودخلت إلى العربية بمعنى مجلس الحكم. (معجم اللغة الفارسية، نقله إلى العربية هنداوي، مصر ١٩٥٢، مادة (دست).
[60] أبو القاسم بن قطبة، سبق تعريفه.
[61] إشارة إلى سورة ٣٦ (ياسين). والسورة ٢٠ (طه).
[62] الوني : التعب والأعياء.
[63] الوجيه ولاحق : أنظر تعليقات الفصل الخامس رقم ٦٢. - الوجى : ان يجد الفرس في حافره وجعا ويشتكيه من غير أن يهن منه شيء أو غيره. أنظر (المخصص ١٤٦/٢).
[64] اجرد : فرس سريع، ويطلق أيضا على القصير الشعر. - فرس مشذب : طويل وغير ثخين. - عبل الشوى : غليظ القوائم. - مطهم : تتوفر فيه كل أوصاف الخيل الحسنة. أنظر (المخصص ٢ باب الخيل).
[65] أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسان الغافقي، كان كاتب الانشاء في غرناطة، وقد ذكره ابن الخطيب ضمن وفيات ما قبل ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (- الكتيبة ص ٢٤٥ - ٢٤٧، - الريحانة ٣٨٨/٢).
[66] مندل : العود الطيب الرائحة. - نسوع : ج نسع، وهو حبل تشد به الرحال.
[67] أبو جعفر أحمد بن عبد الملك العدوى اللبسي، شاعر، كاتب، فقيه، من معلمي الكتاب، وقد كان حيا سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكتيبة ص ٢٧٨).
[68] الجديدان : الليل والنهار.
[69] إشارة إلى قوله تعالى : "في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية، فيها عين جارية، فيها سرر مرفوعة". سورة ٨٨ (الغاشية) آية ٩ - ١٣.
[70] انكال : ج نكل، بكسر النون، وهو القيد الشديد.
[71] أبو بكر بن قطبة، سبق تعريفه.
[72] ابارق : ج برقة، وهي الأرض الغليظة التي فيها رمل وحجارة وطين.
[73] المهيع : الطريق الواسع البين.
[74] الألمعي : الذكي.
[75] اسفع : أسود يميل إلى الحمرة.
[76] أبو القاسم بن حميد بن إبراهيم بن محمد التجيبي، من أدباء غرناطة كان يشتغل بالتدريس، توفي قبل ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكتيبة ص ٣٠٢).
[77] أبو جعفر بن خاتمة، أنظر (١١٠/٣٩٢).
[78] العي : الحصر وعدم القدرة على الكلام.
[79] أبو عبد الله بن سودة، ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة وذكر وفاته سنة ٦٣٧هـ/١٣٣٥م، لكن ابن سودة التي تنطبق عليه الأوصاف التي ذكرها ابن الخطيب في المتن يكنى أبا القاسم ويسمى محمد بن محمد بن علي بن سودة المرى، كان طبيبا وأديبا، وقد قال ابن

الخطيب في الاحاطة : "وتشوق إلى الرحلة الحجازية، والله ييسر قصده"، وهذا يثبت أن ابن سودة كان حيا في فترة تأليف الاحاطة. أنظر (ـ الاحاطة مخ الاسكوريال، السفر الأول، لوحة ١٤٤، ط. القاهرة ١٦٨/٣. ـ ابن الربيع الحوات : الروضة المقصودة، مخ الخزانة الحسنية، لوحة ١١).

[80] اللوى : واد من أودية بني سليم.

[81] الدميل : يطلق على سير الدابة البطيء.

[82] نواصله الأولى : يقصد بها أعلى الراس، والثانية : السهم أو حديدة الرمح.

[83] اقتباس من المثل : "عند الصباح يحمد القوم السرى".

[84] أبو جعفر بن زرقولة : لعله ابن زرقالة الذي ترجم له الزركلي وهو أحمد بن محمد بن علي ويكنى أيضا أبا العباس، أديب من المَرِيَّة، اشتغل بالقضاء، اثبت الزركلي أنه توفي سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م. ويبدو أن التاريخ غير صحيح، حيث ذكر الزركلي أن ابن زرقالة جمع ما نظمه أحمد بن خاتمه في التورية، ومما هو معلوم أن هذا الأخير ولد سنة ٧٠٠هـ / ٧٣٨م وتوفي سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، وهذا يرجح أن ابن زرقالة كان معاصرا لابن خاتمة وابن الخطيب. أنظر (الاعلام ٢٢٠/١).

[85] عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد العزيز بن يشت، وفي الكتيبة ابن برشيت، ويكنى أبا سلطان، اشتغل كاتبا في ديوان الأعمال، كان حيا سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م. أنظر (ـ الكتيبة ص ٢٩٣، ـ الاحاطة ٥٧٢/٣ ـ ٥٧٣).

[86] برح الخفاء : من الأمثال، ويقصد به انكشف السر ووضح الأمر. أنظر (مجمع الأمثال ٩٥/١ رقم ٤٦٠).

[87] إشارة إلى قوله تعالى : "وما ينطق عن الهوى". سورة ٥٣ (النجم)، آية ٣.

[88] أبو عبد الله بن الجنان : محمد بن عبد الله اللخمي الغناطي كان شاعرا، كاتبا، فقيها، ذكر ابن الأحمر أنه رآه. أنظر (نثير فرائد الجمان ص ٣٣٢).

[89] أبو الحسن السكاك : علي بن إبراهيم بن علي بن خطاب، من أهل غرناطة، وهو شاعر ناثر، اشتغل كاتب ديوان الحساب. أنظر (النفح ٢٥٧/٦. ـ الريحانة ٤٢٠/٢).

[90] أبو يحيى القطان : محمد بن محمد بن عبد الرحمان، الهاشمي نسبا، من شعراء الأندلس وكتابها، وقد ذكر ابن الخطيب أن وفاته كانت قبل ٧٧٤هـ/١٣٧٢م. أنظر (الكتيبة ص ٢٣٠ - ٢٣١).

الفهـــــارس

فهرس الفهـارس

1 ـــ فهرس الأحداث التاريخية حسب التسلسل الزمني.
2 ـــ فهرس أسماء الأعلام والأمم والقبائل.
3 ـــ فهرس الأماكن والبلدان.
4 ـــ فهرس الأشعار.
5 ـــ فهرس الرسائل والقطع النثرية.
6 ـــ فهرس الآيات القرآنية.
7 ـــ فهرس الأحاديث النبوية.
8 ـــ فهرس الأمثال.
9 ـــ فهرس مؤلفات ابن الخطيب التي ذكرها في المتن.
10 ـــ فهرس المصادر والمراجع.
11 ـــ فهرس الموضوعات.

فهـــرس الأحداث حسب التسلسل الزمني

٢٨ رمضان ٧٦٠هـ/٢٣ أغسطس ١٣٠٩م:	الانقلاب الأول ضد الغنى بالله وفراره الى وادي اش.
١٠ ذو الحجة ٧٦٠ هـ/ ٢ نونبر ١٣٥٩م	اتجاه الغنى بالله صحبة ابن الخطيب الى فاس بشفاعة من أبي سالم المريني.
٦محرم ٧٦١هـ/٢٨ نونبر ١٣٥٩ م:	وصول الغني بالله وابن الخطيب الى فاس
١٨ شوال ٧٦٢/٢١ أغسطس ١٣٦١م:	عودة الغني بالله الى الأندلس واستقلاله برندة. - تعيين ابن كماشة وزيرا وابن زمرك كاتبا ص ٧٢.
٧٦٣هـ ١٣٦١م	معاهدة بين سلطان قشتالة وابي زيان ص ٧١.
محرم ٧٦٣ هـ/نونبر ١٣٦١م:	خروج ابي زيان من اشبيلية متوجها الى فاس.
٢١ صفر ٧٦٣هـ/ ٢٠ دجنبر ١٣٦١	وصول ابي زيان الى فاس.
١٦ ربيع الأول ٧٦٣ هـ/١٦ يناير ١٣٦٢	معاهدة صلح بين أبي زيان وبني عبد الواد ص ١٠٨.

٢٤ ربيع الأول ٧٦٣هـ/٢١ يناير :	خروج ابن الخطيب من سلا قاصدا فاس لتقديم ولائه لأبي زيان ص ٦٢.
٣٠ ربيع الأول ٧٦٣م/٢٨ يناير ١٣٦٢ م:	وصول ابن الخطيب الى فاس واتصاله بالسلطان. ص ٦٢. - نزول المطر بعد جفاف كانت له عدة اضرار. ص ٦١ - انتشار داء الطاعون بفاس وتازا ومكناسة... ٦١، ٩٠.
٢ ربيع الثاني ٧٦٣/٩ يناير ١٣٦٢م :	القبض على منصور بن أبي علي. - قدوم وازماز بن عريف الى فاس لمناقشة الوضعية الاقتصادية. ص ٦٩.
٦ ربيع الثاني ٧٦٣هـ/٢ فبراير ١٣٦٢م:	- ظهير من ابي زيان لابن الخطيب بترخيص الرحلة الى مراكش ص ٦٨، ٦٩.
١٠ ربيع الثاني ٧٦٣هـ/٦فبراير١٣٦٢م	- ظهير من أبي زيان لابن الخطيب بتجديد امتيازاته .. ص ٦٧، ٦٨.
ربيع الثاني ٧٦٣هـ/ فبراير ١٣٦٢م :	تعيين ابي ثابت عامر رئيس الجيش بمراكش وزاوجه من بنت الملك الحفصي ص ٧٠.
١٦ جمادى الثانية ٧٦٣/ ١٢ أبريل ١٣٦٢	انتصار الغني بالله واحرازه بعض الحصون ثم دخوله الى مالقة ص ١١٨.

١٧ جمادى الثانية ٧٦٣/١٣ابريل ١٣٦٢	- رسالة من الغني بالله الى ابنه بالمغرب يفصل فيها خبر انتصاره ص ١١٨، ١١٩
١٨ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/١٤ أبريل ١٣٦٢ م:	- فرار أبي سعيد البرميخو الى مملكة قشتالة وقتله من طرف ملكها ص ١١٩.
٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/١٦ أبريل ١٣٦٢ م:	- استرجاع الغني بالله لملكه. ص ١٢٤.
جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ أبريل ١٣٦٢ م:	خدعة ابي ثابت لعرب الخلط نتجت عنها مدبحة. ص١٠٨.
٢٥ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/٢١ أبريل ١٣٦٢.م:	- خروج مسعود بن رحو في جيش من سلا لمحاربة تامسنا لامتناع أهلها عن دفع الجباية ص ١٠٩.
١٤ رجب ٧٦٣هـ/٩ مايو ١٣٦٢ م:	- مغادرة ابن الخطيب سلا قاصدا فاس لمصاحبة اسرة الغني بالله الى غرناطة ص١٤٥.
٢٠ رجب ٧٦٣ هـ/١٥ مايو ١٣٦٢ م:	- خروج ابن الخطيب واسرة الغني بالله من فاس.ص ١٤٧ - رسالة من الغني بالله الى ابن الخطيب يدعوه للعودة الى غرناطة ص ١٤٧، ١٤٨

٢٢ رجب ٧٦٣هـ/١٨ مايو ١٣٦٢ م :	- رسالة من ابي زيان الى الغني بالله يخبره ببعث ولده صحبة ابن الخطيب ص١٤٦، ١٤٧.
١١ شعبان ٧٦٣هـ/٥ يونيو ١٣٦٢ م :	- وصول ابن الخطيب واسرة الغني بالله جبل الفتح ص ١٥٠.
١٤ شعبان ٧٦٣هـ٨ يونيو ١٣٦٢ م :	- وصولهم الى مالقة ص ١٥٠.
٢٠ شعبان ٧٦٣هـ/١٤ يونيو ١٣٢٦ م :	- دخولهم الى غرناطة ص ١٥١.
اوائل رمضان ٧٦٣هـ/أواخر يونيو ٦٢	- نفي ابن كماشة وابنه الى تونس ص ١٦١، ١٦٢.
٣ ذو القعدة ٧٦٣هـ/٢٤ اغسطس ٦٢	- مراسلة بين الغني بالله وسلطان تونس لربط العلاقة الدبلوماسية. بينهما ص ١٦٢، ١٦٦.
أوائل ذي الحجة ٧٦٣هـ /سبتمبر أو أوائل اكتوبر ١٣٦٢.	- ثورة ضد الغني بالله ص ١٦٨، ١٨٠. - استنجاد الغني بالله بابي سعيد عثمان شيخ الغزاة لاخماد الفتنة ص١٧٥.
١٩ ذو الحجة ٧٦٣هـ/٩ أكتوبر ٦٢ :	- استرجاع ابن الخطيب خصن اللقون ص١٧٨.
ذو الحجة " " " " " " " " " " " :	- فتيا الفقهاء في حق الثوار ص١٧٥، ١٧٦.

٨ ربيع الأول ٧٦٤هـ/٢٦ دجنبر ٦٢ : ـ قدوم ابن خلدون الى غرناطة واعراسه بجارية تدعى هند .ص٢٠٨، ٢١٦

٧٦٣ ـ ٧٦٤هـ/١٣٦٢ ـ ١٣٦٣ م : ـ بناء مشور بقصر الحمراء ص ٢٧٥

١٢ ربيع الأول ٦٧٤هـ/٣٠ دجنبر ٦٢ : ـ احتفال الغني بالله بعيد المولد النبوي في المشور ـ ص ٢٧٥، ٢٩٠.

فهرس اسماء الاشخاص والامم والقبائل

الألف

آدام	١٩٤، ٢٩٦، ٣٠٩
آل حفص	١٦٢
آل الرسول	٤٦
آل مرين	٤١، ١٦١
آل نصر	٣١١
آل يعقوب	٤١، ٦٢، ٦٣
آمنة	٢٨١
ابراهيم بن السراج	٧٣
ابن أبي ثابت، عامر (ابو يحيى) الهنتاتي	٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٧٠، ٩٢، ٩٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩
ابن ابي العلي، ادريس بن عثمان	١١٦، ١٢٣
ابن أبي مدين، محمد بن محمد (ابو يحيى)	١٥٤
ابن أنس، مالك (ابو عبد الله) الأصبحي	٤٥، ٢٩٥
ابن بطرون، احمد	١٦٩، ١٧٤، ١٧٥
ابن تافر اجين، محمد بن عبد الله	١٦٣
ابن جزي، احمد بن محمد (ابو جعفر)	٢٤٣، ٢٩٥
ابن الجنان، محمد بن عبد الله (ابو عبد الله)	٣٢٧
ابن الحاج، ابراهيم بن عبد الله (ابو اسحاق) النميري	١٢٦، ١٥٢، ١٧٦، ٢١٦
ابن حسان، محمد بن محمد (ابو عبد الله)	٣١٣
ابن حميد، محمد بن ابراهيم (ابو القاسم)	٣١٨
ابن خاتمة، احمد بن علي بن محمد (ابو جعفر)	٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٣١٩
ابن الخطيب، محمد بن عبد الله لسان الدين (ابو عبد الله)	١٤٧، ١٤٩
ابن خلدون، عبد الرحمان بن ابي بكر (ابو زيد)	٢٠٨، ٢٩٧

ابن رحو عثمان بن أبي زكريا ١٧٥
ابن رحو يحيى بن عمر (ابو زكريا) ٣٧، ٩٠
ابن رحو، مسعود بن علي ٧٤، ٧٥، ١٠٩
ابن رشيد، محمد بن محمد (ابو سعيد) ٣٧
ابن رضوان، عبد الله بن يوسف (ابو القاسم) ٤٧، ٦٦
ابن رضى، مسعود بن أبي بكر (ابو يحيى) ١٨٩
ابن زرقالة، احمد بن محمد بن علي ٣٢٣
ابن زمرك، محمد بن يوسف (ابو عبد الله) ٢٢٣، ٣٠٥
ابن السراج ١٢١
ابن سعد الله محمد ١٠٧
ابن سهل، الحاج سهل بن محمد ١٢٣
ابن سودة، محمد بن محمد بن علي المري ٣٢٠
(ابو القاسم)
ابن شهاب، محمد بن مسلم الزهري ٢٩٥
ابن صفوان، احمد بن ابراهيم بن احمد ١٢٥
(ابو جعفر)
ابن عاشر، احمد (ابو العباس) ٨٧، ٢٢٧
ابن عبد الملك، احمد بن محمد (ابو جعفر) ٣١٥
ابن عطية، عبد الحق ابن أبي القاسم المحاربي ١٦٧
ابن عطية، مبارك بن ابراهيم الخلطي ٤٥، ٨٦، ٩١، ١٠٧
ابن غياث، عمر بن غياث ٢٢٨
ابن الفخار، ابو القاسم بن داود ٢٣١
ابن قطبة، محمد بن احمد (ابو القاسم) ١٢١، ١٣٤، ٣١٢
ابن قطبة، محمد بن محمد (ابو بكر) ٣١٦
ابن قلاون، محمد المنصور بن حاجي المظفر ١٩٣
ابن كماشة، علي بن يوسف (ابو الحسن) ٤٤، ٧٢، ١٢١، ١٦١
ابن محيو، عبد المؤمن بن عمر بن عبد الحق ١١٣
(ابو محمد)
ابن مرزوق، محمد ابن احمد (ابو عبد الله) ٢٣٢

ابن مسعود، محمد بن علي ١١٦
ابن يفلوسن عبد الرحمان ١١٣
ابن يشت عبد العزيز بن احمد (ابو سلطان) = ٣٢٥
ابن برشيت
ابو البركات، محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي ٨٨، ٢٢٤، ٢٩٤
ابو ثابت، عامر بن عثمان بن ادريس الهنتاتي ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٧٠، ٩٢، ٩٥
ابو الحجاج، يوسف بن اسماعيل السلطان ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٠، ٢٢٥
النصري
ابو الحسن ، التلمساني ١٦٩
ابو الحسن، علي بن عثمان بن عبد الحق المريني ٤٠، ٧٣
ابو زيان، محمد بن ابي عبد الرحمان بن أبي ٣٩، ٤٠، ٦٧، ٧١،
الحسن (المريني)
ابو سعيد، عثمان بن يحيى ٢٢٠
ابو سعيد، محمد بن اسماعيل بن محمد، ١٦٤
البرميخو
ابو عبد الله بن بهجونة ٣٢٧
ابو معشر، جعفر بن محمد بن عمر البلخي ١٢٤
ابو نواس، الحسن بن هانيء ٢٠٩
ابو الوليد، اسماعيل بن فرج النصري ٢٧٦
اسماعيل بن يوسف (اخر الغني بالك) ١٣٥
انو شرران ٢٣١
ايوب (النبى) ٢٢٥

البـــــاء

البرابر ٦٦
البراض بن قيس الكناني ٢١٢
بطره بن الهنشة(Pedro el Grûel) ٧١
البطروجي، ابراهيم بن احمد ٧٤
بلج بن بشر ١٩٦

بنو امية ١١٩
بنو العباس ٧٤، ١١٩
بنو عبس ٢١٩
بنو عزون ١٦٩، ١٧٤
بنو كهلان ١٢٧
بنو مرين ٣٧، ٤٠، ١٩٨، ٢٢٠
بنو نصر ١٣٣، ٣٢٤

التـــاء

التبابعة ١٣٠
الترك ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٩٣، ٢٢٦
التطار ١٩٣، ٢٢٦

الجيـــم

الجنيد (ابو القاسم) بن محمد ٢٠٩

الخـــاء

الخليل بن احمد القراهبيدي ١٣٣

الـدال

داود (النبي) ٢٢٥
الدليل البركي ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٨

الـــــراء

ربيعة بن مكدم ٤٥
رضوان ابو النعيم (الحاجب) ١١٧، ١٣٥
الروم ٧٣، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٨، ٢١٠، ٣٠٥

الـــزاي

الزنج	٩٠
سجاج بنت الحارث التميمية	٢٩٣
سعد بن عبادة الأنصاري	٣٠٤
السكاك، علي بن ابراهيم (ابو الحسن)	٣٢٧
سليك بن سلكة	٢١٢
سليمان (النبي)	١٥، ٢٠٢، ٢٢٥، ٢٩٣
السموال بن حيان بن عاديا	٢٠٨

الشيـــن

شعيب بن يحيى بن شعيب	٧٣
الشريشي محمد بن محمد (ابو عبد الله)	٣١٠، ٣٢١
الششتري، علي بن عبد الله (ابو الحسن)	٢٣٨
شمس الدين (ابو عبد الله) ابن ابي ركب	٢٠١

الطـــاء

طارق بن زياد	١٢١
طويس، عيسى بن عبد الله	٧٢

العيـــن

عبد المؤمن بن عمر (ابو محمد) المريني	١٠٩
عبد المؤمن الكومي	٩٣
عروة بن حزام	٢١٦
علي بن علي بن احمد بن نصر	١٦٩، ١٧٤
عمر بن العجوز	٧٤

الغيـــن

الغريض	٩٣
الغز (الاغزاز)	٦٦

الغنى بالله، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر (ابو عبد الله) ٧١، ٧٢، ١١٨، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٩٤، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٢٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١١، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦.

الفـــاء

فرسان الثغر ١٦٨
فرسان الدخلة ١٠٩
فرسان نصارى السقيفة ٦٨
الفرنج ١٦٨، ١٩٣
الفضيل بن عياض (ابو علي) الفنديدي ٤٥

القـــاف

قبائل مدحج ١٣٠
الحارث ١٠٨
حمير ١٣٠
الخزرج ١٣٠
الخلط ٨٦، ٩٢، ١٠٨
الدياشمة(الجياشمة) ١٠٧
سفيان ١٠٨
سويد ٧٠
طسم ٦٤
عاد ٦٤
قبائل العاصم ١٠٨
عملاق ٦٤
قحطان ١٢٩
المصامدة ١٠٨
هنتاتة ٩٢

الهساكرة ١٠٧،١٠٩
قدار بن سالف ١٦٧
القرشي، محمد بن محمد بن عمر (ابو بكر) ٣٠٨
القطان، محمد بن محمد (ابو يحيى) ٣٢٧
قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ١٢٩، ٣٠٤

الكـــاف

كسرى انوشروان ٢٩٣، ٣٠٠، ٣١٢
كعب بن مامة ٢٣٥

الميـــــم

المجدولي، عبد الله بن محمد بن يحيى ٦٢
محمد (الرسول) = احمد = المصطفى = ابو القاسم الماحي ٣٣، ٤٧، ٦٢، ١١٨، ١٢٩، ١٣٣، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٤٤، ٢٨١، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٧
مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن بكر الوائلي ٢٩٣
معبد بن وهب ٦٦
منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب (ابو علي) المريني ٦٩
منصور بن محمد بن عمر الهسكوري ١٠٧
المنصور الموحدي ٢١٨
المهدي بن تومرت ٧١، ٩٣
الموحدون ١٦٢
موسى بن نصير ١٢١

النـــون

النباهي، علي بن عبد الله (ابو الحسن) ٧٢، ١٢١، ٢١٦، ٢٤٣، ٢٩٩
النبط ٩٠
النعمان بن المنذر ١٠٧

نوح (النبي) ١٦٤

الهـــاء

هارون الرشيد ٢٩٩
هند (جارية ابن خلدون) ٢١٠
هند بنت خارجة الفزازي ٢١٨

الـــواو

وانزمار بن عريف بن يحيى السويدي ٢٠٣،٧٠

اليـــاء

اليابانى، عمر بن عبد الله (ابو علي) ٣٥، ٦٥، ٩٦، ١٤٥
يبوسف بن محمد الغني بالله ١١٨، ١٢٧، ١٤٥، ١٥٣
يوسف بن الكناني ٣٩
يلبغا الخاصكي ٢٠٠

فهــــرس الأمـاكـــــن

(الهمـــزة)

أبدة (Ubeda) ٧٣

ابواب جيرون ٢٩٩

الأجرع ٣١٦

ارجذوته (Arjona) ١١٦

إغرم (Argron) ١٥١

المرية (Almeria) ١٦١، ١٦٩، ٢٣١، ٢٩٤، ٣٢٣،

الأندلس (Al-Andalus) ٤٤، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ١٣٥، ١٥٠، ١٦٤، ١٧١، ١٧٨، ١٨٠، ١٩٤، ٢٠٠، ١٣١، ٢٤٥، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٤.

اليــــرة (Illora) ١١٧

أسمـيــــر ٢٢٧

اشبيليـــــة (sevilla) ١١٩، ١٢٣، ١٤٩.

افريقيـــة (تونس) ٧٠

الأيالة الزيانية (تلمسان) ٦٩

ايوان كسرى (بالعراق) ٢٢١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٨

(البـــاء)

باب البنود (بغرناطة) ١٦٩

باب الحمراء ١٢٤

برجـه (Berja) ١٦٨

برجلونة (Barcelona) ١٢٢

بسطـــة (Baza) ٢٤٤

البلد الجديد (فاس الجديد) ٦٢

البلد(غرناطة) ١٦٩

بلاد الكفر (قشتالة) ١٢١

البلاد المراكشية ٨٧، ١٠٩.

البقيــــع ٣٠٢، ٣١٢.

بليـــش (Vélez Málaga) ١٤٨

بياســـة (Baeza) ٧٣.

(التـــاء)

تـــــازا ٦١، ٦٩

تافلفلـــت ٢٢٠

تالمغـــــت ٦٧

تامسنـــــا ٨٧، ٨٩، ٩٥، ١٠٩

تـــونـــس ١٦٢، ١٦٦.

تيط اقـــوران ٩١

(الثـــاء)

ثغر الطورون ١١٧.

(الجيـــم)

جبل الجــودي ٣٦

جبل الحمـــراء ١٢٤

جبل الفتح (Gibraltar) ١٥٠،١٧٨

جبال الفخار (Alfacar) ١٧٨

جنـــــوة ١٢٠،٢٧٨

جيـــــان (Jaén) ٧٣،١١٩.

(الحـــاء)

حاجـــر ٢٣٠،١،٣٠،٣١٣.

الحجـــاز ٢،٠٧،٣،٦،٣٠،٣٢،٣٢١

حـــزن ١٩٧

حصن اشر (Iznájar) ١١٦

حصن الحمية (Alhama) ١١٩،١٤٨

" انتقيرة (Antequera) ١١٦،١١٩،١٤٨،١٧٨،١٧٢

" برغـة (Burgos) ١١٧،١٢١

" بني بشير (Benamejí) ١١٦

حصن تلش (Tolox) ١١٨

" ذكـوان (Coín) ١١٨

" السهلة ١١٦

" الصخـرة ١١٦

" صالحة (Zalia) ١١٦،١٤٨

" فردالش (Ardales ١١٧

" قاشره (Castro) ١١٥

" قرطمة (Cártama) ١١٨

" قصر بنيرة (Casarabonela) ١١٧

حصن قنط (Canet de las Torres) ١١٧

حصن اللقــون (Alicún)	١٧٨،١٧٠
" ملتماس (Bentomiz)	١٤٨
" منتفريد (Montefrío)	١١٧،١١٦
" ميجش (Mijas)	١١٨
الحضرة (فاس)	٦٩
الحضرة الأندلسية (غرناطة)	٢٠٩،٢٠٨،١٥١،١٥٠ ،١٣٦،١١٧
الحضرة التونسية (تونس)	١٦٦
الحطيـم	٣٠٢،٢٠٢
الحمـــراء (قصر)	.١٧٧،١٤٨،١٢٢
حلـــب	٢٤٠
حمـــص	٢٤٠

(الخـــــاء)

خنـــدق هـــارون	٨٩

(الــــدال)

دجلة (نهر)	٣٢٤
داريـــــــن	٢٠٧
دار الصنعة (باشبيلية)	١٤٩
دشار البوير	٢٨
دشار الزاوية (ماغوس)	٩٠،٨٩
دشار مكول	٩٥،٨٩
دمشق	٢٩٩

(الــــراء)

ربض البيازين (Albacín) ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥

رباط الفتح ٢٢٧

رامــة ٢٩٩

رنــدة (Ronda) ٧١، ٧٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٤٨، ١٦١، ١٦٧

رياض الشيخ (بسلا) ٢٢٧

ريــــه ١٢٥، ١٧٢

رومـــة ٣٠١

(الــــزاي)

الزاوية العليا (بسلا) ٢٢٧

زمزم ٢٠٢

(الســين)

سبتة (Ceuta) ١١٩، ١٥٠، ١٦٢

سجلماسة ٦٢

ساحل غساسة ٦٩

ســلا ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٩٦، ١٠٩، ١١٨، ١٥١، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١

سهيــــل (Fuengirola) ٢٢٤

(الشيــن)

الشعــراء(عيــن)	٨٩
الشـــام	١٥٢،٢٩٨،٣٠٠،٣٠٢،٣٠٣
شلة	٢٢٧

(الصـــاد)

صنعـــاء	٦٢
صـــول	١٩٧

(الطـــاء)

طريـــف (Tariga)	١٦٧
طيبـــة	٢٩٦،٣١٢،٣٢١،٣٢٣

(العيـــن)

العذيب(باليمامة)	١٢٦
العــراق)	١٢٩،١٥٢،٢٠٧
عكـــا	٢٤٠،٣٠٢

(الغيــــن)

غبــــولا (عين) ٨٥

غرناطـة (Granada) ٣٧، ١١٩، ١٣٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٣، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤

الغــور(تهامـة) ٢٩١،٢٩٩.

(الفـــــاء)

الفــرات(بالعــراق) ٢٦٣.

فارس ٣٠٠، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٣

فــاس ٦١، ٦٢، ٦٩، ٨٨، ١٠٩، ١٢٨، ١٣٥

(القــــاف)

قبــــا ٣٠٣

قرطبـة (Córdoba) ١١٩

قشتالـــة (Castilla) ٧١، ١١٥، ١١٦، ١٤٩، ١٥١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣.

القصبة (بمالقة) ١٤٨

قصر الحمــراء ١٢٢

قلعة الحمــراء ١٢٣، ١٧٠

القنب جاغر (Campojagal) ١٥١

قنب قيس (Quempe) ١٥١

القيروان ٧٣، ١٦٧

(اللام)

لوشة (Loja) ١١٦،١٤٨،١٦٢

اللوى ٢١١

(الميم)

المدينة البيضاء (فاس) ٦٩،٨٧

مراكش ٨٥،٨٧،٩٥،١٠٩

مارتش (Martos) ٧٣

مرج الحضرة ١١٧

مرسية (Murcier) ١١٩

مصر ٧٥،١٩٢،٢٠٠.

المغرب ٧٠، ٧١، ٧٢، ١٦١، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢٠، ٣١٢

مالقة (Málaga) ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٤٨، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٩٥، ٣٢٦

مكة ٢٣١، ٢٤٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٣، ٣٢٤

مكناسة ٦١، ٨٨، ١٠٩،

المنار (بمراكش) ٩٥

منى ٣٠٢

(النون)

نجد ٢٣٠، ٣٠١، ٣١٣

(الهـــاء)

الهنـــد	٣٠١

(الـــواو)

وادي اش (Guadix)	٧٣، ١١٥، ١٦١، ١٦٤، ١٦٩، ١٧١، ١٩٨
وادي شنجل (Genil)	١١٦
القبط (الغبط)	٢٢٧
الوادي الكبير (Guadalquivir)	١١٨
ولاتـــه	٤٥
وادي العقـيق	٣٠٢

(اليـــاء)

يثـــرب	١٧٧، ٢٣١، ٣١٤، ٣٢١

فهـــرس الأشعـــار

صدر البيت	قافيته	عدد الأبيات البحر	الشاعر	صفحة
		(الهمزة)		
مبنى اغر	السراءُ	٢٨ الكامل	ابن خاتمة	٣١٩ ـ ٣٢٠
لا تظهرن	الضراءِ	٢ الكامل	ابو علي الشبل	٢١٥
سيدي	جفائي	٢٨ الخفيف	ابن الخطيب	٦٦
		(الباء)		
اني له	تعبا	١ البسيط	ابراهيم بن سهل	٢١٢
دعاني	أثبِ	٤٦ الطويل	النباهي	٢٩٩ ـ ٣٠١
لولا ادكاري	التسكابِ	٥٦ الكامل	ابو جعفر بن جزي	٢٩٥ ـ ٢٩٧
		(التاء)		
الا بتي	فتّا	٣٧ الوافر	ابو عبد الله الشريشي	٣١٠ ـ ٣١١
هم اسكنونا	وأكنّتِ	٢ الطويل	ابن الخطيب	٨٨
انك لا تشكو	أومُتِ	١ الرجز	----------	٢١٣
مولاي	رمَتْ	١٠ البسيط	ابن الخطيب	٢٨٠
ساعة	وافترضَتْ	١٠ الرمل	ابن الخطيب	٢٨٠
مولاي	تجلَّتْ	١٠ المجتث	ابن الخطيب	٢٨١ ـ ٢٨٢
		(الثاء)		
بشا ننقل	البراغيثا	٢ البسيط	ابن الخطيب	٩٥
ومرت	الخبيثُ	٢ المتقارب	بشار بن برد	٢١١

(الجيم)

يا طالب	فَـاجَــا	١١ الكامل	ابن الخطيــب	٢٢٣
هذه ثمان	للحِجــا	١٠ السريـع	ابن الخطيــب	٢٨٣
ماذا أحدث	ولا حـرَجٌ	٤ البسيـط	ابن الخطيب	٩٥
وافتــك	ألا بلّجِ	٩٠ الكامل	ابو اسحاق ابن الحاج	١٢٨ ـ ١٣١

(الحــاء)

اهل ســلا	رائحـهْ	٢ السريـع	ابن الخطيب	٩٦
مر الذباب	جناحَـهْ	٤ الكامــل	ابنالخطيب	٤٤
تغيـرت	قبيــحُ	١ الوافــر	ايشت بن آدم	٨٥
ما على القلب	جنــاحِ	٩٦ الخفيـف	ابن الخطيـب	٢٩١ ـ ٢٩٤

(الـدال)

الا ارتقبوا	ابن الهدَى	٣٩ الطويـل	ابو اسحاق بن الحاج	١٥٣ ـ ١٥٤
بذا قضـت	فوائـــدُ	١ الطويـل	المتنبـــــي	١٠٨
انت فــي	يبْـــدو	١٠ مج. الرمل	ابن الخطيــب	٢٤٣
لقد زالـت	والنجْـدُ	٩ الطويـل	ابن الخطيــب	٦١ ـ ٦٢
كما شيكم	الوعْــدُ	٣ الطويـل	ابن الخطيــب	٤٤ ـ ٧٢
لي اللـــه	وتعتـدِي	٤ الطويـل	ابن الخطيــب	٢٢١
نايــــت	لم يتورّدِ	٢٣ الطويـل	ابو اسحاق بن الحاج	١٢٦ ـ ١٢٨
اهاجتــك	مشهـد	٨٠ الطويـل	ابن الخطيــب	٩٢ ـ ٩٤
جاء العذار	محـدودِ	٢ البسيـط	ابن الخطيـب	٢٢٥
ماغــض	العــودِ	٢ البسيـط	ابن الخطيــب	٢٢٥
لقد ناديت	تنــادي	١ الوافــر	————	٢١٣
الله يعلـم	مُزْبـدِ	٣ الكامـل	عروة بن حـزم	٢١٦

(الـراء)

مبــارك	سيـرَه	٤ الطويـل	ابن الخطيــب	٩١
يا من يعيد	محصـورَهْ	٤ الكامــل	ابن الخطيــب	٢٣٢
اوصيــك	مكــرَهْ	٢ السريــع	" "	٢١٠

برابعـــة	أخبَـــرُ	٩ الطويــل	ابن الخطيب	٢٨١
نرى الســوء	أكثــرُ	٢ الطويـلُ	الأمير عبد الرحمان	٩٧
كانا بتامسنا	يقصــرُ	٢ الطويــل	ابن الخطيــب	٩٥
بتافلفلت	الاثيــرُ	٢ الوافــر	• •	٢٢٠
وجه الزمـان	تُـــدار	٤٤ الكامــل	ابو بكر بن قطبة	١٣٤ - ١٣٥
يا مـــن	يشـــارُ	١٠ الكامــل	ابن الخطيــب	٢٨٤
يابن الخلائف	حاصِــرُ	١٥ الكامــل	• •	٣٩ - ٤٠
الله أكبــر	أفكـــارُ	٢٤ الكامــل	ابو البركات بن الحاج	٢٩٤ - ٢٩٥
هدم السد	غدارُ	١٥ الخفيف	ابن الخطيـــب	١٦٧
هنيئـــا	الفجْــرِ	٣٧ الطويل	ابو اسحاق بن الحاج	١٧٧ - ١٦٨
ايا سبع	الدهــرِ	٦ الطويــل	ابن الخطيــب	٤٣
وان تعددت	الظفَـــرِ	١ البسيــط	ـــــــــــــ	٢١٢
وأبـــرحْ	الديـــار	١ الوافــر		٢٠٥
انكـــرت	نظـــري	٢ المنسرح	ابن الخطيــب	٢٢٥
مـــولاي	الوطــرْ	٨ مج. الكامل	ابن الخطيــب	٢٢٦

(الـــزاي)

قال جــوادي	أعْجَزَهْ	٢ مج. الرمل	ابن الخطيــب	٢٢٤

(الســيــن)

تكـــرش	فانْفَلَســـا	٢ الطويل	ـــــــــــ	٢١٤
اخجلتنـــي	نفْـــسِ	٦ الكامــل	ابن الخطيــب	٢٢٠
غضـــب	تيـــسِ	٢ الكامـــل	ابن الخطيــب	٢١٩

(الشيــن)

قيل ماتت	كماشـــهْ	٣ مج الرمل	ابن الخطيـــب	٤٤

(الضاد)

حظيـتَ	الأرْضِ	٣٤ الطويــل	ابو اسحاق بن الحاج	١٣١ - ١٣٢

(الطاء)

ماذا لقينا	الشرْطِ	٨ البسيط	ابن الخطيب	٩٠

(العين)

وإنما المرءُ	وعَى	١ الرجز	ابن دريد	٤٦
لا تجمعي	سريعْ	١ الكامل	________	٢٢٩
دعْها	الأدْمُعِ	٤١ الكامل	ابو بكر بن قطبية	٣١٦ ـ ٣١٧
لُم في الهوى	أسماعي	٢ السريع	ابن الخطيب	٢٢٨
يا منْ إذا	الوداعْ	٢ السريع	ابو البركات	٨٨
خَدَعَ	وارتدع	٤٩ الرمل	ابن الخطيب	٢٢٦ ـ ٢٢٨

(الفاء)

خليفة	الخليفهْ	٥ المجتث	ابن الخطيب	٢٢٦
تعقف	ملتفّ	٢ الطويل	________	٢١٤
سبع	خلّفِ	١٠ البسيط	ابن الخيب	٢٨٢ ـ ٢٨٣

(القاف)

لمن علم	أفاقُ	٦٠ الطويل	ابن الخطيب	٦٢ ـ ٦٤
أنوار	تشرُقُ	٢٥ الكامل	ابن صفوان	١٢٥
وإذا امرؤ	يفرقُ	١ الكامل	ابن عبد القدوس	٢٢٩
القلب	منطقُ	٥٨ الكامل	ابن يشت	٣٢٥ ـ ٣٢٧
يا نسيم	من راقِي	١٤ الخفيف	ابن الخطيب	٢٨٤

(الكاف)

ابى الله	ملِكُ	٤٩ الطويل	ابو عبد الله الشريشي	١٣٢ ـ ١٣٤
عرصات	السالِكُ	١٥ البسيط	ابن الخطيب	٤٥
لا ترج	أيدكْ	٥ السريع	ابن الخطيب	٣٥
يا قاضي	شمَنسِك	٢ السريع	" "	٢١٧
قلت	مفتَكْ	٢ الخفيف	" "	٤٤

(اللام)

جعلت	كـلا	٦ الطويل	ابن الخطيب	٢٢٣
نفس	عليلا	٦٣ الكامل	ابن زرقالة	٣٢٣ـ٣٢٥
ارفعه	اسفله	٢ السريع	———	٢١٣
انظر	انفصلا	٣ المنسرح	ابن الخطيب	٢٢٦
ايا سبع	المناصل	٥ الطويل	ابن الخطيب	٤٣
الحق	لايسأل	١ الكامل	" "	١٥١
شط	التعليل	٧٩ الكامل	ابن سودة	٣٢٠ـ٣٢٢
حللت	والسهل	٤ الطويل	ابن الخطيب	٢٠٩
وسرنا	إذلال	١ الطويل	امرؤ القيس	٢١١
بنفسي	بالي	٢ الطويل	———	٢١٤
خليلي	قبلي	١ الطويل	———	٢١٢
ما بين غمضة	حال	١ البسيط	———	٢٣٠
مولاي	الآل	٢٤ البسط	ابن الخطيب	٢٢٢
ودعت	حالي	٨ البسيط	" "	٢٢٠
فكان	العليل	١ الوافر	———	٢٢٨
شريف	بكلكل	٢ طويل	ابن الخطيب	٢٢٤

(الميم)

تامل	تعلما	٨٧ الطويل	ابن زمرك	٣٠٥ـ٣٠٨
رعى	غراما	١٢٨ الطويل	ابو اسحاق بن الحاج	٣٠١ـ٣٠٥
ايحسدني	زكاما	٣ الطويل	———	٢١٤
مررت	وتكلما	٢ الطويل	ابن الخطيب	٢٢٥
ما تم	السلامة	٦ مج. الكامل	ابن الخطيب	٢٣٥
قسما	عاتمة	٢ مج. الخفيف	ابن الخطيب	٢٢٤ـ٢٢٩
نار	سقام	٣٧ الكامل	ابن عبد الملك	٣١٥ـ٣١٦
ومدحي	رسم	٣ الطويل	ابن الخطيب	٤٦
أمولاي	اعلامي	١٠ الطويل	ابن الخطيب	٢٨٣
حكموا	المختوم	٣ الكامل	———	٢١٥
نزلنا	الحرام	٤ المديد	ابن الخطيب	٩٢

(النون)

وقالوا	رقطونا	١ الطويل	ابن الخطيب	٩٥
بك الخطط	ومغنّى	٨ الوافر	ابن الخطيب	٣٧
حلفَ	يمينَا	١٠ الخفيف	ابن الخطيب	٢٨١
يادرةَ	مضمونهْ	٢ السريع	" "	٢٢٥
سالت	ما افطنه	٢ المتقارب	" "	٢٢٣
علقتُ	والحدثانِ	٣ الطويل	ابو نواس	٨٧
هنيئا	الشاني	١٢ الطويل	ابن الخطيب	١٥١
ثرى	بلا ميْنِ	٢ الطويل	ابن الخطيب	٩٥
شاهِدْ	زين	١٤ البسيط	" "	٢٢١
حيٌ	ويظميني	٦١ البسيط	ابن خلدون	٢٩٧ - ٢٩٩
مولاي	الزمان	١٠ مج. البسيط	ابن الخطيب	٢٨٢
أسمي	عَرينِ	٢ الكامل	" "	٢٢٠
ابقاك	سلطان	٢ الكامل	ابن الخطيب	٨٦
جاد	أجفاني	٣٥ الكامل	ابو القاسم بن حميد	٣١٨ - ٣١٩
ولو نعطي	الزمان	١ الكامل	————	٢٢٩

(الهاء)

طعنت	أضاءَها	١ الطويل	قيس بن الخطيم	٢١٢
دعوها	نزوعَها	٤٠ الطويل	ابن حسان	٣١٣ - ٣١٥
نفس	سواهَا	٤٤ الكامل	ابو القاسم بن قطبة	٣١٢-٣١٣
ثرى	وَهَى	٢ السريع	ابن الخطيب	٩٠
أسوار	أهليها	٢ المنسرح	ابن الخطيب	٩٦
اذا لم	اجتهادَهْ	١ الطويل	ابو فراس الحمداني	٢١٣
يحيي	تحددُهْ	٥١ البسيط	ابو بكر القرشي	٣٠٨ - ٣١٠
ايا عمر	بدينهِ	٥ الطويل	ابن الخطيب	٩٦
يا حسنه	بانيهِ	٤ البسيط	" "	٢٢١
حنت	أشباه	٦٩ الكامل	ابن الخطيب	٦٥
ياوارث	بذرهِ	الكامل	ابن الخطيب	٧١

عدمت	نفسه	٢ السريع	———	٢١٤
والشكر	يديْه	١ مج. الكامل	ابن الخطيب	٢٢٥
وهدية	لديْه	١ " "	ابو بركات	٢٢٤
وقد كان	إليه	١ " "	ابن الخطيب	٢٢٤
لله من	عليه	١ " "	ابو بركات	٢٢٤
قالوا	التنويه	٢ الكامل	ابن الخطيب	٧١

(الواو)

من طلب	مساوي	٨ مج. البسيط	ابن الخطيب	٤٥

(الياء)

اقول	داهيَة	٢ الطويل	———	٢١٤

الزجل

افرحو وطيبو / قد مضى عدو الله / وانجبر حبيبو	٢٢٤ ـ ٢٤٥
البعد عنك يا بن اكبر مصايبي / وحين حصل قربك سيب اقاربي	٢٤١ ـ ٢٤٢
من عول على صقل / ولم يلتفت عقل / واتحذق اذ ينتلف / فصل يتحقق	٢٣٨ ـ ٢٣٩
انا لس نضمن ابدا لمدكا / ولا يلطم ظهري بمحكا	٢٤٠ ـ ٢٤١
بي طلوع وبي نزول / اختلطت الغزول	٢٣٩ ـ ٢٤٠
در بحال الرحي / حتى لس يبق عندك / يا بن في الحي حي	٢٤٢ ـ ٢٤٣

فهـــرس الرســـائــل والقطـــع النثريــــة

		رقم الصفحة
١) ابن خاتمــــــة	رسالة الى ابن الخطيـــــب	٢٣٠، ٢٣١
٢) ابن الخطيـــــب	اجـازة لولدي ابن رضوان	٤٧، ٤٨
٣)	خطبـة على لسان الغنـي بالله	١٧٩، ١٨٠
٣)	رسالة الى ابـن خاتمــــــة	٢٢٨ـ ٢٣٠
٤)	رسالة الى ابـن خلــــــدون	٢٠٨ـ ٢٦٩
٥)	رسالة الى ابن خلــــــدون	٢١٠ـ ٢١٦
٦)	رسالة الى ابـن مـــــــرزوق	٢٣٢ـ ٢٣٧
٧)	رسالة الى أبي اسحاق بن الحاج	٢١٦، ٢١٧
٩)	رسالة الى أبي اسحاق بن الحاج	٢١٧ـ ٢١٩
١٠)	رسالة الى ابي ثابــــت عامـــــر	٣٦، ٣٧
١١)	رسالة الى أبي ثابــــت عامـــــر	٤٢، ٤٣
١٢)	رسالة الى أبي زيـــان المرينـــــي	٣٩ـ ٤١
١٣)	،،......،،......،،......،،......،،	٨٦، ٨٧
١٤)	،،......،،......،،......،،......،،	٢٠٦، ٢٠٧
١٥)	رسالة الى أبي سعـيد بن رشيــد	٣٧ ـ ٣٩
١٦)	رسالة الى أبي القاســم الفخــار	٢٣١
١٧)	أحــــــــد الجــــلـــــــة	٢٠٧، ٢٠٨
١٨)	رسالة الى أحد الفضـــــــــلاء	٢٠٨
١٩)	رسالة الى عمر بن عبد اللـــــه	٣٥، ٣٦
٢٠)	،،.......،،.......،،.......،،.......،،.	٤١، ٤٢
٢١)	،،.......،،.......،،.......،،.......،،.	٩٦، ٩٧
٢٢)	رسالة الى شمـس الدين بن أبي ركب	٢٠١، ٢٠٢

٢٣)	رسالة الى الغنـي باللـه	١٥٢،١٥١
٢٤)	رسالة الى مبارك بن عطيـه	٤٦،٤٥
٢٥)	رسالة الى يحيي بن رحـو	٣٧
٢٦)	رسالة الى يوسف بن الكناني	٣٩
ابن الخطيـب :	رسائل على لسان الغني بالله الى :	
٢٨)	ابن تافراجيـن	١٦٦،١٦٢
٢٨)	- ابن قـلاون	٢٠٠،١٩٣
٢٩)	- أبي زيـان المرينـي	١٥٦،١٥٤
٣٠)	- "....."....."....."....."	١٧٦،١٧٠
٣١)	- بغـا الخاصكـي	٢٠١،٢٠٠
٣٢)	- وانزمـار بن عريـف	٢٠٥،٢٠٣
٣٣) ابن الخطيـب	رسالـة على لسـان يوسف الى أبيه الغني بالله	٢٠٦،٢٠٥
٣٤) ابن خلـدون	رسالة الى ابن الخطيـب	٢٠١،٢٠٩
٣٥) أبو زيان المريني	رسالة الى الغني بالله لم يذكر كاتبها	١٤٧،١٤٦
٣٦) "...."......."	ظهير منه لابن الخطيب لم يذكر كاتبه	٦٨،٦٧
٣٧) "...."......."	".....".......".......".......".."	٦٩،٦٨
٣٨) الغني باللـه	رسالة الى ابنه لم يذكرها كاتبـهـا	١١٩،١١٧
٣٩) "....."......"	رسالة الى ابن الخطيـب لم يذكر كاتبها	١٤٨،١٤٧

فهـــــرس الآيـــــات القــــرآنيـــــه

السورة ورقمهـا	رقم الآية	الآيـــــــة	صفحـــة
آل عمران ٣	١٨٥	وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور	١٥٠
الأحــزاب ٣٣	٢٣	فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديـــلا	٤١
الأعـــراف ٧	١٩٩	خذ العفو وامر بالمعروف	٦٤
الأعــراف ٨	٨٩	ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق	١٧٥
الأعـــراف ٧	١٣٩	ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون	١٧٦
الأعلـــى ٨٧	١٧	والآخــرة خير وأبقـــــــى	٣٨
الأنعـــام ٥	١٢٢	بنور يمشـــي به في النـــاس	٨٦
الأنفـــال ٨	٧	ويريد الله ان يحق ويقطع دابر الكافرين.	١٦٦، ١٩٩
الأنفـــال ٨	١٧	وما رميت اذ رميت ولكن الله رمـــــى	٢١٥
ابراهيـــم ١٤	٣٨	ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله شيء في الأرض ولا في السمـــاء	١٧٦
البقــرة ٢	٢٥٨	فبهت الذي كفـــر	١٢٠
البقـــرة ٢	٢٠١	ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض	١٦٦
البقــرة ٢	١٨٥	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العســر	١٧٨
التحريـــم ٦٦	٦	لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمنون	٢١٨
التغابــن ٦٤	١٧	وان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم	٢٨٠
التوبــة ٩	٤٨	وظهــر امر الله وهم كارهون	١٧٣
التوبــة ٩	١٢١	ولا يقطعون واديـــــا	٢٠٨
الحج ٢٢	٢٣٧	انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور	١٧٣

الحديد ٥٧	٢٣	كيلا تاسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم	٢٢٨
الحديد ٥٧	٢	فهو على كل شيء قديـــر	٢٣٢
الرعـد ١٣	١٦	فهو الواحد القهـــار	٢٢٦
(ص) ٣٨	٦٧	قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون	٢٣٦
الضحـى ٩٣	٢	والضحى والليل اذا سجـى	٢١٨ـ٢٨٣
الطـلاق ٦٥	٧	سيجعل الله بعد العسر يسـرا	٢١٣
طــه ٢٠	٩٩	كذلك نقص عليك ما سبق وقد اتيناك من لدنك ذكرا	١٩٧
عبـس ٨٠	٣٨	وجوه مسفـرة ضاحكة مستبشـــرة	١٩٥
العنكبـوت ٢٩	٦٤	الدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون	٣٤
الغاشيـة ٨٨	٩ ـ ١٣	في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعـــــة	٢٠٧١
غافـر ٤٠	٣٩	ودار الآخرة دار القرار.	٢٠٤
فاطــر ٣٥	١٤	ولا ينبئـك مثل خبيـــر.	١١٩
الفلق ١١٣	٢	ومن شر ما غاسق اذا وقب.	٢٠٨،٢١٨
القصص ٢٨	٢٨	وبرك يخلق ما يشاء ويختار.	٢٣٠
القمـر ٥٤	١	اقتربت الساعة وانشق القمـر.	٢١٥
الكهف ٢٩	٤٥	انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذوره الرياح	٣٣
لقمـان ٣١	٣٤	وما تدري نفس ما تكسب غـدا	٢٠٧
المجادلة ٥٨	١٩	اولى ثم أولى له اولئـك حزب الشيطان الا أن حزب الشيطان هم الخاسرون.	٢٣
المجادلة ٥٨	٢٢	اولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون	٣٤
النحل ١٦	١٨	وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها.	
النساء ٤	٦٦	ولو انا كتبنا عليكم ان اقتلوا انفسك او اخرجوا من دياركم ما فعلوه.	١٥٢
النساء ٤	١٠٦	واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما	١٧٩
النساء ٤	٢٢	وان تجمعوا بن الأختين الا ما قد سلف.	٢٢١
النمـل ٢٧	١٧ ـ ١٨	حتى اذا اتوا على واد النمل....	٢٢٥
النـور ٢٤	٤٤	ان في ذلك لعبرة لاولي الأبصار.	٢٧٥

النور ٢٤	٣٦	في بيوت اذن اله ان ترفع.	٢٠٧
النور ٢٤	٣٥	مثل نوره كمشكاة فيها مصباح	٢٩٢،٢٠٩
الهمزة ١٠٤	١	ويـــل لكـــل هـمـــزة	٢٢٤
الواقعة ٥٦	٣٠	الظل الممدود ...	٢٧٦
يوسف ١٢	٦	ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق. ان ربك حكيم.	١٧٩
يوسف ١٢	٨٦	وانما اشكو بثي.	٢٢٩،
هـــود ١١	٤٦	يا نوح ليس من اهلك	١٦٤

فهـــــرس الأحاديـــث النبويــــة

الأرواح جنـــود مجنـــدة	١٦٣
اكثروا من ذكر هادم اللـــذات.........	٣٤
انما الأعمال بالنيات	٣٦
انما الأعمال بالخواتيـــم	٢٠٤،١٦٤
تهادوا تحابـــوا	١٥٥
قال ما الحج ؟ قال : العج والثج	١٩٣
المسلت الذي سقط على الحميم......	٢٠٢
هدنة على دخــــن	١٦٨
واذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره...	١٠٨
ولتنظر نفس ما قدمت لغد...........	٣٤

فهـــرس الامثــــال

١) اجود من كعب بن مامـــــة (٢٣٥).

٢) الأخذ سريط والقضـاء ضريـط. (١٧٠)

٣) اشأم من طويـــس (٧٢).

٤) اشعب الطمـــع (١٢١).

٥) الألمعـــي (٩٣).

٦) انفـك منك وان كان اجـــدع (٧٤)

٧) اذا ما لم تكن ابل فمعـــزى (٧٢، ٢٠٢).

٨) ارعـــاد وابـــراق (٦٤).

٩) اليك يساق الحديـــث (٢١١)

١٠) انك لا تشكـو الى غير مصمت (٢١٣)

١١) بـرح الخفـــاء (٣٢٥)

١٢) اتخـذ الليل جمـــلا (٨٦، ١٢١)

١٣) تضـرب في حديـد بـارد (٢١٣).

١٤) جلدة بيـن العيـن والأنـــف (١٦٨).

١٥) الحـــديث ذو شجـــون (١٢١).

١٦) حضر قضهم وقضيضهـــم (١١٧، ١٩٩).

١٧) رجـــع ادراجـــه (٧٤).

١٨) صرح المخـض عن الزبـــدة (١٢١).

١٩) صهـــب السيـــال (١٩٥)

٢٠) ضيـــق العطـــن (٣٩)

٢١) شـــالت نجامتهـــم (١٦٥، ١٩٩)

٢٢) العصا من العصيـــة (١٦٢)

٢٤) عند الصباح يحمد القوم السرى (٣٨، ٨٩)

٢٥) عن المرء لا تسل واسال عن قرينه (٢٠٧)

٢٦) فتكـــة البـــراض (٢١٢)

٢٧) قد اسمعت لو ناديـت حيـا. (٢١٣)

٢٨) لا تجود يـد بمـا لا تجـد (٢٠٢)

٢٩) ليس هذا بعشك فادرجي ـ (١٣٠)

٣٠) ما أشبه الليلة بالبارحة 〃 (٣٣)

٣١) ما عدا عما عدا 〃 (١٩٥)

٣٢) مالي بالسانح بعد البارح 〃 (٢١٦)

٣٣) من أيقن بالخلف جاد بالعطية 〃 (١٥٤)

٣٤) من نهشته الحية حذر الرسن. 〃 (٢٢٩)

٣٥) نافخ ضرمة. 〃 (١٠٩)

٣٦) النذير العريان. 〃 (١٠٨)

٣٧) هدنة على دخن. 〃 (١٦٨)

٣٨) الهياط والمياط . 〃 (٢٣٦)

٣٩) وتد في قاع. 〃 (١٧٥)

٤٠) وجدت خرقاوه صوفا . 〃 (١٦١)

٤١) وافد البراجمة. 〃 (١٠٧، ١٢٢)

٤٢) ولو ترك القطا ليلا لناما . 〃 (٢٢٩)

٤٣) وما قلت الا بالذي علمت سعد. 〃 (٤٤)

٤٤) وعين الرضي عن كل عيب كليلة. 〃 (٢٢٩).

٤٥) ونجا براس طمرة ولجام. 〃 (١٢٢)

٤٦) ويأتيك بالأخبار من لم تزود. 〃 (٩٣)

٤٧) يحصد الانسان مازرع. 〃 (٢٢٨)

٤٨) ياكل من هرى ويشرب من بير. 〃 (٨٩)

٤٩) يكثر الطير حيث ينتثر الحب. 〃 (١٩٦).

فهرس مؤلفات ابن الخطيب المذكورة في المتن

	رقم الصفحة
١ - الإحاطة	
٢ - ارجوزة في أصول الفقه	٤٧
٣ - ارجوزة في الأغذية	٤٨
٤ - ارجوزة في التاريخ الاسلامي	٣٣
٥ - ارجوزة في السياسة	٤٨
٦ - ارجوزة في العلاج	٤٨
٧ - الصيب والجهام	٤٨
٨ - طرفة العصر	٤٨
٩ - عائد الصلة	٤٨
١٠ - عمل من طب لمن حب	٤٨
١١ - الكتاب اليوسفي	٤٨
١٢ - نفاضة الجراب	٤٨
* اللمحة البدرية	٣٣-٣٤
الاشارة ادب الوزارة	٩٧

فهرس المصادر والمراجع

المصادر العربية

ابن أبي الضياف، أحمد: (١٢٩١ هـ /١٨٨٤م)

«اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»، تحقيق لجنة من كتابة الدولة والشؤون الثقافية والأخبار، تونس ١٩٦٣-٦٤، ٦ ج.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م):

- «الكامل في التاريخ» بيروت ١٩٦٥، ١٣ج.
- «اللباب في تهذيب الأنساب»، بيروت ١٩٨٠، ٣ج.

ابن الأحمر، اسماعيل بن يوسف بن محمد الأنصاري الخزرجي (ت ٨٠٨ /١٤٠٥م).

«ذكر بعض مشاهير أعيان فاس القديم» نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط، ١٩٧٦

- «روضة النسرين في دولة بني مرين»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٢.
- «مستودع العلامة ومستبدع العلامة»، تحقيق محمد التركي ومحمد الطنجي، تطوان ١٩٦٤.
- «نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان»، تحقيق رضوان الداية، بيروت ١٩٦٧.
- نثير الجمان في شعر من نظمني واياهم الزمان»، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦.

ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ/٧٦٨م) :

«سيرة ابن اسحاق المسماة كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي»، تحقيق محمد حميد الله، الرباط ١٩٧٦.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (كان حيا سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨ـ١٣٦٩م):

«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت ١٩٧٩ـ ٢ج.

ابن جابر، الوادي اشي شمس الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) :

«برنامج ابن جابر الوادي اشي»، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس١٩٨١

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الفارسي ثم القرطبي (ت ٤٥٦/١٠٦٤م)

«جمهرة انساب العرب»، نشر ليفي بروفنسال، مصر ١٩٤٨.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي (كان حيا سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م) :

«صورة الأرض»، بيروت (د. تا).

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) :

«المقتبس في أخبار بلد الأندلس»، ج ٢، تحقيق محمود مكي، القاهرة ١٩٧١

ج٣، نشر ميلتشو انطونيا، باريس ١٩٣٧

ج٥، تحقيق شالميتا، كورينطي ومحمد صبح، مدريد ١٩٧٩.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

- «الإحاطة في أخبار غرناطة»، نشر محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٣ـ١٩٧٧، ٤ج.

- مختصر الإحاطة» مخطوطة الأسكوريال، سفران رقم ١٦٧٣، ١٦٧٤.

- مخطوطة الأكاديمية التاريخية بمدريد تحت رقم ١٤٢.

- «الإشارة الى أدب الوزارة تليها مقامة السياسة»، تحقيق محمد كمال شبانة، الرباط ١٩٨٠.

- «أوصاف الناس في التواريخ والصلات تليها الزواجر والعظات، تحقيق محمد

كمال شبانة، نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث بين المغرب والإمارات العربية (د. تا).

- «كتاب اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام»، ج٢، نشر ليفي بروفنصال، لبنان ١٩٥٦.

ج٣، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء ١٩٦٤.

- «جيش التوشيح»، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماخور، تونس ١٩٦٨

- «ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام» تحقيق الشريف قاهر، الجزائر ١٩٧٣.

- روضة التعريف بالحب الشريف»، تحقيق محمد الكتاني، بيروت ١٩٧٠، ٢ج.

- «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب»، نشر محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٨٠، ٢ج

- «ريحانة الكتاب»، مخطوطة الأسكوريال، رقم ١٨٢٥.

- «الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»، تحقيق احسان عباس، لبنان ١٩٦٣.

- «كناسة الدكان بعد انتقال السكان»، تحقيق محمد كمال شبانة، القاهرة (د. تا)

- «اللمحة البدرية في الدولة النصرية»، تحقيق محب الدين الخطيب، ط٢، بيروت ١٩٧٨.

- «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار»، تحقيق محمد كمال شبانة المغرب ١٩٧٧.

- «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، ج٢، تحقيق احمد مختار العبادي، القاهرة (د. تا).

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦) :

«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٣، نشر عبد الكريم وحسن الزين، بيروت ١٩٦٧، ٧ج..

- «مقدمة ابن خلدون»، تحقيق عبد الواحد وافي، نشر عبد الكريم وحسن الزين، بيروت١٩٦٧، ٧ج.

- «مقدمة ابن خلدون»، تحقيق عبد الواحد وافي، نشر البيان العربي ١٩٦٥.

ابن خلدون، أبو زكريا، يحيى (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م)

«بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد»، تحقيق وترجمة الى الفرنسية الفريد بيل، الجزائر ١٩٠٣، ٢ج. ج ١. ط٢ تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر ١٩٨٠.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن ابراهيم البرمي الأربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢) :

«وفيات الأعيان»، نشر محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨، ٦ج.

ابن دراج السبتي :

«كتاب الامتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع» نشر محمد بن شقرون، تحت عنوان : اتجاهات أدبية وحضارية في عصر بني مرين، القنيطرة (د. تا).

ابن رزين،

«فضالة الخوان في طيات الطعام والألوان، نشر محمد بن شقرون، تحت عنوان : فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين، الرباط ١٩٨١.

ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) :

«قراضة الذهب في نقد اشعار العرب»، تحقيق .بن. الشاذلي، تونس ١٩٧٢.

«الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء ١٩٨٤.

ابن الزيات، يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي (ت ٦٢٧هـ/١٢٢٩م).

«التشوف الى رجال التصوف»، نشر ادولف فورفي، الرباط ١٩٥٨

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) «المخصص»، بيروت (د. تا)، ٥ج.

ابن سيد الناس، أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد الطرابلسي (ت ١١١٣هـ/١٧٠١م):

«عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط ٢ بيروت ١٩٧٤، ٢ج.

ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن احمد الباجي الأندلسي (٥٩٤هـ/١١٩٨م)

«تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين»، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ١٩٦٥.

ابن عبد البر، أبوا عمر يوسف النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) :

«القصد والأمم في التعريف بأصول انساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم»، القاهرة ١٩٣١.

ابن عبد الملك، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م):

(الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٦٥

ابن عذارى، احمد بن محمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) :

«البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب» ج ١، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ليدن ١٩٨٤.

ج ٢، تحقيق كولان وليفي بوفنسال، ليدن ١٩٥١.

ج ٣، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس ١٩٣٠.

ج٣، تحقيق ويثي ميراندا وابن تاويت ومحمد الكتاني، تطوان ١٩٦٣.

ابن عربي، محيي الدين

«الفتوحات المكية»، تحقيق عثمان يحيى ومراجعة ابراهيم مذكور، مصر ١٩٧٧ ٥ج.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) :

«شذرات الذهب في اخبار من ذهب » القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١، ٨ ج.

ابن غازي، محمد بن احمد بن محمد (ت ٩١٩هـ/١٥١٣م).

«الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون» نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط ١٩٦٤.

ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٧م) :

«الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب»، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة ١٩٧٤، ٢ج.

ابن القاضي، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٢٩هـ/١٦١٦م) :

- «درة الحجال في غرة أسماء الرجال» تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة ١٩٧٠.

- «جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس» ، ط٢، نشر عبد الوهاب ابن منصور، الرباط ١٩٧٣. ٢ج.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩) :

- «عيون الأخبار»، القاهرة ١٩٢٥، ٣ مجلدات في مجلد.

- «المعارف»، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة ١٩٦٩.

ابن قنفد، أحمد بن حسن بن علي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :

«الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية» تحقيق الشادلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس ١٩٦٨.

ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م) :

«المسند الصحيح الحسن في ماثر ومحاسن مولانا أبي الحسن»، تحقيق ماريا خيسوس بيغرا، الجزائر ١٩٨١.

ابن منجب، أمين الدين تاج الرياسة بن علي (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م) :

«الإشارة الى من نال الوزارة» ، القاهرة ١٩٢٤.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الأنصاري (ت ٧٧١هـ/١٣٧٩م) :

«لسان العرب» ط١، بولاق، ١٨٨٢. ٢٠ج.

(الإحاطة) : انظر، ابن الخطيب.

الادريسي بن عبد الله الحسني السبتي (٥٦٤هـ/١١٦٠م)

Al-Idrissi, Opus Geographicum, ed A...Bombaci, U. Rizzitano R. Rubinacci, I. Vaglieri, Napoles-Roma, 1970 -1984 ,9 fasc.

(ازهار الرياض) : انظر، المقري.

(الاستقصا) : انظر، الناصري.

(أعمال الأعلام) : انظر، ابن الخطيب.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) :

«شرح القصائد السبع الطوال»، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢. مصر (د. تا).

الأنصاري السبتي، محمد بن القاسم بن محمد (كان حيا سنة ٨٢٥/١٤٤٤م) :

«اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٨٣؛ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب، شرف الطالب في أسنى المطالب لأحمد بن قنفد، وفيات الونشريسي لأحمد الونشريسي، لقط

الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأحمد بن القاضي، تحقيق محمد حجي، الرباط ١٩٧٦.
الانور الزاهية في ديوان أبي العتاهية، جمع أحد الأباء اليسوعيين، بيروت١٨٨٦ .

البغدادي، صفي الدين عبد المومن (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) :

«مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»، تحقيق محمد البلجاوي، القاهرة ١٩٥٤.

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

- «جغرافية الأندلس واروبا من كتاب المسالك والممالك»،
تحقيق عبد الرحمان الحجي، بيروت ١٩٦٨.

- «معجم ما استعجم»، نشر فرديناند وستنفلد، باريس ١٩٧٦.

البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي :

«أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين»، ط٢، نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط ١٩٧١.

- «المقتبس من كتاب انساب في معرفة الأصحاب» نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٧١.

(البيان المغرب) : انظر، ابن عذارى.

(تحفة النظار) : انظر، ابن بطوطة.

(التشوف) : انظر، ابن الزيات.

(التعريف) : انظر، ابن خلدون.

التمبكتي، أبو العباس أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) :

«نيل الإبنتهاج بتطريز الديباج»، القاهرة ١٩١١.

(الجذوة) : انظر، ابن القاضي.

الجزنائي، أبو الحسن علي (كان حيا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥) :

«جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس»، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط ١٩٦٧.

(جغرافية الأندلس وأوربا) : انظر، البكري.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) :

«كتاب الوزراء والكتاب» نشر مصطفى السقا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شبابي، القاهرة ١٩٣٨.

(جني زهرة الاس) : انظر، الجزنائي.

«الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية» نسب خطأ الى ابن الخطيب، وقد نسبه البعض الى ابن سماك العامري (ق ٨هـ/١٤م)، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء ١٩٧٩.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٧٥هـ/١٦٥٦) :

«كشف الظنون عن اسامي الكتاب والفنون، واستانبول ١٩٤١.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م).

«الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٧٥. وقد نشر بروفنسال الجزء الخاص بالأندلس بالقاهرة ١٩٣٧.

الحوات، أبو عبد الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٣١هـ/١٨١٥) :

«الروضة المقصودة والحلل المعدودة في ماثر بني سودة»، مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط، رقم ١٠٩٢٣.

(الخطط) : انظر، المقزيري.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) :

«مفاتيح العلوم» تحقيق فان فولتين، ألمانيا ١٩٦٨.

الدبار، بكرى حسين بن محمد بن الحسن

«تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس»، بيروت (د. تا).

(الدرر الكامنة) : انظر، العسقلاني.

(الديباج) : انظر، ابن فرحون.

«ديوان ابن قزمان» تحقيق كورينطي، مدريد ١٩٨٠.

«ديوان أبي اسحاق الألبيري»، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦

ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي»، تحقيق محمد عزام، مصر .د. تا)

ديوات أبي الحسن الششتري»، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية ١٩٦٠.

«ديوان أبي نواس، برواية الصولي»، تحقيق بهجت عبد الغفور، بغداد ١٩٨٠.

الدكالي، محمد بن علي السلاوي. (ت ١٣٦٤ هـ /١٩٤٥).

«اتحاف اشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا» مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم ٢٢٧
«الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين»، تح. مصصفى ابو شعراء المغرب ١٩٨٦.
«الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية»، لمؤلف مجهول، (كان حيا سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣١). نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٧٢.
(روضة التعريف) : انظر، ابن الخطيب.
(الروض المعطار) : انظر، الحميري .
(روضة النسرين) : انظر، ابن الأحمر.
«رياحنة من أدواح ونسمة من أرواح» ، مخطوطة الخزانة العامة، رثم ٢٦٩.

الزبيدي المرتضى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩١م) :

«تاج العروس من جواهر القاموس»، بولاق ١٣٠٦/ ١٨٨٨، ١٠ج.

الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) :
«أمثال العوام في الأندلس»، تحقيق محمد بنشريفة، فاس ١٩٧٥.
(زهر الأكم) : انظر، اليوسي.

الزياني، أبو القاسم (ت ١٢٤٩هـ/١٨٠٩م) :

«الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا»، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، المحمدية١٩٦٧.

السراج، محمد بن محمد الأندلسي ثم التونسي (ت ١٤٤٩هـ/١٧٣٦) :

«الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ١٩٧٠.٤ج.

(صبح الأعشى) : انظر، القلقشندي.

الطواح، عبد الواحد بن محمد التونسي (كان حيا سنة ٧١٧هـ / ١٣١٨م) :

«سبك المقال لفك العقال» مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم ١٠٥.

(العبر) : انظر، ابن خلدون.

العذري، أحمد بن عمر بن أنس الدلائي (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) :

«نصوص عن الأندلس من كتاب توصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك»، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد ١٩٦٥.

العسقلاني، احمد بن علي بن محمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩ م)
«الاصابة في تمييز الصحابة»، مصر ١٩٢٣، ٦ج.
«تهذيب التهذيب» حيدر أباد ١٩٠٧، ١٣ج.
«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، حيدر أباد ١٩٢٩، ٤ج.
«لسان الميزان»، حيدر أباد ١٩٧١، ٧ج.

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي الدمشقي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) :

«مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار»، ج ١، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة ١٩٢٤.

الفشتالي، أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجي (ت ١٠٣١هـ/١٦٢١م):

«مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا» تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط ١٩٧٣.

(فصل المقال: انظر، البكري).

القزويني، زكريا بن محمد بن محمد (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) :

«عجائب الخلوقات وغرائب الموجودات» تحقيق فاروق سعد، ط ٣، بيروت١٩٨٧

القرافي، بدر الدين (٩٤٦هـ/١٥٣٣م).

توشيح الديباج وحلية الأبتهاج» تحقيق أحمد الشتيوي، تونس ١٩٨٣.

القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) :

«المحمدون من الشعراء واشعارهم»، تحقيق حسن معمري، الرياض ١٩٧٠.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزازي القاهري (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) :

«صبح الأعشى في كتابة الأنشا»، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩، ١٤ج.

«كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس» لمؤلف مجهول، تحقيق ويثي ميراندا، مدريد ١٩٦٥.

الكتاني، عبد الحي.
«فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، نشر احسان عباس، بيروت ١٩٨١، ٢ج.
(اللمحة) : انظر، ابن الخطيب.
(لع) : انظر، ابن منظور.

ليو الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان (ت ٩٥٩هـ/١٥٥٢)م :
«وصف افريقيا»، ج ١، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط ١٩٨٠.
(مجمع الأمثال) : انظر، الميداني.
(المرقبة العيا) انظر، النباهي.

المراكشي، عبد الواحد بن علي التميم (ت ٦٢٥هـ/١٢٢٨م) :
«المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. القاهرة ١٩٦٣.
(المسند) : انظر، ابن مرزوق.
(معجم البلدان) : انظر، ياقوت.
(معيار الأختيار) : انظر، ابن الخطيب.

المبرد، أبو العباس محمد (ت ٢٨٢هـ/٨٩٩م) :
«التعازي والمراثي» تحقيق محمد الديباجي، دمشق ١٩٧٦،

المقري، أحمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) :
«أزهار الرياض في أخبار عياض» ج١، ٢، ٣، تحقيق ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ومصطفى السقا، نشر ج ١ بالقاهرة ١٩٣٩ ؛ ج ٢، ٣ بالرباط ١٩٧٨ ؛ ج ٤، تحقيق أحمد اعراب ومحمد بن تاويت، الرباط ١٩٧٨، ج ٥، تحقيق أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، الرباط ١٩٧٩.
«روضة الاس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٤.

«نفح الطيب، من غصن الأندلس الركيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٨، ٨ ج.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :
«المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، ط. النيل ١٩٠٨.

الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابورى (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م) :
«مجمع الأمثال»، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، ط ٢، بيروت ١٩٧٢، ٢ ج.

المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت ق ٤هـ/١٠م) :
«وصف اقليم المغرب. مقتبس من احسن التقاسيم»، نشر شارل بيلا، الجزائر ١٩٥٠.

(نزهة المشتاق) انظر الادريسي.

النباهي، علي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي (كان حيا سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م):

«المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» ، تحقيق ليفي بروفنسال، مصر ١٩٤٨م

الناصري السلاوي، شهاب الدين محمد خالد (ت ١٣١٩هـ / ١٩٠٩م) :

«الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء١٩٥٤،٩ج.

الناصري، محمد بن موسى المكي (ت ق ١٢هـ/١٨م) :

«الدرر المرصعة في أخبار درعة، مخطوطة الخزانة العامة، سفران، رقم ٢٣٦٨د.

(النفاضة ٢) : انظر، ابن الخطيب.

النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م).

«نهاية الأرب في فنون الأدب» القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٣٥) ، ٩ج :

(نيل الأبتهاج) : انظر ، التمبكتي.

الهلالي :

إضاءة الإدموس ورياضة الشموس من اطلاع صاحب القاموس» مخطوطة الخزانة العامة، الرباط، رقم ٢٧٩.

(وصف افريقيا) : انظر، ليو الافريقي.

(وفيات الأعيان) انظر ابن خلكان.

اليازجي، ناصيف بن عبد الله (ت ١٢٨٧هـ ١٨٧١م) : «العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بيروت (د. تا)، ٢ج.

ياقوت الحموي، شهاب الدين (ت٦٢٦هـ / ١٢٨٨).

«معجم الأدباء» ، نشر جليوث، ط٢. اكسفورد ١٩٢٢، ٢٠ج..

«معجم البلدان»، بيروت (د. تا)، ٥ج..

اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود اليدراسني (ت ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م)

«زهر الأكم في الأمثال والحكم»، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء١٩٨١، ٢ج.
«المحاضرات» تحقيق محمد حجي، الرباط ١٩٧٦.

المراجع العربية

ابن تاويت، محمد التطواني وعفيفي الصادق : الأدب المغربي، ط ٢، بيروت١٩٦٦.

ابن تاويت، محمد التطواني :

«سبتة الأسيرة»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ١١١ ـ ١٤٣.

«كتاب الإحاطة لابن الخطيب..» المناهل ١٢، (١٩٧٨)، ص ١١٢ ـ ١٦٠؛ ١٣،(١٩٧٨)، ص ١٣٦ – ١٦٥ ؛ ١٤، (١٩٧٩)، ص ٣٢٦–٣٧١ ؛ ١٥، (١٩٧٩)، ص ١١٤– ١٢٦ ؛ ١٦، (١٩٨٠)، ص ١٠٠ ؛ ١٥٠ ؛ ١٨، (١٩٨٠) ص ٣٣٥–٣٧٤ ؛ ٢١، (١٩٨١)، ص ١٧٢–٢٠١ : ٢٣، (١٩٨٢)، ص ٦٦–١٢٩؛ ٢٥، (١٩٨٢)، ص ٧٩–١٢٩ ؛ ٢٦، (١٩٨٣)، ص١٠٩–١٩٣.

ابن خلدون والفكر المعاصر (ندوة ابن خلدون)، تونس ١٩٨٠.

ابن زيدان، مولاي عبد الرحمان :

اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ط ١، الرباط ١٩٢٩، ٥ج.

ابن سودة، عبد القادر :

دليل المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٦٠.

أبو ضيف، مصطفى أحمد :

القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (٩١–٤٢٢هـ/ ٧١٠ـ١٠٣١م) المغرب ١٩٨٣.

أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، الدار البيضاء١٩٨٢.

(الأعلام) : انظر، الزركلي.

أومليل، علي :

الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، ط٢ج، الرباط ١٩٨٤.

البابانى، اسماعيل باشا محمد أمين البغدادي :

- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، استانبول١٩٤٥، ٢ج.

هدية العارفين وأسماء المؤلفين والمصنفين، استانبول١٩٥١، ٢ج.

بروكلمان . ك. :

تاريخ الأدب العربي، ترجمه الى العربية عبد الحليم النجار ورمضان التواب، القاهرة ١٩٧٧، ٦ج.

ابن شريفة، محمد :

أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته واثاره، الرباط ١٩٦٦..

ابن عبد الله، عبد العزيز :

الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان ١٩٥٣.

المعجم التاريخي، الدار البيضاء (د. تا).

الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، الرباط ١٩٧٥، ٣ج.

نحو تفصيح العامة في الوطن العربي، دراسة مقارنة بين العربية والعامية، الرباط ١٩٧٢.

ابن منصور، عبد الوهاب :

قبائل المغرب، ج١، الرباط ١٩٦٨.

بوجندار، محمد :

شالة واثارها، الرباط ١٩٢٢.

التازي، عبد الهادي :

وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب، الدار البيضاء ١٩٨٠.

التطواني، محمد بن أبي بكر :

ابن الخطيب من خلال كتبه، تطوان ١٩٥٤، ٢ج.

جرار، صلاح : «ريحانة الكتاب لابن الخطيب تحقيق عنان»، مجلة الناشر العربي، ٢، (١٩٨٤)، ص ٩٣-١١٣

الجراري، عباس :

- القصيدة، الرباط ١٩٧٠.

- معجم مصطلحات الملحون الفنية، الرباط ١٩٧٨.

- موشحات مغربية، دراسة ونصوص، الدار البيضاء ١٩٧٣.

العجي، عبد الرحمان :

التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ـ٨٩٨/٧١١/١٤٤٢)،القاهرة١٩٨٣.

حركات، ابراهيم :

- «الحياة الدينية في العهد المريني» مجلة البحث العلمي، ٢٩، ٣٠ (١٩٧٩)، ص ٢٠٩-٢٣٩.

- «معالم التاريخ الإجتماعي للمغرب على عهد بني مرين»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ٢، (١٩٧٧) ص ٢٠٧ - ٢٤٣.

حسني، حسن عبد الوهاب :

ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، تونس١٩٧٢، ٣ج.

الخمريسي، أحمد :

المتصوفة وبدعة الاحتفال بمولد النبي، الدار البيضاء ١٩٨٣

الداية، محمد رضوان :

النقد الأدبي في الأندلس، لبنان ١٩٦٨.

دغفوس، راضي :

« العوامل الإقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر الى افريقيا» أوراق ٤،(١٩٨١)ص١٤٧ـ١٦٣.

ذنون، طه عبد الواحد : «استقرار القبائل البربرية في الأندلس»، أوراق ٤، (١٩٨١) ص٣٥-٤٨.

الزركلي، خير الدين :

الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٥، بيروت ١٩٨٠،٨ج.

زمامة، عبد القادر :

«بنو الأحمر في غرناطة»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ١٠١ـ ١١٠.

زنيبر، محمد :

«ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي، مجلة كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ٢، (١٩٧٧)، ص ٧٩-١٢٦.

السائح، حسن :

منوعات ابن الخطيب، الرباط ١٩٧٨

سركيس، يوسف الياس :

معجم المطبوعات العربية والمعربة، مصر ١٩١٩.

شبانة، محمد كمال :

«الإشارة الى أدب الوزارة للوزير الغرناطي لسان الدين.... »، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ٩٣ – ١٠٠.

- «الحالة الاقتصادية بالأندلس من خلال القرن الثامن الهجري» مجلة البحث العلمي، ٨، (١٩٦٦) ص ١٣٦ ـ ١٥٠.

- «السياسة الخارجية لملكة غرناطة النصرية»، مجلة البحث العلمي،١١، ١٢، (١٩٦٧)،ص٣٥-٥٩.

- «شيوخ الغزاة المغاربة في الأندلس كما أرخ لهم ابن الخطيب في الأحاطة»، مجلة البحث العلمي ١٣، (١٩٦٨)، ص ١٢٤ ـ ١٣٨.

- «المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب» مجلة دعوة الحق،٨ ، (١٩٦٨)، ص ٨٧-٩٢.

الشكعة، مصطفى :

الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، بيروت ١٩٨٣.

العبادي، أحمد مختار :

- «بين ابن خلدون وابن الخطيب»، (مهرجان ابن خلدون)، الدار البيضاء ١٩٦٢. ص ٥٥-٦٥.

- «حياة ابن الخطيب المغربية، مجلة البينة ١، (١٩٦٢)، ص ٥٤ ـ ٦٥

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية ١٩٨٢

«فترة مضطربة في تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان» مجلة المعهد المصري بمدريد، ٧،٨، (١٩٥٩ ـ ٦٠) ص ٤٣ ـ ٧٣.

- مساهمات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٥٨.

عبد الباقي، محمد فؤاد :

المعجم المفهرس لألفاظ القران، القاهرة ١٩٤٤.

عبد الحليم، عبد اللطيف : «الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب...» أوراق، ٤،(١٩٨١)،ص٤٩ـ١٠٩.

عثمان، عثمان اسماعيل :

تاريخ شالة الإسلامية، بيروت ١٩٧٥.

العروي، عبد الله :

العرب والفكر التاريخي، ط٣ بيروت. ١٩٨٠.

عزام، عبد الوهاب :

دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة ١٩٦٩.

العلوي التقي: «أصول المغاربة...» مجلة البحث العلمي، ٢٧ ، (١٩٧٧) ، ص ٢٠١-٢٣٩؛ ٢٨(١٩٧٨)،ص٢٠٩ـ٢٤٨.

عنان، محمد عبد الله :

- الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية والعربية، مدريد ١٩٧٦.

- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح الى بداية عصر الناصر، ط ٤، القاهرة ١٩٦٩.

- لسان الدين، حياته وتراثه الفكري، القاهرة ١٩٧٨.

غراب، محمود :

شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية من كلام الشيخ محيي الدين العربي، بيروت ١٩٨١.

كحالة، عمر رضا :

- جغرافية الجزيرة العربية، دمشق ١٩٤٤.

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت ١٩٧٨،٣ج.

- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق ١٩٥٧-٦١-١٥ ج.كنون، عبد الله :

- «لسان الدين الكاتب الساخر» مجلة البحث العلمي، ٢ (١٩٦٤) ص ١٢٣ - ١٣٣.
- تائية أبي اسحاق الألبيري»، المناهل، ٥(١٩٧٦) ، ص،٧- ٢١ .
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٢، بيروت ١٩٦١.

المراكشي ابن ابراهيم، عباس بن محمد التعارجي :

الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، نشر بن منصور، الرباط ١٩٧٤ - ٨٣،٨٩ - ١٠.

مؤنس، حسين :

- تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مدريد ١٩٦٧.
- «المساجد»، عالم المعرفة، سلسلة شهرية، يناير ١٩٨١.

محسن، جمال الدين :

احتفالات الموالد النبوية في الأشعار الأندلسية والمغربية المهجرية، بغداد ١٩٦٧.

المكناسي، أحمد :

المدن الإسلامية المندرسة في شمال المغرب ١٩٥٩.

المنوني، محمد بن عبد الهادي :

- «تاريخ حفلات الشموع بالمغرب»، مجلة الفنون ٦، ٧، (١٩٧٤) ص٣٤ - ٣٨.
- «قطعة عن نشاط الرماية الشعبية بالجنوب المغربي» مجلة الباحث، ١، (١٩٧٢) ، ص١ - ٣٠.
- «مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية»، مجلة دعوة الحق، ٨، (١٩٧٧) ، ص ٢٠ - ٣١.
- «مجموعات مغربية في المدائح النبوية»، مجلة الثقافة المغربية، ٤، (١٩٧١)، ص ٨٧-١٠٢.
- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الحديث، ج١ الدار البيضاء ١٩٨٣.
- «ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي»، مجلة دعوة الحق، ٩، ١٠، (١٩٦٦)، ص٩٧-١١١.
- «وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني»، مجلة البحث العلمي، ١، (١٩٨٤)ص١٣١،١٥٣.
- «ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط ١٩٧٩.

النبهاني، أبو المحاسن يوسف بن اسماعيل :
المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، بيروت ١٩٠٢
هيكل، أحمد : الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، القاهرة ١٩٥٨.
(ورقات المنوني) : انظر، المنوني.
وسنك ا. ي :
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن ١٩٣٦ - ٦٩، ٧ج.

المراجع الأجنبية

AL-ʿABBĀDĪ, A.M.,
El reino de Granada en la época de Mohammad V, Madrid 1973.
AL-ʿABBĀDĪ, A.M.,
"Los móviles económicos en la vida de Ibn al-Jaṭīb", trad. E. García Gomez, en Al-Andalus, XX, (1955), pp. 214-222.
ABD AL-KARĪM, G.,
Terminología geográfico-administrativa e historia político-cultural de al-Andalus en el "Mu'^yam al-Buldān" de Yaqut, 3a edición, Sevilla 1972.
ALLOUCHE, I.S.,
"La vie economique et sociale à Grenade au XIVe siècle", Mélanges d'histoire de l'Occident musulman, Argel 1957, T. II, pp. 7-12.
ALVAREZ DE CIENFUEGOS, I.,
"Sobre la economía en el reino nazari granadino", Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraícos, VII, (1958), pp. 85-98.
ARIE, R.,
L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, (1232-1492), Paris 1973.
ARIE, R.,
"Les relations entre Grenade et la Berbérie au XIVe siècle", Orientalia Hispanica, I (1974), pp. 33-44.
ARIE, R.,
"Quelques remarques sur le costume des musulmans d'Espagne au temps des Nasrides", Arabica, XII (1965), pp. 244-261.
ARIE, R.,
"Un opuscule grenadin sur la peste noire de 1348 : La Nasiha de Muḥammad al-Saquri", Boletin de la Asociación Espagñola de Orientalistas, 1967, pp.189-199.
ARIE, R.,
"Les relations diplomatiques et culturelles entre musulmans d'Orient au temps des Nasrides", Mélanges de la casa de Velazquez, 1965, pp. 87-107;
ARIE, R.,
España musulmana siglos VIII-XV, dirigida por Manuel Tuñon de Lara, Barcelona 1983.
ARIE, R.,
"Lisan.al-Din Ibn al-Khaṭīb, quelques aspects de son œuvre" en Atti del terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici, Napoles 1967, pp. 69-81.
AVILA NAVARRO, Ma L.,
"La proclamación (bay'a) de Hišām II ano 976 d.C.", Al-Qantara, I (1980), pp. 79-114.
AYALON, D.,
The Mamluk military Society, London 1979.
AZIMAN, M.,
"Kitab Rawdat al-Ta'rif bi-l-Hubb al-Sarif, li-Lisan al-Din b.al-Jatîb", Tamuda, III (1955), pp. 23-37.
BLACHERE, R.,
"Le vizir poète Ibn Zumruk et son œuvre", Annales de l'Instiut d'études Orientales de Faculté de Lettres de l'Université d'Alger, II (1963), pp. 291-312.

BOSCH VILLÁ, J., Y HOENERBACH, W.,
"Un viaje oficial de la corte nazarí (1347)", Andalucía Islamica, II-III (1981-82), pp. 34-69.
BOSCH VILLÁ, J.,
Ha de Albarracin y su sierra, 2 vols., Teruel 1959, t. II, p. 79.
CALLE, J.,
La ville de Rabat jusqu'au protectorat français, Paris 1949, 2 vols.
CARRIAZO, J. M.,
"Un alcalde entre los cristianos y los moros, en la frontera de Granada", Al-Andalus, XIII (1948), pp. 35-97.
CASCIARO, J.M.,
"Don Pedro I de Castilla y Muhammad V de Granada", Al-Andalus, XI (1946), pp. 245-247.
CASCIARO, J.M.,
"El visirato en el reino nazarí de Granada", Anuario de Historia del Derecho español, XVIII (1947), pp. 233-258.
CORRIENTE, F.,
"Observaciones sobre la métrica de Aš-Šuštari (Materiales para un estudio diacrónico del zéjel y el muwaššah)", Awraq 5-6 (1982-83), pp. 39-87.
CORRIENTE, F.,
Gramatica, métrica y texto del cancionero hispanoarabe de Aban Ouzman, Madrid 1980.
CORRIENTE, F.,
A Grammatical sketch of the spanish arabic dialect Bundle, I.H.A.C., Madrid 1977.
CHEJNE, A.G.,
Historia de España Musulmana, Ed. Catedra, Madrid 1980.
EI 1 : Encyclopèdie de l'Islam, 1a edicíon, 4 vols, Leiden 1913-34.
EI 2 : Encyclopèdie de l'islam, 2a edicíon, (Nouvelle édition), 5 vols, (en curso de publicacíon), Leiden 1960-83.
DERENBOURG, H.,
Les manuscrits arabes de l'Escorial, Paris 1978.
DOZY, R.,
Supplèment aux dictionnaires arabes, 2 vols., Leyden 1927.
GARCIA GOMEZ, E.,
Todo Ben Ouzman, Madrid 1972, 3 vols.
GARCIA GOMEZ, E.,
Un alfaqui español Abu Ishaq de Elvira, Madrid-Granada 1944.
GARCIA GOMEZ, A.,
"Métrica de la moaxaja y métrica espanola. Aplicacion de un nuevo método de medicion completa al-Gais de Ben al-Hatib", Al-Andalus, XXXIX (1974), I-II, pp. 1-240.
GARCIA GOMEZ, E.,
"El parangón entre Málaga y Salé de Ibn al-Jaṭīb", Al-Andalus, II (1934), pp.183-196.

GARCIA SANCHEZ, E.,
"La alimentación de la Andalucía Islámica", Andalucía Islamíca, II-III (1983), pp. 139-176.
GARULO, T.
Bibliografía provisional de obras árabes trad. al español (1800-1982), (en prensa).
GASPAR REMIRO, M.,
Correspondencia diplomática entre Granada y Fez (s. XIV). Extractos de "Raihanat al-Kuttāb" de Lisaneddin Abenaljatib, el-Andalosí, Granada 1916.
GASPAR REMIRO, M.,
Documentos árabes de la corte nazarí de Granada, Madrid 1911.
GAUDEFROY-DEMONBYNES, M.,
Mahomet, Paris, 1957.
GENIVAL, P.,
"Les emires de Hintata "Rois" de Marrakech", Hespéris, XXIV, (1937), pp. 245-254.
GIBERT, S.
"Abū l-Barakāt al-Balafīqī, qādí, historiador y poeta", Al-Andalus, XXVIII (1963), pp. 381-424.
GIBERT, S.,
El diwān de Ibn Jātima de Almeria, Barcelona 1975.
GRANJA, F. de la
La Marca Superior en la obra de al-'Udrī, Zaragoza 1966.
GRANJA, F. de la
"Fiestas cristianas en al-Andalus (Materiales para su estudio) I : "al-Durr al-Munaẓẓam" de al-'Azafī", Al-Andalus, XXIV (1969), pp. 1-53.
GRANJA, F. de la
"La carta de felicitación de Ibn al-Jaṭīb a un almotacen malagueno", Al-Andalus, XXVI (1961), pp. 471-475.
Les guides bluex, Maroc, Libraire Hachette, Paris 1969.
HOENERBACH, W.,
"Loja en la época nazarí", Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos, III (1954), pp. 55.
Historia de la ciencia árabe, Real Academia de Ciencias Exactas, Físicas y Naturales, Madrid 1981.
HOENERBACH, W.,
"La teoría del "zéjel" según Ṣafi al-Dín Ḥilli", Al-Andalus, XV (1950), pp. 297-308-344.
HOENERBACH, W.,
"El historiador Ibn al-Jaṭīb, pueblo, estado", Andalucía Islámica, I (1980), pp. 43-63.
HUICI MIRANDA, A.
"La cocina hispano-magribí durante la época almohade", Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos, V (1957), pp. 137-156.
HUISMAN, A.J.W;,
Les manuscrits arabes dans le monde, Leiden 1967.

IBN AL-JAṬĪB
Kitāb a'māl al-A'lām, Parte 3a, Historia medieval islámica del Norte de Africa y Sicilia, traducción, notas e indices por Rafaela Castrillo, I.H.A.C., Madrid 1983.
'INAN, M.A.,
Toponimia arabigo-española, I.E.E.I., Madrid 1976.
LADERO QUESADA, M.A.,
Granada, Hitoria de un país islámico(1232-1571), Madrid 1979.
LAFUENTE ALCÁNTARA, E.,
Historia de Granada, 4 vols., Granada 1843-46.
LAFUENTE ALCANTARA, E.,
Inscripcionnes árabes de Granada, precedidas de una reseña histórica y de la genealogía detallada de los reyes Ahmares, Madrid 1859.
LEÓN AFRICANO
Descripción de Africa, Tetuan 1952.
LÓPEZ DE COCA CASTANER, J.E.,
"Sobre historia económica y social del reino nazarí de Granada. Problemas de fuentes y métodos", I Congreso de Historia de Andalucia, Andalucia Medieval, Córdoba 1978, T.II, pp. 395-404.
LOPEZ ORTIZ, J.,
"Fatwas granadinas de los siglos XIV y XV", Al-Andalus, VI (1941), pp. 73-127.
MADOZ, P.,
Diccionario geográfico-estadistico historico de España y sus posesiones de Ultramar, Madrid 1850.
MANZANO MARTOS, R.,
"El baño termal de Alhama de Granada", Al-Andalus, XXIII (1958), pp. 408-417.
Marocco oficial names approved by the United States Board on geographic names, Washington, D.C. 20315, June 1970.
MASSIGNON, L.,
Le Maroc dans les premiers années du XVIe siècle, Tableau géographique d'après Leon l'Africain, Alger 1906.
MEUNIÉ, J.,
"La zaouiat en Noussak une fondation Merinide aux bords de Salé", Mélanges d'Histoire et d'Archeologie de l'Occident musulman, Alger 1957, II, pp. 129-145.
OCAÑA JIMENEZ, M.,
Nuevas tablas de conversión de datas islámicas a cristianas y viceversa, Madrid 1981, I.H.A.C.
PAZ, J.,
Castillos y fortalezas del Reino. Noticia de su estado y de sus alcaides durante los siglos XV y XVI, Madrid 1978.
PONS BOIGUES, F.,
Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y géografos arabigo-espanoles, Madrid 1898.
PREMARE, A.L. de
Maghreb et Andalousie au XIVe siècle. Les notes de voyage d'un andalou au Maroc 1344-1345, Lyon 1981.

RUBIERA MATA, Ma J.,
"De nuevo sobre los poemas epigraficos de la Alhambra", Al-Andalus, XLI (1976), pp. 207-211.
RUBIERA MATA, Ma J.,
"Ibn Zamrak, su biógrafo Ibn al-Aḥmar y los poemas epigráficos de la Alhambra", Al-Andalus, XLII (1977), pp. 447-451.
SALMI, A.,
"Le genre des poèmes de nativité (Maulúdiyya-s) dans le royaume de Grenade et au Maroc du XIIe au XVIIe siècle", Hespéris, XLIII (1956), pp. 335-435.
SANCHEZ ALBORNOZ, C.,
La España según los autores islamitas y cristianos medievales, 2 tomos, Buenos Aires 1946.
SANTIAGO SIMÓN, E. De
"Jaṭibians mistica : el Kitáb Rawḍat al-Ta'rîf, su temática" Andalucía Islámica. Textos y estudios, Granada 1980, pp. 105-121.
SANTIAGO SIMÓN, E. De
El polígrafo granadino Ibn al-Jaṭîb y el sufismo, Granada 1983.
SECO DE LUCENA, L.,
"Acerca de la Qauraŷa de la Alcazaba Vieja de Córdoba", Al-Andalus, XXXIII (1968), pp. 197-203.
SECO DE LUCENA, L.,
"Notas para el estudio de Granada bajo la dominación musulmana : acerca de algunas familias ilustres arábigo-granadinas", Boletín Universidad de Granada, (1951), pp. 169-191.
SECO DE LUCENA, L.,
"Nuevas rectificaciones a la historia de los nazaríes, Al-Andalus, XX (1955), pp. 381-405.
SECO DE LUCENA, L.,
"Sobre algunos topónimos granadinos de la Iḥaṭa", Al-Andalus XVII (1952), pp. 369-378.
SECO DE LUCENA, L.,
"De toponimia granadina : sobre el viaje de Ibn Baṭṭūṭa al Reino de Granada", Al-Andalus, XVI (1951), pp. 49-85.
SECO DE LUCENA, L.,
"Un nuevo texto en árabe dialectal granadino", Al-Andalus, XX (1955), pp. 153-165.
SECO DE LUCENA, L.,
"Nuevas rectificaciones a la historia de los Naṣríes", Al-Andalus, XX (1955), pp. 381-405.
SECO DE LUCENA, L.,
"Una rectificacion a la historia de los ultimos naṣríes", Al-Andalus, XVII (1952), pp. 153-163.
SECO DE LUCENA, L.,
Topónimos árabes identificados, Granada 1974.

SECO DE LUCENA, L.,
"Toponimia árabe de la vega y los montes de Granada", Al-Andalus, XXIX (1964), pp. 311-327.
SHATZMILLER, M.,
L'historiographie merinide. Ibn Khaldún et ses contemporains, Leiden 1982, pp. 76-88.
SIMONET, F.J.,
Descripción del reino de Granada bajo la dominación de los Naṣritas, 2a ed, Granada 1872.
SIMONET, F.J.,
Historia de los mozárabes de España, Madrid 1897-1903.
SOURDEL, D.,
Le visirat ʿabbaside de 749 a 936, Damasco, 1959-60.
SOURDEL, D.,
"Wazír et Ḥáǧib en Occident", Études d'Orientalisme dédiées a la mémoire de Lévi-Provençal, Paris 1962, 2 vols.
STERN, S.M.,
Hispano-Arabic strophic poetry, Oxford 1974.
STERN, S.M.,
"Studies on Ibn Quzmán", Al-Andalus, XVI (1951), pp. 379-425.
STEINGASS, F.,
A comprehensive Persian - English Dictionary, Londres 1982.
TERRASE, H.,
"Le royaume naṣride dans la vie de l'Espagne du moyen âge, indications et problèmes", Mélanges...Marcel Bataillon , (Bulletin Hispanique, 64 bis, 1962), pp. 253-260.
TORRES BALBÁS, L.,
"Esquema demográfico en la ciudad de Granada", Al-Andalus, XXI (1956), pp. 131-146.
TORRES BALBÁS, L.,
"La mezquita mayor de Granada", Al-Andalus, X (1945), pp. 409-432.
TORRES BALBÁS, L.,
"Antequera islámica", Al-Andalus, XVI (1951), pp. 427-451.
TORRES DELGADO, G.,
El antiguo reino nazarí de Granada, 1232-1340, Granada 1974.
TORRES DELGADO, G.,
Bases para el estudio de la economía del reino nazarí, Granada 1972.
TURKI, A.M.,
"Lisán al-Dín Ibn al-Ḫaṭíb (713-776/1313-47), Juriste d'après son œuvre inédite : "Mutla al-Ṭariqa fi ḏamm al-waṯiqa", Arabica, XVI (1969), pp. 155-211, 279-312.
VALLVE, J.,
"Medidas de capacidad", Al-Andalus, XII (1977), pp. 61-121.
VAZQUEZ RITIS, J.,
"Zéjeles en Marruecos", Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos, XXI (1981-82), pp. 43-57.

VERNET, J.,
Estudios sobre historia de la ciencia medieval, 2 vols., Barcelona 1979-80.
Villes et tribus du Maroc par la mission scientifique du Maroc, Rabat et sa région, Paris 1919, 4 vols.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم العلامة الأستاذ المنوني	5
مقدمة التحقيق :	
- تعريف كتاب نفاضة الجراب	7
- عدد أجزائه	7
- عنوانه وظروف تأليفه	10
- خلاصة لمضامينه	13
- أهميته	21
- منهجيته تحقيقه	27
- رموز التحقيق	28
- وصف المخطوطتين	29
نص الكتـــاب	
الفصـــل الأول :	
- رسائل وأشعار ومؤلفات كتبها ابن الخطيب أثناء إقامته في المغرب	33
الفصل الثاني :	
- رجع التاريخ	61
- سفر ابن الخطيب إلى فاس لتقديم ولائه للسلطان الجديد أبي زيان	62
- القبض على منصور بن أبي علي	69
- تنصيب أبي ثابت عامر رئيسا على الجند في مراكش	70
- أحداث أندلسية	71
- استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة بفاس	74
الفصل الثالث :	
- رحلة ابن الخطيب إلى مراكش	85

الفصل الرابع :
- خدعة أبي ثابت عامر لبعض القبائل 107
الفصل الخامس : (رجع التاريخ)
- حروب بين المسيحيين والمسلمين بالأندلس 115
- انتصار الغني بالله 118
- استرجاع الغني بالله لملكه بغرناطة 124
- قصائد تهنئته من شعراء مختلفين بمناسبة انتصار الغني بالله 125
الفصل السادس : (رجع التاريخ)
- عودة ابن الخطيب إلى غرناطة صحبة أسرة الغني بالله 161
الفصل السابع : (رجع التاريخ)
- نفي ابن كماشة إلى تونس 161
- استبزار عبد الحق بن عطية بيت المال بغرناطة 167
- زهد ابن الخطيب 168
- ثورة ضد الغني بالله 168
- القبض على الدليل البركي (زعيم الثورة) 178
الفصل الثامن :
- رسائل وأشعار 193
- أزجال لابن الخطيب 238
الفصل التاسع : (رجع التاريخ)
- وصف المشور الذي بناه الغني بالله 275
- وصف احتفال الغني بالله بعيدالمولد النبوي 276
- وصف الساعة الميكانيكية 279
- مقطوعات شعرية لابن الخطيب في الساعة 280
الفصل العاشر :
- قصائد مولدية لشعراء مختلفين 291
الفهارس 343

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الايداع القانوني رقم 1989/269

... وقد توفقت الباحثة في اختيارها لنص بالغ الأهمية بين آثار ابن الخطيب، بما يكشف عنه من معلومات جديدة عن حياة المؤلف، وعن واقع الأندلس والمغرب خلال ق 14/8.

وإلى هذا توفقت الدارسة – مرة أخرى – في تعاملها مع النص المحقق : تصحيحا وشكلا، فضلا عن مجهود المقارنة والتعاليق الوافية.

وتزداد أهمية هذا العمل إذا تذكرنا أن النص المنوه به، كان إلى حدود الستينيات، يعتبر من الكتب الضائعة.

ومن حسن الاتفاق، أن يناقش ثم ينشر هذا الكتاب، في توقيت غير بعيد عن موعد الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب 1374/776.

وبهذا الاعتبار وما تقدمه، جاء عمل الباحثة يعبر عن توفيق في اختيارها، وعمق في تحقيقها، ومجد كللها به إعدادها للكتاب المنوه به، فضلا عن مساهمة أطروحتها في تخليد ذكرى المؤلف.

فلتهنأ السعدية فاغية بنجاحها في مجهودها، وليهنأ البحث التاريخي بظهور السفر الثالث من «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب».

محمد المنوني

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الثمن : 70,00 درهما